غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد المئة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

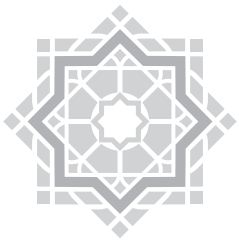

المحور الثاني عشر

المحاضرات

١٩٣ محاضرات الإمام القرضاوي

٥

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

المحـور الثاني عشر

المحـاضـرات

١٩٣

محـاضرات الإمام القرضاوي

٥

الإمـام يوسف القرضاوي

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

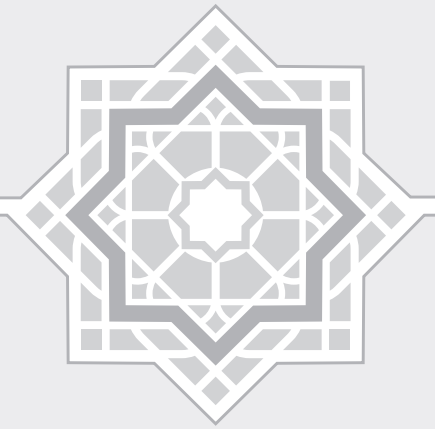

قضايا إسلامية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٤].

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٧١].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» وشبَّك أصابعه. متَّفق عليه.

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**». متَّفق عليه.

عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمس ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم**». رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

١

قضية فلسطين[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المُسداة، البشير النذير، والسراج المنير، سيِّدِنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فيا أيها الإخوة الأحبة، منذ كنت طالبًا في القسم الابتدائي بالأزهر الشريف، بمعهد طنطا الديني وأنا مشغول بقضية فلسطين، طالما نَظَمنا القصائد، وطالما سيَّرنا المظاهرات، وطالما حمَّسنا الجماهير، وطالما ذهبنا إلى القرى والمدن لنجمع الأموال ليُشترى بها السلاح للإخوة في فلسطين، وطالما خرجنا في اليوم الثاني من نوفمبر من كل عام لنحتج على الوعد الظالم، الذي يُسمَّى وعد بلفور، وهو وزير خارجية إنجلترا الذي قال فيه مَنْ قال: إنَّ من لا يملك وَعَدَ مَنْ لا يستحق!

(١) ألقيت في ندوة دعم القدس، تحت رعاية الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، بفندق رمادا، بالدوحة، يوم الاثنين ٣١ مارس ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

وَعَدَ بلفور اليهود بإقامة وطنٍ قوميٍّ لهم في فلسطين، وعلَّق على ذلك المجاهد الكبير، مفتي فلسطين الأكبر، الحاج أمين الحسينيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: إنَّ فلسطين ليست وطنًا بغير شعب، حتى تستقبل شعبًا بغير وطن.

نحتاج للعمل والبذل لا الكلام:

منذ ذلك الزمن وأنا أحيا في قضية فلسطين، ولا زلنا نعيش في قضية فلسطين، وسنظل نعيش في قضية فلسطين، وإن كنت لا أكتمكم أنِّي سئمت الكلام حول هذه القضية، فالقضية تحتاج إلى العمل أكثر مما تحتاج إلى الكلام، تحتاج إلى السيف، لا إلى القلم. نحن في حاجة إلى البذل وإلى العمل، أكثر مما نحتاج إلى الكلام، ولكن نحن مضطرون إلى أن نتكلم، فقد قال الشاعر قديمًا:

فإنَّ النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى وإنَّ الحَرْبَ أَوَّلُها كَلامُ[1]

قضية كل مسلم:

لا بدَّ من كلامٍ حتى نوعِّي الناس بهذه القضية، التي وجدنا للأسف مَنْ وهنوا، وضعفوا، وسلَّموا للأعداء في هذه الأرض المقدسة، والتي لا يملك أحدٌ حق تسليمها لأعداء الله، وأعداء الإنسانية! إن قضية فلسطين هي قضية الأمة كلها، قضية كلِّ مسلم، ليست قضية العرب وحدهم، ولا قضية الفلسطينيين وحدهم.

وكثيرًا ما قلت: لو أنَّ الفلسطينيين تقاعسوا أو جبنوا عن أداء الواجب نحو قضيتهم، لكان واجبًا على المسلمين أن يقاتلوا دفاعًا عن فلسطين؛

(١) من شعر نصر بن سيار؛ كما في عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس (٣٩/١)، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، نشر دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

فالمسجد الأقصى، والقدس الشـريف، وأرض النبوَّات، والأرض التي بارك الله فيها للعالمين، ليسـت ملك الفلسـطينيين وحدهم، هي ملك المسلمين جميعًا.

ومن هذا المنطلق يجب أنْ يكون حرصنا على هذه القضية، فكما أنَّ اليهود في العالم يعتبرون إسرائيل دولتهم، ويعتبرون أرض الميعاد ـ كما يسمونها ـ قضيتهم، فالمسـلمون في أنحاء الأرض أيضًا يعتبرون قضية فلسـطين، والمسـجد الأقصى، قضيتهم الأولى في هـذا العصر، وهي المحك، وهـي الامتحان الذي يظهر فيه صلابـة المؤمنين، أو تهاونهم وتهافتهم، وضعفهم واستسلامهم أمام هؤلاء الجبارين، المستكبرين في الأرض بغير الحقِّ.

اغتصاب فلسطين:

المعركة بيننا وبيـن اليهود معركة الأرض، بعض المسـلمين يظنون أنَّ المعركة بيننا وبين اليهود معركة العقيدة، لا، ليسـت معركة العقيدة، فاليهود كانوا يعيشون في بلاد المسلمين بعقيدتهم، بتوراتهم المحرَّفة، ولكن الإسلام أقرَّهم، عاشوا أهل ذمة، كانت لهم ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة المسلمين.

لقد طردهـم العالم، ولفظهم لفظ النواة، ولم يجـدوا صدرًا حنونًا، ولم يجدوا كهفًا يؤويهم، ولا ملاذًا يلوذون به إلا دار الإسـلام، الوطن الإسلامي هو الذي وسـع اليهود حينما طردهم العالم من أوروبا ومن غيرها، فعاشوا بيننا.

ولذلك نحـن لا نحاربهم من أجل أنَّهم يهـود، ولكن نحاربهم من أجل أنَّهم ظالمون مغتصبون، اغتصبوا الأرض، وسـفكوا الدم، وشرَّدوا الأهل، وهتكوا الأعراض، وانتهكوا الحرمات، وأخذوا أرضًا ليست لهم،

QaradawiBooks.com

لم يملكوا فيها شبرًا واحدًا، أخذوها بغير حق، اغتصبوها بالعنف، بالدم، بالحديد والنار، بممالأة الغرب المستعمر المتمكن من ديار الإسلام في ذلك الوقت، هذه هي المعركة بيننا وبين اليهود، معركة الأرض.

ليس لليهود وجود في فلسطين:

لم يكن لليهود وجود في فلسطين، ففي العهدة العمرية كان من شروط أهل إيلياء ـ كما كانت تسمى في ذلك الوقت ـ ومن شروط البطريرك أنطونيوس من النصارى: ألَّا يساكنهم فيها يهود[1]. هذا ما اشترطوه على عُمَر رضي الله عنه، وهذا هو الذي صنعه المسلمون، فلم يأخذ المسلمون القدس من اليهود، ما كان لليهود فيها وجود، بل استلموها من النصارى.

تشريد اليهود:

أمَّا اليهود فقد أخرجوا منها حينما ضربهم الرومان ضربة قاضية شردتهم في الأرض، وقطَّعتهم فيها كما قال الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]. من إفساد اليهود في الأرض، وعلوِّهم فيها علوًّا كبيرًا، وعتوِّهم وتمرُّدهم على الله وعلى أنبيائه، فلم لم يسلم الأنبياء من شرهم، ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمُ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

ولم يسلم الله تعالى من تطاولهم، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. تطاولوا حتى على الله ورسله،

(١) انظر: تاريخ الطبري (٦٠٩/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (٢٥٣/١)، نشر مكتبة دنديس، عمان.

QaradawiBooks.com

ما تركوا نبيًّا من الأنبياء إلا وصمــوه بأقبح الصفات، وتوراتهم المحرفة لوَّثت الألوهية، ولوَّثت النبوَّة، حتى قال بعض الغربيين: هذا كتاب يجب ألَّا يقرأه العذارى، ولا يقرأه الصبيان، لأنَّه يفسد الأخلاق.

إيواء المسلمين لليهود:

المعركة بيننا وبين اليهود هي معركة الأرض، لو لم يغتصبوا الأرض ما كان بيننا وبينهم شيء، عاشوا بيننا، ووصلوا إلى ما وصلوا إليه، في بعض الأزمنة كان لليهود المال والمجد والقربى من الســلاطين، حتى قال الشاعر المصري الساخر الحسن بن خاقان:

يهــودُ هــذا الزمــانِ قــد بلغُوا ... غايــةَ آمالهــم وقــد ملكُــوا
المجــدُ فيهــمُ والمــالُ عندهمُو ... ومنهــمُ المستشــارُ والملِــكُ
يا أهلَ مصرَ إنِّــي نصحتُ لكُم ... تهــوَّدوا قــد تهــوَّد الفلــكُ[1]

ورأيت العلَّامة ابن عابدين في حاشــيته الشــهيرة في الفقه الحنفي يشتكي من حال زمانه، فيقول:

أحبابنــا، نُــوَبُ الزمــان كثيرةٌ ... وأمَــرُّ منهــا رِفعــةُ السُّــفهاءِ
فمتى يفيــقُ الدَّهرُ من سَــكَراته ... وأرَى اليهــودَ بِذلَّــة الفُقَهــاءِ[2]

هكذا وصلوا بوسائطهم ووســائلهم المختلفة إلى هذه المنزلة، فما كان بيننا وبينهم شيء!

---

(١) ذكره آدم متز في الحضارة الإســلامية (١١٨/١)، ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٦٧م.

(٢) حاشية ابن عابدين (٢٠٨/٤)، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، والبيتان للقاضي تقي الدين التَّمِيمِي الْغَــزِّي الحنفي، كما في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشــر لمحمد أمين المحبي (٤٧٩/١)، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

ونحن قد شهدنا في عصرنا ـ حينما كنا صغارًا قبل حرب (١٩٤٨م) ـ كان اليهود في القاهرة يملكون أعظم المتاجر، وأعظم العمارات، وأعظم البنوك، نعرف شيكوريل، وأوريكو، وصيدناوي، وشملا، وبنزايون، وداود عدس، وغيرهم كثير، كانوا يملكون الثروات الهائلة، فهكذا كان اليهود أصحاب المال وأصحاب السلطان في ديارنا.

دحض مزاعم اليهود في فلسطين:

ولكن المعركة بدأت بينا وبينهم حينما اعتبروا أرض فلسطين أرضًا لهم، وبنوا على ذلك ما سموه «أرض الميعاد»، أنَّ الله وعدهم على لسان إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب أن تكون هذه الأرض لهؤلاء الأنبياء العظام ولنسلهم، وأنَّ الله قال لإبراهيم: أعطيك هذه الأرض، لك ولنسلك من بعدك، من نهر مصر، إلى النهر الكبير، نهر الفرات[١].

إبراهيم عليه السلام:

ولكن الواقع أنَّ إبراهيم وإسحاق ويعقوب عاشوا وماتوا ولم يملكوا شبرًا، ولا فترًا من أرض فلسطين، هذا هو الواقع، حتى إنَّ سفر التكوين يقول: حينما ماتت سارة ـ امرأة إبراهيم ـ لم يملك لها قبرًا، لا يملك أرضًا يدفنها فيها، فذهب إلى عفرون الحيثي، وطلب منه أن يعطيه قطعة من الأرض ليدفن فيها زوجته، فعرض عليه الرجل مكرمة منه أن يعطيه قطعة من الأرض، فأبى إبراهيم إلا أنْ يشتريها بالثمن[٢]. فإذا كانت هذه الأرض أرضه؛ هل يشتري الإنسان أرضه؟!

---

(١) سفر التكوين (١٨/١٥).

(٢) سفر التكوين (٢/٢٣ ـ ٦).

QaradawiBooks.com

يعقوب ويوسف عليهما السلام :

ومات إبراهيم ولم يكن يملك فيها شيئًا، ولا ابنه إسحاق، ولا حفيده يعقوب، ونحن نعرف أن يعقوب عليه السلام عاش هو وأولاده رعاة، إلى أن ذهب ابنه يوسف عليه السلام إلى مصر، وجعله الله على خزائن الأرض، وملَّكه فيها، واستأذن ملك مصر ـ كما يقول القرآن ـ أو فرعون ـ كما تقول التوراة ـ والقرآن أصدق تعبيرًا، لأنَّ الأسرة التي كانت تحكم مصر في ذلك الحين لم تكن من الفراعنة، كانوا من الرعاة، أو العمالقة الذين جاؤوا من جزيرة العرب، ولذلك يصف القرآن عن الحاكم في عهد يوسف بالملك، وفي عهد موسى بفرعون؛ لأنَّ الفراعنة هم الذين كانوا يحكمون في عهد موسى، وليس في عهد يوسف عليهما السلام .

استأذن يوسف الملك أنْ يأتي بأبيه يعقوب عليه السلام إلى مصر، وسأله: مَنْ أنتم؟ قال: نحن قوم رعاة غنم وبقر[1]. وهكذا قال لهم يوسف: إذا سألكم فقولوا هذا. فأعطاهم الملك أرضًا لهم ولبقرهم ولغنمهم ولإبلهم، وكما قال القرآن: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. فهم قوم بداةٌ، لا يحتاجون إلى أرض، يتنقلون يطلبون الكلأ والمرعى، ينتجعونه هنا وهناك، وبقوا في مصر ـ كما يقول سفر التكوين ـ أربعمائة وثلاثين عامًا[2]، فإذا أضيف إلى ذلك عمر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كانت المدة سبعمائة عام، كانوا فيها بعيدين عن هذه الأرض.

(١) سفر التكوين (٣/٤٧).
(٢) سفر التكوين (١٣/١٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

موسى عليه السلام:

وحينما جاء موسى عليه السلام، وقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]. ومعنى كتب الله لكم: أيْ كتب لكم دخولها. وحينما ذهب الرئيس السادات إلى القدس، وتحدث عن الوطن الفلسطيني، وعن كذا. فقال له بيجن: يا سيادة الرئيس، إن كتابكم نفسه ذكر بأنَّ الله كتب لنا هذه الأرض. لكن المعنى: كتب لكم دخولها، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

كان لا بدَّ أن يزول هذا الجيل الذي عاش تحت سلطان الفراعنة، وأنْ ينشأ جيل في الصحراء يتربَّى على الحرية ويستطيع أن يدخل الأرض، وإذا هم قالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. فهذا يدلُّ على طبيعة الجبن اليهودي، أنَّهم يريدون أن يتركها أهلها مختارين فيدخلوها هم، ولذلك لو كنا نحن قومًا جبارين ـ كما كان هؤلاء الكنعانيون ـ ما استطاعوا أن يدخلوا الآن!

فحرمها الله عليهم أربعين سنة، يتيهون في الأرض ثم يدخلونها، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٢٥، ٢٦]. فحرموا منها هذه المدة إلى أن دخلوها.

يوشع بن نون:

ولم يدخلها موسى وهارون عليهما السلام، وإنَّما دخلها يوشع بن نون ـ أو يوشوع كما يسمونه ـ ومكث فيها مدة من الزمن، وحدث ما حدث، إلى

QaradawiBooks.com

أن جاء عهد الملوك: شاؤول، وداود، وسليمان، وكل ما مكثه اليهود في فلسطين أقل من مائتي سنة، وهي التي يدلون بها ويقولون: هي أرضنا.

ولو كان الأمر كذلك لكان للإنجليز الحق في أرض الهند، بقوا فيها مئات السنين، وهذا لا يمكن أن يجعل لهم حقًّا فيها. ودخل الصليبيون فلسطين، وأقاموا فيها نحو مائتي عام، وهذا لم يجعل لهم حقًّا في أن تكون هذه الأرض أرضهم.

المسلمون وَرَثَة النبوَّات:

ولذلك نحن نقول: إنَّ اليهود قوم مغتصبون، وهذه الوعود المزعومة لا تجعل لهم حقًّا أبديًّا، حتى لو صدقناها، لأنَّه قال: هي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونسلهم. وهم لم يملكوا، ولا ملك نسلهم المباشر.

ولو كان هناك نسل حقيقي لكان هم المسلمون؛ لأنَّ العرب من أبناء إسماعيل، ومن ناحية أخرى البُنوَّة الروحيَّة أهم من البُنوَّة النسبية، وقد أكَّد القرآن هذا حينما قال في قصة نوح: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. فنحن أولى الناس بإبراهيم، ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

العرب القدامى:

لم يقم اليهود في فلسطين، ولم تكن أرضهم، هي أرض الكنعانيين من العرب طيلة سبعة آلاف سنة، أو ثلاثة آلاف سنة على أقل تقدير، فلم

QaradawiBooks.com

تكن أرض اليهود، ولكن هكذا افتروا على الله تعالى، وزعموا أنَّه ملَّكهم إياها، كيف يعطيهم الله أرضًا لا يملكون فيها شيئًا، إنَّ الله تعالى لا يُملِّك الناس ما لا يستحقونه، وهم أخذوا أرضًا من غيرهم بالظلم والعدوان.

السيدة سارة:

والعجيب أنَّهم ـ كما يقول سفر التكوين ـ أخرجوا إسماعيل عليه السلام من هذا الوعد، وزعموا أنَّ سارة قالت لإبراهيم: ابن الجارية لا يدخل في هذا الميراث! وزعموا أنَّ الله استجاب لها[١].

كأنَّ الله سبحانه وتعالى يسارع في أهواء النساء، أن تغار إحداهن من ضرتها فينزل الله التشريعات، ويقلب الحقائق من أجلها! فهذا عبث، والعبث مستحيل على الله جلَّ وعلا.

وحينما جاء بشير بن سعد الأنصاري إلى النبيِّ ﷺ، يقول: إنِّي وهبت ابني النعمان أمَةً، أو حديقةً، أو نحو ذلك، وتريد عمرةُ بنتُ رواحة أن تشهد عليها يا رسول الله. فقال له النبيُّ ﷺ: «**أَكلّ أولادك نحلتهم مثل هذا؟**» قال: لا. قال: «**أَشْهد على ذلك غيري؛ فإني لا أشهد على جوْرٍ**»[٢]. هذه هي التسوية بين الأبناء، أمَّا هؤلاء فيريدون أن يفرق الله بين أبناء الأب الواحد، من أجل هوى امرأة! هذه هي التوراة المزعومة.

تأثير اليهود في النصارى:

والعجيب أنَّ اليهود استطاعوا أن يؤثروا في النصارى، حتى صدقهم النصارى، وجاء في إنجيل لوقا ما يؤكد هذا[٣]، ولذلك نرى النصارى

(١) سفر التكوين (٢١/١٠ ـ ١٣).

(٢) رواه مسلم في الهبات (١٦٢٣) (١٤)، عن النعمان بن بشير.

(٣) انظر: رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٤/٣٠).

QaradawiBooks.com

ـ وخصوصًا البروتستانت ـ يؤمنون بهذا الأمر، فمن قرأ مذكرات كارتر، ومن تتبع تصريحات ريجان، وبوش، وكلينتون، وغيرهم، يجد أنَّ القوم يؤمنون بأن اليهود لهم حقٌّ في هذه الأرض، لأنَّ هؤلاء استطاعوا أن يؤثروا في النصرانية الحديثة، ومن قبل ذلك النصرانية القديمة، حتى أصبح البعد الديني اليهودي والنصراني مؤثرا في إمداد اليهود بالسلاح، والمال والثروة، وهذا أمر في غاية الخطورة!

ويحكي لنا أستاذنا الكبير الشيخ عبد المُعزّ عبد السَّتَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلًا عن الحاج أمين الحسيني أنَّه زار مرة المندوب البريطاني في القدس، فقال له المندوب: إنَّ أمه تريد أن تقابله. قال: أهلًا بها. وجاءت المرأة العجوز، وقالت له: يا شيخ، لماذا تقف ضد إرادة الله؟ قال: أنا لا أستطيع أن أقف ضد إرادة الله. قالت له: أنت تقف ضد تمليك فلسطين لليهود، وهذه إرادة الله، ووعد الله لهم. فقال: كيف يعطي الله فلسطين لليهود، وهي أرضي وبيتي، ثم أين أذهب؟ قالت له: هذه إرادة الله، ولا يجوز أن تعارضها. ثم خرجت المرأة، فقال الحاج أمين الحسيني لهذا المندوب: إنَّ والدتك امرأة طيبة، يبدو أنَّها تتصور الأمور تصورًا غير حقيقي. فقال له: لا، هذه عقيدتنا نحن البروتستانت جميعًا، نؤمن أن هذه الأرض هي أرض الميعاد، قد وعد الله بها اليهود.

البعد الديني في القضية:

من أجل هذا ينبغي علينا نحن أن ندخل البُعد الديني في هذه القضية، فقضية فلسطين قضية إسلامية، والبعد الإسلامي فيها بُعد أصيل وأساسي، ولا يمكن أن ندخل هذه القضية مجردين من الجانب الديني، لا يجوز أن يدخل اليهود المعركة ومعهم التوراة، وليس معنا القرآن،

QaradawiBooks.com

لا يجوز أن يدخلوا هذه المعركة باسم اليهودية، ولا ندخلها نحن باسم الإسلام، لا يجوز أن يدخلوا المعركة وهم يعظمون يوم السبت، ونحن لا نعظم يوم الجمعة!

في أيام المفاوضات التي جرت في مدريد اعتذر شامير، وقال لهم: اليوم يوم السبت، لا بدَّ أن أسافر اليوم. فقالوا له: كان أمس يوم الجمعة، ومع هذا فاوضناكم! هم يعظمون يوم السبت، ولا نعظم نحن يوم الجمعة.

لا بدَّ أن يدخل البعد الديني في المعركة، فلا يفل الحديد إلا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم، وعقيدتنا أقوى من عقيدتهم، فإذا حاربونا باليهودية، حاربناهم بالإسلام، وإذا قاتلونا بالتوراة، قاتلناهم بالقرآن، وإذا قالوا: التلمود. قلنا: البخاري ومسلم. وإذا قالوا: نعظِّم السبت. قلنا: نعظِّم الجمعة. وإذا قالوا: الهيكل. قلنا: المسجد الأقصى. نحن أصحاب الحقِّ، وأصحاب العقيدة الأقوى.

اليهود وبنو إسرائيل:

أريد أنْ أقول هنا: إنَّ هناك فرقًا بين بني إسرائيل واليهود، القرآن فضَّل بني إسرائيل، ولكنَّه لم يفضِّل اليهود، وأين هم بنو إسرائيل؟ قال العلماء: إنهم فُضِّلوا على عالمي زمانهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢]. يذكرهم بالنعم التي قلبوها إلى نقم، لأنَّهم لم يرعوا لها حُرمة، ولم يقوموا بحق هذا التفضيل.

قال العلماء: إنَّهم كانوا مفضلين على عالمي زمانهم لأنَّهم كانوا يحملون عقيدة التوحيد وراء موسى عليه السلام، ثم بعد ذلك حرَّفوا وانحرفوا،

QaradawiBooks.com

فكان جزاؤهم اللعن والمسخ وغضب الله، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]. ولذلك يسمون الأمة الغضبية، فهم مغضوب عليهم.

فهؤلاء أفسدوا في الأرض، وعلوا علوًّا كبيرًا، وسلَّط الله عليهم ـ في كل مرة يفسدون فيها ـ مَنْ يؤدبهم، وأكَّد القرآن ذلك بهذه القاعدة التي أقسم الله عليها: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. لعلَّ آخر هؤلاء كان هتلر، ولكنَّه لن يكون الآخر، سيسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، كما قال في سورة الإسراء: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]. كما يقول الشاعر:

إنْ عَادَتِ العقربُ عُدْنَا لَهَا ... وكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهْ[1]

عناية القرآن بشأن اليهود:

وقد عادوا إلى الإفساد والطغيان بما صنعوا في أرض فلسطين، وقد صنعوا الكثير من الجرائم والمساوئ والموبقات، والله تعالى قد حذرنا منهم! لم نجد أمة من الأمم عُنِي بها القرآن كما عُني ببني إسرائيل وتاريخهم، كان هناك الفرس والروم، وهما قوتان تتنازعان الأرض، ولكن أشار القرآن إلى ذلك في مفتتح سورة الروم عن الصراع بينهما، أمَّا الأمة التي أخذت من القرآن ـ في مكيِّه ومدنيِّه ـ مساحة كبيرة فهم اليهود، حتى قال بعض العلماء: كاد القرآن أنْ يكون لموسى وبني إسرائيل[2].

(١) البيت للفضل بن العباس، كما في الحيوان للجاحظ (٣٦٦/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٩٩/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

طبائع اليهود:

لماذا عُنِي القرآن بهم هذه العناية؟ ليُعرِّفنا بهؤلاء القوم، يعلم الله أنَّه ستكون بيننا وبينهم معارك متواصلة، فلا بدَّ أن نعرف طبيعة القوم.

(١) القسوة والعنف:

فمن طبيعتهم القسوة والعنف، والقرآن يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]. ويقول: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

هذه القسوة، وهذا العنف هو الذي شاهدناه في دير ياسين، وفي صبرا وشاتيلا، وفي بحر البقر، وفي المسجد الأقصى، وفي المسجد الإبراهيمي، وفي قانا، وفي غيرها.

هذه القسوة، وهذا العنف الذي عبَّر عنه بيجن في كتابه «التمرد» بهذه العبارة التي تُجسِّم العنف تجسيمًا، يقول: أنا أحارب، إذنْ أنا موجود. الذي يدلُّ على وجوده ليس التفكير، وليس الإيمان، وإنَّما الحرب!

ولذلك أعظم نبيٍّ أعجبوا به في أسفار العهد القديم هو «أشعياء»، يسمونه النبيَّ المحارب، ويستدلون بنبوءاته باستمرار، وأنَّ الملوك سيخدمونهم، وسيحملون أولادهم على أكتافهم، وسيلعقون غبار أرجلهم، إلى آخره.

ويقول بيجن في كتابه: لولا انتصارنا في دير ياسين ما قامت إسرائيل. سمَّى هذه المجزرة البشرية التي قتل فيها من الشيوخ، ومن النساء، ومن الصبيان، ومن المدنيين العُزْل العدد الكبير انتصارًا! هذه لم تكن معركة، لم يكن فيها حرب، فأي انتصار؟!

QaradawiBooks.com

(٢) الغدر ونقض العهود:

ومن صفات اليهود التي ذكرها القرآن الغدر، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦].

وحينما ذهب الرسول ﷺ إلى المدينة، وأراد أن يقيم دولته، كان أول ما بدأ به أن بنى المسجد، ثم أقام هذه المعاهدة، أو الاتفاقية، أو الصحيفة التي عقدها مع اليهود، وجعل لهم حقوقًا، كما أن لبني فلان، وبني فلان حقوقًا، وجعل لهم عهدًا وميثاقًا، ومع هذا غدروا بالمسلمين في أول فرصة.

ومن أجل ذلك كان إجلاء بني قينقاع، وإجلاء بني النضير، وقتال بني قريظة، وقتال يهود خيبر، فهم الذين بدؤوا بنقض العهود، فهم لا يرعون لله ولا لخلقه عهدًا ولا حُرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، فالغدر طبيعة اليهود.

(٣) التطاول والوقاحة:

وطبيعة اليهود كذلك التطاول والوقاحة، لقد فقدوا الأدب حتى مع الله تبارك وتعالى، وقد حكى القرآن عنهم: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

وتطاولوا على الأنبياء، وقتلوا مَنْ قتلوا، نشروا زكريَّا عليه السلام بالمنشار؛ كما تنشر الخُشُب، وذبحوا السيد الحصور يحيى عليه السلام كما تذبح الشياه، وتآمروا على صلب المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، أو كما يقول النصارى: إنهم صلبوه بالفعل، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٥٧]. ولكن هم تآمروا على ذلك.

QaradawiBooks.com

وتآمروا على قتل محمدٍ ﷺ، ووضعوا له السم، وأرادوا أن يلقوا عليه حجرًا من فوق بعض السطوح، وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١]. اليهود طبيعتهم الوقاحة والتطاول.

(٤) الكذب والافتراء:

وطبيعة اليهود ـ كذلك ـ التحريف، والكذب، والافتراء، ﴿يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ [البقرة: ٧٩].

إنَّ اليهود لا أخلاق لهم، لأنَّ الأخلاق لا تتجزَّأ، لكن الأخلاق عندهم تتجزأ، عندهم ازدواج المعايير، يكيلون بكيلين، ويتكلمون بلسانين، ويلقون الناس بوجهين، هناك أخلاق مع اليهود، وأخلاق مع غير اليهود، حتى في سفر التثنية يقول: لَا تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا: رِبَا فِضَّةٍ، أَوْ رِبَا طَعَامٍ، أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَّا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِبًا. لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا، وَلكِنْ لأَخِيكَ لَا تُقْرِضْ بِرِبًا[1].

والقرآن الكريم ذكر هذا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ [آل عمران: ٧٥]. لا حرج علينا في استباحة أموالهم وحرماتهم، وأعراضهم وأملاكهم! هذا هو منطقهم، والقرآن مليء بذكر صفات اليهود، فيجب أن ندرس ما قاله، حتى نعرف أي قوم نتعامل نحن معهم.

(١) سفر التثنية (١٩/٢٣، ٢٠).

QaradawiBooks.com

سلام السراب:

ولذلك أعجب من الذين قالوا: إنَّ اليهود جنحوا للسلم، فيجب أن نجنح نحن للسلم. واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. وقالوا: تعالوا يا جماعة نتسالم مع اليهود، يسالم بعضنا بعضًا. وقالوا: الأرض مقابل السلام.

أيُّ أرضٍ؟ أرضنا نحن مقابل سلامهم هم! أرضنا التي احتلوها بالعنف وبالدم وبالسيف، وبالحديد والنار، وباستباحة كل حرام، يريدون أن نتنازل عنها مقابل سلامهم، أن نعيش في سلام وفي أمان! حتى بعضهم يقول: نريد الأمن فقط. والأمن الإسرائيلي له مفهوم خاص عندهم، هذا كلام الذين صدقوا أنَّ اليهود جنحوا للسلم.

وما جنح اليهود للسلم أبدًا والله، كيف يجنح للسلم مَنْ اغتصب الأرض، ويريد أن يفاوضك على أن يعطيك جزءًا ضئيلًا منها، ماذا يعطينا اليهود من هذه الأرض؟! اليهود يأخذون ولا يعطون، هكذا تعودنا منهم، فما هذا السلام الهش الهزيل الذي يراد أن نستبدل به الحق؟

من النيل إلى الفرات:

لهذا وقفنا ضد هذا السلام، لأننا نعتقد أنَّ اليهود لا يمكن أن يعطوا شيئًا، هم لديهم سياسة المراحل، يمكن في مرحلة أن يسلموا مؤقتًا ببعض الشيء، أمَّا إسرائيل الكبرى هي حلم الجميع، وعقيدة الجميع، من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل، من الأرز في لبنان، إلى النخيل في المدينة وخيبر، هم يقولون: هذه أرض أجدادنا، ولا بدَّ أن نعود إليها.

QaradawiBooks.com

وأذكر من حوالي خمس وعشرين سنة أو أكثر، كان لنا أخٌ كريم في قطر، وذهب إلى زيارة أهله في غزة، وعند عبور نهر الأردن أخذوا يفتشونه، وكان معه تمر اصطحبه معه حين مرَّ بالسعودية معتمرًا، فأخذ الضابط الذي يفتشه شيئًا من التمر، فقال له: خذه، إنَّه من تمر خيبر، تمر المدينة. فبعد أنْ أمسك بالتمر ردَّه إليه، وقال له: لا والله، حتى نأكله هناك. نحن طبعًا نستبعد هذا.

كما كنا نستبعد أنْ يملكوا فلسطين، ورفضنا التقسيم، ورفضنا ما هو أقل من ذلك، ثم حدث ما حدث! وما دمنا على حالنا هذه يمكن كل شيءٍ أن يحدث، فاليهود لا يزالوا يحلمون بإسرائيل الكبرى، وهي كما حددها ابن غوريون سنة (١٩٣٧م). تضم خمس مقاطعات إقليمية: جنوب لبنان حتى الليطاني، وجنوب سوريا، والأردن، وفلسطين كما حددها الانتداب البريطاني، وشبه جزيرة سيناء. هذا ما قاله ابن غوريون.

هؤلاء لم يجنحوا للسلام:

وابن غوريون علماني ليس مؤمنًا، لا دين له، ولكن اليهود جميعًا ـ علمانيُّوهم ومتديِّنوهم ـ متفقون على أن يستخدموا الدين في المعركة! قالوا: لو أخرجنا التوراة والتلمود من المعركة لانهار أسس الصهيونية. فلا يمكن أن نقول: إنَّ هؤلاء استسلموا، أو جنحوا للسلم.

إذا أخذ أحدٌ دارك منك، وقاتلته عليها أنت وأولادك وأحبابك، خمسين سنة أو أكثر، ثم جاء وقال لك: تعالَ أسالمك، تعال نعقد سلامًا بيننا، أنا لا أريد أنْ أحاربك، أنا أريد أنْ أعطيك قطعة ـ تحت بئر السلم كما يقول المصريون ـ ونعيش في سلام. هل يُعتبر هذا جانحًا للسلم؟ تأخذ أرضي، وتأكل حقي، وتنهب مالي، ثم تقول لي تعالَ نتسالم؟! أي سلم هذا؟!

QaradawiBooks.com

ما جنح اليهود للسلم، ولن يجنحوا، وهذا يستوي فيه العمل والليكود، لا فرق بين هذا وذاك، أنا قلت في قصيدة لي سميتها «سلام السراب أو سراب السلام»:

وقالوا أبشروا بالسلمِ ... يا عربَ امرئ القيسِ
تولى عهدُ شاميرٍ ... شبيهُ الأسود العنسي
وأقبل بعدُ رابينٌ ... أخو عنترةَ العبسي
ورابينٌ كشاميرٍ ... فمن نحسٍ إلى نحسِ
فلا أسوأ من هذا ... سوى هذا وبالعكسِ
أفاعٍ كلها سمٌّ ... وإن نعمت لدى اللمسِ
وما معنى فلسطينٍ ... بلا أقصى ولا قدسِ
فلسطينٌ بلا قُدسٍ ... كجثمانٍ بلا رأسِ[1]

هدفهم واحد وإن اختلفت الوسائل:

فهؤلاء جميعًا سواء، نحن الآن نقف ضد محاولات الليكود ونتنياهو في عملية جبل أبي غنيم، وجبل أبي غنيم رمز وعنوان فقط، أمَّا العملية الاستيطانية فهي مستمرة، وبيريز نفسه هو الذي وافق على حوالي عشرة مشاريع للاستيطان، فهؤلاء جميعًا سواء!

كل ما في الأمر أنَّ هناك من يريد أن يقتلك بمسدس كاتم للصوت، ومن يقتلك بمسدس صارخ، لا يهمه أن يسمع الناس صوته، وكما قلت في إحدى الخطب: هناك من يريد أن يأكلك بيده وأسنانه، وينهشك نهشًا، ومن يريد أن يأكلك بالملعقة وبالشوكة، الكل يريد أن يأكلك؛ سواء هؤلاء الليكود أو العمل، اليهود هم اليهود.

(١) المسلمون قادمون صـ١٣٨ ـ ١٤٤، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

لماذا انتصر اليهود علينا؟

لا بدَّ أيها الإخوة أن نعرف هذا جيدًا، أن نعي هذه القضية: لماذا انتصر اليهود وانهزمنا؟ نحن الآن أكثر من مائتين وخمسين مليونًا من العرب، ومن مليار وثلث من المسلمين، فلماذا انتصر اليهود علينا؟ لأنَّ اليهود بذلوا وبخلنا، وأقدموا وجبنَّا، اليهود أحرص الناس على حياة قاتلونا برجالهم ونسائهم، الذي انتصر علينا سنة (١٩٦٧م). امرأة هي «جولدا مائير»، اليهود أشح الناس بالمال عُبَّاد الذهب يدفعون الملايين من أجل إسرائيل، ماذا دفع أغنياؤنا نحن؟ اليهود اجتمعوا وتفرقنا، للأسف نحن متفرقون الآن وهم يعملون من خلال هذا التفرق وهذا التشرذم، أين الأمة العربية؟ وأين الأمة الإسلامية؟!

نحاول أن نعقد قمة عربية كما عُقدت في شرم الشيخ من أجل مقاومة الإرهاب؛ ألا تستحق القدس أن تُعقد لها قمة عربية وقمة إسلامية؟ وليست قمة إسلامية هزيلة كالتي عُقدت منذ قريب في باكستان لم يحضرها سوى عدد قليل من الرؤساء، ولم تعطَ لها أهمية، ولكن واشنطن التي استخدمت «الفيتو» مرتين في أسبوع واحد من أجل إسرائيل لا تريد للعرب أن يجتمعوا: لا في قمة موسعة، ولا في قمة مكبرة، ولا في قمة مصغرة، وأصبحنا عبيدًا للولايات المتحدة، ما تريده الولايات المتحدة ننفذه، وما تأمر به نقول لها: سمعًا وطاعة. مثل هذه الأمة لا يمكن أن تنتصر!

متى تنتصر أمتنا؟

إنَّما تنتصر الأمة إذا ملكت إرادتها، إذا أصبحت سيدة نفسها، إذا أصبح قرارها بأيديها، إذا استطاعت أن تقول بملء فيها: لا. ونحن قد

QaradawiBooks.com

خلقنا الله أحرارًا، ولدتنا أمهاتنا أحرارًا، لماذا نقبل أن نُستعبد لأحد؟ والله إننا نقبل أن نعيش على الكفاف ولا نمد أيدينا إلى غيرنا، وكما قال الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ: نستطيع أن نعود إلى عهد البداوة، ونعيش في الخيام وعلى التمر، ولا نقبل الهوان. أمتنا تملك الكثير.

اليهود اتحدوا، الله تعالى يقول عن اليهود: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]. هذا حالنا نحن الآن، أصبح بأسنا بيننا شديدًا، صراعات على الحدود، وصراعات على أشياء كثيرة، مع أنَّ المصائب تجمع المصابين كما يقول شوقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن يكُ الجنسُ يا ابنَ الطَّلح فرقَنَا إنّ المصائبَ يجمعنَ المُصَابينا[1]

وأي مصيبة أكبر من أن تُهدد القدس، ويُهدد الأقصى، وما زالت الحفريات تحت المسجد الأقصى، وإلى متى يصمد هذا المسجد؟ أنا أظنُّ أنَّ اليهود يقدِّرون يومًا ينهار فيه هذا المسجد لا قدَّر الله.

حينما أحرق رجل ـ زعموا أنَّه مهووس أو مجنون من أستراليا ـ المسجد الأقصى، وهاج المسلمون في أنحاء العالم، وكان الملك فيصل حيًّا وهو رجل ذو طموح وذو إيمان؛ فنادى المسلمين في أنحاء العالم أن يجتمعوا، وكانت أول قمة إسلامية، ومن خلالها انبثقت منظمة المؤتمر الإسلامي؛ الآن ما عاد الأمر حريقًا لبعض الأجزاء من المسجد، الآن القدس كلها مهددة والأقصى مهدد، فأين الأُمَّة الإسلامية؟!

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٤/٢)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لابد من اجتماع الكلمة:

نحن نريد أن تجتمع هذه الأمة، لـــو ظللنا متفرقين هكذا لا يمكن أن تقوم لنا قائمة، هـــذه المصيبة يجب أن تجمـــع الجميع، يجب أن يكف الذين يتقاتلون في أفغانســـتان وفي الصومال وفي الجزائر وفي غيرها عن هذا القتال، ويوجهوا أسلحتهم إلى أبناء صهيون، إلى هؤلاء الغاصبين الظالمين.

لا نقـــول: إنَّ الجهاد توقـــف. لا، بل لا يمكن أن يُســـترد الحق إلا بالجهاد، ولذلـــك الآن اليهود يضغطون كل الضغط على ياســـر عرفات وعلى السلطة الفلسطينية، يلفون ويدورون حول محور واحد هو تدمير حركتي «حماس» و«الجهاد الإسلامي»، حتى يظل المسلمون بلا قوة، ثم بعد ذلك يفعلون ما يشاؤون.

وإننا نربأ بالسلطة الفلســـطينية أن تفعل هذا، أن تكون ضد شعبها، هذه القلوب المؤمنة، وهـــذه الأيدي المتوضئة، وهـــذه العزائم القوية، والنيات الصادقة، يجب أن نشد أزرها، وأن نقوي عضدها، وأن نقف من ورائها، فلا أمن لنا ولا سلام إلا بها، ولا يمكن أن نأمن لليهود، هؤلاء اليهود قوم لا يعترفون بقوة المنطق، وإنَّما يعترفون بمنطق القوة.

والناسُ إن ظلموا البرهانَ واعتسفُوا فالحربُ أجدَى على الدُّنيا من السَّلم[1]

إننا دعاة ســـلام، ولكن أي سلام؟! ســـلام يضيع أرضنا؟ يفرط في حقنا؟ هذا ما لا يجوز أبدًا.

(١) ديوان محمد عبد المطلب صـ٢٦٣، قصيدة: ظل البردة، شرح إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، نشر مطبعة الاعتماد، ط١.

QaradawiBooks.com

يهود اليوم ليسوا بني إسرائيل:

إنَّ إسرائيل شيء، وبني إسرائيل شـــيء آخر، يهود اليوم ليسوا هم بني إسرائيل، اليهودية ديانة يدخلها أناس من كل بلد، يدخلها اليمني، ويدخلها الروسي، ويدخلها الأسترالي، وكما قال الباحث بنيامين فريدمان الذي كتب ذلك الكتـــاب، الذي قال فيه: يهود اليوم ليســـوا يهودًا. يقصد ليســـوا بني إسرائيل، قال: اثنان وتسعون في المائة (٩٢٪) من يهود العالم لم يدخلوا هم ولا أجدادهم فلسطين يومًا من الأيام. هؤلاء يسمونهم «يهود الخزر»، كانوا في مملكة الخزر في آســـيا الوسطى، وهم الذين انتشـــروا في أنحاء العالم وفي أوروبا الشـــرقية وفي أمريكا وفـــي غيرها، يُكوِّنـــون (٩٢٪) من يهود العالم، وثمانية في المائة (٨٪) هم الذين يقولون: لنا حقنا في فلسطين.

فلسطين أرض إسلامية:

فلسطين أرض إسلامية لا يملكها غير المسلمين، لكل ذي دين الحق أن يعبد الله بها، وأن يحج إليها، ولكنها ليســـت ملـــكًا لليهود، وما كان اليهود قائمين فيها، وقد اشترط أهلها على عمر ألا يسكنها اليهود[1].

وقد ظلوا كذلك حتى في عهد الســـلطان عبد الحميد، أصدر فرمانًا يقول: لكل من دخل القدس من اليهود مـــن التابعية غير العثمانية ـ أي من جنســـية غير العثمانية ـ له أن يبقى فيها ما لا يزيد على ثلاثين يومًا، ومن بقي أكثر من ذلك يجب طرده بالقوة.

وحاولوا أن يشتروا الســـلطان عبد الحميد وقدموا له الملايين لجيبه ولملكيته الخاصة، والملايين لخزانة الدولة فرفض، ولذلك تآمروا عليه وأسقطوه، وخلعوه عن عرشه.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٢.

QaradawiBooks.com

فلسطين قضية الأُمَّة الإسلامية:

يا أيها الإخوة، قضية فلسطين قضيتنا جميعًا، قضية المسلمين عامة، ينبغي أن نعي هذه القضية، وأن نستمسك بعراها، ولا نفرط فيها، نبذل النفس والنفيس والغالي والرخيص، فلسنا أقل من اليهود بذلًا ولا إقدامًا، هذه الأُمَّة تستطيع أن تبذل الكثير لو وجدت من يقودها؛ كما قال السيد محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ: المسلمون إلى خير، ولكن الضعف في قيادتهم.

مشكلتنا هي مشكلة القيادات، ولو وعت هذه القيادات الخطر الذي يكمن لهذه الأمة وراء إسرائيل وأحلام إسرائيل، وأطماع إسرائيل وتوسعات إسرائيل؛ لوقفوا في مقدمة الصفوف مجاهدين في سبيل الله، مقاتلين عن حقهم.

يجب أن نعي هذه القضية، وأن نؤمن أنَّ الغد لنا والمستقبل لنا، والآيات الكريمة والأحاديث الصحاح تؤكد لنا هذا، الأحاديث الصحاح تقول: لا بدَّ من معركة فاصلة بيننا وبين اليهود، يكون معنا فيها كل شيء، حتى الشجر والحجر، «**يقول الحجر والشجر: يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورائي تعالَ فاقتله**»[1]. أي حينما ندخل المعركة تحت شعار العبودية لله، وتحت راية الإسلام، لا يقول: يا ماركسي، أو يا علماني، أو يا ليبرالي، أو يا أردني، أو يا مصري! لا، الجميع تحت راية الإسلام وتحت شعار العبودية لله، «**يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورائي، تعالَ فاقتله**».

دخلنا المعركة سنة (١٩٦٧م). وكان شعار المعركة: بحر، بر، جو! فلم ننتصر لا في بحر، ولا في بر، ولا في جو، وسلمنا أسلحتنا غنائم باردة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٩٣)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

لليهود، لأنَّ الأسلحة لا تقاتل وحدها، السلاح يقاتل بيد الرجل، والرجل يحركه الإيمان، وتحركه الرسالة، وتحركه الأهداف الكبرى، اليهود دخلوا المعركة مؤمنين برسالة، ونحن لم ندخل مؤمنين برسالة، وكما يقول أبو الطيب:

وما تنفعُ الخيل الكِرام ولا القَنَا إذا لم يكُن فوقَ الكرامِ كرامُ[1]

يعني خيلًا من غير خيَّال، فرسًا من غير فارس، سلاحًا من غير بطل، ماذا يجدي؟!

وعادةُ السيف أن يُزهَى بجوهره وليسَ يعملُ إلا في يدَيْ بطلِ[2]

المبشرات بانتصار الإسلام:

الأُمَّة تملك الكثير، وعندنا من المبشرات ما يملأ قلوبنا ثقة بأنَّ المستقبل لهذه الأُمَّة، وأنَّ الغد لنا، وأنَّ النصر لنا؛ لأنَّ الباطل لا يمكن أنْ يدوم، فدولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

في مسند الإمام أحمد قال ابنه عبد الله: وجدت بخط يد أبي هذا الحديث: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، ولعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**». قالوا: وأين

(١) ديوان المتنبي صـ٣٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر: ديوان الطغرائي صـ٣٠٧، لامية العجم، تحقيق د. علي جواد طاهر ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط٢، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

هم يا رسول الله؟ قال: «**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»[١]. هؤلاء مرابطون إلى يوم القيامة، روى ذلك الإمام أحمد، وقال الحافظ الهيثمي: ورواته ثقات أثبات. هذه البشرى من رسول الله ﷺ تطمئننا وتقول لنا: إنَّ الغد لكم أيها المؤمنون المرابطون.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره، دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم... إلخ، وهذا إسناده ضعيف. وأطالوا في التخريج فلينظر، والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رواه عبد الله وجادةً عن خط أبيه، والطبراني ورجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

٢

القدس قضيَّة أُمَّة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، ومخرْج النَّاس من الظلمات إلى النور، بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات: تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام: السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أقول لكم ـ في الحقيقة ـ إنِّي كلما جئت إلى دار الحكمة، شعرت أنِّي في داري، وأنِّي لست غريبًا عن هذه الدار، فهي منّي وأنا منها، وهي لي وأنا لها، وكل من فيها أهلي وإخواني. هذه حقيقة أحبُّ أنْ أنوِّه بها عن هذه الدار الَّتي أسأل الله تبارك وتعالى أنْ تظلَّ منبرًا للحقِّ، ولسانًا للخير، ومأوًى لكلِّ دفاع عن الحق والحُريَّة.

(١) ألقيت هذه المحاضرة بدار الحكمة، ضمن دورة المعارف المقدسية، التي تنظمها لجنة القدس التابعة لنقابة الأطباء العامة بالقاهرة، في يوليو ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

وبهذه المناسبة أشكر أخي وصديقي الأستاذ الكبير الدكتور حمدي السيِّد، الَّذي كلَّما رأيتُه رأيتُ الشباب يتدفَّق في وجهه، رأيت الحيويَّة ورأيت الحماس، وهذا هو شأن الرجال الأحرار المؤمنين. أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يبارك فيه وفي إخواني في هذه النقابة: الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، والدكتور جمال عبد السلام، والدكتور عصام العريان، وسائر المجموعة، لا أستطيع أنْ أعدِّد المجموعة. كما أشكر أخي الأستاذ محمد صبيح، الَّذي يمثل الجامعة العربيَّة في كثير من المواقف، ويقول الكلمة الموزونة، الكلمة الَّتي لا تجامل في الحقِّ. نسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجزيهم جميعًا خيرًا.

أيُّها الإخوة والأخوات، مطلوب مني أنْ أتكلَّم عن قضيَّة القدس أنَّها قضيَّة الأُمَّة، وهذه حقيقة لا ريب فيها: قضيَّة القدس هي قضيَّة الأُمَّة.

القدس ـ كما أشار الدكتور جمال ـ ذكرها الله تعالى في كتابه بمناسبة قصة الإسراء والمعراج، فهي منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، قال ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]. ربط الله بين القدس وبين مكة المكرمة، أو بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ربطًا محكمًا في آية واحدة؛ ليشعر المسلم أنَّ من فرَّط في المسجد الأقصى يوشك أنْ يفرِّط في المسجد الحرام، وفي مقدَّسات الإسلام كلِّها. فالإسلام اعتبر القدس ثالث المدائن الإسلاميَّة بعد مكة والمدينة، واعتبر المسجد الأقصى ثالث المساجد الإسلاميَّة بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، كما أنَّ المسلمين صلوا إلى القدس أول ما فُرضت الصلاة ثلاث سنوات في مكة، وستة عشر شهرًا في المدينة، كانت القدس قبلتهم، وهي القبلة الأولى.

QaradawiBooks.com

ومن نظر في التوراة بأسفارها الخمسة وملحقاتها، لم يجد للقدس عند اليهود أي قيمة دينيَّة، لا يرتبط بها أي شعار ديني، كل ما هناك أنَّه كان لهم فيها ـ يومًا ما ـ دولة. لم تستمر هذه الدولة إلا مئات السنين.

أمَّا نحن فالقدس وفلسطين لنا في الإسلام وحده أربعة عشر قرنًا، وقبل الإسلام بقرون كنَّا نحن العرب سكان هذه البلاد، اليبوسيون والكنعانيون والحيثيون، كل هؤلاء عرب كانوا يسكنون هذه المدينة؛ فهي لنا حقيقة. وأمَّا هؤلاء فدخلاء عليها، دخلوا عليها في فترة من الزمن وفي غفلة من الناس، ولم يكن لهم فيها وجود يذكر؛ فإنَّ العهدة العمريَّة ـ أو الاتفاقيَّة العمريَّة ـ لسيدنا عمر بن الخطاب الَّذي يمثِّل المسلمين، وبين صفرنيوس الَّذي يُمَثِّل المسيحيِّين ـ سكَّان هذه المدينة ـ وكانت تُسَمَّى في بعض الأحيان «إيلياء»، حيث كانت هذه الاتفاقية تُحرِّم على اليهود أنْ يساكنوا أهل القدس، واشترطوا على سيِّدنا عمر ألَّا يساكنهم فيها يهود، فَوَفَّى لهم[1]. وظلوا قرونًا لا يسكنون القدس.

ولكن اليهود وعلى طريقتهم يتسلَّلون حين الأزمات وحين الغفلات. وبعض الناس لا يعرف أنَّه في القرن الماضي لم يكن هناك دولة اسمها «إسرائيل»، فبعض الناس يجهلون هذه الحقائق، وخصوصًا من الغربيين؛ ولذلك علينا أن ننشر الوعي لهؤلاء: بأنَّ هذه الدولة دخلت بلادًا ليس لها فيها وجود، وأخرجت أهلها منها واحتلَّت مكانهم، وهذا شرُّ أنواع الاستعمار.

نحن نعلم أنَّ الاستعمار أنواعٌ ودرجات، من شرِّ أنواع الاستعمار: الاستعمارُ «الاستيطاني». ومعني استيطاني: أنَّه يدخل البلد ليستوطنها ويعيش فيها.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٢.

QaradawiBooks.com

كلُّ أنواع الاستعمار تريد أنْ تدخل البلد وتجلس فيها عشر سنين، عشرين، خمسين، مائة، ثمَّ تعود إلى بلادها بعد أنْ تنهب ثرواتها وتستغني بما تستغني به، لكن هناك نوع من الاستعمار يسمُّونه: «الاستعمار الاستيطاني» لا يكتفي ببقاء سنوات ولا عشرات ولا عقود من الزمن، وإنَّما يدخل ليستوطن البلد ويعيش مع أهلها. ذلك مثل الاحتلال أو الاستعمار الفرنسي للجزائر الَّذي دخل البلد واحتلها واستوطنها وعاش فيها مع أهلها لم يطردهم، إنَّما اعتبر نفسه مستوطنًا واعتبر الجزائر فرنسية.

استوطن بعض الفرنسيين بلدًا ليست له وليست لأجداده ولا آبائه، وهو قطعًا نوع من الظلم، أنْ يدخل الإنسان ويستوطن بلدًا ليست وطنه، إلا أنَّ الظلم الأشرَّ والأسوأ والأخبث: هو الاستعمار الاستيطاني الإحلالي، الَّذي يطرد أهل البلاد ويحل محلهم، وهذا هو الاستعمار الصهيوني.

ماذا فعل؟ دخل إلى فلسطين بعد الهجرات الجماعيَّة المنظَّمة الَّتي هيَّأتها له الصهيونيَّة العالمية، وساعده على ذلك الانتداب البريطاني بعد الحرب ـ أو في أثناء ـ الحرب العالمية الأولى، وفي فترة الانتداب هذه هيَّأت كل الأسباب، وأتاحت كل الفرص ليدخل اليهود من أنحاء العالم، في شكل هجرات جماعيَّة، تأتي من أوربا وأمريكا وروسيا، وبلاد الشرق: من اليمن والمغرب والحبشة وغيرها.

وجاء الصهاينة واستوطنوا هذه البلاد وأقاموا مستعمرات، ما يسمُّونها الآن مستوطنات. كل ذلك كان بكيد وتدبير ومساندة الانتداب البريطاني، الَّذي مكَّن هؤلاء من التَّسلُّح بحيث يصطدمون بأهل البلاد الأصليِّين الفلسطينيِّين، وليس مع أهل البلاد أسلحة، ومحرَّم عليهم أنْ يتسلحوا،

QaradawiBooks.com

وكان ما كان من وعد «بلفور» الشهير الَّذي صدر أثناء الحرب ـ في الثاني من نوفمبر سنة (١٩١٧م) ـ بأنْ يكون لليهود وطن قومي في فلسطين.

وقد علَّق على ذلك المجاهد الكبير الحاج أمين الحسيني بكلمة حكيمة، قال فيها: «إنَّ فلسطين ليست وطنًا بغير شعب حتَّى تستقبل شعبًا بغير وطن». فلسطين وطن له شعبه، وله أهله، فكيف تعطيه لشعبٍ ليس له وطن؟!

وقامت المعارك والثورات في سنين طويلة، وإضرابات تستمر بالشهور، وقامت ثورة «القَسَّام»، وكادت بعض هذه الثورات أنْ تنجح وتُفشِل المشروع الصهيوني؛ لولا تدخُّل العرب للأسف، مثلما حدث سنة (١٩٦٣م)، واستمرَّت هذه الأمور، والغرب هو الَّذي يُقَوِّي ويشدُّ أَزْرَ هذه العصابات الصهيونيَّة حتَّى قامت دولتهم في (١٥) مايو (١٩٤٨م)، واعترفت بها أمريكا بعد دقيقة واحدة، واعترفت بها الدول الأخرى، وأعلن الجميع أنَّ إسرائيل وجدت لتبقى! هكذا. حتَّى روسيا أعلنت في ذلك الوقت أنَّ إسرائيل وجدت لتبقى، وكان الغرب وراء زرع هذا الكيان.

ظللنا نقول: إسرائيل المزعومة، وعشنا ونحن شباب هذه اللحظات الحزينة، الَّتي كنا نرى مدن فلسطين تسقط مدينة مدينة، ويبكيها أخونا رَحِمَهُ اللَّهُ المهندس مصطفى مؤمن زعيم شباب الجامعة في ذلك الوقت، يبكي يافا وحيفا وعكا، وهذه البلاد مدينة مدينة، يبكيها في إذاعة القاهرة ـ لم يكن هناك تليفزيون في هذه البلاد ـ ونحن نبكي حينها، كنا نظن أنَّ هذه البلاد ستعود، وكنا في أول الأمر نقول: لعلَّها ترجع بعد شهرين، بعد ثلاثة، بعد سنة، بعد سنتين، ونقول: إسرائيل «المزعومة». من يقرأ الصحف في تلك الأيام يجد كل ما وردت كلمة

QaradawiBooks.com

«إسرائيل»، أعقبها بين قوسين كلمة «المزعومة»، وفي الإذاعة نقول: إسرائيل «المزعومة»، وظللنا عدَّة سنوات نقول: إسرائيل المزعومة. ثمَّ رأينا هذه المزعومة تركل هذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهة، وتنتصر في هذه الجبهة، وتلطم هذه الجبهة على وجهها وعلى قفاها، حتَّى انتصرت، فاستحيينا من أنفسنا وحذفنا كلمة «المزعومة» بعد أنْ أوشكنا على أنْ نكون نحن المزعومين، وليست إسرائيل للأسف.

عند قيام دولة إسرائيل تدخَّلت الجامعة العربيَّة وإن كان البعض قال: ليتهم لم يدخلوا. إلَّا أنَّهم وجدوا أنَّ من واجبهم أنْ يدخلوا لحماية الفلسطينيِّين ومحاربة الإسرائيليِّين. ودخلت الجيوش السبعة في ذلك الوقت، وكانت الجامعة العربيَّة طفلةً وليدة تحبو، عمرها ثلاث سنوات حيث كانت قد ولدت سنة (١٩٤٥م)، ومع ذلك رأت من واجبها أنْ تدخل فلسطين بجيوش الدول الأعضاء، الَّتي أبلى بعضها بلاءً حسنًا، منها الجيش المصري على ما كان منه من عيوب في أسلحته، ولكن بعض هذه الوحدات قاتلت وبعض الضباط أُسروا، كما نهض المتطوعون من المصريين وغيرهم، وكان منهم البطل أحمد عبد العزيز وغيره، لمقاومة العدوان الصهيوني.

كانت هذه هي البدايات أيها الإخوة، ولوا استمرَّت هذه الجيوش لاستطاعت أنْ تعمل شيئًا، ولكن السياسيِّين ـ وما أدراك ما السياسيُّون؟ ـ جبنوا وهادنوا، حتَّى قال أحد اللواءات المِصْرِيِّين، اللواء فؤاد صادق: أنا لا أخاف شرتوك إسرائيل، لا أخاف شرتوك تل أبيب، بقدر ما أخاف من شراتيك القاهرة! وموسى الشرتوك كان وزير خارجية إسرائيل، ويقصد بشراتيك القاهرة: الَّذين قبلوا هدنة «رودس». وهذه الهدنة باعتراف المراقبين هي الَّتي أنقذت إسرائيل؛ لأنَّه ببعض الصبر والمثابرة، وبعض

QaradawiBooks.com

التخطيط والتنظيم، كان يمكن القضاء على المشروع الصهيوني في مهده، ولكن هذه الهدنة أنقذت إسرائيل؛ حيث جاءتهم بعد ذلك إمدادات من الجنود والضبَّاط الَّذين كانوا يحاربون مع الحلفاء، وقُدِّمت لهم أسلحة وإمدادات هائلة، فوقفوا على أرجلهم.

إنَّ قضيَّة فلسطين قضيَّة ضخمة وكبيرة، وإذا قلنا: قضيَّة القدس فلأنَّ القدس هي رمز فلسطين، إذا قلنا: قضيَّة القدس فهي رمز القضيَّة.

دور تاريخي:

لقد كان العرب والفلسطينيون يعملون بقوَّة على محاربة هذا السرطان الَّذي دخل إلى جسم الأُمَّة، حتَّى قامت حركة فتح. وكانت فتح ثورة إسلاميَّة الطابع، قام بها رجال مسلمون في الكويت وفي قطر وغيرهما، ومن المعروف أنَّ ياسر عرفات وإخوانه الَّذين قاموا بهذه الثورة قد تربوا في رحاب جماعة الإخوان المسلمين، وأنا أذكر سنة (١٩٥١م) اصطدم المصريون بالجيش الإنجليزي في القناة، وسقط عدد من شباب الجامعات شهداء، منهم عمر شاهين وأحمد المليسي وعادل الأعصر وغيرهم، حيث أقيمت معسكرات في الجامعة المصريَّة، وفي الأزهر، وفي عدد من الجامعات، لإعداد الشباب للذهاب إلى معركة القناة، وكنت واحدًا من هؤلاء الشباب الَّذين ذهبوا إلى الشرقية في منطقة اسمها «تلُّ بسطة» بديوان الزقازيق، وكان من الَّذين يُدرِّبوننا شاب فلسطيني خريج كلية الهندسة، لا نعرف شيئًا عنه إلَّا أنَّ اسمه الأخ ياسر، ولم يكن ياسر فقط مدرِّبًا لنا، فمن المعروف أنَّ الَّذين قاموا مع ياسر عرفات من الشباب الأوَّل هم خليل الوزير وأبو إياد وأبو يوسف النجار ورفيق النتشه، وكل هؤلاء كانوا من الشباب

QaradawiBooks.com

الإسلامي، فقامت ثورة إسلاميَّة، ثمَّ تهاونوا ودخل فيهم من لا يعرف الإسلام، وليس له صلة بالإسلام، وحدث ما حدث، فقد حدثت نكسة في مسيرة الحركة.

أيُّها الإخوة، كان الجميع يؤمنون أنَّ المقاومة هي السلاح الوحيد لطرد هذا العدو وتحرير الأرض من الاحتلال، وكان الجميع يؤمنون بهذه الحقيقة: هي أنَّه ليس هناك سبيل إلَّا الجهاد والمقاومة، وما أخذ بالقوَّة لا يستردُّ إلا بالقوَّة. ثمَّ كانت هذه النكسة: مسيرة الحلِّ السلمي. وبدأت المسيرة بمدريد وأسلو وهكذا، ومن يومها انفرط العقد، وتفرَّق الصف، ولم نحصل على شيء.

الشيء العجيب أنَّ أوسلو هذه لم تحُلّ شيئًا، حيث جعلوا هناك قضايا معلَّقة للنهاية، مثل حق اللاجئين للعودة، والحدود، والاستيطان. إذنْ ما الَّذي قامت أوسلو بحلِّه، طالما بقيت كل القضايا الرئيسيَّة معلقة؟ وهل عودة البعض لفلسطين تكفي وكل هذه القضايا معلقة وستظل معلقة؟ كنت أتمنَّى ألَّا يترك الفلسطينيُّون بندقيتهم إلَّا بعد الحصول على حقوقهم، إنَّما استدرجتهم إسرائيل، واستدرجهم معها أمريكا، واستدرجهم العالم الغربي ليلقوا السلاح، وإذا ألقى الإنسان السلاح صعُبَ عليه مرَّة أخرى أنْ يحمله، وإذا حمله وقف في وجه إخوانه الَّذين يحملون السلاح. وهكذا تمَّ ضرب الفلسطينيين بعضهم ببعض، بسبب سياسة «الحل السلمي».

والآن قضيَّة القدس هي إحدى القضايا المعلَّقة، وقد سمعنا من الأخ الأستاذ الصبيح ما يجري في القدس من حفريات تحت الأقصى، والتعدِّيات من فوقه، والتَّهويد من حوله، وفي كل يوم نسمع جديدًا. وأنا

QaradawiBooks.com

أرى أنَّ هؤلاء اليهود الخبثاء يعلمون اليوم الَّذي يمكن أنْ ينهار فيه المسجد الأقصى، ولعلَّهم ينتظرون حدثًا كبيرًا يشغل العالم أو شيئًا من هذا القبيل، ثمَّ يقومون بالإجهاز عليه والأُمَّة نائمة.

وهنا نقول: إنَّ القدس قضيَّة الأُمَّة، ونعني بها في هذا السياق: الأُمَّة الإسلاميَّة؛ فالقدس وفلسطين مسئولية الأُمَّة الإسلاميَّة. هذه حقيقة؛ حيث إنَّ البعض أحيانًا يريد أنْ يحُمِّل الفلسطينيين وحدهم مسؤوليَّة القدس، والبعض حينما يساهم في نصرة قضيَّة فلسطين يمتن على الفلسطينيين! وكأن القضيَّة ليست قضيَّته. هذا خطأ وضلال؛ فالقضيَّة ليست قضيَّة الفلسطينيين، إنَّها قضيتي وقضيتك؛ إسرائيل ليست خطرًا على فلسطين وحدها، ولكن إسرائيل خطر على المنطقة كلها، وعلى الأُمَّة كلها؛ هي خطر عسكري، وخطر اقتصادي، وخطر سياسي، وخطر ثقافي، وخطر ديني، خطر من كل ناحية على الأُمَّة. ولذلك عندما ندافع عن فلسطين ندافع عن أنفسنا، لا نمتن على الفلسطينيين بأننا ندافع عنهم، لا، هذا خطأ كبير. وتجزئة القضيَّة بجعلها قضيَّة للفلسطينيين وحدهم هذا من سوء الوعي، وساهم في هذا السوء أجهزة وأناس وكُتَّاب يجعلون القضيَّة للفلسطينيِّين، ويقولون: لقد دخلنا ـ نحن المصريِّين ـ أربع حروب من أجل فلسطين. والحقُّ أننا دخلناها من أجلنا أيضًا، ومن أجل الدفاع عن كياننا؛ فمصر مهدَّدة من هؤلاء المحتلِّين، وحتَّى مع هذه الاتفاقيَّة لسنا في مأمن من هؤلاء أبدًا.

الله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]. فلا عهود لهم ولا مواثيق لهم، هم يحترمون هذه المواثيق ما دامت في مصلحتهم، فلو تغيَّرت الأحوال ودار الفلق دورته لقلبوا ظهر الحقيقة وأصبحوا شيئًا آخر.

QaradawiBooks.com

معنى الأُمَّة:

نحن حينما نقول الأُمَّة نعني أمَّة الإسلام، أمَّة القرآن، أمَّة محمد ﷺ، الأمَّة الإسلاميَّة. والأمَّة الإسلاميَّة ـ كما ذكرت في بعض كتبي ـ حقيقة لا وهم، وكنت كتبت مقدمة لتقرير كان يصدره مركز الدراسات الحضاريَّة هنا في القاهرة اسمه «**الأُمَّة في عام**» وطلب مِنِّي مرَّة أنْ أقدِّم هذا التقرير، وكان تقريرًا علميًّا موضوعيًّا دسمًا يقوم به رجال مثل: الدكتور سيف الدِّين عبد الفتَّاح، والدكتورة هبة رؤوف عزت، وعدد من الإخوة، وبإشراف الأستاذ طارق البشري.

كتبت المُقَدِّمة لهذا التقرير وقلت: إنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة حقيقة لا وهم، هي حقيقة دينيَّة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]. هي حقيقة تاريخيَّة؛ لأنَّها ظلَّت أُمَّة واحدة، بل دولة واحدة طوال عهد الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين، حتَّى ألغيت الخلافة سنة (١٩٢٤م) ونعاها أمير الشعراء شوقي في قصيدته الرائعة، فالمسلمون كانوا يظنون أنَّ كمال أتاتورك أحد المجاهدين في سبيل الإسلام، وكانوا يسمُّونه: «الغازي مصطفى كمال»، وشوقي أنشأ فيه قصيدةً شهيرة لما انتصر في إحدى المعارك على الحلفاء، قال فيها:

الله أكبرُ كم في الفتح من عَجَبِ ... يا خالد الترك جدِّدْ خالدَ العَرَبِ[1]

اعتبر أنَّه بمثابة خالد بن الوليد: يا خالد الترك جدِّد خالد العرب. فجاء خالد الترك وألغى الخلافة! فرثى شوقي الخلافة ونعاها وقال:

عادت أغاني العُرْسِ رَجْعَ نُوَاحِ ... ونُعيتِ بين معالمِ الأفراحِ
كُفِّنتِ في ليلِ الزِّفافِ بثَوْبِه ... ودُفِنْتِ عند تبلُّجِ الإصْبَاحِ

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ضجَّت عليك مآذنٌ ومنابرٌ وبكت عليك ممالكٌ ونَوَاحِ
الهندُ والِهةٌ، ومصرُ حَزِينَةٌ تبكي عليكِ بمَدْمَعٍ سَحَّاحِ
والشَّامُ تسألُ والعراقُ وفارسٌ: أمحا من الأرض الخلافةَ ماحِي[1]؟!

هذا ما كان أيُّها الإخوة، الأمَّة كانت حقيقة دينيَّة، وحقيقة تاريخيَّة إلى سنة (١٩٢٤م)، وحقيقة جغرافيَّة كذلك.

انظر إلى خريطة العالم الإسلامي تجدها متصلة؛ لأنَّ الإسلام ينتشر من بلد إلى بلد، فالعالم الإسلامي هو البقعة المتصلة ذات اللون الأخضر، فهي حقيقة ثقافية وسياسية، حتَّى أنَّها حقيقة في منطق الأعداء الإسرائيليين أنفسهم؛ فبعد اتفاقية أوسلو كانت أول بلد زارها رئيس وزراء الكيان المحتل هي إندونيسيا، وإسرائيل تغلي حقدًا من أجل امتلاك باكستان القنبلة النوويَّة، وتقف ضد امتلاك إيران للطاقة النوويَّة؛ لأنَّها قوة إسلاميَّة، وهكذا. حتَّى أعداؤنا يعرفون هذه الحقيقة، وهي أننا أُمَّة واحدة.

انظر إلى أيِّ مسلم تلقاه، لا تشعر بفارق بينك وبينه، تلقي عليه السلام فيرده، وتسأله: هل أنت مسلم؟ فيجيب: «مسلم والحمد لله».

هذه الأمَّة موجودة وهي حقيقة وليست وهْمًا، وهذه الأمَّة تستطيع أنْ تقوم بدورها إذا وظَّفْنا هذه الحقيقة كما ينبغي، وقد قامت هذه الأُمَّة في الماضي بدورها.

نحن نعلم أنَّ فلسطين تاريخيًّا تعرضت لمثل هذا الدور في الحملة الصليبيَّة، أو الحملات الصليبيَّة؛ لأنَّها تسع حملات صليبيَّة استهدفت هذه المنطقة، وأقاموا إمارات وممالك في فلسطين، متعاونين مع

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٠٥ ـ ١٠٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المنافقين والخونة من السلاطين والأمراء في ذلك الوقت، والذي انتصر لهذه المنطقة العربيَّة وحرَّرها لم يكن العرب، وإنَّما الَّذي بدأ معركة التحرير هم «التُرك». وطيب أردوغان في ذلك الوقت كان عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، اسمه في التاريخ نور الدين محمود الشهيد، هو لم يُستشهد ولكن عاش عمره توَّاقًا إلى الشهادة في سبيل الله، وكان هذا الرجل يشبَّه بالخلفاء الراشدين في عهده وزهده وشجاعته وحسن سيرته.

نور الدين محمود الشهيد هو الَّذي قاد الجهاد، ومن تلاميذه صلاح الدين الأيوبي (الكردي)، فهؤلاء الأتراك والأكراد هم الَّذين قادوا معركة التحرير في فلسطين؛ لأنَّهم أبناء الأمَّة الإسلاميَّة، صحيح أنَّهم من الناحية العرقية تُرك أو كُرد ولكنهم من الناحية الثقافية عرب؛ وقد قيل: «من تكلم العربيَّة فهو عربي»[1]. وهو وإن كان ضعيفًا إلا أنَّه حقيقة واقعة؛ فما أكثر من عرّب الإسلام ألسنتهم ومشاعرهم، وهؤلاء كانوا يتكلمون العربيَّة ويتثقفون بالعربيَّة، حتَّى نور الدين محمود كان يروي الأحاديث بالأسانيد عن شيوخه، وفي مرَّة قال له أحد شيوخه وهو يروي حديثًا مسلسلًا بالابتسام، ومعناه: أنَّ كل راوٍ يروي الحديث عمن قبله بنفس الحال والهيئة، الَّتي شوهد عليها رسول الله ﷺ، فإن كان مبتسمًا ابتسم الراوي، أو صفق بيده صفق الراوي، وهكذا من أول الإسناد إلى آخره، وهو من شدة التحري والأمانة، فحين جاء دور نور الدين محمود لم يتبسم فقال له شيخه: ابتسم. قال: كيف لي أنْ أبتسم وثغر من ثغور المسلمين

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢٤/٢٤)، وقال الألباني في الضعيفة (٩٢٦): ضعيف جدًّا. عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلًا.

QaradawiBooks.com

محاصر؟ حيث كان الصليبيون يحاصرون دمياط، يقول: من أين تأتي الابتسامة وثغر من ثغور المسلمين محاصر[١]؟

هؤلاء لم يكونوا عربًا بعروقهم وأجناسهم إنَّما كانوا عربًا بثقافتهم. صلاح الدين الأيوبي كان في الميدان وفي قلب المعركة يقول لأحد شيوخه: ارْوِ لي بعض أحاديث البخاري، ويقول: أنا أول من قرأ الحديث في الميدان.

هؤلاء هم الَّذين نصروا قضيَّة فلسطين، الَّذي انتصر في حطين هو صلاح الدين الأيوبي، وكانت هذه معركة من معارك التاريخ الحاسمة ويوم من أيام الله. وكان صلاح الدين يمرُّ على الخيام في الليل فإذا وجد خيمة أهلها قيام يصلون ويتلون القرآن ويذكرون الله، قال: الحمد لله، من هنا يأتي النصر. وإذا وجد خيمة كل أهلها نيام يقول: أخشى أنْ تأتي الهزيمة من ههنا.

هؤلاء رجال ربَّوا الأُمَّة ونفخوا فيها روح الإيمان، وصنعوا الأمَّة صناعة جديدة، فالأمَّة الإسلاميَّة كان لها دورها في معركة التحرير من الصليبية، وأعتقد أنَّ الأُمَّة الآن يجب أنْ يكون لها دورها في التَّحرُّر من الصهيونيَّة. ونحن نرى مواقف أخينا الحبيب، الشجاع القوي، الحر المؤمن: رجب الطيب أردوغان في مواقفه المختلفة، وآخرها في أسطول الحرية لرفع الحصار عن غزة، وهو ينوي أنْ يبعث أسطولًا آخر وآخر.

---

(١) قال السيوطي: وفي سنة خمس وستين حاصرت الفرنج دمياط خمسين يومًا، بحيث ضيقوا أهلها، وقتلوا منهم، فأرسل نور الدين محمود الشهيد إليهم جيشًا عليهم صلاح الدين يوسف بن أيوب، فأجلوهم عنها، وكان الملك نور الدين شديد الاهتمام بذلك؛ حتى إنَّه قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزءًا فيه حديث مسلسل بالتبسم، فطلب منه أنْ يبتسم ليتصل التسلسل، فامتنع من ذلك، وقال: إنِّي لأستحيي من الله أنْ يراني متبسمًا، والمسلمون تحاصرهم الفرنج بثغر دمياط. انتهى. انظر: حسن المحاضرة (٢٨٩/٢)، نشر دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

نحن نريد نموذج «أردوغان» من باكستان، وبنغلاديش، وإندونيسيا، وماليزيا، ونيجيريا، ومن كل البلاد، لدعم قضيَّة الأُمَّة.

نريد الأُمَّة الإسلاميَّة أن تقوم بدورها. للأسف أقول: الأمَّة العربيَّة لم تقم بما ينبغي من دورها؛ فالأُمَّة العربيَّة الَّتي دخلت جيوشها السبعة وعُمْرُ الجامعة العربيَّة ثلاث سنوات، الآن الجامعة العربيَّة (٢٢) دولة ولها أكثر من ستين سنة، أين دورها؟!

أيام حرب غزَّة قام وفد يمثل اتحاد علماء المسلمين بجولة في بعض البلدان العربيَّة، كنَّا نسعى إلى أنْ يجتمع العرب في قمَّة سريعة عاجلة، فالأمر يستأهل ولم نجد استجابة؛ فالعرب تخلَّفوا عن موقفهم ولم يعتبروا القضيَّة قضيتهم.

ما معنى الدفاع المشترك إذا لم يتحرك العرب للدفاع عن غزَّة؟ ولماذا لم تقم الجيوش العربيَّة بدورها، وهي الَّتي تشتري أحدث الأسلحة بالمليارات، ولا تكاد تُستعمل؟ وأكثر ما تُستعمل فيه هو في قمع المظاهرات، ولم نرها استعملت منذ حرب (٩٣)، أنا دائمًا أحب أسميها حرب (٩٣)؛ لأنَّها حرب العاشر من رمضان وليست حرب السادس من أكتوبر (٧٣)؛ لأنَّ رمضان كان له نفحات منذ ذلك الوقت. أين الجيوش العربيَّة؟ نحن في الواقع يجب أن نحرِّك الأُمَّة الإسلاميَّة؛ فلسطين ملك الأُمَّة الإسلاميَّة.

دور الدين:

أحب أنْ أشرح لكم أيها الإخوة قضيَّة شرعيَّة: ما يكون الحكم الشرعي إذا دخل العدو الكافر المحتل بلدًا من بلاد المسلمين واحتلَّ قرية أو قطعة كبرت أو صغرت؟

QaradawiBooks.com

الحكم الشرعي في هذا: هو أنَّه على أهل هذه القرية ـ أو هذه البلدة ـ أنْ يهبُّوا جميعًا لطرد هذا العدو ودحـره ومقاومته، كل البلد مهيَّأة لهذا، حتَّى قال الفقهاء: تخرج المرأة بغير إذن زوجهـا، والولد بغير إذن أبيه، والخادم بغير إذن مخدومه؛ لأنَّه لا طاعة لمخلـوق في معصية الخالق، فالحقوق الخاصَّة تسقط في مقابل حقِّ الأُمَّة وحقِّ الجماعة، فإذا استطاع أهل البلد أنْ يردوا هؤلاء ويدحروهم ويخرجوهم فبها ونعمت، وإلا كان على جيرانهم أنْ يسـاندوهم، لو جبـن أهل البلد وتقاعسـوا كان على الجيران أنْ يدافعوا عن البلد المجاور؛ لأنَّه جزء من دار الإسـلام، وإذا احتل يكون الخطر قريبًا منهم، فلا يجوز أنْ تترك بؤرة في دار الإسـلام ليحتلها العدو، ويجب على الجار ثمَّ الجار الَّذي يليه أنْ يدفع الاحتلال.

لذلك نحن نقول الآن: إنَّ المسـلمين كافة مطالبون أنْ يدافعوا عن فلسطين، والحمد لله أنَّ الفلسـطينيين دافعوا عن بلادهم وبذلوا الأرواح والدماء، ورأينا غزَّة كيف صمدت في مقاومة العدوان الأخير.

ولكن كيف نقاوم بلدًا فيه ترسـانة نووية، فيه من أسـلحة الدمار ما فيـه، ويُؤيّده الاقتصـاد الأمريكي، والسـلاح الأمريكـي، والعِلم الأمريكي، والفيتو الأمريكـي؟ كيف نقاومه إذا كنَّا أشـتاتا متفرقين، يقول كل واحد: نفسي نفسـي؟! ومن ثمَّ فالأُمَّة الإسلاميَّة مطالبة بأنْ تكون كلها ضد هذا العدوان، وكمـا أنَّ كل يهودي في العالم مطلوب منه أنْ ينصر الصهيونيَّة العالمية في فلسـطين ـ المسـمَّاة إسـرائيل ـ فكذلك كل مسـلم مطالب بذلك، كل البلاد الإسـلاميَّة مطالبة بهذا، لا بدَّ أن نعي هذه الحقيقة، وهذا لا يكون إلا إذا دخل الدين عنصرًا في الصراع. للأسـف نحن اسـتبعدنا الدين من حلبة الصراع، هم وظَّفوا الدين واستغلُّوه، حتَّى العلمانيين الَّذين لا يؤمنون بالدين. بن جوريون،

QaradawiBooks.com

وجولدا مائير، وكل هؤلاء ليسوا متدينين ولا يؤمنون بالدين، هم ملاحدة ولكنهم مؤمنون بتوظيف الدين، بأنَّ الدين عنصر أساسي في المعركة، وجمعوا الناس من كل مكان من أجل أرض الميعاد، وهذا وصف ديني، حتَّى اسم الأرض جعلوه إسرائيل، أي أنَّهم يسمون البلاد ويصفونها بأسماء في التوراة.

المعنى الديني وظَّفوه تمامًا ونحن أبعدنا الدين، فهم دخلوا المعركة يهودًا ولم ندخلها مسلمين، دخلوها ومعهم التوراة ولم ندخلها ومعنا القرآن، دخلوها وهم يقولون: التلمود. ونحن لم نقل: السُّنَّة أو البخاري ومسلم. قالوا: السبت. ولم نقل: الجمعة. قالوا: الهيكل. ولم نقل: الأقصى. وظَّفوا الدين في المعركة واستبعدنا نحن الدين من المعركة، لا يمكن أنْ ننتصر إلَّا إذا أعددنا للدين مكانته واستثرنا الناس، استثرنا الحوافز الإيمانيَّة، الواجب الديني، الأخوة الدينيَّة، المشاعر الدينيَّة.

هذه الأُمَّة دينيَّة، لا يحرِّكها شيء كما تحرِّكها كلمة الإيمان، اجمع الناس وقل ما تقول: الاشتراكية أو القومية أو الديمقراطية، اعزف ما شئت من هذه المعازف لن تحرك قلبًا ولن تستثير همَّة، ولكن قل: يا رياح الجنة هبي، يا كتائب الله سيري، يا خيل الله اركبي، قل: الله أكبر لا إلٰه إلا الله ـ تجد الأُمَّة وراءك بالملايين.

ونحن جربنا هذا ـ أيها الإخوة والأخوات ـ هنا في مصر، جربناها في حربين: في حرب (٦٧)، حينما دخلنا المعركة وكان شعارها «بر، بحر، جو»، ولكن للأسف لا انتصرنا في بر، ولا في بحر، ولا في جو، وكان الجندي يترك الدبابة ولا يكلِّف نفسه بأنْ يحضر عود ثقاب ويشعل النار فيها حتَّى لا يتركها سليمة للأعداء؛ كان هناك انهيار نفسي رغم وجود

QaradawiBooks.com

أسلحة، وكما أخبرني أحد الضباط في العريش قال: «كان عندنا أسلحة تسدُّ عين الشمس ولكنها لم تستخدم حقيقة». هكذا كنا في معركة (٦٧).

أمَّا في معركة (٧٣) ـ أو ٩٣ هجريًّا كما يحلو لي أنْ أقول ـ فقد كان هناك صحوة إسلاميَّة، ودخلت روح الإيمان الجيش المصري والجيوش الأخرى، وتغلغلت في الجنود والضباط، وكان شعار المعركة: الله أكبر، ويقسم الجندي المصري ألا يتناول إفطاره وهو صائم عند أذان المغرب، إلا بعد أنْ ينزل علم إسرائيل، ثمَّ يقول: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت» ويفطر على بركة الله. فكانت هذه الروح الإيمانيَّة هي الَّتي جعلتهم يعبرون القناة ويقتحمون خط بارليف.

هذه الروح الإيمانيَّة نحن في حاجة أنْ نشعلها في أمتنا، ونشعر الأُمَّة كلها بواجبها. هذه القضيَّة ليست قضيَّة الفلسطينيين ولا قضيَّة العرب، نعم هي قضيَّة فلسطين بالدرجة الأولى والعرب، ولكنها مع ذلك قضيَّة الأُمَّة الإسلاميَّة كلها؛ فالمسجد الأقصى ليس مسجد السفير محمد صبيح وإخوانه الفلسطينيين، ولكن المسجد الأقصى ملك المسلمين جميعًا، وكل مسلم في العالم له حقٌّ في هذا المسجد، يجب أنْ يدافع عنه، ويجب أن تقوم الأُمَّة الإسلاميَّة كلها للدفاع عن هذه القضيَّة وللدفاع عن القدس الشريف وللدفاع عن المسجد الأقصى.

حرام علينا نحن العرب أن نضيع هذا الرصيد الإسلامي ونقول: القضيَّة قضيَّة عربيَّة أو قضيَّة قومية. لا يا أخي؛ لن نضيع دور الأُمَّة الإسلاميَّة، الَّتي تقول أحدث الإحصاءات أنَّها تقدر بمليار وخمسمائة وثمانين مليونًا، حوالي مليار وثلثي مليار، وأنا أقول: حتَّى هذه الإحصائيات ليست دقيقة تمامًا؛ بدليل أنَّهم أحصوا المسلمين في الصين

QaradawiBooks.com

عشرين مليونًا مع أنِّي زرت الصين منذ شهور فقالوا: نحن لا نقل عن (١٢٠) مليونًا، والأمير شكيب أرسلان في تعليقه على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» ـ منذ حوالي ما يقرب من ثمانين سنة ـ قال: إنَّ المسلمين في الصين حوالي خمسين مليونًا. والمستشرق الفرنسي الَّذي ردّ عليه الإمام محمد عبده كتب مقالته في سنة (١٨٩٩م) على رأس القرن التاسع عشر فكان مما كتبه: أن هناك قوة كامنة داخل الصين هي قوة الإسلام الَّذي لا يعرف أحد مقدار قوته. هذا رجل يُنوِّهُ ويخوِّف من المسلمين في ذلك الوقت القديم.

أقول: حتَّى هذه الإحصائيَّات ليست دقيقة تمامًا، ومع هذا يكفي يا أخي مليار وستمائة مليون. هذا عدد ضخم، له أهمية كبيرة، كيف نُضَيِّعُه؟!

من ناحية العدد القرآن يقول: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. يعني يهتم بالكثرة، الشاعر العربي يقول:

ملأنا البرَّ حتَّى ضاق عنَّا وظَهْرُ البَحْرِ نملؤه سَفِينَا(١)

يفخر الشاعر بالكثرة، فنحن قوة عدديَّة بشريَّة. ونحن قوة اقتصاديَّة، نملك ما نملك من السهول الزراعية، ونملك من الأنهار والبحيرات والبحار والشواطئ والأحياء المائيَّة، ونملك من المعادن ما نملك، ويكفي أنَّ معظم النفط في البلاد الإسلاميَّة.

أذكر أنَّنا استضفنا الأستاذ أنور إبراهيم ـ وكان نائب رئيس الوزراء في ماليزيا من قبل ـ فنقل إلينا سؤال وزير أجنبي له: هل جنسيَّة النفط إسلاميَّة؟ لماذا يظهر النفط في إندونيسيا وماليزيا ولا يظهر في بلداننا؟

(١) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١، من معلقة، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، نشر دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

البلاد الإسلاميَّة خصَّها ربنا بهذه الثروات، غير الموقع الاستراتيجي، والقوة التاريخية والحضارية، حيث نملك قوة حضارية لا يملكها غيرنا، لقد احتفلت أمريكا منذ عدَّة أعوام بمرور مائتي عام على تأسيس الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، ونحن قامت في أرضنا كل الحضارات الَّتي لها آلاف السنين، مثل: الحضارة الفينيقيَّة، والآشوريَّة، والبابليَّة، والفارسيَّة في إيران، والحضارة الهنديَّة.

كل حضارات العالم، وكل النبوَّات قامت في أرضنا، فاليهوديَّة والمسيحيَّة والإسلام، التوراة والإنجيل والقرآن، موسى وعيسى ومُحَمَّد، كل هؤلاء نبتوا في أرضنا.

نحن نملك ما لا يملك غيرنا، نحن عندنا القوة الروحيَّة، نملك الرسالة العظيمة، الرسالة الخاتمة الَّتي ختم الله بها الرسالات، ولذلك كانت رسالة التوازن والتكامل والوسطيَّة؛ فهي الَّتي تصل الأرض بالسماء، وتصل الخلق بالخالق، وتقيم الموازين القسط بين الناس بعضها وبعض، تجمع بين الروحيَّة والماديَّة، والربَّانيَّة والإنسانيَّة، والعقل والوحي، والحقوق والواجبات، وتوازن بين الطبقات، وبين الأزواج، وبين الأجناس، وبين الألوان، نحن نملك هذه الرسالة، ونملك الوثيقة السماويَّة الوحيدة الَّتي لا يملكها أحد ولم يَعْتَرِها تبديل ولا تغيير، القرآن الَّذي يحمل كلمات الله الأخيرة للبشرية، هذه القوة الروحية.

نحن ـ أيها الأخوة ـ أُمَّة تملك ما لا يملك غيرها، لماذا لا نوظف هذه الأُمَّة الهائلة، ونجعلها تقوم لحماية القدس، واسترداد القدس، وتحرير القدس من أسر الصهيونيَّة؟ هذا هو واجب أمتنا، بل هذا هو واجب كل حر وكل شريف في أنحاء العالم.

QaradawiBooks.com

أنادي الأحرار الشرفاء في أنحاء العالم، أيًّا كان جنسهم، وأيًّا كان دينهم، حتَّى لو لم يكن لهم دين، حتَّى لو كانوا ملحدين لكنهم بشر يؤمنون بالأخلاق وبالقِيَم، ويؤمنون بالإنسان وبحقِّ الإنسان ـ ننادي هؤلاء أنْ يقفوا ضدَّ الطغاة والمعتدين على حقِّ الإنسان ـ كل إنسان ـ وعلى المقدَّسات، وعلى كل ما يحترمه الناس في الحياة.

نريد من هؤلاء أنْ يقفوا معنا ضد الصهيونيَّة الطاغية، ويأخذوا الحقَّ منهم ويردُّوه إلى أهله، إلى إخوتنا وأحبائنا وأهلينا في فلسطين عامَّة، وفي القدس خاصَّة، وفي غزَّة المحاصرة المظلومة.

إننا ننادي الأُمَّة: أمَّة الإسلام، أمَّة القرآن، أمَّة محمد ﷺ، بهذه المناسبة أنْ تقوم بواجبها في نصرة الحقِّ، وفي نصرة القدس، وفي استنقاذ المسجد الأقصى؛ فهو مسجدهم كما هو مسجدنا، كما هو مسجد الفلسطينيين.

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يؤيِّد الأُمَّة بروح من عنده، وأنْ يسدِّد خطاها، وأنْ يجعل غدَها خيرًا من يومها، ويومها خيرًا من أمسها، اللهمَّ آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣

من أجل الأقصى(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على رحمةِ الله للعالمين، وحجَّته على النَّاس أجمعين، البشير النذير، والسِّراج المنير، مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخلْقِ إلى الحق، ومُخْرج النَّاس من الظلمات إلى النُّور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامِنا وأسوتِنا وحبيبِنا محمَّد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهادَه إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيها الإخوة والأخوات ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت في نقابة الصحافيين بالقاهرة، بتاريخ ٥ أكتوبر ٢٠٠٩م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(أمَّا بعد)

فقد شرَّفني الإخوة برئاسة هيئتين إسلاميتين، الهيئة الأولى هي «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين»، وهي تمثِّل العلماء الشعبيين، غير المرتبطين بظروف رسميَّة، أو أوضاع شكليَّة قد تقيِّدهم، وهي تُعنى بقضايا المسلمين في العالم، ومنها قضيَّة فلسطين والمسجد الأقصى.

والهيئة الثانية هي «مؤسسة القدس الدَّوْليَّة»، التي تمثِّل العرب جميعًا ـ مسلميهم ومسيحيِّيهم، قوميِّيهم وإسلاميِّيهم ـ وتمثِّل المسلمين جميعًا ـ عربهم وعجمهم، يمينهم ويسارهم ـ وتمثل كذلك أحرار العالم، فهذه المؤسَّسة ـ التي شرَّفني الإخوة برئاسة مجلس أمنائها، وهذا المجلس هو الهيئة العليا فيها ـ تهتم بالقدس، وبالجهاد المدنيِّ في القدس.

وقد قال لي بعض الإخوة: لماذا لم تُدخِلوا الجهاد العسكري في هذه المؤسسة؟ قلت له: الجهاد العسكري له أهله، ونحن لا نمنعه، ولكن وظيفتنا في هذه المؤسَّسة هي الجهاد المدنيِّ، الجهاد التربويِّ، والجهاد الصحيِّ، والجهاد الإعلاميِّ، والجهاد الثقافيِّ، والجهاد البيئيِّ، والجهاد الإسكانيِّ، كل أنواع الجهاد المدنيِّ نحن نهتم بها في هذه المؤسَّسة، ونترك الجهاد العسكري لأهله.

باسم هاتين المؤسستين أحببت أنْ ألقاكم هنا في دار نقابة الصحافيين، التي لي معها ودٌّ واتِّصال دائم، والذي دفعنا أيها الإخوة لهذا اللقاء، ولعقد هذا المؤتمر، أننا نعيش في مرحلة خطيرة، وليس هذا ادِّعاءً منَّا، فالقضية الفلسطينية هي قضية الأُمَّة المركزيَّة والمحوريَّة.

بين اليأس والأمل:

وهي قضيَّة طال عليها الأمد، وربما جعل طول الأمد بعض الناس

QaradawiBooks.com

ييأس منها، فقد صار للقضية خمسون عامًا، أو سبعون عامًا، أو قرن من الزمان إذا اعتبرنا مدة التخطيط لها، ولكنها لم تُحل، بل ربما تزداد تعقيدًا، ويزداد الصهاينة تَجبُّرًا، واستكبارًا في الأرض، ونزداد نحن للأسف استخذاءً واستسلامًا، حتى يكاد بعضنا يستسلم إلى اليأس المطلق، والقنوط المطلق.

هذا مع أنَّ المؤمن لا يجوز له أنْ ييأس، ولا أنْ يقنط، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. تظل جذوة الأمل مشتعلة في نفس الإنسان المؤمن مهما أصابه من بلاء.

وقد كان رسول الله ﷺ في الغار، ظلَّ المشركون يبحثون عنه حتى وصلوا إلى فم الغار، ووقفوا أمامه، وقال له أبو بكر: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقال له النبيُّ ﷺ، في ثقة المؤمن، وإيمان الواثق: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[(١)]. معيَّة الله، وصُحبة الله، هي التي تكلؤنا بالعناية والرعاية، الله يحرسنا بعينه التي لا تنام، ويكلؤنا في كنفه الذي لا يُضام، فلا تحزن ولا تخف.

لا ينبغي للمؤمن أنْ ييأس، وإنْ رأى الظلام من حوله، وإنْ لم ير في المنظور القريب بصيصًا من نور، لأنَّه يعلم أنَّ قدرة الله لا يعجزها شيءٌ، وكم من أزمات اشتدَّت ثم انفرجت، كما قال الشاعر قديمًا:

اشتَدِّي أزمَةُ تَنفَرِجي ... قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ[(٢)]

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي بكر الصديق.

(٢) من شعر ابن النحوي من قصيدته الشهيرة: المنفرجة. انظر: المنفرجتان لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري صـ٤٣، تحقيق عبد المجيد دياب، نشر دار الفضيلة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

فالليل مهما طال لا بدَّ أنْ يعقبه الفجر، كما يقول المثل المصري: تطول يا ليل ولا بدَّ لك من فجر. فالفجر قادم لا محالة، إنَّ مع الليل فجرًا، وإنَّ مع العسر يسرًا.

ولذلك كانت مهمتنا ـ نحن الدعاة، والإعلاميين، ورجال الكلمة ـ أن نحاول طرد اليأس من نفوس الأُمَّة، لأنَّ اليأس لو خيَّم على الناس لن يستطيعوا أنْ يفعلوا شيئًا:

واليأس يُحْدِثُ في أعضاءِ صاحِبِهِ ضعفًا ويورثُ أهل العَزْمِ تَوْهِينَا[1]

فلا بدَّ أن نحارب هذا اليأس.

من مظاهر اليأس ـ للأسف ـ أنَّ الأُمَّة في المصائب الكبرى لا تفعل شيئًا، مع أنَّ اليهود في كلِّ يومٍ يفعلون، ونحن لا نفعل شيئًا، إلا ردود أفعال خائبة، نحتج، ولكن بصوت خافت، والصوت الخافت ينيم اليقظان، والصرخة والصيحة توقظ النائم، نحن لا نحتج بصوتٍ صارخٍ، وإنَّما نحتج بصوتٍ خافتٍ لا يُسمع الناس، رغم أنَّ المشكلة كبيرة، وللأسف يحدث ما يحدث، وكأنه يحدث خارج بلادنا، كأنه لا يحدث في أرضنا، كأنَّ السهام لا تقع في قلبنا وصدرنا، هذه السهام الجارحة والمُدْمية التي ننزف منها، ولا نكاد نحس بها، على نحو ما قال المتنبي:

ذَلَّ مَن يَغبِطُ الذَّليلَ بِعَيشٍ رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنهُ الحِمامُ
كُلُّ حِلمٍ أَتى بِغَيرِ اقتِدارٍ حُجَّةٌ لاجِئٌ إِلَيها اللِّئامُ
مَن يَهُن يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ[2]

لا نريد أنْ تهبط أُمَّتنا إلى هذه الدركات.

---

(١) البيت لحفني ناصف.

(٢) ديوان المتنبي صـ١٦٤.

QaradawiBooks.com

الأُمَّة بخير:

وأنا أعتقد أنَّ أمَّتنا بخير، هذه الأُمَّة العربية والإسلامية لا يمكن أنْ تموت، أُمَّتنا حاملة الرسالة الخاتمة، بل هي حاملة الرِّسالات، فكل الرِّسالات نبتت في أرضنا، اليهوديَّة، والمسيحيَّة، والإسلام، نزل الوحي في هذه الأرض، وكل الحضارات نبتت في أرضنا، الفرعونيَّة، والإغريقيَّة، والآشوريَّة، والبابليَّة، والكلدانيَّة، وغيرها، فهذه الأرض لا يمكن أنْ تُصاب بالشلل، وتُصاب باليأس، لا يمكن أنْ أفقد الأمل في أُمَّتنا.

عناصر الخير:

قد أفقد الأمل في كثير من الأنظمة الحاكمة، وإن كان في بعضها خير، فالتعميم في غير موضعه ليس صحيحًا، فكثيرًا ما يقول القرآن: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وهو ما يشير إلى وجود العنصر الخيِّر، في قصة يوسف حينما أراد إخوة يوسف أنْ يقتلوه قال أحدهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠]. وفي قصة أصحاب الجنة: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨].

وهكذا تظهر عناصر الخير بين غيرها، فلا يمكن أنْ يجتمعَ الناس جميعًا على ضلالة، وخصوصًا هذه الأُمَّة، أُمَّة العرب، وأُمَّة الإسلام، فهي الأُمَّة التي حملت الرسالة الخاتمة، حملت رسالة المسيح من قبل، وحملت رسالة محمَّد من بعد.

مقاومة الغزاة:

ثم وقفت ضد الصليبيين الذين غزوا هذه المنطقة، وتسميتهم بالصليبيين تسمية غربية، أمَّا في تاريخنا فنسميهم الفرنجة، ونسمي

QaradawiBooks.com

حروبهم حروبَ الفرنجة، وهم الغزاة الأجانب، أو المستعمرون بلغة العصر، وقفت الأُمَّة ضد هؤلاء الصليبيين، كما وقفت ضد التتار في حروبهم ضدها، حينما اجتمع أهل الشرق والغرب على هذه الأُمَّة، وكاد الناس أنْ يقولوا: هلكت هذه الأُمَّة وضاعت.

ولكن سرعان ما وجدت الأُمَّة رجالًا أيقظوها من سبات، وجمعوها من شتات، وأحيوها من موات، نفخوا فيها من روحهم حتى صنعوا منها أُمَّة جديدة، وبدأت تقاوم الصليبيين، تسع حملات صليبيَّة انتهت بالفشل، حتى إنَّ المسجد الأقصى الذي نتحدث عنه اليوم ظل تسعين عامًا في أيدي الصَّليبيين لا تُقام فيه صلاة الجمعة.

ظلَّ المسجد الأقصى أسيرًا إلى أنْ هيَّأ الله للأُمَّة صلاح الدين الأيوبي، ولم يكن رجلًا عربيًّا، بل كان كرديًّا، ولكن عرَّبَه الإسلام، ومن قبله كان نور الدين محمود، ولم يكن عربيًّا كذلك، بل كان تركيًّا، ولكن عَرَّبه الإسلام أيضًا، كان يتكلم بالعربية، ويتفقه بالعربية، وكل مَنْ تكلَّم العربية فهو عربي، وإن اختلفت جنسيته، فالإسلام صنع هؤلاء الرجال الذين استطاعوا أنْ ينتصروا على الصليبيين، كما استطاعوا أنْ ينتصروا على التتار.

انتصر الإسلام على التتار مرتين، انتصر عليهم عسكريًّا في معركة عين جالوت، وهي من المعارك الحاسمة في التاريخ، مثل معركة حطين، ومعركة بيت المقدس، وهي التي قادها القائد المملوكي سيف الدين قطز، ومعه الجيش المصري، في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة (٦٥٨هـ)، وكانت بغداد قد سقطت أمام الجيش التتري سنة (٦٥٦هـ)، وقتلوا نحو مليونين، ذبحًا بالسيوف والسكاكين، وسالت الدماء أنهارًا، ثم بعد سنتين فقط انتصر الجيش الإسلامي المصري على الجيش التتري في معركة عين جالوت، هذا هو الانتصار الأول.

QaradawiBooks.com

ثم انتصر عليهم انتصارًا معنويًّا، انتصارًا دينيًّا، وذلك أنَّ التتار اختاروا طائعين بكل إرادتهم الإسلام دينًا، ودخلوا فيه، ولأول مرة يسجِّل التاريخ دخول الغالب في دين المغلوب.

أُمَّة حيَّة:

لهذا أقول ـ أيها الإخوة ـ إنَّ هذه الأُمَّة لا يمكن أنْ تموت، ولو مات حكامها فلن تموت شعوبُها، الشعوب حيَّة، وهذا ما نراه باستمرار، الشعوب تَتَحرَّق وتتشوَّق إلى الجهاد والاستشهاد، وكم يأتيني شباب يبكون ويقولون: نريد أن نستشهد على أبواب القدس، نريد أن نذهبَ إلى فلسطين. فأقول: اصبروا حتى يهيِّئ الله لكم السبيل إلى ما تتمنون.

جاءني مرة شاب قطري، وقال: أريد أنْ أذهب إلى فلسطين، ومعي ثلاثون شابًّا من قطر، ومعي جوادي وسلاحي. فقلت له: جزاك الله خيرًا، ولكن مَنْ الذي سيسمح لك أنْ تذهب إلى فلسطين راكبًا جوادَك، وحاملًا سلاحَك، كيف ستخرج من قطر، إلى السعودية، إلى الأردن، إلى فلسطين؟! فقال: سأدبِّر الأمر، أنا اتفقت مع مسؤولين هنا في قطر! فقلت له: أعانك الله. وبعد مدة جاءني وقال: صدقت، كنت أظنُّ الأمر أسهل من ذلك وأيسر. فوراء ذلك متاريس بعضها من وراء بعض، فشعوبنا ـ أيها الإخوة ـ شعوب حيَّة، ولكنها مكبَّلة.

شعب باسل:

ويكفي شعب فلسطين وما قدَّم، يكفي شعب غزة وما قدَّم في الحرب الأخيرة، التي يقاوم فيها دولة نووية تملك أسلحة الدمار الشامل، ولا تخجل ولا تخاف ولا تستحي من استعمال أي سلاح مُحرَّم، وقد

QaradawiBooks.com

أثبتوا عليها ذلك، كما رأينا مجلسَ حقوق الإنسان الأخير يدينها ويثبت عليها العدوان الكامل، وتعدِّي كل الحقوق والحرمات.

رأينا من هذا الشعب البطولة، ورأينا منه الثبات، ورأينا منه الصبر، صبر على الحصار، وصبر على التَّجويع، وقال أبناؤه: الجوع ولا الرَّكوع. هذا ما رأيناه، الشعب المقدسي يعاني ما يعاني وهو صابر، وهم يريدون أنْ يُضيِّقوا عليه حتى يهاجر ويترك بلده، وقد أفلح الاحتلال في ذلك مع بعضهم، خصوصًا من إخواننا المسيحيين، وإنْ وقف بعض الآباء المسيحيين ـ مثل أخونا المطران حنا عطا الله ـ يريد أنْ يثبِّت الناس.

ولكن العائلات تتوسَّع، العائلة التي كانت من أربعين سنة ثلاثة أو أربعة أشخاص صارت الآن عشرين أو ثلاثين شخصًا، كيف يعيش هؤلاء؟ أجيال وراء أجيال، والشعب الفلسطيني شعب ولود، وهذا من فضل الله، هم يقتلون منهم شهداء، فيولد منهم أضعافهم.

وكما قالت المرأة للحجَّاج بن يوسف حين قال: لأحصدنَّكم حصدًا. فقالت له: أنت تحصد والله يزرع، فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق[1]. فهؤلاء يحصدون من الفلسطينيين، والله يزرع بذورًا مستمرة، حتى قال بعض الفلسطينيين: تُهدِّدنا إسرائيل بالقنبلة الذَّريَّة، ونحن نهدِّدهم بالقنبلة الذُّريَّة. فمهما قتلوا، ومهما اغتالوا، فالأُمَّة مستمرة.

الأقصى في خطر:

إنَّني موقن بأنَّ أُمَّتنا على خير، وإلى خير، ولذلك جئنا إلى هنا، إلى نقابة الصحفيين بالقاهرة، دار الكلمة الحُرَّة والمستقلَّة لننادي الأُمَّة

(١) انظر: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١٥٧/٢)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

العربيـــة، والأُمَّة الإســـلامية، جئنا لننـــادي الأُمَّة في مشـــارق الأرض ومغاربها، الأُمَّة العربية من المحيط الأطلســـي إلى الخليج العربي، من موريتانيا إلى بلاد الخليج، وننادي الأُمَّة الإســـلامية من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلســـي، من جاكرتا إلى الرباط، أو نواكشـــوط، وننادي إخواننا المســـلمين في بلاد الغرب، هذه هي الأُمَّة الإسلامية، فالقضية الفلسطينيَّة ليست ملك الفلسطينيين وحدهم، ولا ملك العرب وحدهم، بل ولا ملـــك المســـلمين وحدهم، إنَّما هـــي ملكٌ لكل أحـــرار العالم وشرفائه، هم شركاء في هذه القضية.

لا يجوز أن نقول: على الفلســـطينيين أنْ يتحمَّلوا المســـؤولية. فهذا ليس صحيحًا، كيف؟ وكل يهودي في العالم يعتبر نفســـه مســـؤولًا عن دعم الكيان الصهيوني، دعمه ماديًّا، ودعمه معنويًّا، ودعمه دينيًّا، ودعمه سياسيًّا، ودعمه عسكريًّا، فكذلك كل مسلم في العالم يجب أنْ يتحمَّل المسؤولية تجاه فلسطين والمسجد الأقصى، هل المسجد الأقصى ملك للفلسطينيين وحدهم؟ لا، بل هو ملكنا نحن المسلمين جميعًا.

ولذلك لا يجوز للأُمَّة أنْ تسكت عن مقدَّساتها وهي تُداس وتُهان، فتقف تتفرج، لا يليـــق بأُمَّة كبرى مثل أُمَّة الإســـلام، مليار ونصف من البشر، أنْ تسكت على هذا الهوان، والإسلام يعلمها العزَّة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ليس بمسلمٍ حقًّا مَنْ يقبل الذل، إمَّا أنْ يقبلَ بالحياة الحرَّة الكريمة، أو يموت في سبيل الله، إحدى الحُســـنيين، إمَّا شهادة أو جنَّة، فلا يجوز للأُمَّة الإسلاميَّة أنْ تقبل هذا الهوان والضياع، أنْ تتركَ المسجد الأقصى يعبث به اليهود ليلًا ونهارًا.

QaradawiBooks.com

خطر التقسيم:

هناك اشتباكات في كلِّ يوم مع المصلِّين، والقوات اليهوديَّة المسلَّحة بالمئات والآلاف، وتريد أنْ تنتهي هذه الاشتباكات إلى احتلال عسكري، ومعنى احتلال عسكري أنَّه تمهيد لتقسيم المسجد بين اليهود والمسلمين.

وقد فعلوا ذلك من قبل في المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل، الذي يسمِّيه إخواننا الفلسطينيون الحَرمَ الإبراهيمي، وهي تسمية مجازيَّة، لأنَّه لا يوجد إلا حرم مكة، وحرم المدينة، وإنَّما يسمُّونه الحرم الإبراهيمي تعظيمًا لشأنه لنسبته إلى إبراهيم عليه السلام، فقد حاصروه مدة من الزمن ثم انتهوا إلى أنْ جعلوا جزءًا منه لليهود لا يدخله المسلمون، وجزءًا منه للمسلمين.

فهل نسمح أنْ يكون جزء من المسجد الأقصى لليهود وجزء منه للمسلمين؟ دون ذلك خرط القتاد، دون ذلك دماء الأُمَّة الإسلاميَّة، فالأُمَّة كلها فداء للأقصى، بأنفسها وأموالها، كل الأُمَّة الإسلاميَّة تقول: لبَّيك يا أقصى، لبَّيك يا قدس.

خطر الهدم:

هناك اعتداءات على المسجد الأقصى من فوقه ومن أسفلَ منه، الآن تجري حفريات حثيثة دائمة تحته، وقد أقاموا مدينة سياحيَّة تحته أصبح مهدَّدًا في جدرانه وأساساته، حتى بتنا لم نعرف مصيره ممَّا يجري تحته خفية، ولعلَّ اليهود مقدرين وقتًا ما ينهار المسجد فيه.

وهم يمنعون المعتكفين والمصلِّين، يطلبونهم للاعتقال، هذا بيت من بيوت العبادة، هو أحد بيوت ثلاثة يُشدُّ الرِّحال إليها، كما قال

QaradawiBooks.com

النبيُّ ﷺ: «**لا تشد الرحال** ـ يعني لا تعزم على السفر لتتعبد إلى الله، فكل المساجد مثل بعضها ـ **إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول** ﷺ، **ومسجد الأقصى**»[1]. هذه هي المساجد التي تُشَدُّ الرحال إليها لتعبد الله فيها، وتزورها محتسبًا.

وإن كنتُ الآن لا أحبِّذ إلا للفلسطينيين أنْ يذهبوا إلى المسجد الأقصى، لا نريد أن ندخل إليه تحت أسنَّة حراب إسرائيل، وندخل بتأشيرة إسرائيلية، وتحت حراسة إسرائيليَّة، ينبغي أن نمنع أنفسنا من ذلك، ونعزم ألا ندخله إلا والقدس محرَّرة إن شاء الله.

من أجل الأقصى:

الأُمَّة ـ أيها الإخوة ـ قادرة على أن تفعل الكثير، ومن هنا أنادي أُمَّة العرب، وأُمَّة الإسلام في داخل العالم الإسلامي وخارجه، نحن نعلم أنَّ هناك أقليَّات إسلاميَّة خارج العالم الإسلامي بعشرات الملايين، وأحيانًا بمئات الملايين، مثل الأقليَّة الإسلاميَّة في الهند، حوالي مائتي مليون مسلم، وهناك أقليَّات في أوربا، وأمريكا، وفي الشرق الأقصى، وأقليَّات في أفريقيا، هؤلاء نُخاطبهم جميعًا، فهم يُهِمُّهم من أمر المسجد الأقصى ما يُهِمُّنا.

ننادي هؤلاء جميعًا أنْ يجعلوا يوم الجمعة القادمة يومًا للأقصى، احتجاجًا على عدوان اليهود على المسجد الأقصى، على منع المصلين من الصلاة فيه، وعلى اعتقال المصلين فيه، وعلى الحفريات التي تجري تحته، وعلى المحاصرة الدائمة للأقصى.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٩٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

التسلُّح بالدعاء:

نريد أنْ تظهر الأُمَّة الإسلامية الغضب، وأن نجعل يوم الجمعة القادمة يومًا لنصرة القدس، ونحيي ليلته بالصلاة والابتهال من أجل القدس، نتهجد في هذه الليلة، وندعو الله أنْ يحرر القدس، وينصر المجاهدين، وأنْ يأخذ الظالمين أخذ عزيزٍ مقتدر، ندعو على اليهود المعتدين المستكبرين في الأرض، الذين ظنوا أنَّهم مانعتهم حصونهم من الله.

وندعو ونقول: اللهم كما أريتنا فيهم حلمك وإمهالك، أرنا فيهم بطشك وقوتك، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين. ندعو فالدعاء سلاح المؤمن، ندعو كما كان النَّبي ﷺ يدعو على المشركين ويقول: «**اللهمَّ يا منزل الكتاب، ويا مُجْرِيَ السحاب، ويا سريعَ الحساب، ويا هازمَ الأحزاب؛ اهزمْهُم وانصُرنا عليهم**»[1].

هذا القنوت ينبغي أنْ يكون قنوت كل مسلم في تلك الليلة، وفي كلِّ وقت لما نرى ما ينزل بالقدس والمسجد الأقصى.

ولا أحبُّ من أحد أنْ يقول: إنَّهم يحاربونكم بالصواريخ وأنتم تُحاربونهم بالدعاء! فنحن نحاربهم بالصواريخ ما استطعنا، ولكن الدعاء معنا أيضًا، وقد ذكر الله تعالى أنَّ بعض المجاهدين كانوا يقولون أثناء المعركة: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١].

والكافرون هنا يعني المعتدين، لأنَّ الكفر في ذلك الوقت مُحمَّل بروح العدوان، فحينما يدعون عليهم يدعون على الظالمين المعتدين،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن عبد الله بن أبي أوفى.

QaradawiBooks.com

﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، فنريد من كلِّ مسلم أنْ يدعو، فالدعاء سلاح المؤمن.

وكما ذكر بعضهم أنَّ ملكًا جبارًا اعتدى على كوخ صغير لامرأة، كانت قد ذهبت في زيارة لأهلها، فلما عادت وجدت أنَّ كوخها ضُمَّ إلى قصر الملك وحوزته، فدعت وقالت: يا رب، لقد كنت غائبة وأنت شاهد، يا رب انتقم لي. فسمعها رجال الملك فضحكوا من قولها، ولكن سرعان ما خسف الله بهذا القصر، وقال في ذلك الشاعر:

أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وتَزْدَرِيهِ؟ وما يُدْرِيكَ ما صنع الدُّعَاءُ؟
سهامُ اللَّيْلِ لا تُخْطِي ولَكِنْ لها أَمَدٌ وللأَمَدِ انْقِضَاءُ
فيُمْسِكُها إذا ما شاء ربِّي ويُرْسِلُها إذا نَفَذَ القَضَاءُ[1]

هذه السهام سهام الليل، أن نستعدي على الظلمة والبغاة سهام القدر، ودعاء السحر، وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرَّه.

أدعو الإخوة في كلِّ مكان أنْ يجعلوا ليلة الجمعة القادمة، ليلة دعاءٍ وابتهالٍ وتضرُّعٍ إلى الله، فلا يمكن أنْ تخلو الأُمَّة من صالحين يستجيب الله دعاءَهم، وخصوصًا أنَّهم ليس لهم منفعة شخصيَّة في هذا الدعاء، بل يدعو الله لإخوانهم.

خطباء المساجد:

ثم أدعو خطباء المساجد في يوم الجمعة أنْ يكون حديثُهم في الخطبة الأولى ـ أو على الأقل في الخطبة الثانية ـ عن المسجد الأقصى

(١) ذكره الزمخشري دون نسبة في ربيع الأبرار (٣٨٥/٢)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأسير، المهدَّد، الذي يتعرَّض للخطر، الذي يتعرَّض للتقسيم، الذي يتعرَّض للاحتلال، لا بدَّ أنْ تقاوم الأُمَّة.

من العجيب أنْ تهيج الأُمَّة الإسلامية ـ قبل أربعين سنة ـ من أقصاها إلى أقصاها من أجل عمل فردي قام به يهودي أسترالي، أراد أنْ يحرقَ منبر صلاح الدين في المسجد الأقصى، وأحرق حوالي نصف المنبر، وثارت الأُمَّة الإسلامية في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، ثارت من أجل هذا العمل الفردي، وأجبرت قادتها، ملوكها، وأمراءها، ورؤساءَها، أنْ يجتمعوا لأوَّل في قمَّة إسلاميَّة في المغرب، أول مرة يجتمع قادة مسلمون من أجل حريق منبر المسجد الأقصى.

ثم تقوم إسرائيل الآن بما تقوم به من تهديدات علنية خطيرة للمسجد الأقصى، على مرأى ومسمع من العالم كله، ولا نجد ما يناسبه من موقف، أين القمة الإسلامية؟ أين رجال الإسلام وقادته؟ لماذا لا يتنادون لعقد لقاء قوي يقولون فيه: لا، نحن أُمَّة لا نستسلم، نحن أُمَّة لا تموت، نحن أُمَّة لا ترضى بالهوان. ثم يتبعوا القول بالفعل.

نحن نريد أن نجعل الجمعة القادمة يومًا للأقصى، والحديث عمَّا ينال المسجد الأقصى، ومَنْ استطاع أنْ يقيم مؤتمرات في المساجد يحضرها المسلمون للحديث عن هذه القضية فليفعل.

مسيرات سلميَّة:

ومَنْ استطاع كذلك أنْ يُسيِّر مسيرات سلميَّة فليفعل، وأنا أؤكِّد على أنْ تكون مسيرات سلميَّة، لا تشاغِب، ولا تضرب بالأحجار، وإنَّما تنادي فقط: كلنا لك يا أقصى، كلُّنا معك يا أقصى، لبَّيك يا أقصى، بأموالنا وأنفسنا نفديك يا أقصى.

QaradawiBooks.com

من حقِّ هذا المسجد العظيم الذي بارك الله حوله، والذي سقط فيه الشهداء، في فتحه، وفي حمايته، وفي إعادته بعد أن احتلَّه الصليبيون، وفي عمارته بعد ذلك ـ أن تفديه الأُمَّة بأنفسها، وبأموالها.

نرفض التواكل:

وعلى هؤلاء المؤتمرين، والمجتمعين، والمتظاهرين في كلِّ مكان أنْ يبعثوا برسائلهم إلى الأمانة العامة للجامعة العربية بشأن هذا الأمر، وإلى الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي، وإلى الأمانة العامة للأمم المتحدة، وإلى الحكام والأمراء المحليين في كلِّ مكان، على كلِّ مَنْ يستطيع أنْ يُؤثِّر، وأنْ يكون له موقف، أنْ يقوم بدوره.

لا نريد أنْ يتواكل الناس، مشكلة الأُمَّة أنَّ كل واحد فيها ينتظر من غيره أنْ يقوم بالمهمَّة، لا، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتينَّ من قِبَلِك، أنت حارسٌ على نقطة حدوديَّة من الإسلام، فاحذر أنْ يتسلَّل العدو منها، فلا ينبغي أن نتواكل، إذا كنت تعمل في صحيفة فلا تنتظر رئيس التحرير حتى تقوم بواجبك، بل بادر أنت به، وإذا كنت في مؤسَّسة لا تنظر رؤساءها، بل كن أنت العضو العامل، حرِّك أعضاءها.

المجتمع المدني:

وأنا أرى أنَّ الناس بخير، ولكن كثيرًا منهم في حاجة إلى من ينبِّههم، في حاجة إلى من يوقظهم، في حاجة إلى من يحرِّكهم، هذه طبيعة البشر، وهذا ما أُطالب به الأمَّة، أفرادها، وروابطها، ونقاباتها، واتِّحاداتها المختلفة، المهنيَّة، والصحفيَّة، والقانونيَّة، والتطبيقيَّة، والعماليَّة، وكل مؤسسات المجتمع المدني ـ أنْ تتحرَّك كلها من أجل هذا الموقف العظيم المهم، موقف إنقاذ الأقصى.

QaradawiBooks.com

لا يجوز لأُمَّة مسلمة تبلغ مليارًا وثلث مليار من البشر أنْ تقف متفرجة على المسجد الأقصى وهو يضيع أمامها، فلا تحرك ساكنًا، ولا تُنبِّه غافلًا، أهذا يُقبل في أي منطق، منطق الدين، أو منطق العقل، أو منطق الأخلاق، أو منطق الوطنيَّة، أو منطق القوميَّة، أو منطق الإنسانيَّة؟ أي منطق يرفض ضياع الأقصى.

شرفاء العالم:

لا بدَّ لأمتنا أن تتحرَّك، وإذا تحرَّكت أمَّتنا كنا جديرين أن نُحرِّك الأحرار والشُّرفاء من أنحاء العالم، وفي العالم شرفاء كثيرون، رأينا بعضهم في حرب غزة، وحاولوا أنْ يقتحموا الحصار حولها، وجاؤوا بمعونات، حين عجزنا نحن المسلمين أن ندخل غزة استطاعوا هم أنْ يدخلوها، هناك شرفاء ينكرون الظلم، والوحشيَّة، والهمجيَّة، ويستنكرون الأعمال غير الأخلاقيَّة، هؤلاء موجودون في أنحاء العالم، وينكرون هذا كله، ولكن نريد أن نكون نحن في المقدِّمة، لنضع بين أمامهم صورة طيِّبة، أننا نحن أهل القضيَّة وأصحابها، لا يجوز أنْ يتقدَّمنا غيرنا ونكون في الخلف، فهذا عيب وحرام.

كلمة ختام:

أيها الإخوة والأخوات، هذا ما أردت أنْ أقوله في هذه المناسبة، أنْ أنادي الأُمَّة الإسلامية، حكامًا ومحكومين، رؤساءَ ومرؤوسين، رعاةً ورعيَّةً، ننادي الجميع أنْ يقوموا بواجبهم في نصرة هذه القضيَّة العربيَّة الإسلاميَّة الإنسانيَّة، لا يجوز التخلف عن هذا الواجب أبدًا، فالتخلف عنه يعني الهلاك، وإذا فات أوان القيام بالواجب لا يمكن استدراكه، لكن يمكننا الآن أن نفعل شيئًا، نصد التيَّار، نقف ضد هؤلاء المعتدين،

QaradawiBooks.com

فيعرف اليهود أنَّ هناك أمَّة، أنَّ هناك قومًا يحسون بما يجري، فاليهود إذا وجدوا الأُمَّة لا تفعل شيئًا استمرُّوا في إجرامهم، يومًا بعد يوم، وسنَةً بعد سنَة، فلا بدَّ أن نتحرَّك.

وأنتم أيها الإخوة الإعلاميون في كلِّ أنواع الإعلام ـ المرئي، والمسموع، والمقروء ـ أنتم مسؤولون عن تحريك الأُمَّة، أنتم أمناء على هذه الشعوب، وعلى قضايا هذه الأُمَّة الكبرى، أحُمِّلكم المسؤوليَّة أمام ضمائركم، وأمام أمَّتكم، وأمام ربِّكم ﷻ، تحمَّلوا هذه المسؤوليَّة وقوموا بالواجب، ادعُوا الأمَّة بكل فئاتها، وطوائفها، وأصنافها، وروابطها، وكل مؤسِّسات المجتمع المدني، وادعُوا الحكَّام أنفسهم أنْ يتحمَّلوا المسؤوليَّة، حتى نقف في مواجهة هذا الخطر الداهم، الذي إنْ تركناه سيسحق كلَّ شيء، ولا يبالي بشيء، لقد بدأ اليهود هذا الخطر، ولكن علينا أن نقفَ وقفة الرجال، وقفة الأبطال، ونقول لهم: قفوا عند حدكم، فنحن أمة تقول: لا. ولو استطاعت الأمَّة أن تقولَ مجتمعة: لا. فلن يستطيع أحدٌ أن يُسكتَ صوتَها، أو يخرس صوتها؛ لأنَّه صوت الحق، وصوت الحق يمثل إرادة الله ﷻ، كما قال الشاعر:

إذا الشَّعْبُ يومًا أراد الحياةَ فلا بدَّ أنْ يستجيب القدرْ
ولا بدَّ لليل أنْ ينجلي ولا بدَّ للقيد أنْ ينْكَسِرْ(١)

شكرًا لكم ـ أيها الإخوة والأخوات ـ والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) ديوان أبي القاسم الشابي صـ٧٠، قصيدة: إرادة الحياة، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، ط٤، ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

٤

الطريق إلى تحرير القدس[١]

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على رحمة الله المهداة للعالمين، وعلى أهله، وصحبه، ومَن دعا بدعوته واهتدى بسُنَّته وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحييكم به أيها الإخوة الأحبَّة، والأبناء الأعزَّة، تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأهنئكم بهذا الشهر المبارك، شهر رمضان، شهر الصيام والقيام، وشهر الجود والإحسان، وشهر الفوز بالجنة والعتق من النار، وشهر الجهاد والمعارك والانتصارات، شهر بدر، والفتح، وشهر عين جالوت أيضًا.

أهنئكم بهذا الشهر الكريم الذي أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعله بشير خير وفتح لأُمَّتنا في عصر المحن والهزائم، كما أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لهذه الأُمَّة من أمرها رشدًا، ويجعل لها من ضيقها

(١) ألقيت في قطر.

QaradawiBooks.com

فرجًا، ومن أزماتها مخرجًا، وأن يُقرَّ أعيننا بيوم تنتصر فيه هذه الأُمَّة، وترتفع فيه راية الإسلام من جديد، وتقوم فيه دولة الإسلام من جديد، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

الشباب أمل الأُمَّة:

أيها الإخوة: كما أهنئكم بهذا الشهر الكريم، أهنئ هذا الشباب الذي يقيم هذه المعارض والأسواق لصالح الجهاد الإسلامي، في فلسطين وأفغانستان، هذا الشباب الذي هو أملنا لكسب المعارك، وأملنا في النصر المنشود، هذا الشباب الذي نراه اليوم، نراه في المسجد قائمًا خاشعًا مصليًا، ونراه متحفزًا للمشاركة في معارك الجهاد، ومنهم من شارك بالفعل، ومنهم من نراه متحمسًا لإقامة هذه المعارض، وهذا معرض يقام اليوم لصالح الجهاد في فلسطين وأفغانستان، وقبله أقام الشباب معرضًا في جامعة قطر لهذا الغرض نفسه، وقبل ذلك أيضًا أقامت بناتنا الخيرات المؤمنات سوقًا خيريًّا تحت إشراف دار إحياء التراث الإسلامي والشيخ عبد الله الأنصاري جزاه الله خيرًا، والهيئة الخيرية الإسلامية حوِّل إليها من هذا المعرض مئتا ألف ريال، وكل يوم والحمد لله نرى جديدًا في هذا الاتجاه، وهذا يبشرنا بالخير.

علاقتي وارتباطي بقضية فلسطين:

أمَّا عن الموضوع في الحقيقة: موضوع الطريق إلى القدس، وموضوع قضية فلسطين الأولى وهي قضية فلسطين، وقضية بيت المقدس، وقضية أرض النبوات، وقضية المقدسات، لا أكتمكم من كثرة ما تحدثت عن هذه القضية، أصبحت أرى الحديث عبئًا:

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إلى متى نتكلم والعدو يعمل؟ أنا لي أكثر من أربعين سنة وأنا أتحدث عن قضية فلسطين، منذ كنت طالبًا في المعهد الابتدائي في معهد طنطا الديني، فطالبًا في الثانوي، فطالبًا بالجامعة، فطالبًا في التخصص، أنظم الشعر، وألقي الخطب، وأحمس الشباب، وأقود المظاهرات، كل هذا من أجل فلسطين، وما نزال إلى الآن في الدائرة نفسها، كنا نخطب ونحمس ونكتب ونشعر؛ قبل أن تقوم دولة إسرائيل، أي قبل عام ثمانية وأربعين، كنا في كل عام يجيء ذلك الوقت المعروف: الثاني من نوفمبر، وهو موعد وعد بلفور، في كل سنة نقيم المظاهرات، ونذكر بقضية فلسطين.

إحياء الإمام البنا لقضية فلسطين:

وكان ـ للحق وللتاريخ ـ الذي أشعل في قلوبنا هذه الجذوة، وربطنا بقضية فلسطين هو الإمام الشهيد حسن البنا رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي أحيا هذه القضية في نفوس المصريين في ذلك الوقت، في الوقت الذي طغت فيه النزعة الوطنية!

في البلاد العربية النزعة الوطنية سبقت النزعة القومية، فمصر للمصريين، وسوريا للسوريين، هذه كانت النزعة السائدة؛ ولذلك لم يكن هناك اهتمام كبير بقضية كقضية فلسطين إلا عند الإسلاميين.

الوطنيون ما كانوا يشعرون بأهمية كبيرة لهذا الأمر، حتى قال أحد رؤساء الوزارات؛ وقد سألوه عن بعض القرارات التي تتعلق بفلسطين قال لهم: أنا رئيس وزراء مصر ولست رئيس وزراء فلسطين! وكان يظن أنَّه لا أهمية لفلسطين بالنسبة لمصر، لا يظنُّ أنَّ فلسطين إذا ضاعت فقد تضيع مصر نفسها، ويوم تذهب هذه الأرض فإن الخطر يصبح محققًا على وادي النيل.

QaradawiBooks.com

فكان الذي يحرك هــذه القضية باســتمرار، ويكتب عنهــا، ويقود المظاهرات من أجلها، هو الإمام حســن البنا، وفي ســنة ست وثلاثين أصدر مجلة لا أزال أذكر شكلها إلى اليوم، طبعًا لم أرها وقت صدورها؛ لأنني كنت صغيرًا، ولكن رأيتها وقرأتها بعد ذلك، المهم أنَّه أصدر منها عددًا خاصًّا بمناســبة الثورة الفلسطينية الشــعبية في سنة ست وثلاثين، وكتب مقاله المعروف: صناعة المــوت، إنَّما ننتصر عندما نتعلم صناعة الموت، قال: إنَّ أول صناعة نحتاج إليها لكي ننتصر، ليست هي صناعة السلاح وغيره، الصناعة والحرفة الأولى التي يجب أن نتقنها هي صناعة الموت. كيف نمــوت؟ كيف نختار الموتة التي تشــرفنا وتســعدنا في الآخرة؟ وهي الموت في ســبيل الله، أن نموت شهداء، من قديم ونحن نتحدث عن قضية فلسطين.

التنازل في قضية فلسطين:

رفضنا التقســيم في أول الأمر، وبعد مدة قلنا: يا ليتنا قبلنا التقسيم، كل فترة نخسر فيها جديدًا نقول: يا ليتنا قبلنا القديم!

الآن السياســة العربية كلها تلهث عن ماذا؟ عن شيء يسمونه إزالة آثار العدوان، العدوان الذي حدث في الخامس من حزيران (يونيو) سنة سبع وستين، ونســينا العدوان السابق ســنة ثمان وأربعين! وإسرائيل نفســها دولة قامت على أســاس العدوان والاغتصاب، اغتصبت أرضًا ليست لها، كما قال المجاهد الأكبر الحاج أمين الحسيني رَحِمَهُ اللَّهُ لما قيل له: إنَّ اليهود يريدون أن يتخذوا لهم وطنًا على أرض فلســطين، فقال: إن فلسطين ليســت وطنًا بغير شعب، حتى تستقبل شــعبًا بغير وطن، فلسطين لها أهلها.

QaradawiBooks.com

التخطيط لإقامة دولة إسرائيل:

القضية الفلسطينية وُجدت من زمن بعيد، خطط اليهود ـ منذ مؤتمر بازل ـ أن تقوم لهم دولة بعد خمسين سنة، وقد كان، فقامت بعد خمسين سنة، نحن نتعامل مع عدو يحسن التخطيط ويحسن التنفيذ، عدو يقول ويفعل، ونحن للأسف نقول كثيرًا ولا نفعل إلَّا قليلًا، وأحيانًا لا نفعل شيئًا قط، وقد نفعل أفعالًا في ضد الاتجاه الذي نريد، يعني بالسالب، بالناقص.

قضية فلسطين ليست منفصلة عن قضايا المسلمين:

قضية فلسطين قضية قديمة جديدة، هي قضية المسلمين الأولى، ولكنها ليست منفصلة عن قضايا المسلمين الأخرى، قضايا المسلمين في نظري لا ينفصل بعضها عن بعض، من الخيانة أن نفصل بعضها عن بعض، من يعمل لقضية فلسطين حقًّا يعمل لقضية أفغانستان، ومن يعمل لقضية أفغانستان يعمل لقضية فلسطين، ومن يعمل لقضية الفلبين يعمل لقضية فلسطين، هذه قضايا مرتبط بعضها ببعض، وأعداؤنا عندما يعاملوننا يعاملوننا على أننا كتلة واحدة، وأُمَّة واحدة؛ ولذلك تجد ذراع إسرائيل تمتد إلى كل مكان، حتى في الفلبين لا تدع المسلمين هناك، المسلمون في الفلبين إنَّما أصابهم ما أصابهم يوم انتصروا لقضية فلسطين، قاموا بعمل ضد إسرائيل هناك، فصُبت عليهم النكبات، وصُبت عليهم سياط العذاب، يوم أعلنوا أنَّهم ضد إسرائيل.

القضايا الإسلامية كلها قضية واحدة: قضية الدفاع عن الذات الإسلامية، ولكن قضية فلسطين مقدمة؛ لأنَّها في البؤرة، لأنَّها في قلب

QaradawiBooks.com

البلاد الإسلامية، لأنَّها في أرض النبوات، لأنَّها في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وذكرها القرآن بالبركة ست مرات، لأنَّها أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

الاستسلام للأمر الواقع:

قضية فلسطين لها معنًى خاص، هذه القضية ينبغي ألا تُترك، ولا ينبغي أن يُستسلم فيها للأمر الواقع! اليهود يريدون أن نستسلم للأمر الواقع، الناس الذين يقولون بالسياسة الواقعية، يريدون أن نعترف بما هو موجود، وما هو قائم، وعلى هذا الأساس ذهب من ذهب إلى تل أبيب، وذهب من ذهب للمفاوضات مع العدو الغاصب، وظنوا أنَّ المسألة مسألة شطارة أو فهلوة سياسية، ولم يدروا أنَّ الصراع صراع عقائدي، صراع حضاري، صراع ديني، صراع طويل عريض عميق، ليس الأمر كما يتصور هؤلاء السطحيون، الأمر أكبر من هذا، الأمر عند القوم يرجع إلى جذور دينية، جذور توراتية تلمودية، كان بإمكان اليهود أن يقيموا دولتهم في أي مكان آخر، وقد عُرض عليهم ذلك بالفعل، عرضت عليهم أوطان أخرى في أوغندا، وفي بلاد أفريقيا، ولكنهم أبوا إلا أرض الميعاد، إلا أرض فلسطين، هي أرض مقدسة بالنسبة لهم.

مطامع إسرائيل في بلاد المسلمين:

هؤلاء لهم مطامح ومطامع كبيرة، مطامح كما أعلنوا عنها: ملك إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومطامع تتعلق بالحجاز وتتعلق بالمدينة المنورة وخيبر وغيرها! وقد نشر الحاج أمين الحسيني أشياء تتعلق بمطامع اليهود حول قبر النبي ﷺ؛ لأن هناك كان لهم أجداد وأتباع، من بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير، وأنَّ لهم أرض خيبر.

QaradawiBooks.com

وقد قصصت عليكم في مرات سابقة قصة ذلك الأخ الفلسطيني الذي كان يعبر النهر، وعندما فتَّشوه وجدوا معه بعض التمر، وعزم الأخ الفلسطيني على الشرطي الذي يُفتشه أن يأكل شيئًا من هذا التمر، وقال له: خذه فهو من تمر خيبر، وهمَّ هذا اليهودي أن يأكل من هذا التمر، ولكنَّه لمَّا تذكر تركه، وقال: لا، لا آكله إلا هناك في أرض خيبر! إنَّ له هدفًا، وإنه يعزم على أمر ويبيت آخر، فالمسألة ليست كما يرى هؤلاء الذين ينظرون إلى الأمر نظرة سطحيَّة، ليست «شطارة» سياسية على مائدة المفاوضات أو غير ذلك.

نحن أمام عدو يطمع في مقدساتنا، يطمع في ديارنا، ولكنَّه ينفذ سياسته على مراحل، وقد يتراجع في بعض الأحيان عن خطوة؛ ليعد لأكبر وأوسع منها في المستقبل، وقد يطأطئ حينًا حتى تمرَّ عاصفة معينة، ولكن ليس معنى ذلك أن قد سلَّم أو استسلم، أو أنَّ مطامعه قد ذهبت وزالت، هيهات هيهات.

الأُمَّة الإسلامية تؤوي اليهود في دارها:

نحن أيها الإخوة قد ابتلينا بهذا العدو الذي كان يعيش في كنفنا وذمتنا قرونًا من الزمن، كان اليهود أهل ذمة عند المسلمين، طردهم العالَم كلُّه، ولفظهم لفظ النواة، ولم يجدوا صدرًا حنونًا، ولم يجدوا كهفًا يأوون إليه إلا في دار الإسلام، أوربا وغير أوربا طردتهم، البلاد الوحيدة التي وجدوا فيها الأمان، ووجدوا فيها البر والقسط ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]. هي بلاد المسلمين، وقد استطاعوا في وقت من الأوقات أن يكون لهم من المال ما لهم، ومن النفوذ ما لهم، حتى أثَّروا على الحكام والأمراء والوزراء، وقال في ذلك شاعر مصري هو الحسن بن خاقان قال ساخرًا:

QaradawiBooks.com

يهـودُ هـذا الزمـانِ قـد بلغوا غايـةَ آمالِهـم وقـد مَلَكُـوا
الْعـزُّ فيهـم والمـالُ عِنْدَهمـو ومِنْهُـمُ المستشـارُ والمَلِـكُ
يَا أَهْلَ مصـرَ، إنِّي نصحتُ لكم تَهَـوَّدوا، قـد تهَـوَّد الفَلَـكُ[1]

فهو ينصحهم أن يتهوَّدوا ما دامت اليهودية توصل إلى المجد، ومنهم المستشـار والمِلك! طبعًا ليس منهم الملك، وإنَّما هو الذي يشير على الملك فينفذ رأيـه، فأصبح هو الملك، هكذا كانـوا، وهذا معروف في التاريخ ومشهور.

وجَدُّ الإمام ابن عابدين الفقيـه الحنفي المعروف، ومفتي الأنام في عصره، تحدث وتكلـم كيف تغير الوضـع، وكيـف ذلَّ العلماء، وعزَّ الأذلاء، وأصبح اليهود سادة، فمما قاله في شعر له:

أحبابنـا، نُـوَب الزَّمـان كثيرة وأمـرّ منهـا رفعـة السُّـفهاء!
فمتى يفيـقُ الدَّهرُ من سـكرَاته وأرى اليهـودَ بذلَّـةِ الفقهاء[2]**؟!**

انقلبت الأوضاع، وأصبح الفقهاء أذلَّاء، وأصبح اليهود أعزاء! لأنَّهم مقربون عند السلاطين، وعند الأمراء، وعند هؤلاء.

هؤلاء اليهود الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه في بلاد المسـلمين، كان لهم الغنى، وكانت عندهم الأموال، لا أزال أذكر كيف كانت المتاجر الكبرى في عاصمة مثـل القاهرة كانت ملك اليهـود، هذا داود عدس، وسـمعان صيدناوي، وشـيكوريل، وبنزايون، وريفولي، كان اليهود هم أصحاب هذه الأشياء، والمسلمون يملكون عربة عليها «بليلة»، مكتوب

(١) الحضارة الإسلامية (١١٨/١).
(٢) حاشية ابن عابدين (٢٠٨/٤).

QaradawiBooks.com

عليها: «الحسود لا يسود. كيف أخشى الفقر وأنا عبد الغني»!؟ وهؤلاء يملكون الثروات، اليهود هكذا كان شأنهم في بلاد المسلمين.

انقلاب اليهود على المسلمين:

ومع هذا لم يكفهم هذا، وانقلبوا على المسلمين الذين حموهم وآووهم، وتركوا لهم الفرص حتى أصبحوا إلى هذا الحد من الغنى والثراء، على حساب المسلمين، لم يكفهم هذا وإنَّما أرادوا أن تكون لهم دولة، وأن يكون لهم وطن يضم شتاتهم، بعد أن تفرقوا في الأرض قددًا، وقطعهم الله في الأرض أممًا، كما ذكر القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٧، ١٦٨]. قطَّعهم الله أممًا.

هؤلاء اليهود أرادوا أن يكون لهم وطن، يجمع هذا الشتات، وأن تكون لهم دولة، يحيون بها الميت من آثارهم، ويعيدون تعاليم توراتهم وتلمودهم، وأحلام قادتهم، فاختاروا أرضنا، اختاروا قلب ديارنا، اختاروا أرض المقدسات؛ لتكون هي الوطن، وتكون هي أرض الدولة.

وقامت دولة إسرائيل، قامت دولة إسرائيل! ولا أزال أذكر كيف ظلت الصحافة العربية، والإذاعات العربية ـ لم يكن هناك تليفزيون في ذلك الوقت ـ الصحافة والإذاعات كلما ذكرت إسرائيل تقول: إسرائيل المزعومة، إسرائيل وبين قوسين (المزعومة) وظلوا على ذلك عدة سنوات، وهم إذا ذكرت إسرائيل يذكر معها المزعومة، وبعد ذلك خجلنا من أنفسنا؛ لأنَّ هذه المزعومة كانت تناوش الجبهات العربية كلها، تضرب هذه الجبهة، وتركل هذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهة، ولا تبالي بالشتم المستمر، ولا بالاحتجاجات التي تصل إلى مجلس الأمن والأمم

QaradawiBooks.com

المتحدة، التي وصلت إلى الآلاف المؤلفة، من الشجوب والاستنكارات والاحتجاجات، احتجوا ما شئتم، ولكنها لم تبالِ بهذا كله، ولمَّا رأينا ذلك بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين، حذفنا كلمة إسرائيل المزعومة، وأصبحنا نكتب إسرائيل فقط.

ظهور جيل الحجارة الجديد:

ولم تكتفِ إسرائيل بما أعطاها قرار التقسيم، ولكنها زادت على ذلك، ثم زادت، ثم زادت، ثم زادت، وها هي إلى اليوم تتحدَّى وتتصدَّى وتتعدَّى، ولا تجد من يلقنها درسًا، لم تجد من يؤدبها كما ينبغي، إلا هذا الجيل الجديد، جيل الحجارة، الذي نشأ من جديد يلقنها الدرس، ويعلمها أن فلسطين لا يمكن أن تزول.

هذا الجيل عرف شيئًا مهمًّا: أن هذه القضية في جوهرها وفي لبها قضية إسلامية، الطريق إلى القدس ـ إذا أردنا أن نختصره ـ هو في إسلامية القضية، إذا لم تؤسلم هذه القضية ـ إن صح التعبير ـ فلا أمل، نحن أمة لا يحركها شيء كما يحركها الإسلام، لا يبعثها شيء كما يبعثها الإيمان، لا يوقظها معنى من المعاني كما توقظها أحلام الجنة! لقد رأينا حكامًا في وقت من الأوقات قد عزفوا على معزوفات شتى، عزفوا مرة على القومية، ومرة على الاشتراكية، ومرة على الديمقراطية، ومرة على العلمانية، ما حركت هذه المعزوفات ساكنًا، ولا نبهت غافلًا، ولا أحيت إنسانًا من موات، ولكن يوم ترفع المصحف، يوم تنادي في الناس الله أكبر، يوم تقول: يا ريح الجنة هبي، يوم نقول للناس: يا خيل الله اركبي، يا كتائب الله سيري، يا جيش محمد، يوم تنادي في الناس بلا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله، تصنع من الناس العجائب، يصبح الطفل بطلًا، يصبح الحجر قنبلة، يصبح الشيء التافه شيئًا عظيمًا.

QaradawiBooks.com

الأُمَّة الإسلامية لا يقودها إلا الإسلام:

هذه الأُمَّة لا تُقاد إلا بالإسلام والإيمان، جربنا في مصر معركتين، سنة سبع وستين، قبل الخامس من يونيو سنة سبع وستين (٦٧) كانت هناك أسلحة؛ كما قال لي بعض الضباط: تسدُّ عين الشمس، دبابات ومصفحات، ومدافع وقنابل، وطائرات وصواريخ، لكن ماذا أغنت هذه الأسلحة؟ وماذا أغنت الدبابات والمصفحات؟ لم تغنِ شيئًا.

كان الشعار في ذلك الوقت: «بر بحر جو»، ولم ننتصر لا في بر، ولا في بحر، ولا في جو!

في الجو كما تعلمون، طائرات ضربت في أماكنها في المطارات، في الساعات الأولى انتهت المعركة، هم يسمونها «حرب الأيام الستة»، وفي الواقع هي حرب الساعات الست فقط، في الست ساعات الأولى انتهت المعركة وتحدَّد مصيرها، كانوا يقولون في أناشيدهم التي كانوا يحفظونها ويعلنونها في الإذاعات: ومدفعنا يتحدى القدر!

ولما جاءت ساعة اللقاء، ودقَّ ناقوس الجهاد، لم يتحدَّ هذا المدفع القدر، ولم يتحدَّ شيئًا، تركت الدبابات سليمة، تُركت غنيمة باردة، لقمة سائغة، بيضة مقشورة كما يقال، لم يكلف الجندي أو الضابط خاطره أن يشعل فيها عود ثقاب، عليّ وعلى أعدائي، لا أنتفع بها ولا ينتفع بها عدوي، ولكن لأنَّ الهدف كان الفرار الفرار، النجاة النجاة، لم ينتظر دقيقة حتى يشعل فيها النار، بل أراد أن يولي الأدبار من أجل الفرار؛ ولذلك لم تغنِ هذه الأشياء من الله ومن الناس شيئًا، وكما قال المتنبي قديمًا:

وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا القَنَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ[1]

(١) ديوان المتنبي صـ٣٩٠.

QaradawiBooks.com

يعني خيل من غير خيَّال، وفرس من غير فارس: ماذا تغني؟ لكي يكون للسلاح قيمته، لا بدَّ أن يكون هناك المقاتل الذي يقاتل بهذا السلاح، ولكي يوجد المقاتل، لا بدَّ أن يوجد الهدف الذي يقاتل من أجله، ولا بدَّ أن يكون هدفه أكبر من هدف عدوه حتى ينتصر عليه، ولا بدّ أن يكون الهدف سبيل الله، أن تكون كلمة الله هي العليا، هنالك يقال له: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

كان يوم الخامس من يونيو سنة سبع وستين معركة تحت شعار القومية العربية، والاشتراكية، وكذلك شعار العنجهية، صيحات:

كمِثْلِ الطَبْلِ يُسمعُ من بَعِيدٍ وباطنُه من الخيراتِ خالِ[1]

مثل: سوف نرمي اليهود في البحر، وسنؤدب اليهود ومَن وراءهم، وبعضهم كان يسميها تهديدات عنترية، فأنا علقت على هذا وقلت لهم: إنكم تظلمون عنترة إذا قلتم هذه التهديدات عنترية؛ لأنَّ عنترة كان إذا هدَّد نفَّذ تهديده، ليتكم سميتموها تهديدات فرزدقية، على نحو ما قال الشاعر:

زعم الفرزدقُ أن سيقتُلُ مِرْبَعًا أَبْشِرْ بطُولِ سَلَامَةٍ يا مِرْبَعُ[2]**!**

هي مجرد تهديدات فرزدقية، قالوا ما قالوا ولم يفعلوا شيئًا.

في سنة ثلاث وسبعين وفي العاشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين، حدثت معركة أخرى، لم يكن شعارها بر بحر جو، ولكن كان شعارها الله أكبر، معركة العاشر من رمضان، حينما هبت نفحات الصائمين

(١) البيت غير منسوب في حسن التنبه لما ورد في التشبه لنجم الدين الغزي (٥٢٢/١٠)، نشر دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٢) ديوان جرير (٩١٦/٢)، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣.

QaradawiBooks.com

والقائمين في رمضان، ولعلَّ منكم من عايش هذه الأيام، العاشر من رمضان (٩٣) للأسف أصبحوا يسمونها (٦) أكتوبر، تركوا (١٠) رمضان وسمَّوها (٦) أكتوبر! مع أنَّ رمضان هو صاحب الفضل، لمَّا كان الشعار الله أكبر، تغيَّر الوضع، ووجد الدافع، اقتحم أبناؤنا وجنودنا خط بارليف، وعبروا القناة، ووصلوا إلى القنطرة، وانتصروا على الأسطورة التي كان يقال عنها: القوة التي لا تقهر.

الإسلام هو وحده القادر على أن يصنع من هذه الأُمَّة رجالًا، لا معركة بغير الإنسان، نحن لا نقلل من قيمة السلاح، ومن قيمة التخطيط، ومن قيمة التدريب، ومن قيمة العمل السياسي، ومن قيمة العمل العسكري، كل هذا مطلوب، ولكن قبل كل شيء لا يمكن أن ننتصر في أي معركة، ونفرض إرادتنا بغير الجهاد، ولا جهاد إلا برجال، ولا رجال إلا بإيمان، ولا إيمان إلا إيمان الإسلام، هذه قضية مفروغ منها من قديم.

كثرة المحن في حياة الأُمَّة الإسلامية:

محنة الحروب الصليبية:

ليست هذه أول مرة تمتحن فيها فلسطين، فقد امتحنت قبل ذلك عندما دخلها غزو كافر من الصليبيين، واحتلوا المسجد الأقصى أكثر من تسعين سنة، وبقي الصليبيون في أرض فلسطين نحو مائتي عام وأكثر! ولكن لم يطرد الصليبيون إلا تحت راية الإسلام، ما طردوا تحت راية قومية أو وطنية ولا اشتراكية، ولكن تحت راية الإسلام، حينما جاء عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي، هؤلاء الأبطال كانوا يقودون المعارك باسم الإسلام! ما كانوا عربًا، منهم من كان تركيًّا، مثل زنكي ونور الدين، ومنهم من كرديًّا، مثل

QaradawiBooks.com

صلاح الدين، ولكن كانوا مسلمين عرَّبهم الإسلام؛ لأنَّ العربية كما جاء في الحديث: «ألا إنَّ العربية من أحدكم ليست بأب ولا أم، ولكن العربية اللسان، فمن تكلَّم بالعربية فهو عربيّ»[1].

وأنا حينما أسمع رجلًا مثل الأخ عبد رب الرسول سياف وهو يخطب، يخطب كأحد فصحاء العرب، فهذا عربي، عرَّبهم الإسلام، ومن لم يعرب الإسلام لسانه، عرَّب قلبه وعاطفته، المسلمون عرب بالعواطف، لو ذهبتم إلى أي أرض إسلامية بزيكم العربي، كاد الناس يقدسونكم؛ لأنكم جئتم من أرض الإسلام، ومن أرض الجزيرة، ومن أرض الوحي، ومن أرض النبوة.

هؤلاء الأبطال قادوا المعارك باسم الإسلام! نور الدين محمود الشهيد، هذا رجل من أبطال الإسلام، لم يوفَّ حقه، وكثير من المسلمين يجهلون قدره! وللأسف لم ينوَّه به؛ لأنَّ الغربيين يكرهونه جدًّا؛ لأنَّه هو أول من رفع الراية للجهاد ضدهم، هو أفضل من صلاح الدين بكثير، وكان يشبه بالخلفاء الراشدين، في عدله وعلمه وسياسته وشجاعته.

هذه الشخصية يجب أن تقرأ وتدرس، اقرؤوا سيرة نور الدين محمود، شخصية عظيمة من شخصيات الإسلام، هذا الرجل الشجاع القائد، البطل المسلم، الذي كان يطبق الإسلام، ويعدل كل العدل، ولما شاع الفساد في بعض المناطق، واقترح عليه بعض الناس ألَّا يكتفي بإقامة الحدود، وإنَّما يزيد على الحدود بعض العقوبات، نكالًا للمجرمين، قال له: حاشا أن أجازي أحدًا بجرم قبل أن يثبت جرمه ثبوتًا شرعيًّا، وحاشا أن أتهاون في عقوبة مجرم ثبت جرمه ثبوتًا شرعيًّا، ولو

(١) سبق تخريجه صـ٤٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

جريت على ما اقترحته علي لكنت كمن يفضل عقل نفسه على علم الله جل شأنه، ولو لم يكن هذا الشرع كافيًا في إصلاح شؤون العباد لما بعث به خاتم رسله! وأبى إلا أن يقف عند حدود الله.

كان يروي الحديث، ولما روى حديثًا مسلسلًا بالابتسام، ما معنى مسلسل بالابتسام؟ أي إنَّ راوي الحديث روى أنَّ النبي ﷺ قال كذا وتبسم، فالصحابي الذي يروي الحديث حينما يروي الحديث يتبسم كما تبسم النبي ﷺ، أي يروي الحديث قولًا وفعلًا، والتابعي الذي يروي عن الصحابي يقول كذا ويتبسم، ثم يتبسم هو كما تبسم الصحابي الذي روى عنه، وتابع التابعي، وكل واحد يروي الحديث يبتسم في نهاية الحديث، ولما روى نور الدين محمود هذا الحديث لشيخه لم يتبسم، فقال له شيخه: تبسم يا نور الدين حتى تكتمل الرواية قولًا وفعلًا، فقال له: كيف لي أنْ أتبسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر؟!

كان الصليبيون يحاصرون دمياط، فقال له: من أين يأتيني الابتسام؟ لا أجد الابتسام على شفتي وثغر من ثغور المسلمين محاصر[1]!

هذا هو نور الدين محمود.

وصلاح الدين الأيوبي وقف يوم حطين يقول للناس: هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه البغي ولا الفخر! صلاح الدين الذي جمَّع الصناع ليصنعوا الأسلحة، والحدادين والنجارين ليصنعوا السفن والقوارب، فعل ما يستطيع من الناحية المادية، ومن الناحية الأخرى أيضًا أيقظ معاني الإيمان، وأحيا السُّنَّة بعد أن كادت تموت في عهد الذين يسمون أنفسهم بالفاطميين، العبيديين الأدعياء هؤلاء، الذين كانوا يحاربون أهل السُّنَّة

(١) سبق تخريجه صـ٤٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأهل الحديث؛ حتى فرَّ كثير من علمـــاء الحديث من مصر في وقتهم، وكانوا يســـبُّون الصحابة، ويكتبون ســـبهم على الجدران، وكانوا يغرون الناس بالسب، وكان عندهم شـــعار معروف يقولون: من لعن وسب فله دينار وإردب، والإردب مكيال مصري معروف، فكل من ســـبَّ أبا بكر وعمر وطلحة ومعاوية، أو عائشة وعثمان، أو الزبير أو عمرو بن العاص، فله هذه الجائزة: دينار وإردب.

فعندما جاء صلاح الدين الأيوبي غيَّر هذا كله وألغاه، وأحيا السُـــنَّة التي ماتت في حياة الناس في ذلك العصر، ووجد بسبب ذلك جيل من المسلمين استطاع أن ينتصر في حطين، وفي فتح بيت المقدس.

الطريق إلى بيت المقدس هو هذا، أن يعود الناس إلى الإســـلام، أن يُربَّوْا على الإيمان، أن يُربَّوْا على خلق الإســـلام، على شعائر الإسلام، على آداب الإسلام، هذا هو الطريق ولا طريق غيره.

لا انتصار على أعدائنا إلا بالإسلام:

لا انتصار بغير الإسلام، لقد رأيت الشباب هنا وفي معرض الجامعة، قد رفعوا شعار وا إسلاماه، وا إسلاماه هذا الشعار الذي رفعه من قبل هو القائـــد المملوكي العظيم المظفـــر قطز، المظفر قطز هـــو صاحب إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ، معركة عين جالوت، وهي معركة كانت بين المسلمين والتتار، التتار الذين ظلوا عشـــرات السنين لا تسقط لهم راية، ولا ينهزمون في معركة، وأصبح المثل السائر عند الناس: إذا قيل لك إنَّ التتار قد انهزموا فلا تصدق! نفس ما يشاع عن أسطورة القوة التي لا تقهر!

جاء هـــؤلاء وبعضهم يعتقد أنَّهـــم يأجوج ومأجوج، جـــاؤوا من بلاد الشرق، وجاؤوا إلى البلاد والممالك الإسلامية من أطرافها، فدخلوا عليها

QaradawiBooks.com

بلدًا بلدًا، وولاية ولاية، فأسقطوا الولايات، وقتَّلوا العباد، واحتلوا البلاد، وعاثوا في الأرض الفساد، حتى كانت النتيجة أن وصلوا إلى عاصمة الخلافة الإسلامية، وعاصمة الحضارة الإسلامية، بل عاصمة العالم في ذلك الوقت، أعظم بلد في العالم في ذلك الوقت، وهي بغداد، فدخلوا بغداد بخيانات معروفة، دخلوا بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية، ودمَّروا المدينة، وأسالوا الدماء أنهارًا، وألقوا الكتب كتب الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية في دجلة، واسودَّ ماء النهر من كثرة ما سال من المداد، ومكتبتنا الإسلامية ذهبت منها كنوز، آلاف مؤلفة من الكتب، كنوز ضخمة.

محنة بغداد:

ولذلك مما أصاب المسلمين من محن مختلفة في تاريخهم منها: محنة بغداد، وكانت محنة عظيمة، سالت فيها الدماء من الميازيب المعدَّة لمياه الأمطار، سالت بها دماء المسلمين، وحكى ابن الأثير وغيره عن ذلك الأمر وقال: ليت أمي لم تلدني ولم أر هذه الأحداث بعيني[(١)]. وحكى ابن كثير أيضًا بعده ما حدث[(٢)]، وذكر أنَّ بعض المسلمين أصابهم بعض التتر، فحبسهم في مكان وقال لهم: انتظروا فليس معي سيف أقتلكم به، سأذهب وآتيكم به لأقتلكم، فقال لهم أحدهم: ويحكم ماذا تنتظرون؟ فقالوا: فماذا نصنع؟ ما معنا سلاح وما معنا من شيء، قال: ولكننا كثرة وهو واحد، فقال لهم وقد كان رجلًا شجاعًا، نحن ننتظر حتى يأتي ويفتح الباب ثمَّ ننقض عليه، نهجم

(١) الكامل في التاريخ (٣٣٣/١٠)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) البداية والنهاية (٣٥٦/١٧ ـ ٣٦٤)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

عليه فإما قتلنا وإمَّا قتلناه، إذا قتلَنا فهذا هو المصير المنتظر، وإن قتلْناه انتصرنا عليه وكسبنا المعركة، فقوَّى قلوبهم وقد كان، عندما عاد ودخل عليهم البيت انقضوا عليه فقتلوه[١].

مرحلة الغثاء والوهن:

الشـــاهد من هذه القصة أنَّ الناس قد أصابهم الوهْن الذي حذَّر منه النبي ﷺ؛ فالأمر أمر النفوس قبل كل شـــيء، ليس أمر أسلحة ولا أمر ماديات، الأمر أمر أنفس، غيّر هذه الأنفس يتغير التاريخ، ولذلك عندما تحدث النبي ﷺ عن المؤامرة التي تحاك للمســـلمين فـــي آخر الزمن: «**يوشـــك أن تتداعى فيه الأمم عليهم كما تتداعى الأكلة على قصعتها**». قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رســـول الله؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء، كغثاء الســـيل. ولينزعن الله من صـــدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[٢].

المهم أن ننتقل من مرحلة الغثاء المرحلة الغثائية، والغثاء: هو ما يحمله الســـيل من قش وحطـــب، وورق وتبن، وحشـــائش وعيدان، أشـــياء غير متجانسة، وأشياء سطحية خفيفة ليس لها هدف محدد، يحركها السيل يمينًا وشمالًا، وهذا غير النهر، النهر له مجرى معلوم، ومصب معلوم، إنَّما السيل لا هدف له ولا مجرى له، والأمة في مرحلة الغثائية أمة خفيفة ضعيفة غير متجانسة، ليس لها هدف محدد؛ ولذلك يظهر عليها الضعف والوهن.

---

(١) الكامل لابن الأثير (٤٤٩/١٠، ٤٥٠).

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

الصحابة سألوا النبي ﷺ فقالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ السؤال هنا ليس سؤالا لغويًّا، فالوهن معروف أنَّه الضعف، ولكن ما سره وما سببه؟ من أين جاء الوهن؟ فقال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**».

حينما يحبُّ الناس الدنيا ويقول كل واحد: نفسي نفسي، دنياي دنياي، مصلحتي مصلحتي، ولتخرب الدنيا وليضع المسلمون، هنا الخطر.

وكراهية الموت، كل واحد يضنُّ بنفسه، الروح عزيزة، والنفس غالية على الإنسان، حينما تصبح قطرة الدَّم غالية على الإنسان، أعز عليه من دينه، وأغلى عليه من عقيدته، ومن أهله وعرضه، وأرضه وأمته، هذا هو الوهن.

وهذا هو الذي أصاب المسلمين في ذلك الوقت أيام التتار.

أهمية القائد المؤمن:

ولكن إذا وجد قائد يحرك الناس من جمود، ويوقظهم من رقود، ويدعوهم باسم الإسلام إلى المعركة من جديد، يتغير الوضع، وهذا ما فعله ذلك المملوكي القائد المظفر قطز، هذا الرجل العابد الصالح، حينما جاءته الرسالة من قائد قوات التتار في دمشق أنَّه يريد أن يغزو مصر، ويريد أن يُفتح له الطريق، وأرسل له رسالة ترغي وتزبد، وتبرق وترعد، بالتهديد والوعيد، نحن الذين أذلَلْنا العباد، واحتللنا البلاد، وقطَّعنا الرقاب، كلام هائل ومخيف ومفزع، ولكن ماذا فعل قطز؟ حينما جاءت الرسالة وقرأها مزقها، وجاء بالرسولين اللذين جاءا بالرسالة، وقطع رقابهما أمام الناس؛ مع أنَّ السُّنَّة في الإسلام ألا تقتل

QaradawiBooks.com

الرسل، ولكنَّه أراد أن يظهر القوة أمام هؤلاء الأعداء الذين لم يبالوا بدماء ولا بشيء، وقال للذين يريدون أن يقفوا في منتصف الطريق وأن يتفاوضوا معهم: قطعت رقاب الرسل؛ حتى يعلموا أنَّه لا حل معهم إلا الجهاد.

فأعلن في الناس من ينادي بالجهاد: إنا ذاهبون إلى لقاء هؤلاء الناس، وجاء سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام فدعا له ولمن معه، وخرجوا في رمضان حتى وصلوا إلى هذه القرية من فلسطين: عين جالوت، وكان ذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان، وحينما أراد بعض قومه أن يبدؤوا المعركة في الصباح، قال لهم: لا، انتظروا حتى تهبَّ الرياح، وتفيء الظلال، ويصلي المسلمون الجمعة، ويدعو الخطباء بالنصر، ويؤمن المسلمون في كلِّ مكان، وذلك نكسب بركات المسلمين الصائمين القائمين في شهر رمضان، وفعلا انتظروا حتى مالت الشمس عن كبد السماء، وجاء الوقت بعد الزوال، وبدؤوا المعركة، وفي أول المعركة كانت الريح في اتجاه أعداء الإسلام، ومن كثرة ما سمعوا عن التتار وقوة التتار وغلبة التتار حدث نوع من الخوف والفزع في أول الأمر، فانهزم عدد من المسلمين أمام جيش التتار، وهنا أمسك هذا الرجل بخوذته فألقاها، وصاح صيحته التاريخية: وا إسلاماه، وا إسلاماه، وا إسلاماه. وما كاد يصيح هذه الصيحة حتى تغيّر الموقف: فقد ثبت المتردد، ورجع المدبر، وتشجَّع الجبان، وأقدم المحجم، وقوي الضعيف، وتغير اتجاه الريح حتى أصبح في صالح المسلمين، وكانت النتيجة انتصار الإسلام والمسلمين في هذه المعركة الحاسمة في معارك التاريخ.

QaradawiBooks.com

قوة الإسلام الذاتية:

وكانت هذه المعركة بعد سنتين فقط من سقوط بغداد، بغداد سقطت سنة (٦٥٦هـ)، ومعركة عين جالوت كانت في سنة (٦٥٨هـ)، وهذا يدلنا على أنَّ في الإسلام قوة ذاتية مخبوءة، تظهر عندما تجد من يحركها، من يستثيرها، من ينبش عنها، وظهرت هذه القوة بسرعة في سنتين فقط، استطاع فيها الإسلام أن يستعيد قواه، وأن يسترد شرفه من جديد، وأن ينتصر على التتار في هذه المعركة الحاسمة.

من قديم أيها الإخوة والإسلام هو قائد النصر، والإسلام هو وحده القادر على أن يصنع ما يمكن أن نسميه المعجزات؛ إن صحت هذه التسمية.

ما حدث من القديم يمكن أن يحدث من جديد:

وما حدث من قديم هو الذي يمكن أن يحدث من جديد، الذي نصرنا على التتار، والذي نصرنا على الصليبيين، والذي نصرنا في معارك التحرير ضد الاستعمار، هو الإسلام! ما انتصرت الجزائر ضد فرنسا إلا بالإسلام، ما الذي جعل الإخوة في أفغانستان يصمدون أمام إحدى القوتين العتيدتين في الأرض، أمام العملاق الثاني والقوة العظمى في العالم، أمام الاتحاد السوفييتي، أمام الأسلحة الإلكترونية، أمام عدو يستخدم كل المحظور من الأسلحة ولا يبالي؟ إنَّه الإسلام. الإسلام الذي جعل هؤلاء يبدؤون معاركهم مع عدوهم بأسلحة خفيفة، ثم قالوا، سوف نأخذ سلاحنا من عدونا، وجاء السلاح بعد ذلك مما يغنمونه من الروس، الإسلام هو قائد المعارك إلى النصر دائمًا؛ ولهذا نقول: إننا إذا أردنا أن نحقق نصرًا في قضية فلسطين، وفي أي قضية، فلا يكون ذلك إلا إذا كان الإسلام هو سلاحنا الأول.

QaradawiBooks.com

الإسلام هو سلاحنا في كل معركة، ولكن في معركة فلسطين بالذات هي معركة خاصة لا ينفع فيها إلا الإسلام، لو صلح غير الإسلام في قضية ما، ففي قضية فلسطين لا يصلح إلا الإسلام؛ لأنك تحارب عدوًّا يبني مستقبله ومعاركه، ويربي أبناءه وجنوده، ويخطط لحياته كلها على أساس ديني! ما اختار فلسطين إلا أنَّ ذلك حلم ديني عنده؛ لأنَّها أرض الميعاد؛ لأنَّها أرض المقدسات، ما جمع اليهود من شرق وغرب، ومن شمال وجنوب، إلا على أساس ديني، ما الذي يجمع اليهود في أرض فلسطين؛ وبعضهم من بلاد العرب، وبعضهم من بلاد العجم، وبعضهم من أوربا الشرقية، وبعضهم من أوربا الغربية، وبعضهم من أمريكا، ما الذي جمعهم؟ الذي جمع بينهم العقيدة اليهودية، إنهم جاؤوا من بلاد شتى، ومن طبقات شتى، ومن ثقافات شتى، ولكن هناك ثقافة واحدة تجمعهم: الثقافة التوراتية، هناك عقيدة واحدة تجمعهم: هي العقيدة اليهودية، أحلام دينية، فإذا أردنا أن نحاربهم وننتصر عليهم، فلنحاربهم بمثل سلاحهم، لا يفلُّ الحديد إلا الحديد، من حاربك بالدين فحاربه بالدين، وهذا منطق عادل: اليهود أقاموا المعركة على أساس ديني، وهم يُؤثِّرون في الغرب، الغرب الذي يساندهم، لماذا يساندهم الغربيون، الغربيون يساندونهم، والنصارى يساندونهم لأنَّهم يعتقدون دينيًّا أن لهم حقًّا في هذه الأرض، قرؤوها في التوراة والإنجيل، وفي غير ذلك.

من قرأ منكم ما كتبه جيمي كارتر الرئيس الأمريكي السابق يعرف ذلك، يذكر كارتر أنَّ أساس مساعدته لليهود أساس ديني، وأنَّه قرأ في التوراة أنَّ لهم حقًّا، وأن ملك إسرائيل يجب أن يعود لهم، فهذا منطلق ديني واضح.

QaradawiBooks.com

لقد تصوَّر اليهود بعض الشيء أن يستغلوا ديننا نحن المسلمين لصالحهم، لم يكتفوا بالتوراة وأسفار العهد القديم وغيرها في الترويج لدولتهم، بل أردوا أن يروجوا لها من القرآن الكريم من كتاب الله ﷻ! حتى إنهم بعد هزيمة يونيو (٦٧) كانوا يكتبون في صحفهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وأحيانا يكتبون: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. نحن انتصرنا عليكم فنحن أهل الإيمان كما يقول القرآن!

وحينما ذهب السادات إلى القدس في زيارته المشؤومة المعروفة، وتحدث عن قضية فلسطين، فرد عليه بيجن وقال له: يا سيادة الرئيس هذه الأرض أرضنا، وعدتنا بها السماء، وهذا أمر مكتوب لنا في الكتب المقدسة، حتى القرآن نفسه مكتوب فيه هذا، واستدل بآية من سورة المائدة وهي قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]. فالقرآن يقول: كتب الله لكم، فتصوَّروا: يريدون أن يستفيدوا من القرآن، ونحن لا نريد أن نستفيد من القرآن، لا نريد أن نستفيد إلا في التحريف والتزييف، القرآن يقول: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. وكيف يجنح للسلم من أخذ دارك، وسرق أرضك وعرضك؟ كيف يكون هذا جنوحًا إلى السلم؟!

لا ننتصر إلا بالإسلام:

فنحن لا يمكن أن ننتصر إلا بالإسلام، أن تصبح القضية إسلامية، وهي قضية إسلامية فعلًا؛ لأننا نحارب عدوًّا يتخذ الدين سلاحًا، موشيه ديّان كانوا يسألونه عن الجيش فيقول: نحن جيشنا لا يحمي المؤسسات

QaradawiBooks.com

إنَّما يحمي المقدسات، وكانوا يقولون في أول الأمر: إنَّ عودتنا إلى صهيون يجب أن تسبقها عودة إلى اليهودية، العودة إلى الأرض يجب أن تسبقها عودة إلى الدين، هكذا فهم الناس!

نحن يجب أن نغرس هذا في نفوس أبنائنا، القضية قضية إسلامية؛ لأنَّها ليست قضية أرض؛ أي أرض، إنَّها أرض لها قدسية خاصة، عندنا نحن المسلمين: كل أرض الإسلام يجب أن ندافع عن كل شبر منها، دار الإسلام لا يُفرط في شبر واحد منها، هذا أمر مفروض على المسلمين، ولكن أيضًا هناك أرض لها خصوصية، خصوصية هذه الأرض أنَّها أرض المسجد الأقصى، أنَّها أرض الإسراء والمعراج، أنَّها الأرض التي بارك الله فيها للعالمين؛ ولذلك لا بدَّ أن يكون هذا الأمر واضحًا، نحن نجند أبناءنا حتى نستطيع أن نتفوق على إسرائيل، لا نستطيع أن نتفوق عليهم تكنولوجيًّا، إسرائيل التي استطاعت عن طريق طائرة أن تعطل الأجهزة السلكي واللاسلكي في تونس، وهي في الجو! فليس عندنا من التكنولوجيا ومن العلم المادي ما عند الإسرائيليين! نستطيع أن نسبقهم بأننا نجد أناسًا يقولون: نريد أن نموت في سبيل الله، واليهودي مهما بلغ لا يمكن أن يكون مثل المسلم، صحيح قد رأينا اليهود يجندون الشباب والشابات، نحن في (٦٧) واجهنا جيشًا من الشباب والشابات، وأمام دولة ترأسها امرأة جولدا مائير، إنَّما نحن نستطيع أن نجند من أبنائنا: من شبابنا وفتياننا من لم يبالِ بالموت في سبيل الله، من لم يبالِ أوَقع على الموت أم وقع الموت عليه، من يريد الجنة، نحن عندنا القدرة على هذا، أن نجد الشهداء الأحياء، أن نجند هؤلاء الشباب من داخل فلسطين أولًا، وهذا هو الواجب، أبناء فلسطين في الخارج وأبناء فلسطين في الداخل، ثم بعد ذلك المسلمون.

QaradawiBooks.com

عندما نجعل القضية الفلسطينية إسلامية نكسب المسلمين في أنحاء العالم معنا!

خطأ بعض دعاة القومية:

للأسف كتب بعض دعاة القومية في وقت من الأوقات: ما علاقة الباكستاني والأفغاني والتركي والفلبيني بفلسطين؟ ما لهؤلاء وفلسطين؟

هذه قضية عربية، قضية عربية إسلامية، هي فلسطينية عربية إسلامية، حينما نقول إسلامية لا ننفي أنَّها عربية، وحينما نقول عنها عربية لا ننفي أنَّها فلسطينية، ليس هناك تعارض بين هذه المقامات، فقضية فلسطين قضية أبناء فلسطين أولًا، وقضية العرب؛ لأنَّها في قلب منطقة العرب، وقضية المسلمين جميعًا، فإذا أردنا أن نجعلها قضية قومية فقط بحيث لا يهم المسلمين أمرُها فقد أخطأنا!

ولماذا نفعل ذلك؟ قالوا: حتى لا نضر غير المسلمين من العرب! وماذا يضر المسيحي العربي إذا قلت هذه القضية يريد الإسلام أن ينتصر فيها، ويريد كل مسلم أن يكون جنديًّا لها؟ ماذا يضيره إن كان مخلصًا؟ ماذا يضره أن يتحمس المسلمون في العالم كله لقضية فلسطين، ماذا يضيره أن يدخل المسلم المعركة تحت راية الإسلام إن كان مخلصًا للقضية حقًّا!

ومن أجل بضعة ملايين من العرب من غير المسلمين، أخسر أنا ثمانمائة مليون مسلم في العالم! أخسرهم لماذا؟ من المستفيد من هذا؟

إذا كان اليهود في العالم يعتبرون إسرائيل دولتهم، وقضية إسرائيل قضيتهم، ويبذلون في سبيل ذلك المال؛ على رغم عبوديتهم للمال،

QaradawiBooks.com

اليهود الذين كنا نقول عنهم: إنهم يعبدون الذهب، ويعبدون الدينار والدرهم، استطاعوا أن يبذلوا، لا يشك أحد فيما بذله اليهود من أجل إقامة دولة إسرائيل، بذلوا الملايين ولم يبخلوا، ولعلهم في ذلك أفضل من كثير من المسلمين في ذلك، ومن كثير من العرب الذين ضنوا بالمال، وضنوا بالنفس، وضنوا بكل شيء.

فنحن لكي نسير في الطريق الصحيح يجب أن نعلن إسلامية القضية الفلسطينية، وإسلاميتها لا تنفي عروبتها، ولا تنفي فلسطينيتها! هي قضية فلسطينية، هي قضية عربية، هي قضية إسلامية، هي قضية إنسانية أيضًا، كل حر في العالم يجب أن يقف ضدَّ هذا البطش، ضد هذه الوحشية، ضد هذا الظلم، يُغتال وطن، ويُشرد أهله كل مشرد، فلا بدَّ أن ينتفض ضمير العالم.

قضية المقدسات الإسلامية:

القضية قضية إسلامية، وكل قضية من قضايا المسلمين لا يمكن أن تنتصر إلا تحت راية الإسلام، ولكن قضية فلسطين كما أقول لها خصوصية، أنَّها قضية تمس أرضًا مقدسة لدى المسلمين، تمس ذكريات تاريخية، تمس أصولًا دينية، ثم إننا نحارب عدوًّا يحاربنا على أساس الدين، فلمصلحة مَن يدخل اليهودي المعركة وهو يرفع التوراة، ولا ندخلها نحن المسلمين ونحن نرفع القرآن؟ هو يقول التلمود، ونحن لا نقول البخاري ومسلم؟! هو يقول الهيكل، ونحن لا نقول المسجد الأقصى؟! لمصلحة من كل هذا؟ هو بالفعل لمصلحة اليهود.

إنَّما نقول: إذا قالوا: يَهْوَه. قلنا: الله رب العالمين. وإذا قالوا: موسى. قلنا: موسى وعيسى ومحمد؛ فنحن أولى بموسى منكم. وإذا

QaradawiBooks.com

قالوا: التوراة. قلنا: القرآن. إذا حاربونا بالتوراة، حاربناهم بالقرآن، وإذا حاربونا باليهودية حاربناهم بالإسلام، لا يفل الحديد إلا الحديد، وحديدنا أقوى.

إنَّ النبي ﷺ أشار إلى الفئة التي يدخرها القدر لتأديب اليهود في آخر الزمان، ولإنقاذ فلسطين وتحريرها، أشار النبي ﷺ إلى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله: هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله؛ إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود**»[1].

أشار الحديث إلى من دخل هذه المعركة دخلها تحت شعار العبودية لله، يا عبد الله، وتحت راية الإسلام وعنوان الإسلام؛ ولذلك تناديه الأحجار، وتناديه الأشجار: يا مسلم، لم تقل له يا قومي، يا فلسطيني، يا أردني، يا وطني، ولا أي شيء من هذا القبيل، وإنَّما يقول له: يا مسلم: هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله.

وليس المهم أن ينطق الحجر والشجر بلسان الحال أو بلسان المقال، فليس شيء بعيدًا على الله، المهم أنَّ كل شيء يكون في صف المسلم، الطبيعة، الكون، الأرض، الأحجار، الأشجار، وهذا من علامات النصرِ عندما يأتيك النصر يكون كل شيء معك، وحينما تخذل يكون كلُّ شيء ضدك، حتى سلاحك، وهذا ما حدث في سبعة وستين، كان سلاحنا ضدنا لم ننتفع به، وإنَّما حين يأتيك النصر يكون

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، واللفظ له، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الحجر والشجر والأرض والسماء والملائكة والناس وكل شيء معك، وفوق هذا كله يكون الله تبارك وتعالى معك، ومن كان الله معه فلن يضيع، من نصره الله فلن يغلب: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

الطريق إلى القدس:

الطريق إلى القدس هو طريق الإسلام، إسلامية القضية أمر ضروري، وليس معنى طريق الإسلام، أن نقبع في المساجد والزوايا ونقول: يا رب انصرنا على اليهود، يا رب رد لنا فلسطين! لا، ندعو الله نعم، ولكن القرآن الكريم علمنا أنَّ الذين يدعون الله بالنصر إنَّما يدعونه وهم في قلب الميدان، ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

لما تبارز الأعداء والتقى الجمعان وجهًا لوجه قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. طريق الإسلام ليس مجرد الدعاء، لا بدَّ من الدعاء، والدعاء سلاح، لا بدَّ من الدعاء، وكما قال قطز: نحن نريد أن يدعو لنا المسلمون في كل مكان، فهذه قوة روحية هائلة، إنَّما نريد أن ننصر فلسطين لا بمجرد الدعاء والذكر، بل بالإعداد، لا بدَّ من الإعداد، والإعداد ما استطعنا من قوة، لم يطلب الله منا أن نعدَّ ما أعد الأعداء، لم يقل هذا، إنَّما قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]. إذا استطعت أن تحارب بالحجارة فحارب بالحجارة، بزجاجات الملوتوف، اضرب الملوتوف، ما تستطيع، المهم ألا تستسلم، لا بدَّ من العمل.

QaradawiBooks.com

طريق الإسلام ـ قبل كل شيء ـ طريق تكوين: تكوين الإنسان، تكوين الجندي، تكوين المناخ الصالح، تكوين الأمة المقاتلة، تكوين التربية، وهي تربية طويلة المدى، عميقة الجذور، عديدة المراحل؛ كي تربي أجيالًا جديدة، أجيالًا تستعلي على الشهوات، تعلو على الطين والتراب والحمأ المسنون، أجيالًا جديدة تعفُّ عما تعارف عليه الناس من متاع الدنيا! نحن في حاجة إلى تربية هذه الأجيال، ولا نربيها إلا بالإيمان، نريد صحابة جددًا، هذا هو طريق الإسلام الذي نريده، وقد بدأ والحمد لله.

بدأنا نرى في أبناء فلسطين في الأرض المحتلة، حتى في المحتلة سنة (٤٨) أصبحنا نراهم في أم الفحم والقرى التي استعاد فيها المسلمون هويتهم وذاتيتهم، ورجعوا إلى ديارهم، رجعوا إلى أصولهم وجذورهم، هذه هي الخطوة الصحيحة، هذا هو الطريق الصحيح.

جيل الحجارة الذي عُرف بجيل الانتفاضة يجب أن يبدأ من المسجد، يجب أن يكون الشعار: لا إلٰه إلا الله والله أكبر، وأنَّ العلم الذي يجب أن يرفع يجب أن يكون: هو المصحف، وأنَّ الأمنية التي يجب أن تسبق كلَّ الأماني: هي الشهادة في سبيل الله، هذا ما يجب أن يكون، وهو ما نراه في هؤلاء الفتية الجدد، وما نراه من الأمهات المحجبات، وما نراه من الفتيات الصالحات، كل هذا يبشِّرُ بخير.

نحن إن شاء الله لن نيئس، نحن مقبلون على جهاد جديد، نسأل الله ﷻ أن ينتصر هذا الجهاد على المؤامرات التي تُحاك له هنا وهناك في الداخل والخارج، نسأل الله أن يستمر هذا الجهاد، ولا يتوقف ولا يجهض، نسأل الله أن يستمر هذا المد القوي الإسلامي ولا تزعزعه العواصف.

QaradawiBooks.com

وإذا استمر هذا المدد وهذا الزحف، فإننا واصلون إلى اليوم الذي يقول فيه الحجر والشجر: يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله.

وإن لهذا اليوم لمنتظرون، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابة أسئلة المحاضرة

السؤال الأول:

ما واجبنا نحن الشباب نحو فلسطين؛ رغم أنَّه في جوازاتنا استثناؤها من جميع الأقطار أن نأتيها؟

الجواب: نسأل الله العلي القدير أن ندخلها محررين لها، ولكن الواقع الآن يمنع دخول الفلسطينيين في الداخل من دخول القدس، فالأمر كما قلنا أنَّ القضية قضية إسلامية، ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، وأنا قلت في بعض الأحيان: لو أنَّ الفلسطينيين أنفسهم خانوا قضيتهم وفرطوا فيها، لوجب على المسلمين جميعًا أن يقاتلوا؛ حتى لو تخاذل الفلسطينيون أنفسهم؛ لأنَّ القضية قضية كل مسلم، ولذلك يجب أن ندعم الجهاد الفلسطيني، ندعمه بكل ما نستطيع، قد يكون الدعم بالمال، الشباب الذين أقاموا هذا المعرض أقاموه بالتبرعات، والتجار الذين تبرعوا بالسلع المعروضة: هذا عمل طيب، والذين يشترونها ويرجونها عمل طيب، والذي يقول كلمة خير أو يدل عليه ويدعو له عمل طيب، كل هذا عمل، وكل هذا جهاد، المهم أن تظلَّ القضية حاضرة في قلوبنا، ألا تموت في ضمائرنا، أن تظل الجذوة مشتعلة، لا نريد أن تتحول الجمرة إلى رماد، هذا هو المهم، كن مع إخوانك ولو بالدعاء، قل: اللهم انصرهم، حتى يأتي الأوان الذي تستطيع فيه أن تذهب أنت.

في وقت من الأوقات وجدت الفرصة وذهب من ذهب من الشباب إلى فلسطين، وقد حضرنا هذا الوقت ونحن طلاب في المرحلة الثانوية، وذلك عندما دعا الداعي للتطوع لفلسطين، وقد حكيت من قبل في

QaradawiBooks.com

خطب الجمعة عن الأخ عبد الحميد البتانوني، أخ وزميل وصديق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان معنا طالبًا في معهد طنطا الديني، وكان حلمه أن يذهب لفلسطين، وكان يتيم الأب، تحبه أمه محبة عظيمة، وعندما استأذنها ليذهب للجهاد، لم تأذن له، ورجانا أن نسافر لمقابلة أمِّه والاجتهاد في إقناعها، وفعلًا ذهبتُ أنا وأخي الدكتور أحمد العسَّال إليها في بلده «كَفْر البَتَانُون»، وقصصنا عليها من قصص أمهات المجاهدين ما ليَّن قلبها، وجعلها توافق على سفره للجهاد، ودموعها تجري على خدودها.

وكذلك ذهبنا من طنطا إلى القاهرة من أجل أن نطلب من الإمام البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يستثنيه من أجل الذهاب إلى فلسطين، حيث إنَّه لم يكن يؤذن لطلاب المرحلة الثانوية في الخروج للجهاد؛ وذلك لصغر سنهم، ومن أجل استكمال دراستهم، ولم يوافق الإمام البنا في البداية، ثم انشرح صدره، واقتنع، ووافق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فخرج مع المجاهدين، وشاء الله أن يرزقه الحياة، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، نال الشهادة والحياة معها بعد أن فجر مع ثلاثة من إخوانه مصنعًا للذخيرة في معركة عصلوج.

فعندما يأتي الوقت تستطيع أن تذهب؛ أمَّا الآن فعليك بما تستطيع من تقديم العون المادي والمعنوي لهذه القضية، من التبرع ودعوة الآخرين، والدعاء لهم بالنصر المبين.

وهذا واجب الجميع، كل فرد في هذه الأُمَّة يقف على ثغرة من ثغرات الإسلام، أنت على ثغرة من ثغرات الإسلام فلا يؤتين من قبلك.

والحمد لله، الآن القضية الفلسطينية والانتفاضة أصبح لها زخم، وتأييد كبير في العالم الإسلامي، في كل مكان نجد هذا التأييد.

QaradawiBooks.com

ونحن كنا مجتمعين في الهيئة العالمية الخيرية في الكويت، وقررت الهيئة بالتبرع فورًا بمئتي ألف دينار كويتي لتذهب إلى داخل الأرض المحتلة، وفعلًا ذهبت بواسطة قنوات معلومة لمن قاموا بهذا الأمر.

فكل مؤسسة من المؤسسات، وكل جهة من الجهات، يجب أن تحاول أن تعمل شيئًا من ذاتها، حتى لا ندع هؤلاء وحدهم، هؤلاء الذين يقاتلون، طبعًا منهم من استشهد وترك أسرة، ومنهم الجريح، ومنهم الذي كُسِّر، ومنهم الذين داخل السجون، ومنهم من فُصل من عمله، ومنهم من خسر تجارته، ومنهم الذي تعطَّل محله، ومنهم من احترق بيته، ومنهم ومنهم، كل هؤلاء في حاجة إلى العون والمساعدة، فعلينا أن نساعد الإخوة القائمين على هذا المعرض بالتبرعات، والدعوة إلى التبرعات، وبالقلب وباللسان، وبالدعاء حتى يأتي يوم النصر، وإنه لقريب إن شاء الله.

السؤال الثاني:

الشهيد نور الدين محمود لم يبتسم؛ لأنَّ هناك ثغرًا من ثغور الإسلام محاصر، والآن هناك دول إسلامية محتلة مثل فلسطين وأفغانستان، فكيف تقول: إنَّ الجهاد فرض كفاية؟

الجواب: المشكلة أيها الإخوة ليست في الجهاد هل هو فرض عين أم فرض كفاية، الإخوة فهموا الكلام خطأ، الجهاد فرض عين وفرض كفاية، الجهاد ـ بمعنى القتال وأنك تحمل السلاح وتذهب إلى فلسطين وأفغانستان ـ هذا فرض كفاية، وفرض عين على أهل البلاد.

وإنَّما فرض على كل مسلم مساعدة ومساندة الجهاد الإسلامي، ليس المهم الآن أن تذهب إلى فلسطين، إنَّما المهم أن تساند هذا الجهاد بكل ما تستطيع من أجلهم، فالذي أقام هذا المعرض ساند الجهاد، هذا

QaradawiBooks.com

ما نملكه الآن في أيدينا، ولكن لا أستطيع أن أطلب من كل المسلمين أن يذهبوا إلى فلسطين، ولا من كل المسلمين أن يذهبوا إلى أفغانستان، والمجاهدون في فلسطين وأفغانستان لا يحتاجون أن يذهب إليهم كل المسلمين، هم فقط يحتاجون إلى كفاءات معينة، وهم عندهم من الرجال المجاهدين الكثير والحمد لله، ولكن إذا فتح الباب للجهاد فليذهب من يريد، ولا نسدُّ الباب.

ولكن للأسف بعض الإخوة يريدون أن نعالج الأحكام الشرعية بطريق الخطأ؛ وذلك بأن نبدل الأحكام الشرعية.

ومثال ذلك ما حدث لي عند بعض الناس، الشائع عند الناس أنَّ الرجل إذا أتى امرأته في دبرها تطلق، وكنت أكتب فتوى فقلت: لا تطلق، لقد أتى فعلًا حرامًا فقط، وقد جاء في الحديث: ملعون من فعل ذلك[1]، لكن المرأة لا تطلق، فكتب إليَّ يقول: هذا الاعتقاد بالطلاق شيء مهم جدًّا؛ لأنَّ الناس إذا فهموا ذلك لن يقدموا على هذا الفعل، يعني يريد مني أن أبدل أحكام الشرع حتى أمنع إتيان المرأة من دبرها، لا، أنا لا أبدل حكم الشرع في هذا، ولا في قضية الذهاب إلى فلسطين وأفغانستان، فالجهاد فرض كفاية في وقت، وفرض عين في وقت آخر، والأحكام الشرعية يجب أن توضع في مراتبها، كل حكم له وقته، في وقت معين يكون الجهاد فرض عين، وفي وقت معين يكون الجهاد فرض كفاية، وعلى أناس معينة فرض عين، وعلى أناس معينة فرض كفاية، وهكذا، نحن نقول للفلسطينيين داخل

(١) رواه أبو داود في النكاح (٢١٦٢)، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٨٩٦٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الأرض: الجهاد عليكم فرض عين، وكذلك من يستطيع أن يتسلل إليهم من خارجها فهو في حقه فرض عين، وفرض على المسلمين جميعًا في أي مكان من الأرض أن يساندوا الجهاد، كيف يساندوه؟ كما قلنا من قبل بالمال إذا استطاعوا، وبالسلاح إذا استطاعوا أن يوصّلوا إليهم سلاحًا.

الدول العربية والإسلامية عليهم دور كبير بالنسبة للفلسطينيين، يجب أن يفعلوا من أجلهم شيئًا، هذا أمر مطلوب منهم: مطلوب على المستوى السياسي والإعلامي، حتى نستطيع أن نصل إلى ما وصل إليه العدو من قوة، نحن في مجال الإعداد ينقصنا الكثير، والقضية التي حدثت في تونس في الفترة الأخيرة خير شاهد على ذلك، كيف خطط اليهود لهذا الأمر، وكيف نفذوه؟ أنت تحارب عدوًّا شرسًا، والأمر معه ليس أمر عدد، الأمر أمر إعداد وتخطيط.

نحن نريد إعدادًا وتخطيطًا على كل مستوًى، هذا ما نريده.

أمَّا أن تقول نغير الأحكام، ليست هي القضية، الشيء الذي لا خيار لنا فيه، ولا يمكن أن نفرط فيه، أن مساندة الجهاد الأفغاني، ومساندة الجهاد الفلسطيني، ومساندة الجهاد الفلبيني، ومساندة أي جهاد في العالم فرض على المسلمين، وأنَّ العمل لإقامة حكم الإسلام أيضًا فرض على المسلمين.

هل الجهاد فقط من أجل تحرير أرض الإسلام؟ الجهاد فرض لتحرير أرض الإسلام ولإقامة الحكم الإسلامي، لماذا نحرر أرض الإسلام؟ من أجل أن نقيم فيها حكم الله! حكم الله ضائع في معظم البلاد، ويقوم مقامه أحكام علمانية؛ فالجهاد الذي غايته إعلاء كلمة الله، وإقامة الشريعة

QaradawiBooks.com

الإسلامية، فرض على كل مسلم، هذا يجاهد بالقلم، وهذا يجاهد باللسان، وهذا بالفكر، وهذا يجاهد بالمال، وهذا يجاهد بالبدن، كل واحد يعمل، ألوان الجهاد المطلوبة منا كثيرة، ذكرها ابن القيم في زاد المعاد وجعلها ثلاث عشرة مرتبة[1]، فكل واحد ينظر في أي مراتب الجهاد هو وماذا يخصه منها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) انظر: زاد المعاد (٣/٥ ـ ١١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

٥

أزمة الخليج[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلوات الله وسلامه على مَنْ أرسله ربُّه رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أمَّا بعد)

فلا يستطيع الإنسان في هذه الظروف الرعيبة والرهيبة التي تمر بأمتنا: أن يتحدث دون أن يُعرِّج على هذه المحنة أو الكارثة، التي حلَّت بهذه الأُمَّة في غفلة من الزمن، وتتابع من المحن، المحنة التي يسمونها «أزمة الخليج»!

(١) ألقيت هذه المحاضرة بالدوحة في نهاية عام ١٩٩٠م. بعد غزو العراق للكويت، وبعد المشاركة في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي الذي انعقد في مكة، قبل قيام حرب الخليج.

QaradawiBooks.com

محن عديدة يعيشها المسلمون:

كُتِب علينا أن نصنع لأنفسنا أزمة، هناك أزمات ومحن ومآسٍ كثيرة صنعها أعداؤنا، هناك محنة فلسطين وانتفاضتها التي دخلت منذ قريب في عامها الرابع، وهناك أزمة أفغانستان وجهادها الشجاع، الذي بيَّض وجه المسلمين، والذي لا يزال يكافح ويبذل ويضحي إلى الآن حتى يطهر أرض الإسلام من أولئك الحُمُر الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم، وهناك محن لإخوتنا في أماكن كثيرة يجاهدون أعداء من غير المسلمين، الإخوة في الفلبين، والإخوة في كشمير، والإخوة في إريتريا، والإخوة في أماكن شتى.

المحنة لم تنشأ من عدم:

ولكن هذه المحنة ـ محنة الخليج كما يسمونها ـ محنة بين أبناء المسلمين بعضهم وبعض، كنا في حاجة إلى أن نوفر جهودنا وأوقاتنا وأموالنا لهذه المحن الطويلة، التي مضت عليها سنون وسنون، ولكن جاء من شغلنا بأنفسنا فأصبحنا نبذل جهودنا وأموالنا وأوقاتنا، لا لنقاتل عدوًّا من غيرنا من اليهود أو من النصارى أو من الملاحدة، ولكن ليقاتل بعضنا بعضًا، أو هكذا ما يُخشى ويُتصور.

محنة أي محنة التي نعيش فيها هذه الأيام، وهذه المحنة لم تنشأ من عدم، وإنَّما نشأت؛ لأنَّ في حياة المسلمين خللًا، ولأنَّ في الوجود الإسلامي فراغًا، هذا الخلل وهذا الفراغ أدى إلى وقوع هذه الكارثة.

الخلافة الإسلامية:

كان للمسلمين نظام يجسد وحدتهم، ويجمع أمتهم، هذا النظام عُرِف في تراث المسلمين باسم «الخلافة»، الخلافة ليست مجرد حكم بالشرع

QaradawiBooks.com

أو حكم بالإسلام، ولكنَّه حكم الأمة الواحدة بالإسلام، إنَّها الوحدة الإسلامية تحت راية العقيدة، وهي تجمع إسلامي تحت قيادة موحدة.

هذا النظام ظل سنين وقرونًا معمولًا به منذ توفي رسول الله ﷺ، حتى إنَّ الصحابة قدموا هذا على تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه، أرادوا أن يفرغوا من هذه المهمة قبل كل شيء، وألا يعيشوا بغير خليفة، هذا النظام الإسلامي والذي جاء فيه الحديث الصحيح: «**من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية**»[1].

هذا النظام الذي يقوم على وحدة دار الإسلام، أنَّ للمسلمين دارًا هي دار واحدة تتعدد أقاليمها، وتتعدد ألسنة أهلها، ولكنها دار واحدة اسمها «دار الإسلام»، وطن واحد، هذا هو الأصل الإسلامي.

كما يقوم هذا النظام على وحدة القيادة، توجد ولايات لها اختصاصاتها، ولكلٍّ منها ظروفه الخاصة؛ لأنَّه نظام لامركزيّ من ناحية الولايات، تؤخذ الزكاة من أغنياء كل إقليم لترد على فقرائه، ولكن حينما يستغني إقليم تنتقل الزكاة من هذا الإقليم إلى أقرب الأقاليم حاجة، أو إلى الدولة المركزية، وحينما توجد حالة عامة مثل جهاد في سبيل الله أو نحو ذلك؛ فهنا يمكن أن توفر حصائل الزكاة كلها، لتذهب إلى الإمام حتى ينفقها في المصلحة الإسلامية العامة.

هذه هو نظام الخلافة الإسلامية، نظام الأمة الواحدة، والقيادة الواحدة، والدار الواحدة، وهذا هو المنطق الطبيعي لأمة ربها واحد، ونبيها واحد، وكتابها واحد، وقبلتها واحدة، وشعائرها واحدة، وشريعتها واحدة، فلا عجب أن تتوحد سياستها، ويتوحد نظامها، وتتوحد قيادتها.

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥١)، عن ابن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كمال أتاتورك وإلغاء الخلافة:

ظل هذا النظام يحكم المسلمين إلى سنة (١٩٢٤م). حتى جاء هذا الرجل العلماني كمال أتاتورك، الذي ظنه المسلمون في أول الأمر أحد أبطال الإسلام، كانوا يسمونه «الغازي مصطفى كمال»، الغازي: أي المجاهد، وكان إذا انتصر في معركة هلل المسلمون وكبروا، وأُنشئت القصائد، واحتفل الناس في الجوامع وفي كل مكان؛ يظنونه انتصارًا للخلافة الإسلامية، وللأُمَّة الإسلامية، وللدولة الإسلامية، حتى أنشأ أمير الشعراء شوقي في مصر قصيدته الشهيرة بعد انتصار أتاتورك في إحدى المعارك يقول:

الله أكبرُ كَمْ في الفتحِ من عجبِ يا خالدَ التُّركِ جدد خالدَ العربِ[1]

هكذا كان يقول شوقي، وكان الناس يظنون أنَّ هذا الرجل جندي جاء ينصر الإسلام في أيام الضعف، ولا يدرون ماذا يخبئ وراءه، حتى فاجأ الناسَ بإلغاء الخلافة الإسلامية، وتهديم هذه القلعة التاريخية، وهتك تلك المظلة التي أظلت الأمة تحت راية «لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله».

محاربة كل ما هو إسلامي:

ولم يكتفِ بهذا، بل ألغى كل ما هو إسلامي، ألغى الشريعة الإسلامية، حتى قوانين الأسرة التي يسمونها «قوانين الأحوال الشخصية»، هذه التي بقيت في بلاد الإسلام تمثل شيئًا للمسلمين، تمثل تذكيرًا بالتشريع الإسلامي والقانون الإسلامي، حتى هذا لم يبقه للمسلمين، لأنَّه منع الطلاق، وألغى تعدد الزوجات، وسوى بين الذكر والأنثى في الميراث، وأجاز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم، فلم يُبقِ شيئًا.

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حتى الـــزي فرض على الناس أن يلبســـوا القبعـــة (البرنيطة)، حتى المشايخ لا يجوز لهم أن يلبسوا العمامة ولا الجبة، كل واحد من الأئمة والخطباء له جبة وعمامة معلقة داخل المســـجد، لا يجوز أن يمشي بها في الطريق، وإلى الآن، لأنَّه لا يزال دستور أتاتورك معمولًا به، والمرأة لا يجوز لها أن تتحجب، مـــع أنَّ الأصل في النظـــام العلماني أنَّه نظام محايد يقوم على إتاحة الحرية الشـــخصية، فلا تتدخـــل الدولة في حياة الناس، ولكن هذه ليســـت مجـــرد علمانية، لا، بل هناك عـــداء للدين، لا يجوز لامرأة أن تتحجب وتلبس الثياب المحتشمة!

حتى الحـــروف العربية التي كانـــت تُكتب بها اللغـــة التركية، كانت التركية مثل كثير من لغات المســـلمين في آســـيا وأفريقيا، مثل الفارسية والأردية والماليزية وغيرها، كانت تُكتب بالحروف العربية، فأراد أتاتورك أن يعزل الأجيال القادمة والصاعدة عن تراثها الممزوج بالإســـلام؛ فألغى الحرف العربي، وأصبحت اللغة التركيـــة تُكتب بالحروف اللاتينية، فكل الكتب وكل التراث الإسلامي التركي المكتوب بالحروف العربية أصبح شيئًا من الطلاسم والألغاز، لا يستطيع الجيل الجديد أن يقرأ منه شيئًا.

دول وتجمعات وكيانات صغيرة:

وهكذا زالت هذه الخلافـــة التي كانت تجمع المســـلمين، ولذلك قامت هذه الدول والكيانات الصغيرة، تحت اسم الإقليمية أو الوطنية أو نحو ذلك، وكان هذا من صنع الاستعمار الذي مزَّق بلاد المسلمين شر ممزق، حتـــى يســـتطيع أن يأكلها، وحتى يســـهل عليـــه ابتلاعها، أنت لا تستطيع أن تأكل رغيفًا لقمة واحدة، ولكن لكي تأكله لا بدَّ أن تقسمه إلى لقيمات، فهكذا مزق هؤلاء الأمة الواحدة إلى أمم.

QaradawiBooks.com

وللأسف نجد من يقول: الأمم الإسلامية. مع أنَّه لا يجوز أن نقول: أمم إسلامية. هي أمة ذات شعوب إسلامية، ولكنها أمة واحدة، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، فهي أمة وليست أممًا، ولكن هؤلاء مزقوها وجعلوها أممًا: يجافي بعضها بعضًا، ويعادي بعضها بعضًا؛ بل يقاتل بعضها بعضًا، بل يقتل بعضها بعضًا!

نتيجة غياب نظام الخلافة:

كانت نتيجة غياب نظام الخلافة، وغياب وحدة دار الإسلام، وغياب القيادة المركزية أن حدث ما حدث في الخليج، لو كانت هناك خلافة إسلامية، وكانت دار الإسلام دارًا واحدة ما كان هناك مجال لأن يتقاتل الناس على حدود! لو كانت هناك وحدة إسلامية ما اقتتل المسلمون على حدود، لأنَّ الأصل أن يكونوا أجزاء من كل، أن يكونوا حُجَرًا أو بيوتًا من دار واحدة، هذا هو الأصل أن تكون شعوب لأمة واحدة، فلا يتقاتل الناس.

كما لا يكون هناك مجال للكلام عن الغنى والفقر والاستئثار بالثروة؛ لأنَّ الثروة ستكون للأُمَّة كلها في ذلك الوقت، ليست للمكان الذي ظهرت فيه، افترض أنَّه ظهر فيه معدن أو غاز، أو نفط أو يورانيوم، أو أي شيء، ليست المنطقة التي يظهر فيها الذهب الأسود أو الأبيض أو الأصفر يكون ملكًا لهذه المنطقة وحدها.

هل المنطقة الشرقية في السعودية تملك ما فيها دون بقية المناطق؟ لا، هو للجميع، فلو فُرض أنَّ الأمة الإسلامية أمة واحدة، ودار الإسلام قائمة، والخلافة الإسلامية قائمة، أي منطقة تظهر فيها ثروة تكون هذه الثروة للأمة، صحيح المنطقة التي بها الثروة تكون أوفر حظًّا وأكثر رفاهية بطبيعة

QaradawiBooks.com

الحال، حتى في الولايات المتحدة وغيرها تجد بعض المناطق أحسن من بعض، لوجود ثروات في منطقة أكثر من منطقة، ولكن أيضًا المنطقة التي تكون فيها ثروات تكون مصدر جذب للناس فيتكاثرون عندها، الناس يهاجرون من المنطقة المقفرة، ويبحثون عن المنطقة الخصبة.

عدم وجود بديل عن نظام الخلافة:

من هنا نقول: لو كان الدين الذي يحكمنا هو الإسلام والمنطق الإسلامي، والحكم الإسلامي والخلافة الإسلامية: ما حدث ما حدث، هذا كله نتيجة غياب النظام الإسلامي، لأنَّ نظام الخلافة زال ولم يوجد له بديل للأسف، زالت الخلافة، فما البديل عنها؟ المسلمون حينما زالت الخلافة زُلزلوا زلزالًا شديدًا، حينما أسقط كمال أتاتورك هذا النظام قامت الدنيا ولم تقعد في العالم الإسلامي عن بكرة أبيه: في مشرقه ومغربه، وشماله وجنوبه، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي؛ سجل ذلك في قصيدته الحائية الشهيرة، يقول مخاطبًا الخلافة:

عادت أغاني العرسِ رجعَ نواحِ ... ونُعيتِ بين معالمِ الأفراحِ
كُفِّنْت في ليلِ الزفافِ بثوبهِ ... ودُفِنْت عند تَبَلُّج الإصباحِ
ضَجَّتْ عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ ... وبَكَتْ عليك ممالكٌ ونَواحِ
الهندُ والهةٌ ومصرُ حزينةٌ ... تبكي عليك بمدمعٍ سَحَّاحِ
والشامُ تسألُ والعراقُ وفارسٌ ... أمَحَا مِنَ الأرضِ الخلافةَ ماحِ[1]

كان إسقاط الخلافة مصيبة، زُلزل المسلمون وبدؤوا يقيمون مؤتمرات ويبحثون: أين تقوم الخلافة؟ وأين تذهب؟ ومن البديل؟

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٠٥، ١٠٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكانوا يعتقدون أنَّه لا يجوز أن يبقى المسلمون بدون خلافة؛ لأنَّ هذا هو المستقر في أذهانهم، ولكن للأسف كانت المؤامرات أكبر منهم، ولم يستطيعوا أن يوجدوا البديل، وظلوا هكذا متمزقين إلى دول ودويلات كما نرى، وانتهى الأمر إلى ما صرنا إليه.

الخلافة سلطة دينية سياسية:

وما صرنا إليه هو نتيجة لغياب هذا النظام، أنَّ الخلافة ألغيت ولم يستطع المسلمون أن يفعلوا شيئًا، لم يوجدوا بديلًا للخلافة، وخاصة أننا نحن المسلمين لا يوجد عندنا سلطة دينية، فالخلافة عندنا سلطة دينية سياسية كما عرفها العلماء بأنها: نيابة عامة عن رسول الله ﷺ في إقامة الدين وسياسة الدنيا به[1].

هذه هي الخلافة نظام ديني اجتماعي، سياسي ثقافي شامل، فليس عندنا بديل، وليس عندنا سلطة يمكن أن تقوم ببعض هذا الأمر، ليس عندنا سلطة كهنوتية دينية، عند الآخرين شيء من هذا، مثل النصارى ليس عندهم نظام خلافة ولكن عندهم سلطة دينية، تستطيع أن تناديهم في الملمات أن يجمعوا شملهم، أن يفعلوا كذا، فلها على الأقل اعتبار روحي، سلطة البابا كما نسميها.

ولكن للأسف كما قلت مازحًا: ليس عند المسلمين بابا، ولا حتى ماما! أَضْيع من الأيتام في مأدبة اللئام، ولذلك من كان عنده قوة يصول ويجول، ويعتدي ويضم الأراضي! ولا يوجد عندنا للأسف نظام يستطيع أن يردع المعتدي، لا توجد عندنا محكمة عدل إسلامية، ذهبت الخلافة

(١) انظر: النظريات السياسية الإسلامية للدكتور ضياء الدين الريس صـ١٢٥، نشر دار التراث، القاهرة، ط٦، ١٩٧٦م.

QaradawiBooks.com

والخليفة، فعلى الأقل نعمل محكمة فيما بيننا تفض النزاع بين المختلفين، لا توجد عندنا هذه المحكمة، إذا اختلفنا نشتكي إلى الآخرين، كما قال الشاعر خالد الجرنوسي رَحِمَهُ اللَّهُ:

في كلِّ محكمةٍ قضيةُ مسلمٍ يشكو بليتَهُ لغيرِ المسلمِ
ومن البلية أنَّ حزبَ محمدٍ يرعاهمو في الأرضِ حزبُ جهنمِ[1]

هذه هي المصيبة، فليس عندنا محكمة تفصل في النزاع، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في الأمور البسيطة، في الخلاف العائلي داخل الأسرة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]. يجب أن تكون هناك محكمة عائلية تمثل الطرفين، وتفصل في النزاع، وتحاول التوفيق.

ونحن لا يوجد عندنا هذه المحكمة في النزاعات الكبيرة، هناك نزاعات بين البلاد الإسلامية بعضها وبعض، لا يكاد يُوجد بلد إلا وهناك نزاع على الحدود بينه وبين البلد الآخر، مع أنِّي ما وجدت حدودًا حقيقية بين البلاد بعضها وبعض، ذهبت في سنة (١٩٥٢م). من لبنان إلى سوريا، وفي الطريق قالوا: قف؛ هنا الحدود. قلت: أين الحدود؟ أنا أرى المكان هو المكان، والجبل هو الجبل، والناس هم الناس! قالوا: هذه هي الحدود. وذهبت أيضًا في سنة (١٩٥٦م). إلى رفح، ورفح قسمين: قسم لمصر، وقسم لفلسطين، رفح المصرية ورفح الفلسطينية، ما الفاصل؟ وجدت الفاصل خشبة كالتي نراها في السوق، فوضعت رجلًا هنا ورجلًا هناك، وقلت: هل أنا هكذا أقف في البلدين معًا؟! قالوا: نعم. أشياء غريبة!

(١) البيتان للشاعر خالد الجرنوسي، في قصيدة ألقاها بدار الشبَّان المسلمين، في يوم كشمير.

QaradawiBooks.com

أزمة الخليج من نتائج غياب النظام الإسلامي:

نحن في الواقع مُزِّقنا شر ممزق، وأصبحنا نتقاتل على هذه الأشياء، فلا عجب أن تحدث أزمة الخليج نتيجة هذا الغياب للنظام الإسلامي، لا توجد محكمة تفصل في النزاعات، ولا توجد قوة لردع الباغي إذا بغى، الأخ قرأ الآيات من سورة الحجرات: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]. طبعًا هذا ليس واردًا في قضية الخليج، بعض الناس يستشهدون بأول هذه الآية، وأنا أقول: هذه الآية لا توجد هنا؛ لأنَّه لا توجد فئتان اقتتلتا، وإنَّما توجد فئة قتلت فئة، فالإصلاح لا يأتي هنا، إنَّما بقية الآية هي الحكم في هذا الموضوع، ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، فهل عندنا نحن المسلمين قوة تردع من بغى؟ للأسف لا توجد عندنا قوة تردع الباغي، لِمَ هذا؟ ما هذا الضعف، وما هذا الهوان؟ ألا توجد عندنا قوة تستطيع أن تقول للمعتدي: قِفْ عند حدك، أو ارجع إلى مكانك؟! فعندما وقعت الواقعة للأسف لجأنا إلى غيرنا، لأننا لا نستطيع أن ندافع عن أنفسنا، كل هذا بيَّن لنا أن في حياتنا خللًا، وأن في وجودنا فراغًا، وهذا الخلل يجب أن يُعالَج، وهذا الفراغ يجب أن يُملأ.

يجب أن نستفيد من هذه المحنة:

والمفروض أن تنتفع الأمم بالأحداث التاريخية، حتى النكبات والمصائب يمكن أن تكون ذات فائدة، فكما يقولون: رُبَّ ضارة نافعة، وكم من منحة في طي محنة. فكان علينا أن نستفيد من هذه المحنة وهذه الأزمة وهذه المصيبة، ونراجع أنفسنا نحن المسلمين، إلى متى تظل هذه الأُمَّة الإسلامية ممزقة؟!

QaradawiBooks.com

العالم يتقارب بعضه مع بعض، ويتضام ويتكتل، فنحن في عالم يتكلم الآن بلغة التكتل والتجمع والتضام، ويبذل في ذلك ما يبذل، انظروا ماذا بذلت ألمانيا الغربية لكي تعيد ألمانيا الشرقية إلى حضن أمها ويصبح البلدان بلدًا واحدًا؟ بذلت عشرات المليارات ولم تبالِ بها؛ تريد أن تصبح بلدًا كبيرًا، وليست ألمانيا وحدها، أوروبا كلها أصبحت الآن وحدة اقتصادية، وأوشكت أن تكون وحدة سياسية؛ رغم ما بين بعضها وبعض من ثارات وصراعات قديمة، وحروب طال عليها الأمد، واختلافات عرقية ولغوية ودينية: هذا بروتستانتي، وهذا كاثوليكي، وهذا أرثوذكسي! كل هذا زال، حتى في روسيا انتهى الخلاف الأيديولوجي، وأصبح الكل الآن يتضام بعضه مع بعض.

المسلمون وحدهم الذين يتفرقون:

نحن المسلمين وحدنا الذين لا زلنا لا نقدر هذا الأمر حق قدره، لا زلنا أجزاءً متناثرة مبعثرة، لم نستفد من الدرس كما ينبغي، للأسف أشمتنا أعداءنا بنا. اللادينيون والعلمانيون والماركسيون أصبحوا يستغلون الموقف الآن ضد الإسلام، وضد التيار الإسلامي، وضد دعاة الإسلام. بعضهم صار يسخر من علماء الإسلام للأسف، وأنا قلت هذا في المؤتمر الذي عقد في رابطة العالم الإسلامي، قلت: إنَّ أعداءنا يريدون أن يسخروا منا ويشمتوا بنا.

موقف علماء المسلمين:

بعضهم يقول: أين علماء الإسلام؟ أين علماء الإسلام؟ علماء الإسلام لا موقف لهم، إنَّ علماء العراق مع العراق، وعلماء الأردن مع الأردن، وعلماء مصر مع مصر، وعلماء السعودية مع السعودية،

QaradawiBooks.com

العلماء مع السلطة، العلماء ليس لهم موقف. وهذا شيء لا نقبله، أي عالم مخلص، أي داعية يريد أن يكون جنديًّا لدين الله لا يقبل بهذا، ولذلك لا بدَّ أن يكون للعلماء موقف، والموقف الحقيقي أن نقول للمحسن: أحسنت. وللمسيء: أسأت. وأن نستفيد من هذا الوضع الذي نحن فيه.

نحن في مصر منذ أوائل هذه الأزمة اجتمعنا مجموعة من العلماء المسلمين المصريين، وأصدرنا بيانًا أدنا فيه الجريمتين: أدنا جريمة غزو الكويت واحتلال الكويت، وما صحب ذلك من نهب للأموال، وسفك للدماء، وانتهاك للحرمات، وترويع للآمنين، إلى آخره، وهذه ولا شك الجريمة الأصلية والأولى.

وأدنا أيضًا الجريمة الثانية المتمثلة في الوجود الأجنبي، ولكن قلنا: إنَّ الجريمة الثانية فرع عن الجريمة الأولى. هذه السبب، وهذه النتيجة، والذي يتحمل النتيجة هو الذي بدأ، والبادئ أظلم، ولكن ينبغي أن نستفيد من هذا بأن نراجع أنفسنا، نقر الشورى في حياتنا، تكون قاعدة أساسية من قواعد الحياة، نقر حرية الإنسان وكرامة الإنسان، وكرامة الفرد، يكون هناك حرية التعبير، وحرية التجمع واللقاء، يكون هناك عدالة سواء في توزيع الثروة أو في ممارسة السلطة، إعادة مراجعة النفس، المفروض على الناس حينما تنزل بهم المصائب أن يراجعوا أنفسهم، سواء على مستوى الفرد، أو على مستوى الجماعة.

الناس ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: يعرف الله في الرخاء فيعرفه في الشدة، كما قال

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس: «**يا غلام، إنِّي أعلمك كلمات: احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[(١)]. هذا هو الصنف الأول.

والصنف الثاني: هو الذي ينسى الله ساعة الرخاء، ولكن عندما تنزل به الشدائد يقول: يا رب. كما يقولون في المثل: «المراكبي لا يعرف الله إلا ساعة الغرق». كالذين حكى الله عنهم في القرآن: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢]. وهم مشركون، ولكن عند الشدة ذاب الطلاء الكاذب، وذهب الشرك وعاد الإنسان إلى فطرته، وفطرته هي التوحيد ولذلك يقول: يا رب. ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾ [الزمر: ٨]، صحيح حينما يزول الضر ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ [الزمر: ٨]، ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣]، هذا هو الصنف الثاني الذي ينسى الله في الرخاء ويعرفه في الشدة.

والصنف الثالث: هو الذي لا يعرف الله لا في الرخاء ولا في الشدة، تنزل به المصائب ومع هذا لا يقول: يا رب. يظل تاركًا للصلوات، متبعًا للشهوات، يظل كما هو بين الموائد الخضراء، والليالي الحمراء، والمصائب السوداء، هذا الصنف الذي تنزل به المصيبة ولا يتنبه من غفلة، ولا يصحو من سُكْر، ولا يفيق مما هو فيه.. هذا لا يستحق الحياة،

---

(١) رواه أحمد (٢٨٠٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والطبراني (٢٢٣/١١)، وهو الحديث التاسع عشر من أحاديث الأربعين النووية، عن ابن عباس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٢ ـ ٤٥]. شر الأصناف هو هذا الصنف الثالث الذي تنزل به الشدائد ولا يستفيد منها.

يجب أن ينتبه المسلمون وقت المحن:

نحن الآن في شدة أي شدة، وفي محنة أي محنة، والمفروض أنَّ المسلمين في ساعة الشدائد والمحن تتنبه فيهم الأحاسيس الإسلامية، الحس الإسلامي الراقد يستيقظ، والميت يحيا، الإسلام دائمًا في أيام الشدائد هو أشد ما يكون قوة، وأصفى ما يكون جوهرًا، وأصلب ما يكون عودًا.

حروب الردة:

منذ حرب الردة أيام سيدنا أبي بكر، حينما تجمع العرب وارتد من ارتد، ومنع الزكاة من منع، وادعى النبوة من ادعى، وظنَّ الناس أنَّ الإسلام قد ذهب إلى غير رجعة، ولكن الله ﷻ هيأ لهذا الدين ذلك الرجل الرقيق الخاشع البكَّاء، الذي زأر كالليث الهصور، وقال: والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[1]. وجهَّز أحد عشر لواء لقتال المتنبئين والمرتدين ومانعي الزكاة؛ حتى ردَّهم إلى حظيرة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإسلام، وكان هؤلاء بعد ذلك من أشد الناس حماسًا في حرب فارس والروم، لأنَّهم أرادوا أن يُكفِّروا عن سيئات ماضيهم، انتصر الإسلام في حرب الردة.

محنة الصليبيين:

وجاءت بعد ذلك محنة الصليبيين، تسع حملات على أرض الإسلام استطاعت أن تغزو المسلمين ـ وهم في غفلة وفي تمزق ـ وتقيم إمارات وممالك بمعاونة الخونة، وتستعين ببعضهم على بعض، وتدخل بيت المقدس وتقيم فيه تسعين عامًا، وتغوص في الدماء إلى الركب، عشرات الآلاف قُتلوا حينما دخل الصليبيون بيت المقدس.

ولكن الله هيَّأ للمسلمين أمثال عماد الدين زنكي، وأمثال نور الدين محمود الشهيد أستاذ صلاح الدين، نور الدين الذي كان يشبه بالخلفاء الراشدين في عدله وسيرته وزهده وشجاعته، رجل من الطراز الأول، كثير من الناس لا يعرف نور الدين، مع أنَّه في الميزان الإسلامي أفضل من صلاح الدين، ولكن الأوروبيين يكرهونه جدًّا، ولذلك حاولوا أن يعتموا عليه.

نور الدين محمود الشهيد الذي كان يروي حديثًا مسلسلًا بالابتسام ـ وقد كان هؤلاء القادة لهم قدم أيضًا في رواية الحديث، وقراءة القرآن والعلم الإسلامي ـ فروى عن شيخه حديثًا مسلسلًا بالابتسام، وهو الحديث الذي يتبسم فيه النبي ﷺ بعد أن يقول كلامه، فالصحابي الذي يروي الحديث يرويه ويتبسم كما تبسم النبي ﷺ، وكذلك يفعل التابعي الذي يروي الحديث عن الصحابي، وهكذا يفعل باقي الرواة، فيتسلسل الحديث قولًا وفعلًا وهيئة، فيسمونه «حديث مسلسل بالابتسام»، حتى

QaradawiBooks.com

جاء نـور الدين محمود، وروى الحديث عن شـيخه أمامـه؛ ولكنَّه لم يبتسم! فقال له شـيخه: ابتسم. أي أكمل الشـكل حتى تكتمل الرواية، فقال له: ومن أين لي الابتسام؟ والله لا يراني الله مبتسمًا وثغر من ثغور المسـلمين محاصر[1]! وكانت دميـاط محاصـرة بالصليبيين في ذلك الوقت، هذا نور الدين محمود.

وصلاح الدين الأيوبي الذي كان يطوف على الخيام في حطين فإذا وجد خيمة فيها من يقرأ القرآن أو من يقوم لله مصليًّا بالليل والناس نيام أو من يسبح ويهلل ويذكر الله ﷻ يقول: الحمد لله، من هنا يأتي النصر. فإذا وصل إلى خيمة أخرى وكل أهلها نيام قال: أخشى أن تأتي الهزيمة من هاهنـا. هكذا انتصـر صلاح الدين فـي حطين، وانتصـر في بيت المقدس، واستعاد بيت المقدس بمثل هذه الروح.

نكبة التتار:

أصيب المسـلمون بمصيبتين في ذلـك الوقـت، بالصليبيين من الغرب، وبالتتار من الشرق، وكان بينهما حلف غير مقدس ـ عُرف أمره في الزمـن الأخير ـ بين هـؤلاء بعضهم وبعض؛ كمـا يتحالف أعداء الإسلام، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ [الأنفـال: ٧٣]، الكفر كله ملة واحدة، كما قال فقهاؤنا.

جاء التتار من الشـرق كالريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، ولكن الله هيأ أيضًا لهؤلاء مـن ردهم، دخل التتار إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسـية في سـنة (٦٥٦هـ)، وأسقطوا الخلافة، ودمَّروا الحضارة الإسلامية، وأسالوا الدماء أنهارًا، سالت الميازيب من

(١) سبق تخريجه صـ٤٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فوق السطوح دماء، واسود نهر دجلة من كثرة ما ألقي فيه من الكتب، وسال منها المداد حتى صار لونه أسود، وحدث ما حدث، وظنَّ الناس أنَّ صفحة الإسلام قد طويت، وأنَّ ظل الإسلام قد تقلص، وأنَّ رايته قد سقطت ولن ترتفع!

ولكن لم تمر سنتان، حتى استعاد الإسلام قوته في معركة من معارك التاريخ الحاسمة، حينما بعث قائد التتار إلى ذلك القائد المملوكي المظفر سيف الدين قطز الذي كان يحكم مصر في ذلك الوقت، وأرسل إليه رسالة تملأ القلوب رعبًا وهولًا، أنَّنا نحن الذين دمرنا البلاد، وأذللنا العباد، وقطعنا الرقاب، وأسلنا الدماء، ونحن الذين لا يقف أمامنا واقف، ولا تقوم لأحد أمامنا قائمة!

رسالة من يقرؤها يرتعب، ولكن قطز ذلك الرجل الصالح ماذا فعل؟ أخذ الرسالة ومزقها احتقارًا لها، وجاء بالرسولين اللذين جاءا بالرسالة وضرب عنقيهما، مع أنَّ الأصل في الإسلام أنَّ الرسل لا تُقتل، الرسل محميون إسلاميًّا، ولكنَّه أراد أمرين، أراد أولًا أن يقوي قلوب المسلمين، أنَّه لا يبالي بهؤلاء التتار، وأنَّه لا بدَّ من المواجهة والمجابهة، فلا يفكر أحد في الاستسلام، ثم أراد أن يبلغ الخبر إلى قواد التتار فيعرفوا أن هذا الرجل لا يبالي بهم، هكذا أراد.

وفعلًا أعد العدة وهيأ الناس ليلقوا التتار، وكان ذلك في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ.)، أي بعد سنتين فقط من سقوط بغداد، وكانت المعركة التاريخية الشهيرة الحاسمة معركة عين جالوت، ذهب الجيش المصري بقيادة قطز واستقر عند قرية من قرى فلسطين هي عين جالوت، وكان اليوم يوم جمعة، وأراد بعض قادته أن يبدؤوا المعركة

QaradawiBooks.com

في الضُّحَى فقال لهم: انتظروا حتى تفيء الظلال، وتهب الرياح، ويصلي المسلمون الجمعة في المساجد ويدعو لنا الأئمة والخطباء بالنصر؛ فعسى أن يؤمن رجل صالح فيستجيب الله الدعاء.

وفعلًا بعد الصلاة بدؤوا المعركة، وكانت في أول الأمر في غير صالح المسلمين؛ فالرعب الذي ملأ قلوب الناس من التتار جعل كثيرًا من الجنود يولون الأدبار، ولكن الرجل ما إن رأى ذلك حتى خلع خوذته النحاسية، وألقى بها في الأرض، وصاح صيحته التاريخية الشهيرة: وا إسلاماه! وما كاد يقول هذه الكلمة ويصرخ هذه الصرخة حتى تغير الموقف؛ فعاد الفارُّون، وثبت المترددون، وأقدم المحجمون، وتشجع الجبناء، وتغير اتجاه الريح، وكانت النتيجة أن انتصر المسلمون في هذه المعركة انتصارًا ساحقًا، لم تقم للتتار بعده قائمة من الناحية العسكرية.

انتصر الإسلام على التتار مرتين: انتصارًا عسكريًّا في عين جالوت، وانتصر انتصارًا معنويًّا آخر؛ فدخل التتار في الإسلام، بدؤوا يفكرون في هذا الدين العجيب فدخلوا فيه، وفي أول الأمر لم يكن إسلامهم حسنًا، ولكن حسن إسلامهم بعد ذلك وحكموا الهند، وصار لهم حضارة شامخة، معظم الآثار والمساجد والقلاع وتاج محل والأشياء التي يزورها السياح في الهند هي آثار الحضارة الإسلامية، آثار حكم المغول الإسلاميين.

الإسلام وقت الشدائد يصنع العجائب:

الإسلام في وقت الشدائد يصنع العجائب، ولكن نحن الآن في شدة أي شدة، وفي محنة أي محنة، فماذا صنع الإسلام بنا؟ نريد أن نرجع إلى الله ﷻ، أن نتوب توبة نصوحًا، نريد أن يتوب المسلمون عامة وأهل الخليج خاصة، أهل الخليج الذين نزلت بهم المحنة الآن، يجب أن

QaradawiBooks.com

يتوب الجميع إلى الله، أن يقول الناس كل الناس: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. ينبغي أن نرجع إلى الله ونقول: لماذا أصابنا ما أصابنا؟ ما الذي جعلنا نحن المسلمين لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا ونستعين بغيرنا؟ أي خلل أصاب هذه الأُمَّة؟ لا بدَّ من رجعة إلى الله ﷻ، ومراجعة النفس!

محاسبة النفس والعودة إلى الله:

محاسبة النفس التي يسمونها الآن «النقد الذاتي»، نقول عنها باللغة الإسلامية: حاسب نفسك قبل أن تحاسب، واسأل نفسك قبل أن يصير السؤال إلى غيرك، وزِنْ أعمالك قبل أن تُوزن عليك. هذه هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها في القرآن، النفس التي تلوم صاحبها، وخصوصًا عند الأزمات وعند النوازل.

نحن ينبغي أن نعود إلى الله ﷻ، ليس عجيبًا أن يذنب ابن آدم، أراد الله ﷻ أن نكون خطَّائين، وقال النبي ﷺ: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يُذنبون فيستغفرونه فيغفر له**»[1]. أرادنا أن نكون من أهل الخطأ حتى يكون لاسمائه الغفَّار والعَفوّ والتَّوَّاب مجال، كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون، ليس عجيبًا أن نذنب، ولكن العجيب أن نتمادى في الذنوب، وأن نستمرئ المعصية، وأن نظل في طريق الشيطان، ولا تنبهنا الحوادث، ولا توقظنا الكوارث، هذا هو العجيب! ليس عجيبًا أن نُخطئ فقد أخطأ أبونا آدم، ولكنَّه بعد أن أخطأ محا الخطيئة وغسلها، بماذا؟ بالتوبة، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٤٩)، وأحمد (٨٠٨٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

حاجتنا لتوبة جماعية:

نحن في حاجة إلى توبة جماعية، تطهير وتغيير، هناك سُنَّة اجتماعية قرَّرها القرآن لا تتخلف، هذه السُّنَّة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. سواء التغيير من الشر إلى الخير، أو من الخير إلى الشر.

قد يكون قوم في خير وعافية ونعمة، ولكن تزول هذه النعمة عنهم، لماذا؟ لا بدَّ أنَّهم كفروا بأنعم الله، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقد يكون التغيير بالعكس، قد يكون قوم في بأساء وضراء وحياة غير مطمئنة، ولكن الله ﷻ يبدل خوفهم أمنًا، وبؤسهم نعمة، وشقاءهم سعادة، وضعفهم قوة، لماذا؟ لأنَّهم غيروا ما بأنفسهم: من الضعف إلى القوة، ومن العصيان إلى التوبة، ومن الانحراف إلى الاستقامة، ومن التمزق إلى الوحدة، ومن الفوضى إلى النظام، ومن الشر إلى الخير، هذا التغير هو القانون الإلٰهي، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

نحتاج أن نعود إلى الله في هذه المرحلة التي نمر بها، وتمر بها هذه الأُمَّة، ولا ندري ماذا سيحدث؟ هل تحدث حرب؟ والحرب دمار على الأطراف كلها، إنَّ الحرب إذا انطلقت من الخاسر فيها؟! نحن الخاسرون، كل الأطراف ستخسر للأسف، لأنَّ أي صاروخ سيُطلَق لن يُطلَق في أمريكا أو بريطانيا، سيُطلَق في أرض عربية إسلامية، إذا ضربت في العراق أو في الكويت، أو في الإمارات أو في السعودية؛ كلها أرض

QaradawiBooks.com

عربية إسلامية، الحرب في ديارنا وعلى أرضنا، ولذلك نتمنَّى ألا تحدث هذه الحرب، وأن يزيل الله الغمة، ويكشف الكربة عن هذه الأُمَّة.

عند المصائب لا بدَّ أن نفتش عن أنفسنا:

هذه مصيبة حلت بهذه الأُمَّة من غير شك، وسببها عدوان وظلم صارخ، ولكن لا بدَّ أن نفتش عن أنفسنا، كان بعض السلف الصالح يقول: إنِّي لأعرف شؤم معصيتي في سوء خُلق حماري[1]. حينما يركب الدابة وتحرن عليه يقول: ماذا فعلت اليوم من معصية؟! حتى الحمار إذا حرن عليه، إذا أغضبته زوجته في أمر، يقول: لا بدَّ أنِّي ارتكبت معصية. إذا حدث أي شيء يتهم نفسه، هذا شأن الإنسان المؤمن.

حدثنا الله تعالى عن أولئك الربانيين فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧]. قبل أن يسألوا الله التثبيت والنصر سألوه المغفرة، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾، هذا هو شأن الإنسان المؤمن، أنَّه إذا أصابته أزمة أو مصيبة يتهم نفسه يقول: لا بدَّ أنِّي ارتكبت خطأ، لا بدَّ أنِّي أغضبت ربي، لا بدَّ أنِّي قصرت في أمري، لا بدَّ أنِّي فرطت في جنب الله. ولا يدعي أنَّه نبي معصوم أو ملك مطهَّر، لا، يرجع على نفسه باللائمة، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٩/٨)، نشر السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، من كلام الفضيل بن عياض.

QaradawiBooks.com

الدروس والعبر من هذه المحنة:

هذه هي المحنة التي نعيشها أيها الإخوة، يجب أن نتخذ منها الدروس والعبر؛ حتى تكون نافعة لنا لا ضارة، وحتى تكون خيرًا لنا لا شرًّا علينا، يمكن أن يكون من الشر خير إذا وجه الإنسان الشر واستفاد منه، وهذا شأن الإنسان المؤمن، أنَّه يُحوِّل كل ما ينزل به من بلاء إلى خير إن شاء الله، «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن، إنْ أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(١).

العودة إلى الله:

فيا أيها الإخوة المؤمنون، لنعُد إلى الله جميعًا، لنقرع باب الله ﷻ تائبين مستغفرين، الله تعالى يقول: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. ليس هناك أحد أكبر من أن يتوب، إنَّ محمدًا ﷺ قال: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله؛ فإني أتوب إليه مائة مرة**»(٢). ويقول: «**إنَّه ليُغانُ على قلبي؛ فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة**»(٣). وهو محمد رسول الله، الذي كان لا يغفل عن ربه طرفة عين، وكانت عيناه تنامان وقلبه لا ينام، وكان يراقب الله في حركاته وسكناته، وغدواته وروحاته، ومع هذا يقول: «**إنَّه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة**». بل بعض الصحابة يقول: كنا نعد له أكثر من سبعين

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٩)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب الرومي.
(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢) (٤٢)، وأحمد (١٧٨٤٧)، عن الأغر المزني.
(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢) (٤١)، وأحمد (١٨٢٩١)، عن الأغر المزني.

QaradawiBooks.com

مرة: رب اغفر لي وتب عليَّ[1]. يتأول القرآن في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

ما أحوجنا إلى أن نستغفر الله ونتوب إليه، ونضرع إليه أن يطهر قلوبنا، ويستر عيوبنا، ويغفر ذنوبنا، ويجعل يومنا خيرًا من أمسنا، ويجعل غدنا خيرًا من يومنا، وينصرنا على عدو الله وعدونا، ويكشف الغمة عن هذه الأُمَّة.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين. اللهم آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) رواه أحمد (٤٧٢٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الصلاة (١٥١٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٤)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الأدب (٣٨١٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

إجابات عن أسئلة المحاضرة

السؤال الأول: بعد قدومك من الجزائر نود أن نعرف موقف الشعب الجزائري من أزمة الخليج؟

الجواب: الشعب الجزائري شعب عظيم، وفيه صحوة إسلامية لا نظير لها، الحقيقة المساجد تمتلئ بالألوف، والمحاضرات يحضرها عشرات الألوف، ولكن أقول لكم بصراحة حينما ذهبت إلى الجزائر جاءني بعض الإخوة الأصدقاء وقالوا لي: ننصحك ألا تتحدث في قضية الخليج. قلت: لماذا؟ قالوا: أنت لك شعبية، والناس يحبونك، ولا نحب أن تفقد شعبيتك، والناس هنا هواهم مع العراق. قلت: كيف يا جماعة؟ قالوا: هم ينظرون إلى التليفزيون الفرنسي فيجدونه يهاجم العراق ويهاجم صدام فيعتقدون أنَّه لا يهاجمونه إلا لأنَّه رجل الإسلام، والعراق يمثل الإسلام الآن، وهذه حرب صليبية. والإعلام الغربي فعلًا يحاول أن يُبرز أشياء معينة في منطقة الخليج هنا، ويبرز أشياء هناك في العراق لأغراض معينة، شيء عجيب.

قلت لهم: على كل حال أنا لن أستفز الناس، والداعية الحكيم لا يصدم الناس فيقول لهم: أنتم جهلة وأغبياء وكذا. ولكن هناك حقائق غائبة عنهم، ومعلومات ناقصة، والمشكل في الموضوع كله وجود القوات الأجنبية، هذه هي المصيبة، فهؤلاء الناس لم يأتوا لسواد عيوننا، نحن نعلم هذا قطعًا، هم جاؤوا لمصالحهم، بعد أن خرجوا من المنطقة انتهزوها فرصة ليعودوا إليها، لكن من الذي تسبب في هذه المصيبة؟ من السبب فيها؟ هذا هو الذي نريد أن نقوله، يجب أن نحمل المسؤولية لمن تسبب في هذا.

QaradawiBooks.com

ثم يجب أن نقول شيئًا: نحن حريصون على العراق. وهكذا قلت لهم: نحن لسنا ضد العراق كشعب ولا وطن ولا جيش، بالعكس نحن حريصون على العراق، ولذلك نقول: من كان يحرص على العراق وطنًا، ويحرص على العراق شعبًا، ويحرص على العراق جيشًا؛ فليضغط على النظام العراقي حتى ينسحب من الكويت، ولا يوجد مبرر ولا حجة لبقاء هذه القوات، وهذا ما قلته في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي، قلت لهم: يوم ينسحب العراق يجب في اليوم التالي أن تنسحب هذه القوات الأجنبية؛ وإلا قاتلنا هذه القوات، ودعونا الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها إلى قتالها، وكنا نحن العلماء في المقدمة نقاتل هؤلاء.

لكن مع وجود هذا العدوان صار هناك مبرر لوجود هذه القوات، فينبغي أن نضغط على العراق حتى لا تحدث الحرب المدمرة التي ستكون دمارًا على الجميع، وليست في صالح أحد، الغرب في الواقع هو الكاسب من وراء هذه القضية من أول يوم، يبيع لنا الأسلحة القديمة، ويجرب فينا الأسلحة الجديدة، وندفع له المليارات في ذلك، هذا غير المليارات التي تهرب إليه، رأس المال جبان، الغرب هو المنتفع، يجمد ما عنده من أرصدة ليستفيد منها ولا يعطي ربحا ولا فائدة ولا غيره، فهو المستفيد، ينبغي أن نعرف هذا.

فأنا قلت لهم في الجزائر: أنتم تعيشون بعيدًا عن مسرح الأحداث، لو كنتم في قطر مثلما أعيش في قطر، أو كنتم في مصر مثلما عشت مدة في مصر، ويأتي الناس يوميًّا بالآلاف وكل واحد يحمل مأساة، منهم من ترك مدخرات العمر، ومن هام في الصحراء على وجهه، ومن مات طفله في الطريق، ومن سقط حمل زوجته، ومن أصيب

QaradawiBooks.com

بكذا، ومن رأى المرأة تنتهك أمامه، إلى آخره، لو سمعتم هذه المآسي من أصحابها لكانت أبدانكم قد اقشعرت، لكنكم بعيدون عن مسرح الأحداث.

قلت لهم هذا، فكانت أول مرة يسمع الناس فيها هذا الصوت، عندهم معلومات ناقصة، وبدأت في الحقيقة كلما أذهب إلى جامعة يسألوني وأشرح لهم القضية بهدوء ودون استفزاز، والحقيقة أنَّ كثيرًا من الرأي العام بدأ يتغير إلى حد كبير، حتى جاءني جماعة من وزراء مجلس التعاون ليزوروني ويشكروني، فقلت لهم: أنتم تشكروني، وأنا لا أقول هذا من أجل خاطركم، أنا أقول ما أعتقد أنَّه حق، أن هذا عدوان من غير شك، والقول بأنَّ الكويت حق تاريخي للعراق فهذا كلام لا يُسمع، ولو سُمع إلى هذا لتغيرت كل حدود البلاد، فما من بلد إلا وحصل فيه تغيير في الحدود، لكن هذه دول أصبحت مستقرة ولها وضعها، وأصبحت معترف بها دوليًّا وإقليميًّا، والكويت والعراق يتبادلان السفراء، وبينهما معاهدات.

المهم أنَّ النظرة الآن في الجزائر أعتقد أنَّها تحسنت، ولكن أيضًا نقول: لا زالت هناك فئات تقف مع العراق، خاصة من العلمانيين وغيرهم، حتى بعض الإسلاميين يرون أنَّ العراق يمثل التحدي أمام الغرب، فهم معجبون بهذه البطولة.

أمَّا موقف الحكومة الجزائرية، فأنا قابلت رئيس الحكومة، وقابلت عددًا من الوزراء، ووجدت أنَّ موقف الحكومة أكثر اعتدالًا من موقف بعض التيارات الشعبية هناك، ونسأل الله ﷻ أن يخرجنا من هذه المحنة كلها، ويجعل من هذا العسر يسرًا، اللهم آمين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

السؤال الثاني: نرجو إلقاء الضوء على عقيدة حزب البعث، وما موقف حزب البعث من الإسلام؟ وما حكم الشرع في حزب البعث؟

الجواب: هذه قضايا أصبح البحث فيها مفروغًا منه الآن، اجتمع من أجلها علماء، وصدرت فيها قرارات، ولا أظنُّ أحدًا ممن يحضر مثل هذا المجلس يجهل أفكار حزب البعث، ومن هو مؤسس حزب البعث، زكي الأرسوزي النصيري، وميشيل عفلق النصراني الذي زعموا أخيرًا أنَّه مسلم.

وأفكار حزب البعث تقوم على القومية العلمانية اللادينية، التي يمكن أن تعترف بالإسلام دينًا، ولا تعترف به شريعة ولا نظامًا للحياة ولا حكمًا، فيمكن أن تعترف بالإسلام دينًا؛ ولكنَّه دين يسير في ركاب الدولة مطية لها، أمَّا الإسلام كشريعة ومنهاج فلا يقبل به حزب البعث.

وحزب البعث لا يقبل إلا الولاء له، ولذلك لا نعجب إذا كان حزب البعث طوال مدة حكمه في الواقع ضد التيار الإسلامي، وضد الدعوة الإسلامية، سواء من أهل السنة أو الشيعة، اضطهد أهل السُّنَّة وأغلق كل عمل إسلامي لهم، ولم يُبقِ لهم أي شيء إطلاقًا، وقتل من قتل، سواء من العسكريين أو من المدنيين، ومُنعت الكتب الإسلامية، أنا من الناس الذين لا تدخل كتبهم العراق أبدًا، حتى مثل كتاب «الحلال والحرام»، وهو كتاب فقه وليس كتابًا سياسيًّا، لكن الدعاة الإسلاميين لا تدخل كتبهم العراق، فلا يُقبل في العراق أي تيار آخر سني أو شيعي!

الدين هناك يجب أن يسير في ركاب الحزب ولا يوجهه، فالحزب هو الحاكم على كلِّ شيء، الحاكمية المطلقة هناك لحزب البعث، وهذا معروف في كتبهم، ولهم تقرير سنة (١٩٨٣م). في مجلد كبير، وفيه مائة صفحة عن المسألة الدينية، فالأمر معروف ولا نستبعد من هذا الحزب شيء.

QaradawiBooks.com

ولذلك أي فئة تتمرد على هذا الحزب يسحقها سحقًا، وقد رأينا ما حدث للأكراد وهم عراقيون، ربما نقول عن الإيرانيين: كانت هناك حرب بينهم وبين العراقيين. وإن كانت قد استمرت ثماني سنوات، وانتهت بلا شيء، وهذه الدماء التي أريقت، وهذه الأموال التي أنفقت، وهذا وغيره كله انتهى إلى لا شيء، لكن المشكلة في الأكراد أنَّهم مواطنون عراقيون ضُربوا بالغازات السامة وبالأسلحة الكيماوية، وآلاف القرى الكردية دُمِّرت وهُجِّر من بقي من أهلها إلى أماكن أخرى، عملية تصفية واضحة، فهذا أمر لا يحتاج إلى مزيد كلام.

السؤال الثالث: ما رأيكم فيمن يقول: إنَّ الانتماء إلى أي جماعة من الجماعات الإسلامية داخل أهل السنة والجماعة هو بدعة منكرة وحرام، لأنَّها هي السبب في الخلاف والتنافر والتباغض؛ وهذا لا يجوز شرعًا وعرفًا، وإنِّي أعتقد أنَّ جماعة أهل السُّنَّة كفاية عن هذه الجماعات والتحزبات، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]؟

الجواب: أرى أنَّ الأمور ملتبسة على هذا الأخ، الواقع أنَّ العمل للإسلام في عصرنا يجب أن يكون في جماعة، ليس جائزًا فقط، لا، أنا أقول عنه: فريضة وضرورة.

قبل قليل سأل أحد الإخوة عن مسؤولية الناس عن الخلافة، فكيف نعيد الخلافة الإسلامية؟ كيف نعيد هذا النظام إلى الحياة؟ هل نعيده بالجهود الفردية؟ لا يمكن، الجهود الفردية لا تتمكن من تحقيق هذا، لا بدَّ من الجهود الجماعية، وذلك بأن تجتمع مجموعات من المؤمنين بوجوب عودة الخلافة، وتقوم بعمل جمعيات للعمل على تحقيق هذا الأمر، أمَّا أن تكون

QaradawiBooks.com

صيحة في واد، ونفخة في رماد؛ فلا تغني شيئًا! لا بدَّ من العمل الجماعي، ويد الله مع الجماعة، أمَّا العمل الفردي فلا يمكن أن يحقق شيئًا ذا بال.

ولذلك يفرض علينا الدين نفسه أن نتحد ونتجمع بعضنا مع بعض؛ كالبنيان يشد بعضه بعضًا. ومنطق الحياة نفسه يفرض علينا ذلك، وهو ما أسميه ضرورة، لا بدَّ لكي يكون صوتنا مسموعًا، وحتى يكون عملنا مؤثرًا، وحتى يكون إنتاجنا مجديًا أن نتضام ونتجمع، أمَّا من غير ذلك؛ فلا يمكن أن نحقق ما نرجوه للأمة.

ثم إنَّ أعداءنا لا يعملون فرادى، وإنَّما يعملون متجمعين، ونحن عندنا قاعدة شرعية تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فنحن نرى أنَّه لا يتم واجب إعادة الإسلام إلى الحياة ليحكمها ويقودها إلا بعمل جماعي.

تعدُّد الآراء سُنَّة الله في خلقه:

طبعًا نحن نتمنى أن تكون هناك جماعة واحدة، ولكن أيضًا جرت سنة الله في الناس أن تختلف اجتهاداتهم، كما في الفقه لا تستطيع أن تجمع الناس على رأي فقهي واحد، أو مذهب فقهي واحد، وتلغي جميع المذاهب، لا، وقد حاول أبو جعفر المنصور خليفة المسلمين في عصره أن يلزم الناس بموطأ الإمام مالك، ولكن الإمام مالك من زهده وورعه رضي الله عنه قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين؛ إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار، وصار عند كل قوم علم، فإن حملتهم على رأي واحد تكون فتنة[1]. ولم يقبل هذا!

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٧٢/٢، ٧٣)، نشر مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط١.

QaradawiBooks.com

فالآراء في الفقه تتعدد، والمدرسة التي تريد أن تحمل الناس على رأيها، وتقول: رأيي صواب لا يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ لا يحتمل الصواب. هذا لا يقبل، فأقصى ما يقوله المجتهد عن نفسه: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب. ففي الفقه تتعدد الآراء.

وفي العمل لخدمة الإسلام تتعدد الآراء أيضًا، واحد يقول: أنا أريد أن أبدأ من القاعدة فأربي الفرد أولًا. وثان يقول: لا، أنا أريد أن أدخل الانتخابات وأحصل على الأغلبية ـ كما يقول إخواننا في الجزائر الآن ـ وأمسك البرلمان الذي يقوم بالتشريع، ولا ننتظر بعد عشرين سنة. وثالث يقول: لا، أدخل الجيش يا شيخ وأعمل انقلابًا، فالعسكريون هم الذين يقودون العالم. وهكذا يختلف الناس، فهل أزيل الاختلاف من العالم؟ كل واحد يعمل بما يتراءى له، واحد يشتغل في الناحية الاقتصادية ويعمل بنوكًا إسلامية ومؤسسات مالية، ويحارب الربا ويعمل كذا، وواحد ثانٍ يقول: لا، المدارس هي المهمة، خلنا نُعلِّم الناس وكذا. وواحد آخر يقول: لا، الأهم هو العمل الخيري، نريد أن نعالج الفقر والجهل والمرض. كل هذا لا مانع منه، كل واحد يعمل في ناحية، فلا مانع من هذا الاختلاف، إذا كان اختلاف تنوُّع لا اختلاف تضاد، ربنا خلق الكون مختلفًا ألوانه، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]، الكون قائم على اختلاف الألوان، فاختلاف التنوع لا مانع منه.

QaradawiBooks.com

نتعاون فيما اتفقنا عليه:

كل ما في الأمر أننا نطلب من هذه الجماعات أن تتعاون، وتعمل قدرًا من التنسيق فيما بينها، وتسير على هذه القاعدة الذهبية التي وضعها الإمام المجدد السيد رشيد رضا، وتبناها الإمام الشهيد حسن البنا، قاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[١]. نتعاون وخصوصًا في القضايا المصيرية، لنحارب الشيوعية معًا، لنحارب الانحلال والإباحية، لنقف ضد الفرق المنشقة عن الإسلام، وأصحاب المبادئ الهدامة، لنقف ضد الفقر ونساعد المنكوبين، إلى آخره، فهناك أشياء يتفق عليها الناس.

معنى البدعة:

ثم ما معنى أن هذه الجماعات بدعة؟ هذه الكلمة أيضًا تُستعمل في غير موضعها، لأنَّ الأصل في البدعة أن تكون في الأمور الدينية، «**من أحدث في أمرنا هذا**»[٢]، إنَّما في أمور الحياة لك أن تستخدم من الوسائل ما يعينك على أداء مهمتك، وإلا لقلت أنا: هذا الميكروفون بدعة! وفعلًا أول ما ظهر الميكروفون رفض بعض الناس أن يدخله في المساجد، ويقول: هذا أمر لم يفعله النبي ﷺ، ولا الصحابة ولا السلف الصالح والقرون الأولى!

وناقشه بعض الناس، قال: ولكنِّي أراك تلبس نظارة، والرسول لم يلبس نظارة. قال: أقرأ بها القرآن وكتب العلم؟ قال: لماذا؟ قال: ضعف نظري وهي تُكبِّر لي الخط. قال له: الأمر واحد، النظارة تُكبِّر المرئيات، وهذا الميكرفون يُكبِّر المسموعات. فالتوسع في إطلاق كلمة البدعة يدخلنا في متاهات.

---

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧)، نشر دار المنار، القاهرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والمسلمون عملوا أشياء كثيرة باسم المصلحة المرسلة؛ فيمكن أن يعتبرها بعض الناس بدعة! الصحابة دوَّنوا الدواوين، وعملوا البريد، واتخذوا السجون، وعملوا أشياء لم يفعلها النبي ﷺ، إنَّما هذا من باب المصلحة. ففي أمور الحياة لك أن تجدد من الوسائل، وتبتكر فيها ما يخدم الدين، أمَّا في أمور العبادات والأمور الدينية فهنا اتباع لا ابتداع، المسلمون الأوائل اتبعوا في أمور الدين وابتدعوا وابتكروا في أمور الدنيا، لكن لما تأخر المسلمون عكسوا الأمر فجمدوا في أمور الدنيا وابتدعوا في أمور الدين، فالقول بأن تكوين الجماعات للتعاون على العمل للإسلام بدعة؛ قول غير صحيح.

السؤال الرابع: لماذا لا يرشح علماء الدين أنفسهم في البرلمان؟ وهل يتعارض الدخول في البرلمان مع مبدأ الشورى في الإسلام؟

الجواب: لا يتعارض البرلمان مع مبدأ الشورى، بالعكس البرلمان يجسد الشورى الآن، ونحن ندعو إلى إقامة حياة برلمانية في بلاد المسلمين؛ لتتجسد فيها الشورى وينتخب الناس أهل الحل والعقد.

والمسلمون قديمًا كانوا يعرفون أهل الحل والعقد عندهم، كان يعرفهم شيوخ القبائل ورؤساء العشائر والشخصيات المرموقة وكذا، ولكن الآن في المجتمعات المعقدة والكبيرة من الصعب أن تعرف أهل الحل والعقد، ولذلك نقسم البلاد الكبيرة دوائر، ونقول للناس: انتخبوا أحسن الموجود، والمفروض أن يتقدم أهل الخير بترشيح أنفسهم، فلا مانع أن نستخدم الوسائل والأساليب الموجودة في النظام الديمقراطي، لأنَّ الحكمة ضالة المؤمن؛ أنى وجدها فهو أحق الناس بها. نأخذ هذه الوسائل والأساليب ونستخدمها ولكن نطورها ونُطعِّمها

QaradawiBooks.com

بالروح الإسلامية، فمثلًا لو أخذنا نظام الترشيح والانتخاب نضع شروطًا للمرشح وشروطًا للمنتخب، فالمنتخب شاهد، والشاهد لا بدَّ أن يكون عدلًا، ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]. ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فالسكارى واللصوص وكذا لا يصلحون للشهادة، فنضع شروطًا للناخب، ونضع شروطًا للمرشح، ونقبل هذا النظام.

أمَّا لماذا لا يرشح العلماء أنفسهم؟ فالواقع أن هناك علماء في كثير من البلاد يرشحون أنفسهم إذا أتاحت لهم ظروفهم مثل هذا، خاصة الذين لهم شعبية وقاعدة جماهيرية، والإمام الشهيد حسن البنا رشح نفسه مرتين، مرة فرض فيها الإنجليز على رئيس الحكومة في ذلك الوقت النحاس باشا أن يسعى في عدم ترشيح الإمام البنا نفسه، وفعلًا تفاوض معه في ذلك على أن يسمح للإخوان بتوسيع نشاطهم، وفي المرة الثانية رشح نفسه لكن أصرت الحكومة على إسقاطه.

لا مانع أن يرشح العلماء أنفسهم، ولكن هذه مسألة مبنية على الموازنة بين المصالح والمفاسد، أحيانًا يقول بعض الناس: الانتخابات ستزور فلماذا أرشح نفسي؟ ومع هذا كان أخونا العالم الشيخ صلاح أبو إسماعيل من الذين رشحوا أنفسهم في مصر عدة مرات، واستطاع أن يتغلب على وسائل التزوير، واستمات أتباعه على صناديق الانتخاب يحمونها، فلم يستطع المزورون أن يزوروا، وظل إلى آخر حياته في مجلس الشعب المصري، فمن العلماء من يرشحون أنفسهم فعلًا إذا وجدوا ذلك أصلح.

بعض العلماء يمكن أن يقول: أنا لا أصلح في البرلمان، أنا أصلح للتأليف أو الدعوة. أو يقول: الحصول على صوت أو ثلاثة أو عشرة وسط أغلبية داخل البرلمان هو تضييع وقت، فلا أرشح نفسي إلا حينما

QaradawiBooks.com

تكون هناك حرية أو كذا. هذه أمور تخضع لما أسميه «فقه الموازنات» الموازنة بين المصالح والمفاسد، فإذا ترجحت المصلحة على المفسدة أقدم الإنسان على المصلحة.

السؤال الخامس: إذا كان الإسلام قد أجاز لنا أن ننكح من أهل الكتاب، ونأكل من ذبائحهم، ونزورهم؛ فهل يجوز لنا أن نشارك في احتفالهم بأعياد ميلادهم ونهنئهم بها؟

الجواب: في الأمور التي تتعلق بالنواحي الدينية طلب الإسلام من المسلم التميز؛ بحيث لا يذوب في غيره. والإسلام من تسامحه أجاز مؤاكلة أهل الكتاب، وأجاز مصاهرتهم، ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥]. وإن كان لي تحفظ على الزواج من أهل الكتاب لأسباب معينة، وكتبت في ذلك فتوى مطولة في كتابي «فتاوى معاصرة»، وكنت منذ أيام في باريس وسألني الإخوة هناك في اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا عن مسألة الزواج بأهل الكتاب، وأنا قلت لهم: إنَّني في هذا العصر أتحفظ على هذا، صحيح هذا أمر أباحه الإسلام، لكن المباحات ليست مطلقة، هي مقيدة، إذا ترتب على الشيء المباح ضرر لا تفعله، ولذلك أنكر سيدنا عمر على حذيفة زواجه من يهودية، فقال له: أهو حرام يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن أخشى أن تواقعوا المومسات منهن[1]. أي لا يتوفر شرط

(١) رواه سعيد بن منصور (٧١٦)، والطبري في التفسير (٣٦٦/٤، ٣٦٧)، وصحَّح إسناده ابن كثير في تفسيره (٥٨٣/١)، وهناك علة ثالثة ذكرها عبد الرزاق في مصنفه (١٢٦٧٦) عن سعيد بن المسيب عن عمر: أنَّه عزم عليه أن يُفارقها، خشية أن يقيس الناس المجوسية على الكتابية، ويتزوَّجوا المجوس اقتداء بحذيفة، جاهلين الرخصة التي كانت في الكتابيات خاصَّة.

QaradawiBooks.com

الإحصان، لأنَّه قال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾. أي العفيفات، أمَّا التي تبيع جسدها لأي أحد فليست عفيفة.

وفي بعض الروايات قال: أخشى أن يكون في ذلك فتنة على نساء المسلمين. يتزوجون من الكتابيات، ويتركون المسلمات، وهذا بالنسبة للأقليات أمر وارد جدًّا، فحينما يكون المسلمون أقلية في بلد ويتزوج الشباب المسلم غير المسلمة، والمسلمة لا يجوز لها أن تتزوج بغير مسلم، فتكون النتيجة أن تكسد سوق الفتيات المسلمات، ولذلك بعض المفتين في بعض الأقليات والجاليات حرَّموا الزواج بالكتابيات، وهم محقون في هذا، هم لم يحرموا ما أحل الله، ولكنهم منعوا الحلال إذا كان فيه ضرر، كما تأتي بعض الحكومات في مصر وتحدد زراعة شيء معين وتمنع شيئًا آخر، لأنَّ الناس لو زرعوا كلهم قطنًا مثلًا، فماذا عن حاجتهم من القمح أو الذرة؟ وكما في لبنان يحددون زراعة التفاح أو كذا، تقييد المباح هنا قائم على رعاية المصلحة، فإذا كانت هناك مضرة على نساء المسلمين لا يجوز الزواج بالكتابية.

وأيضًا إذا كانت هذه الكتابية ممن يعادي الإسلام لا يجوز الزواج بها، مثل اليهوديات، كل يهودية عضو في الجيش الإسرائيلي، مؤيدة لإسرائيل، جاسوسة لإسرائيل، فلا يجوز الزواج بها!

كذلك إذا كان هناك ضرر على الزوج أو على الذرية لا يجوز الزواج بالكتابية، كان الإسلام قد أجاز هذا وهو في المجتمع المسلم؛ فتكون غير المسلمة هذه تحت سلطان الإسلام ومجتمعه، فتتأثر هي ولا تؤثر، لكن حين يكون المسلم في أمريكا ويتزوج واحدة نصرانية أو يهودية، وهو في الشغل، فمن يلقن أولاده الأفكار والمفاهيم والعقائد؟ الأم تفعل

QaradawiBooks.com

هذا، فليس هناك جدهم ولا جدتهم لأبيهم، ولا أي من أقاربهم من أبيهم، بالعكس خالتهم نصرانية، وجدتهم لأمهم نصرانية وأقاربهم نصارى، وهو في بلد غير بلده، فالأولاد يتكلمون غير لغته، ويعيشون في تربة غير تربته الدينية، إلى آخره، ومعنى هذا أنَّه فقد ذريته، ولذلك يجب أن نتوقف في مثل هذا، لا نسارع بالقول بجوازه.

نحن نجامل غير المسلمين في أمور كثيرة، لا مانع من هذا كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. أمَّا في الأمور التي لها صبغة دينية فينبغي أن نتميز فيها، ولا يجوز التساهل فيها بحيث تفقد البلاد الإسلامية صبغتها، وبعض البلاد للأسف تحتفل «بالكريسماس» كما يسمونه أكثر مما يحتفلون بعيد الفطر، فهذا لا يجوز التسامح فيه، التسامح مطلوب ولكن ليس إلى حد ذوبان الشخصية المسلمة.

السؤال السادس: من المسؤول عن غياب الخلافة الإسلامية: هل هم الحكام أم المحكومون؟ وماذا أصنع حتى تكون في رقبتي بيعة، ولا أموت ميتة جاهلية؟

الجواب: هناك مشكلة عند المسلمين في تحديد: مَنْ المسؤول؟ وأحيانًا يحاول كل واحد أنْ يلقي المسؤولية على غيره، فبعض الناس يقول: المسؤولون هم الحكام. وبعضهم يقول: المسؤولون هم العلماء. وغيرهم يقول: المسؤولون هم الجماهير. إلى آخره، والواقع أنَّ الجميع مسؤول، ينبغي أن نقول: إن كل المسلمين مسؤولون، كما جاء في الحديث: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

هناك أشياء نسميها «فروض الكفاية»، وهي التي إذا قام عدد كاف سقط الإثم عن سائر الأُمَّة، وإذا لم يقم بها أحد أثمت الأمة كلها. ومن فروض الكفاية أن تقوم الخلافة الإسلامية والوحدة الإسلامية، وأن يحكم شرع الله، هذا من الفروض الإسلامية، إذا عُطِّلت هذه الفروض تكون الأُمَّة كلها آثمة.

صحيح إثم كل واحد فيها ليس في درجة واحدة، العلماء إثمهم أكبر من الأشخاص العاديين، والحكام إثمهم أكبر من العلماء، والأغنياء إثمهم أكبر من الفقراء، كل من عنده مُكْنة وسلطة وقدرة يستطيع أن يفعل بها شيئًا؛ فعلى قدر مُكنته وعلى قدر نعمة الله عليه تكون مسؤوليته أكبر وجُرمه أكبر، ولكن الجميع مسؤولون.

أحد الدعاة كان يخطب يومًا ما في الناس، ويكلمهم عن ضرورة عودة الخلافة والحضارة الإسلامية، والحكم بشرع الله وكذا، فقام أحد المستمعين المتحذلقين وقال له: يا أخي، صار لكم خمسون سنة وأنتم تتكلمون فماذا فعلتم؟ وكان الداعية موفقًا وسريع البديهة فقال له: إذا كان قد صار لنا خمسون سنة ونحن نتكلم، فقد صار لكم أيضًا خمسون سنة وأنتم تستمعون، فماذا فعلتم؟ هل تقع المسؤولية على المتكلم دون السامع؟ بالعكس العالم إذا تكلم فقد بلَّغ، فالعلماء عليهم البلاغ والبيان، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. والناس عليهم أن يقووا العلماء ويشدوا أزرهم، لكن من غير شعب ماذا يفعل العالِم؟

لا بدَّ أن يشعر الجميع بالمسؤولية: الحكام مسؤولون، والمحكومون مسؤولون، والعلماء مسؤولون، والعامة مسؤولون، كل واحد على قدر

QaradawiBooks.com

ما عنده طبعًا، ليست مسؤولية متساوية، ولكي ينجو المسلم من الإثم عليه أن يسعى مع الساعين لإعادة الإسلام كما كان، وإعادة أحكام الإسلام، وإعادة الفرائض المعطلة، وإقامة الخلافة الإسلامية والوحدة الإسلامية، وإعادة دار الإسلام الواحدة من جديد، عليك أن تبحث عمن يعمل على هذا وتضع يدك في يده.

أمَّا أن يقول كل واحد: وماذا عساي أن أفعل؟ لا شأن لي ولا قدرة بي. فلن نستطيع أن نحقق شيئًا مما نرجوه، ولكن أنت مع غيرك تستطيع، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته، وإنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية، ويد الله مع الجماعة، ولذلك نستطيع أن نعمل الكثير والكثير لو عملنا متعاونين، والحمد لله هناك خير كثير في هذه الأُمَّة، ولكن القوى مبعثرة، ينبغي أن تتضام القوى، وتتجمع بعضها مع بعض، وكما قال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[1]. وكما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

السؤال السابع: نرجو أن توضح فضيلتكم كيف يكون لي بيعة قبل أن أموت، وحتى لا أموت في جاهلية؟

الجواب: قلت للأخ من قبل: يكفيك لكي لا تموت في جاهلية أن تسعى مع الساعين إلى إقامة حكم إسلامي، ونظام الخلافة الإسلامية، وتدعو إلى هذا، ولهذا قلنا: لا بدَّ من عمل جماعي حتى نحقق هذا. فإذا سعيت مع الساعين وعملت مع العاملين لأجل هذا فقد أبرأت ذمتك،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. والنبي ﷺ يقول: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(١).

نحن نعمل ما علينا، والباقي على الله، نبذر الحب ونرجو الثِّمار من الرب، فلا يسألنا ربنا عن النتائج: لماذا لم تقيموا نظام الخلافة؟ وإنَّما يسألنا عن العمل، فنقول: يا رب، نحن دعونا وعملنا وجنَّدنا الناس وحاولنا، ولكن كانت قوى الشر أكبر منا، وكان أعداء الإسلام أشد خطرًا وأدهى وأمكر منا؛ فلم نستطع أن نقيم هذا النظام!

ربنا لن يسألنا: لماذا لم تنجحوا؟ لماذا لم تنتصروا؟ ولكن يسألنا: لماذا لم تحاولوا؟ لماذا لم تعملوا؟ لماذا لم تجتهدوا؟ فالمطلوب منا العمل، أمَّا النتائج فهي على الله ﷻ. مكث سيدنا نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو قومه، ومع هذا قال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٥، ٦]. والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

نحن علينا أن نعمل ونثابر ونستمر، ولا ننقطع في وسط الطريق ولا نيأس، نعمل حتى الموت، ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، نستمر ولا نقنط ولا نيئس، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ونحن مستبشرون، فالصحوة الإسلامية في كل مكان والحمد لله، وعندنا من بشائر القرآن والسُّنَّة، ومن بشائر التاريخ والواقع وسنن الله: ما يؤكد أنَّ الغد لنا، وأنَّ المستقبل لهذا الدين، علينا فقط أن نقوم

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

بواجبنا، حتى لا يستبدل الله بنا قومًا آخرين، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤]. نسأل الله أن نكون من هؤلاء، أن نكون نحن جيل النصر المنشود، أن نكون نحن المدخرين لنصرة الإسلام في آخر الزمان، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، اللهم آمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦

محنة السودان الشقيق[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتَّقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلوات الله وسلامه على المبعوث رحمةً للعالمين، وحُجَّة على النَّاس أجمعين، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمَّد، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّرُوه ونصروه واتَّبعوا النُّورَ الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضيَ الله عمَّن دَعَا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فاسمحوا لي ـ أيُّها الإخوة الأحبة ـ أن نتحدَّث عن قضيَّة من أخطر قضايا الأمَّة في هذه الآونة، وما أكثر قضايا أمَّتنا الخطيرة والشائكة، فنحن نطالع كلَّ يوم مأساة من مآسي هذه الأُمَّة العربيَّة والإسلاميَّة، ولا نكاد نقرأ، أو نسمع، أو نشاهد نشرة من نشرات الأخبار، أو صحيفة من صحف الصباح، إلا وتطالعنا أنباءٌ تُبكي الأعين، وتذر الحليم حيرانًا.

(١) ألقيت في الدوحة بمناسبة الغزو الأثيوبي للجبهة الشرقية للسودان، واستيلائه على بعض القرى الحدودية.

QaradawiBooks.com

لقد كثرت علينا الأنباء المؤسفة والمُحزنة من يمينٍ وشمال، ومن شرقٍ وغربٍ، وأصبحنا ننشد مع أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي:

رَماني الدّهرُ بالأرزاءِ حتَّى فُؤادي في غِشاءٍ مِنْ نِبالِ
فَصِرْتُ إذا أصابَتْني سِهامٌ تكَسّرَتِ النِّصالُ على النّصالِ[1]

هكذا منذ طلع صبح هذه الصحوة الإسلاميَّة، وأشرقت في الأرض أنوارها، وظهرت في الناس آثارها وثمارها، منذ أصبحت هذه الصحوة حقيقة واقعة، نلمس آثارها على كلِّ صعيد، على الصعيد الفكري، والسُّلوكي، والاقتصادي، والسياسي، والجهادي، على كلِّ صعيد رأينا ثمار هذه الصحوة وآثارها.

وهذه الثمار والآثار للصحوة الإسلاميَّة أقلقت القوى المعادية للإسلام، أيقظت غرائز الشرِّ فيها، فأصبحوا يكيدون لنا كيدًا، ويمكرون بنا مكرًا، وهذه طبيعة الصراع بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، بين الإيمان والكفر، والله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. ويقول ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]. ولن يستطيعوا أنْ يردُّونا عن ديننا إن شاء الله.

محنة السودان:

نتحدَّث أيُّها الإخوة عن قضيَّة وطنٍ عزيزٍ علينا، حبيبٍ إلينا، أثيرٍ لدينا، هو السودان الشقيق الحبيب، الَّذي يتعرَّض الآن لفتنة كبرى، ومحنة عظمى، وغزوٍ من الدول المجاورة له، الَّتي تكيد له كلَّ الكيد،

(١) ديوان المتنبي صـ٢٦٥.

QaradawiBooks.com

وتمكر به مكرًا كُبَّارًا، لا لشيءٍ إلا لأنَّه رفع راية التوحيد، وأعلى كلمة الإسلام، ورضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن منهاجًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا ﷺ ورسولًا.

الغزو الإثيوبي:

لقد غزت إثيوبيا السودان من الجبهة الشرقيَّة، غزتها بثلاث عشرة دبابة، وبالمدفعية الثقيلة، وبكتيبتين من المشاة، واستولت على بعض القرى الحدوديَّة، الَّتي لم يكن للقوات المسلحة السودانيَّة فيها إلَّا قوًى رمزيَّة، فنحن نعلم أنَّ القوات الكبرى في السودان إنَّما هي في الجنوب، وقد استطاعت أنْ تُحَرِّر تسعين في المائة (٩٠٪) من الجنوب، وأنْ تحصر المُتَمَرِّد المعروف «جون جارانج» في شريط حدوديٍّ ضيِّق، وأنْ يخرج عليه كثير من القبائل الجنوبيَّة، وينفصلوا عنه.

ولكن القُوى المعادية لا تريد للسودان أنْ يستقرَّ، تريد أنْ يُستنزف دائمًا في مثل هذه الحروب، كان يمكن أنْ تنتهي هذه الحرب مع الجنوب ومع جارانج، ولكن القوى الكبرى المتربصة بالسودان، ووراءهم إسرائيل وأمريكا، لا تريد للسودان أنْ يهدأ، وأنْ يظل يعمل في خط التنمية، والاستقرار، والهدوء، وتجميع القوى الوطنية، من أجل هذا ضربوا السودان من الجبهة الشرقيَّة ليشغلوه عن الجبهة الجنوبيَّة، ويفتتوا قوته، ولا ندري ماذا يخبئون في الغد.

وبعد أن استولت القوات الإثيوبيَّة على هذه القرى الحدوديَّة استدعوا جارانج ليتسلَّم هذه النقاط الحدوديَّة لقمة سائغة، يأخذها جاهزة، ثمَّ ينادي في الناس: قد استولت قوَّات تحرير الشعب على هذه القرى. ولما عاتبته جماعة المعارضة في مصر: كيف تقول: إنَّك استوليت

QaradawiBooks.com

عليها ونحن شـركاؤك؟ قال: بالتعاون مع قوات المعارضة السـودانيَّة. والواقع أنَّه لا جارانج، ولا قوات المعارضة هي الَّتي استولت على هذه النقاط الحدودية، إنَّما استولت عليها إثيوبيا.

تآمر أفورقي:

إنَّ جيران السـودان هم الَّذين يعملون ضدَّهـا، إثيوبيا أفورقي من ناحية، وإريتريا من ناحية، إريتريا الَّتي ساعدها السودان بكل قوة، ساعد السودان هذا الأفورقي حتَّى استطاع أنْ ينتصر، ثمَّ ما أسرع ما قَلَبَ لهم ظهر المِجَن، وانكشف القناع، وبان الرجل على حقيقته صليبيًّا صريحًا، هذا هو واقع الحال، وذهب ليُعالَج في إسـرائيل، كان يمكنه أنْ يذهب إلى أوربا أو إلى أمريكا، ولكنَّه ذهب إلى إسـرائيل فقـط ليُعالَج فيها، ليثبت ولاءه لإسـرائيل، وقد اسـتولى على جزيرة «حنيش» في اليمن بمساعدة إسرائيل.

تهديد الأمن القومي العربي:

إنَّ إسرائيل وراء ذلك كلِّه، فتِّشْ عن اليهود، فتِّشْ عن الصهيونيَّة في كلِّ ما يُصِيـب العـرب والمسـلمين، الصهيونيَّة وراء ذلـك كلِّه، تريد إسرائيل أنْ تعبث هناك في منطقة البحيرات الكبرى، تريد أنْ تتحكم في منابع النيـل، أنْ يكون لها قدم راسـخة هناك، في أوغنـدا، في بحيرة فيكتوريا، وبحيرة ألبرت إدوارد، وألبرت نيانزا، في منابع النيل، ومنابع النيل في هضبة الحبشة أيضًا، وهي الرافد الأكبر للنيل في مصر.

والآن تعمل إسرائيل مع إثيوبيا لإقامة سدود على النيل الأزرق الَّذي يأتي من الهضبة الحبشـية، وتُموَّل هذه السدود من البنك الدوليِّ، ومن صندوق النقد الدوليِّ، مع أنَّه ممنوع أنْ تموِّل هذه المؤسسـات الدولية

QaradawiBooks.com

أيَّ مشاريع من هذا النوع إلا باتفاق مع الأطراف المعنية، ولم يحدث اتفاق مع السودان، ولا مع مصر، وهما طرفان أساسيان مع الحبشة في هذا الأمر.

كل هذا يدلُّنا على ما يريده القوم، إنهم يريدون أنْ يتحكموا في منابع النيل، يريدون أنْ يخنقوا السودان ويخنقوا مصر، ومصر هي المستهدف الأول من وراء هذا كله، يريدون أنْ يضغطوا على مصر، لأنَّهم يعرفون أنَّها القوة البشرية والمادية الكبرى في المنطقة، ولذلك تعمل إسرائيل، ومَنْ وراء إسرائيل، على إنشاء هذه السدود.

كما أنَّهم يريدون أنْ يتحكموا في البحر الأحمر، المفروض أنَّ البحر الأحمر بحيرة عربيَّة إسلاميَّة، للسعودية، واليمن، والأردن من ناحية، ولمصر، والسودان، والصومال، وجيبوتي من الناحية الأخرى، المفروض أن يكون البحر الأحمر بحيرة إسلاميَّة، ولكن من قديم قال هرتزل: لن يكون لليهود قوَّة إذا لم يكن لهم منطلق وموضع قدم على البحر الأحمر.

ومن هنا تسعى إسرائيل سعيَها للتواجد في البحر الأحمر، ومن هنا احتُلَّت جزيرة «حنيش»، وتريد أنْ تكون لها القوة في باب المندب، هكذا يريد القوم، يريدون أنْ يُهَدِّدوا الأمن القومي لمصر، والأمن القومي العربي كله.

ثوابت السودان:

إنَّ الأمر ليس أمر السودان وحده أيُّها الإخوة، المنطقة العربيَّة كلها مهدَّدة من وراء ذلك، وإنَّما اختاروا السودان لأنَّه أراد أنْ يثبت ذاته، أرادوا أنْ يركِّعوه فأبى أنْ يركع، لم يركع إلا لله الواحد القهار، أرادوا أنْ يخضع لإرادتهم فرفض، وأعلن مشروعه الحضاري المتميز، أعلن

QaradawiBooks.com

تمسُّكه بهُويته الإسلاميَّة، أعلن أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، تمسَّك بهذه الثوابت، فثوابت السودان لا مفاصلة فيها، ولا مساومة عليها، ولا رجعة عنها.

غير مرخصة للطباعة

(١) وحدة السودان:

أول هذه الثوابت: الوحدة. سودان واحد لا ينفصل فيه شمال عن جنوب، ولا عرب عن أفارقة، ولا مسلمون عن مسيحيين، وحدة الشعب، وحدة الوطن، وحدة التراب والأرض، هذا ما يتمسَّك به الإخوة، وهم يريدون أن يمزَّق السودان، لا يريدون لهذه الأُمَّة أنْ تتَّحد، هم يريدون أنْ يمزقوا أمتنا إربًا إربًا، وقطعًا قطعًا، حتَّى لا يقوم لها كيان واحد، ويريدون أنْ يمزِّقوا الوطن الواحد إلى مِزَقٍ شتَّى، فهذا ما يفعلونه، فالسودان يتمسك بثوابت أولها الوحدة.

(٢) استقلال السودان:

وثاني هذه الثوابت: حرية الوطن، أنْ يكون السودان حُرًّا، لا سلطان لأحد عليه، قراره من رأسه، وإرادته بيده، لا تُفرَض عليه قرارات من الخارج، وهذا ما أزعج القوم، كيف يتمرد هذا البلد على القوى الكبرى، على ما يسمَّى النظام العالمي الجديد، على الأب الجديد للعالم، الَّذي يفرض هيمنته على الوجود، كيف يتمرَّد السودان في عصر الهيمنة الإسرائيليَّة والأمريكيَّة على هذا النظام العالمي؟

ولكن السودان متشبِّث بإرادته، يريد أنْ يبني نفسه بنفسه، بإرادته الحُرَّة المستقلة، ولذلك أرادوا أنْ يعاقبوه، وأنْ يحاصروه، ولكنَّه لم يبالِ بالحصار، ولم يبالِ بالعقوبة، وكما قال المثل العربيُّ: تجوع الحُرَّة ولا تأكل بثدييها.

نسخة مجانية

رفض السودان أنْ يأكل بثدييه، أو أنْ يبيع إرادته بملك المشرق والمغرب، وتغنى بما قاله الشافعي قديمًا:

أَنَا إنْ عِشْتُ لَسْتُ أعْدَمُ قُوتًا وَإذا مِتُّ لَسْتُ أعْدَمُ قَبْرَا
هِمَّتي هِمَّةُ الملوكِ ونفسي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرَا[1]

(٣) هُويَّة السودان:

ثالث الثوابت عند السودان هو التمسك بالهُوية الإسلاميَّة، بالشريعة الإسلاميَّة، بالمشروع الحضاري الإسلامي، لقد أعلن عن ذلك ولا رجعة عن هذا الأمر، أعلن إسلامه، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وأقول لكم بصراحة: هذه هي جريمة السودان الكبرى في نظر القوى المعاديَة، التمسك بشريعة الإسلام، وبهُويَّة الإسلام، ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]. أنَّهم قالوا: ربُّنا الله، ورفضوا الأرباب الزائفة كلها، هذه جريمة السودان الأولى، والكبرى، أنَّ السودان أعلن إسلامه دون أنْ يأخذ إذنًا أو تصريحًا من فرعون العصر، فقديمًا قال فرعون للسحرة عندما خروا سجدًا: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧٠، ٧١]. فهو يرى أنَّه لا يجوز لأحد أنْ يؤمن بدون إذن فرعون، ولا تصريح منه، هذه هي جرائم السودان، ثوابت السودان هي جرائمه عند هذه القوى الطاغية المستكبِرة في الأرض بغير الحقِّ، وإلا فما هي التُّهم الَّتي يتهم بها السودان؟

(١) انظر: الجوهر النفيس من شعر الإمام محمد بن إدريس صـ٦٦، إعداد محمد إبراهيم سليم، نشر مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، القاهرة.

QaradawiBooks.com

التهم الموجَّهة إلى السودان:

ليست هناك جرائم حقيقيَّة للسودان يمكن أنْ يُدان بها، وما هي إلا دعاوى، ومزاعم، وتلفيقات تبرر بها القوى المعادية للسودان مواقفها.

(١) صناديق الانتخاب:

قالوا: إنَّ السودان جاء عن غير صناديق الانتخاب، لم يجئ بطريقة ديمقراطية، لو جاء بطريقة ديمقراطية لرحَّبنا به، وفتحنا له الصدور، وصفَّقنا له. ويا عجبًا، هل السودان وحده الَّذي لم يجئ بطريقة غير ديمقراطية؟! هل ثورة الإنقاذ هي أول ثورة في العالم الإسلامي، والعالم العربي، والعالم الثالث، والعالم كله؟ لماذا لم تقفوا ضد ثورة يوليو، وثورة تموز، وثورة شباط، وثورة تونس، وثورة موريتانيا، وثورات كثيرة جدًّا؟! هذه ثورة بيضاء قامت دون أنْ تريق دمًا، ورحَّب بها الشعب، وازداد ترحيبًا بها يوم أعلنت التمسُّك بشريعة الإسلام.

كنت في السودان، بعد الإعلان عن تطبيق الشريعة بأيام، كنت في مؤتمر للزكاة هناك، ورأيت فرحة الناس بإعلان تطبيق الشريعة، رأيتُ تهليل الناس وتكبيرهم، حتَّى لقيت أحدًا من الأنصار ـ من أتباع الصادق المهدي ـ وهو يشيد بالدولة مستبشرًا، قالوا له: كيف تقول هذا؟ قال: سجدت الدولة لله، فلا بدَّ أن نسجد معها لله، لا نستطيع أن نعارض دولة قالت: لا إلٰه إلا الله. وأعلنت تمسكها بشريعة الإسلام، إنَّها أسلمت، فلنسلم معها لله رب العالمين، كما قالت بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

QaradawiBooks.com

هكذا تجاوب الشعب مع هذه الدولة الَّتي أعلنت إسلامها، فالذين قالوا: إنَّ السودان جاء بغير صناديق الانتخاب يكيلون بأكثر من كيل من ناحية، ولم يكترثوا لرضا الشعب بهذه الثورة البيضاء من ناحية.

ثم من ناحية أخرى عندما جاءت صناديق الانتخاب في الجزائر بالجبهة الإسلاميَّة للإنقاذ، لماذا لم ترحِّبوا بها؟ لماذا لم تدافعوا عنها؟ لماذا سمحتم للقوى الأخرى أنْ تلغي نتائج الانتخاب، وأنْ توقع الجزائر في مجزرة لم تخرج منها إلى اليوم؟ لماذا اعتقلتم الشيوخ وتركتم الشباب الطائش يعيث في الأرض فسادًا؟ إذا كنتم مع الديمقراطية، مع صناديق الانتخاب، فلماذا تناقضون أنفسكم؟ تؤمنون ببعض الكتاب، وتكفرون ببعض، تحلُّونه عامًا وتحرِّمونه عامًا، تُحلون هذا في بلد وتحرمونه في أخرى، هذا لا يعقل، فالذين قالوا: إنَّ السودان جاء بغير الطريق الديمقراطي كاذبون، ومُزيِّفون.

(٢) حقوق الإنسان:

وقالوا عن السودان: إنَّه ينتهك حقوق الإنسان. مَنْ الإنسان الَّذي تُنتَهك حقوقه في السودان؟ والله أنا ذهبت إلى السودان، ليس كثيرًا، ولكن عدة مرات، ما أحسست أنِّي في دولة بوليسيَّة، ما أحسست أنَّ هناك قبضة حديديَّة، كما أحس بها في كثير من البلدان، والناس يروحون ويغدون، وماذا في السجون والمعتقلات؟ هل فيها آلاف كما في بلاد أخرى؟ لا يوجد إلا أفراد معدودون، وقد أخرجوا منذ مدة من الزمن، طبيعة السودانيين أنفسهم تأبى ذلك.

ثم ما هذه الغيرة على حقوق الإنسان؟ ولماذا لم تغاروا على الآلاف المسجونين في سجون إسرائيل؟ لماذا لم تغاروا على حقوق الإنسان في

QaradawiBooks.com

فلسطين، وفي البوسنة والهرسك، وفي الشيشان، وفي كشمير، وفي غيرها؟ لماذا تتكلمون بلسانين، وتتعاملون مع الناس بوجهين؟ وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا.

(٣) إيواء الإرهابيِّين:

وقالوا عن السودان: إنَّه يؤوي الإرهاب والإرهابيِّين. وقال السودان من قديمٍ: تعالوا، هاتوا لجانكم، هاتوا المُخْتَصِّين منكم، والسودان مفتوح أمامكم، بما شئتم، بالهليكوبتر، بالسيَّارات، بالأجهزة الَّتي تريدون، تعالوا وابحثوا عن هذه المعسكرات الَّتي تقولون: إنَّ السودان يدرب فيها الإرهابيِّين. وما فعلوا شيئًا من ذلك، ومع ذلك ظلُّوا يتَّهمون السودان، والسودان أيُّها الإخوة بلدٌ واسع، بلدٌ كبير، يمكن أنْ يوجد فيه بعض الأفراد يختبئون في مزرعة من المزارع، أو في بيت من البيوت ويفعلون شيئًا من ذلك، لا يستطيع أحد أنْ يتحكَّم في هذا البلد الضخم الَّذي يكاد يكون قارَّة وحده.

(٤) الجهاد في سبيل الله:

يضاف إلى ذلك ما قاله الصادق المهدي: إنَّ النظام الحاكم في السودان حوَّل الحرب في الجنوب إلى جهاد في سبيل الله، فأضفى عليها طابعًا دينيًّا استثار القوى الأخرى.

يا عجبًا من رجل جده الإمام محمد أحمد المهدي، الَّذي جاهد الاستعمار، وأقام دولة للإسلام في السودان، كيف يجهل أنَّ أيَّ قتال يخوضه المسلم لا بدَّ أنْ يكون جهادًا في سبيل الله؛ لأنَّه لا بدَّ أنْ يكون دفاعًا عن حق، أو مقاومةً لباطل، سواءً كان دفاعًا عن دينٍ، أو دفاعًا عن

QaradawiBooks.com

أرضٍ، أو دفاعًا عن عرضٍ، والنبيُّ ﷺ يقول: «**منْ قُتِلَ دُونَ ماله فهو شَهيدٌ، ومنْ قُتلَ دُونَ دمه فهُو شهيدٌ، وَمَنْ قُتِل دُونَ دِينِه فهو شهيدٌ، ومنْ قُتِلَ دونَ أهله فهو شهيدٌ**»[1]. كل هؤلاء شهداء، مَنْ دافع عن الأرض، مَنْ دافع عن الوطن، مَنْ دافع عن الأهل فهو قتال في سبيل الله.

والله تعالى يقول: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٧٦]. لا بدَّ من أحد أمرين: إما قتال في سبيل الله، أو قتال في سبيل الطاغوت، فما ذنب ثورة الإنقاذ ورجالها، إذا كان قتالهم في سبيل الله؟

إذا كان الَّذين يقودون القتال ضد جارانج يعتبرون قتالهم في سبيل الله، وهو في سبيل الله فعلًا، لأنَّهم يقاتلون متمرِّدًا يريد أنْ يشقَّ الوطن شقَّين، وأنْ يقسم البلد قسمين، وهو مؤيَّد من قوى معادية للسودان، وقد حارب جارانج كل الحكومات السابقة، وحاربته كل الحكومات السابقة، بما فيها حكومة الصَّادق المهدي نفسه، فما العيب في هذا؟

(٥) التسبُّب في الحصار:

وقال الصادق المهدي في بيانه الَّذي أصدره منذ أيام: إنَّ النظام الحاكم في السودان فرض على السودان حصارًا، وفرض عليه العزلة عمَّا حوله من الجيران.

ويا عجبًا، هل السودان هو الَّذي فرض هذا الحصار، وهذه العزلة، أم فرضت عليه كرهًا؟ إنَّ جيرانه هم الَّذين أرادوا أنْ يعزلوه، أرادوا أنْ يُحاصروه، أرادوا أنْ يُجَوِّعوه، ولكن السودان لم يَجُعْ، بالعكس علَّم

(١) رواه أحمد (١٦٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. وأبو داود في السُّنَّة (٤٧٧٢)، والترمذي في الديات (١٤٢١)، وقال: حسن صحيح. عن سعيد بن زيد.

QaradawiBooks.com

أولاده أنْ يعتمدوا على الله أوَّلًا ثمَّ على أنفسهم ثانيًا، ورفع هذا الشعار الإيجابي الرائع: نأكل ممَّا نزرع، ونلبس ممَّا نصنع.

كان السودان يستورد معظم أقواته من الخارج، يعيش على المعونات في غذائه وقوته اليوميِّ، وهو سلَّة غلال العالم العربي كله، هو صاحب الأرض الخصبة، الَّتي تنتج الذهب، ولم يكن يزرعها السودان للأسف، ثمَّ علَّمت ثورة الإنقاذ أبناء السودان أنْ يزرعوا، وأنْ ينتجوا، وأنْ يحصدوا ما زرعوا، كانوا أحيانًا يزرعون ويتركون الزرع بدون حصاد، علَّموا النَّاس هذا، وبدؤوا بأنفسهم يحصدون ما يزرعون، لم يجع شعب السودان، بل أنتج ما يكفيه، وصدَّر ما فاض عنه، وهذا من رحمة الله به.

وبدأ يحاول في صناعات رغم الحرب الاقتصاديَّة، رغم ما يجري استطاع السودان أنْ يستخرج من البترول ما يكفيه، أكثر من النصف، وبعد سنة أو اثنتين سيكتفي إن شاء الله، والفضل لله تعالى، ثمَّ لبعض الشركات، ومنها شركة هنا في قطر أقامها بعض الشباب المؤمن، وهي تنتج الآن إن شاء الله.

يا أيُّها الإخوة، التُّهَم المُوَجَّهة إلى السودان تُهَم ساقطة وباطلة، ولا قيمة لها، تهمة السودان الكبرى هي أنَّه تمسك بالإسلام، وأنَّه عاش حرًّا، وأنَّه رفض أن يركع إلَّا لله تبارك وتعالى، وهذا لا يجوز في هذا الزمن العجيب، زمن السيطرة والهيمنة الإسرائيليَّة والأمريكيَّة، لا يجوز لأحد أنْ يخرج عن هذا الخطِّ، ولكن هيهات.

رسائل مُوَجِّهة:

أريد أيُّها الإخوة، أنْ أوجِّه من هذا المنبر، ومن هذا المسجد، ونحن في منتصف رمضان، في هذا الشهر المبارك، شهر بدر، وشهر الفتح، أريد أنْ أُوجِّه من هنا كلمات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(١) إلى دولة قطر:

أوَّل هذه الكلمات أُوجِّهها إلى دولة قطر أميرًا وحكومةً وشعبًا تحيَّةً وتقديرًا لهذه الدولة، أميرها، وحكومتها، وشعبها الَّذين وقفوا وقفة بطوليَّة، مساندين للسودان الشقيق بأنفسهم وأموالهم، وهذا يدلُّ على عمق وعي قطر الإسلامي، وأصالة موقفها القومي، ووضوح رؤيتها لقضايا الأُمَّة الكبيرة والخطيرة.

وليس هذا بأوَّل موقف لقطر، لقد رأينا هذا الموقف منذ سنوات، هناك في اليمن أمام دعاة الانفصال الاشتراكيِّين، الَّذين أعلنوها حربًا على إخوانهم، فوقفت قطر مع اليمن حتَّى انتصر اليمن، وبهذا نستبشر إن شاء الله، أنَّ وقوف دولة قطر مع السودان هو بشرى لانتصار السودان إن شاء الله.

(٢) إلى شعوبنا وقادتنا:

ثمَّ من ناحية أخرى أريد أنْ أُوجِّه كلمة إلى شعوبنا الإسلاميَّة عامَّة، والعربيَّة خاصَّة، وإلى قادة هذه الشعوب والمسؤولين فيها، أريد أنْ أُنبِّههم إلى هذا الخطر الداهم والزاحف، فالأمر ليس أمر السودان وحده.

وأنا والله لا أدافع عن البشير، ولا عن الزبير، ولا عن الترابي، فهؤلاء أشخاص زائلون، والوطن باقٍ، إنَّما أدافع عن السودان باعتباره وطنًا، باعتباره شعبًا، باعتباره تاريخًا، باعتباره جزءًا من أُمَّتنا الإسلاميَّة، وأُمَّتنا العربيَّة، السودان بنيليه الأزرق والأبيض، بتربته الخصبة، بشعبه الطيب المؤمن، بتراثه العريض، بتاريخه الحافل، بتجربته الرائدة، بمشروعه الحضاري.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أدافع عن هذا، وأدافع عن الأُمَّة العربيَّة كلها، الأمن القومي للأُمَّة مهدد من وراء ما يجري في السودان هناك، مصر الشقيقة الكبرى للعرب، مصر العزيزة الحبيبة هي المستهدف الأول من وراء هذا كله، وأريد من القادة في مصر أنْ يدركوا هذا.

وإن كان لهم تَحَفُّظٌ على النظام الحاكم في السودان، الوقت ليس وقت تصفية الحسابات، الأمر أكبر من ذلك وأخطر، ففي القضايا المصيريَّة ينبغي أنْ تُنسى الخلافات الجزئيَّة، والمعارك الجانبيَّة، ولا نذكر إلا الوطن الأكبر، إلا الأُمَّة الكبرى، إن كنا نعقل ما يُراد بنا.

إنَّني أطلب من البلاد العربيَّة، ومن مصر خاصَّة، ومن السعودية خاصَّة، أنْ تلعب دورًا، أنْ تقوم بمهمة في هذا المجال، وأنْ توقف أولئك الَّذين يلعبون بالنار من رجال المعارضة السودانيَّة، الَّذين لا يهمُّهم أنْ يكون وطنهم في مهبِّ الرياح، وأنْ يذهب السودان، وأنْ ينشق بعضه على بعض، لا بدَّ لمصر أنْ تقوم بدور، لا بدَّ للسعودية أنْ تقوم بدور، لا بدَّ للقادة أنْ يقوموا بدور.

(٣) إلى منظماتنا الإقليميَّة:

ثم كلمة ثالثة إلى منظماتنا الإقليميَّة، إلى جامعة الدول العربيَّة، ومُنَظَّمة المؤتمر الإسلامي، ومُنَظَّمة الوحدة الأفريقيَّة، لا بدَّ أنْ يكون لهم دورهم، لا بدَّ أنْ يكون لهم سعيهم، لا بدَّ أنْ يكون لهم نشاطهم في هذه القضيَّة الخطيرة، فإنهم مسؤولون عن هذا الأمر، أمام الله، وأمام التاريخ، وأمام الأُمَّة كلها.

QaradawiBooks.com

(٤) إلى المعارضة السودانيَّة:

ومن ناحية رابعة، أُوجِّه كلمة إلى الإخوة في المعارضة السودانيَّة، أريد من هؤلاء الإخوة أنْ يعلوا عن الأمور الشخصيَّة، أنْ يجعلوا الوطن فوق الأهواء الشخصية، أنْ يجعلوا المطالب العليا فوق المطالب الدنيا، لا يجوز لهم أنْ يقفوا مع الغزاة في خندق واحد، مع إثيوبيا، ومع إريتريا، بل مع إسرائيل في خندق واحد، لا يجوز للإخوة هذا، وخصوصًا الصادق المهدي، ومحمد عثمان الميرغني، وهما ينتسبان إلى طوائف دينية، ولهما تاريخ حافل، لا يجوز لأحد منهما أنْ يقف مع جارانج، كيف يرضى هؤلاء الزعماء أنْ يكونوا تحت إمرة جارانج، أعجب من هذا، وجارانج تؤيده القوى الخارجية الأخرى، كيف يرضى هؤلاء لوطنهم أنْ يعيش بعضه ضد بعض، إنهم يدعون الشعب أنْ ينتفض على الحكام، ولمَّا لم ينتفض الشعب على الحكام ـ وإنَّما انتفض معهم ضد الغزاة ـ طالبوا القوَّات المُسَلَّحة والشرطة أنْ تنتفض على الحكومة، كيف تنتفض القوَّات المُسَلَّحة على دولتها وهي تُغْزَى من جيرانها؟

هذا عجيب، هؤلاء يريدون أنْ ينشقَّ الشعب على بعضه، ويقاتل بعضه بعضًا، كيف نجيز لليد السودانيَّة، أو للسلاح السوداني، أنْ تقتل سودانيًّا؟ ماذا يريد هؤلاء؟ يريدونها حربًا أهليَّة تأكل الأخضر واليابس؟

ماذا جنى الناس من وراء الحروب الأهليَّة؟ ماذا جنت لبنان من سبعة عشر عامًا حروبًا أهلية؟ هل حلَّت مشكلة؟ لا لم تحل مشكلة، ماذا جنت أفغانستان وهي يقاتل بعضها بعضًا من سنين للأسف وتُسفك الدماء، وتُهدَر الأموال، وتُخرَّب الديار، يخربون بيوتهم بأيديهم والعياذ

QaradawiBooks.com

بالله؟ ماذا جنت الصومال وهي يقاتل بعضها بعضًا من سنين؟ ماذا جنت الجزائر وهي يقاتل بعضها بعضًا، الحكومة والجماعات المسلحة؟

هل يريدون للسودان أنْ يكون جزائر أخرى، أو صومالًا أخرى، أو أفغانًا أخرى، أو لبنانًا أخرى؟ هل يقول هذا عاقل يحب وطنه، ويحب شعبه، يدعو الناس إلى أنْ يحارب بعضهم بعضًا، وأنْ يقتتل بعضهم مع بعض؟ كيف يرضى هؤلاء الزعماء أنْ يكونوا مظلَّة للأطماع الدوليَّة، الطامعة في السودان، والطامعة في بلاد العرب كلها؟

إنَّني أربأ بهؤلاء الزعماء بما لهم من تاريخ، وما لهم من صِلات دينيَّة أن يرضوا بهذا الموقع، الَّذي لا يرضى به إنسان كريم، فضلًا عن مسلم زعيم.

(٥) إلى الشعب السوداني:

وهناك ـ أيُّها الإخوة ـ كلمة أوجهها إلى الشعب السودانيِّ، إلى أبناء السودان، أقول لأبناء السودان: لا تستجيبوا لدعاة الفتنة، احقنوا دماءَكم، احرصوا على وحدة وطنكم، ووحدة شعبكم، ووحدة صفكم، احرصوا على إسلامكم.

قد يكون لبعضكم انتقاد للنظام الحاكم، ولا مانع أنْ يكون هناك انتقاد للنظام الحاكم، وأنا شخصيًّا عندي ملاحظات على النظام الحاكم، أنا من أنصار التعدُّديَّة، ولكن أين هي التعدُّديَّة في العالم العربي كله؟ لماذا تريدونها في السودان وحده؟ لماذا لا تتركون هذه الثورة كما تركت ثورات أخرى مدَّة من الزمن، حتَّى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، ثمَّ يطبق نظام التعدُّديَّة؟

QaradawiBooks.com

أنا أقول: من حقِّ كلِّ سوداني أن ينتقد النظام الحاكم، ولكن ليس من حقِّ أيِّ سودانيٍّ أنْ يؤيِّد غزو وطنه، أنْ يكون مع الغزاة، والعملاء للغزاة، ليس من حقِّ أيِّ سوداني أنْ يقرَّ سفك الدماء، وهدر الأموال، وتدمير المنشآت، وتيتُّم الأطفال، وتحقيق أهداف أعدائنا بأيدينا، لا يجوز لسوداني مخلصٍ أن يفعل هذا.

هذا ما أريده للإخوة من أبناء السودان، أنْ يفقهوا هذا الأمر جيِّدًا، وأنْ يكونوا بالمرصاد لدعاة الفتنة، فالفتنة نائمة لعن الله مَنْ أيقظها، يجب أنْ يقفوا صفًّا واحدًا ضد الَّذين يريدون أن يمزقوا الشعب، أو الَّذين يريدون أنْ ينزلوا راية لا إلٰه إلا الله، من أعلى إلى أسفل، لن تنزل راية لا إلٰه إلا الله، ستظل خفاقة إن شاء الله.

أقول للإخوة في السودان: إنَّ الله تعالى ناصركم، لأنكم نصرتم الله، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

يا أيُّها الإخوة في السودان، حاولوا أنْ تجمعوا الصفوف، حاولوا أنْ تحقنوا الدماء، حاولوا ألَّا يقتل سودانيٌّ سودانيًّا آخر، فإنْ أبى الآخرون إلَّا الاستعانة عليكم بالأعداء، وإلا أنْ يغزوكم في عقر داركم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، هنا أقرأ عليكم قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

QaradawiBooks.com

يا أيُّها الإخوة في السودان، كونوا يدًا واحدة، كونوا في المعركة صفًّا واحدًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وأتمنى ألا تكون معركة، أتمنَّى ألَّا يكون اقتتال، ولكن إذا فرض علينا القتال خضناه وهو كُرْهٌ لنا، كما قال الله تبارك وتعالى.

(٦) إلى أمريكا:

وكلمة أخيرة أقولها للقوَّة الأولى في العالم، للأمريكان، أقول لهم: انظروا إلى المستقبل، لا تنظروا إلى المصالح العاجلة، وانظروا إلى المصالح العليا الآجلة، ليس الإسلام عدوًّا لكم لو مددتُم يدكم إليه، ليس الإسلام هو العدو البديل للشيوعيَّة، الإسلام رحمة الله للعالمين، ليس الإسلام هو الخطر المخوف، الإسلام ليس خطرًا إلا على الإلحاد، والإباحية، والفساد، والطغيان والاستبداد، الإسلام رحمة الله ﷻ، فلماذا تخافون كل مشروع يتحدَّث عن الإسلام، أو يعلن الإسلام؟

أنا أدعو الأمريكان، العقلاء منهم، وأصحاب القرار فيهم، أنْ يعالجوا الأمر بعقولٍ متأنية، وهم أصحاب الدراسات الموضوعيَّة في مثل هذه الأمور.

أمَّا إسرائيل فلا علاج لها، لأنَّ قوَّتها تقوم على إضعافنا، وعزَّتها تقوم على إذلالنا، واتِّساعها يقوم على الأخذ منا، وبنيانها يقوم على أنقاضنا، وحياتها بموتنا، فلا لقاء بيننا وبينها، هذه قضيَّة ينبغي أنْ تُعرف.

مساندة السودان:

إنَّ قضيَّة السودان أيُّها الإخوة قضيَّة خطيرة، وواجبنا نحن الشعوب المسلمة، نحن الأفراد المسلمين، أن نمدَّ يد المعونة لإخواننا في

QaradawiBooks.com

السودان بكل ما نستطيع، بالمال من الزكاة، ومن الصَّدقات، ومن الوصايا، من أيِّ مالٍ، حتَّى المال الَّذي فيه شبهة، أعطه لهؤلاء، حتَّى تقوى جبهتهم، فهي جبهةٌ ضعيفة أمام القوى الأخرى، ولكنها قويَّة بقوَّة الله، وقويَّة بتأييد المؤمنين، فلنقف وراء السودان، بأنفسنا، وبأموالنا، بما نستطيع، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

ثمَّ بعد ذلك نقف وراء السودان بالضراعة إلى الله ﷻ، بالدعاء في ليالي رمضان، في القنوت، في السجود، في ساعات السَّحَر، أنْ ينصر الله المؤمنين، وأنْ يعزهم، وأنْ يبطل كيد أعدائهم.

اللهمَّ انصُرْ إخوتنا في السودان، اللهمَّ أَيِّدهم بروح من عندك، اللهمَّ أمدَّهم بجند من جندك، اللهمَّ احرُسْهم بعينك الَّتي لا تنام، واكلأهم في كنفك الَّذي لا يُضام، وافتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتمَّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، واحمِ هذا البلد العزيز من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهمَّ أبطل كيد الكائدين، ومكر الماكرين، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]. اللهمَّ آمين، وصلِّ اللهمَّ على عبدك محمدٍ، وعلى آله وصحبه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٧

الأُمَّة الإسلاميَّة وقضيَّة كشمير[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتَّقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على رحمة الله للعالمين، وحجَّته على الناس أجمعين، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلِّمنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومَنْ دَعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

أول الحرب كلام:

فماذا يفيد الكلام أيُّها الإخوة أمام هذه الأحداث، وأمام هذه المآسي، نحن نحاول أنْ نتكلَّم ونتشدَّق، بينما الرصاص، والقنابل، والدبابات،

(١) ألقيت خلال الندوة التي أقامتها مؤسَّسة الشيخ عيد بن محمد آل ثاني الخيرية، بمناسبة يوم التضامن مع الشعب الكشميري، بقاعة جوانا بفندق رمادا، بالدوحة، بتاريخ ٦ يونيو ٢٠٠١م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والطائرات، والصواريخ هي التي تتحدَّث الآن، وقد آن لنا أنْ نتحدَّث بلغة أخرى، في إحدى قصائدي قلت:

يا أمَّتي وَجَبَ الكِفَاحْ فدَعِي التَّشدُّقَ والصِّياحْ
ما عادَ يُجْدينا البُكا ءُ على الطُّلولِ ولا النُّواحْ
لغةُ الكلامِ تعطَّلَتْ إلَّا التكلمَ بالرِّماحْ[1]

ومن قديمٍ كان لي قصيدة وأنا أودِّع كتيبة الأزهر المسافرة إلى قناة السويس، كانت القصيدة تقول:

دعِ المِدادَ وسَطِّرْ بالدَّمِ القاني وأسْكِتِ الفمَ واخْطُبْ بالفم الثاني
فَمُ المدافعِ في صَدْرِ العُدَاة لهُ مِنَ الفصاحةِ ما يُذري بسَحْبَانِ[2]

نحن نريد أنْ نخطب بالفم الثاني، وأنْ نسطِّر بالدم القاني، فقد سئمت ـ والله ـ الحديث في قضايانا، وإنْ كان الحديث لا بدَّ منه، وإنَّ الحرب أولها كلام، كما قال الشاعر[3]. والله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ [التوبة: ١٠٥]. فلا يمكن أنْ نستغني عن الكلام، بل نحن نُضطر إليه، وخصوصًا أنَّ الأُمَّة التي ذكر الحديث أنَّها كالجسد الواحد[4]، أنَّها في وحدة عضويَّة، أصبحت أُمَّة مُنوَّمة، أو مُخدَّرة، لا تعرف قضاياها.

---

(١) ديواننا: نفحات ولفحات صـ١٨٤، ١٨٥، قصيدة: يا أمتي وجب الكفاح، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٢) نفحات ولفحات صـ٣٢، ٣٣.

(٣) هو نصر بن سيار، كما في عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس (٣٩/١)، وتمام البيت:

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها كلام

(٤) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائر جسده بالسَّهَر والحُمَّى». رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

كشمير شقيقة فلسطين:

قضيَّة كشـــمير مثل قضيَّة فلســـطين، هي أختها تمامًا بتمام، وهناك حِلفٌ غير مقـــدَّس، حِلفٌ دنس بين الصهيونيَّة والهندوســـيَّة، وقد قرن القرآن الكريـــم بينهما في قولـــه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائـــدة: ٨٢]. تحالـــف اليهود والذين أشـــركوا كلاهما مع الآخر.

ولكن المشـــكلة أنَّ العالَم الإســـلامي يعامل الهنـــد باعتبارها بلدًا صديقًا، والعالَم العربي كله يعتبرها صديقة العرب، وهذه مشكلة كبرى، فالهند تُذَبِّح المســـلمين، وتُريـــق الدِّماء، وتهتك الأعـــراض، وتنتهك الحُرمات، وتُدمِّر المســـاجد، وتُخـــرِّب المزارع، وتهـــدم البيوت على أصحابها، وتهتك أعراض النساء، وتقتل الأطفال البرآء، ومع هذا يعاملها الكثير من العرب والمسلمين، أو أكثرهم، أنَّها الدولة الصديقة.

ونحن نعلم من قديم أنَّ صلتها بالصهيونيَّة صلة عميقة وقويَّة، وهي الآن تـــزداد قوَّة على قـــوَّة، كما حكـــت الأحداث والوقائـــع، والتقارير والأرقـــام، أنَّ هناك تعاونًا عســـكريًّا واضحًـــا بين الصهيونيَّـــة ودولتها إسرائيل، والهندوسيَّة الهنديَّة، ماذا عسانا أن نفعل أيُّها الإخوة؟!

قضيَّة عادلة:

قضيَّة كشـــمير قضيَّة عادلـــة، فمنذ حدث التقســـيم إلى باكســـتان، وهندوستان، كان القرار واضحًا، أنَّ البلاد ذات الأغلبيَّة المسلمة تنضم إلى باكستان، والبلاد ذات الأغلبية الوثنيَّة تنضم إلى الهند.

وكان المنطق الطبيعي الذي يفرض نفســـه بقوة ووضوح أنَّ كشمير ذات الأغلبيَّة المسلمة الســـاحقة تنضم إلى باكستان، ولكن للأسف كان

QaradawiBooks.com

الذي يحكم كشـــمير في ذلك الوقت حاكم هندوسي، مع أنَّ الذي كان يحكم حيدر آباد حاكم مسلم، ولو كان الحكام هم المعيار لكانت حيدر آباد ـ بحكم حاكمها المســـلم ـ من نصيب باكســـتان، لكنهم قالوا: لا، ليست العبرة بالحاكم، إنَّما العبرة بأغلبيَّة الشعب.

إذنْ لماذا لم يُطبَّق هذا على كشـــمير؟ لأنَّ كشمير قطعة غالية جدًّا، هي ـ كما رأينا، وكما سمعنا من الأستاذ أبي الأعلى المودودي ـ جنَّة الله في أرضه، لهذا أصرَّت الهند أنْ تبقى كشـــمير معها ولها، رغم وضوح العدل والمنطق أنَّها من حقِّ الأغلبية المسلمة.

ولكن حينما تكـــون القوَّة هـــي الحاكمة لا يكون المعيـــار هو قوة المنطق، ولكـــن منطق القوَّة، وتكون الحجَّة للســـيف لا للقلم، للحديد والنار، وليست للقسط والعدل، كما قال الشاعر:

تكلَّم السيفُ فاسكتْ أيُّهَا القلمُ تحكَّم الذِّئبُ فاخضعْ أيُّهَا الحَمَلُ

لقد حكمت الذئـــاب، وتحكَّمـــت المخالب والأنيـــاب، تحكَّمت السيوف، تحكَّمت القوة.

ورفض الكشـــميريون من أوَّل الأمـــر هذا القـــرار الهندي، ورفض الباكستانيون كذلك، وحكمت الأمم المتحدة بأنْ يكون هناك استفتاء هو الذي يقرر المصير، ولكن لم يُجْر هذا الاستفتاء إلى اليوم.

قضيَّة قديمة:

إنَّ قضيَّة كشمير ـ أيُّها الإخوة ـ قضيَّة قديمة، وأذكر أنَّه في سنة (١٩٥٠م) تقريبًا، حين كنا في القاهرة، في أول سَنَة لنا في كلية أصول الدين، وكانت هذه القضيَّة حيَّة من أول يوم، وكانت تُقام من أجلها المؤتمرات.

QaradawiBooks.com

وأذكر ونحن طلابًا أحد المؤتمرات عُقِد في «دار الشُّبَّان المسلمين» بالقاهرة، تحت عنوان «يوم كشمير»، وتبارى الخطباء، وتبارى الشعراء، وممَّا أذكره في ذلك اليوم قصيدة لشاعر مصري، اسمه خالد الجرنوسي، كان من الشعراء المطبوعين المُجيدين، وقال قصيدة رائعة أبكت الناس في تلك الليلة، ومما أذكره منها قوله:

يَا يَـوْمَ كَشْـمِيرٍ تحيَّـة مُسْـلِمِ ... مَطْلُولـة عَبْـرَى تَرَقْـرَقُ بِالدَّمِ
فـي كلِّ محكمـةٍ قضيَّةُ مُسْـلِمٍ ... يشـكو بَلِيَّتَـهُ لِغَيْـرِ المُسْـلِمِ
ومـن البليَّـة أنَّ حـزبَ مُحَمَّدٍ ... يرعاهمو في الأرضِ حِزْبُ جَهَنَّمِ

نحن نشكو بلايانا لغير المسـلمين، بلية فلسـطين، وبلية كشمير، وبلايا الأُمَّة كلها نشكوها لمن لا يسمع لنا شـكوى، فهذه قضيَّة قديمة جديدة، ومن حقنا أن ننبِّه الأُمَّة على أحقية هذه القضيَّة، وعلى عدالتها.

وأنا أشكر ـ في الحقيقة ـ جمعية الشيخ عيد بن محمد آل ثاني الخيرية التي أقامـت هذا المنتدى في هذه الليلـة، وجمعت الناس لتوعيتهم بهذه القضيَّة الواضحة وضوح الشـمس في كبد السـماء، ولكن للأسـف ـ كما قلت ـ الأُمَّة مُنوَّمة مُخَدَّرة، لا تعرف صديقها من عدوها.

قضايا واحدة لأُمَّة واحدة:

قضيَّة كشـمير كقضيَّة فلسـطين، قضيَّة عادلة، قضيَّة حـقٍّ يُقاوِم باطلًا، قضيَّة عدل يُقاوِم ظلمًا، قضيَّة خير يقاوم شـرًّا وفسادًا، ولا بدَّ أنْ تلتحم هذه القضايا كلها ببعض، وهي قضيَّة واحدة لو أدركنا حقيقةً أنَّها قضيَّة الإسـلام والأُمَّة الإسـلامية مع خصوم الأُمَّة الإسـلامية والقوى المعادية لها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولكن أعداءنا لا يريدون أنْ يجعلوها قضيَّة واحدة، يريدون أنْ يجعلوها قضايا، لكل واحدة منها مجالًا مختلفًا، ومساحة مختلفةً، ومهتمين مختلفين، ولكن علينا نحن أن نرفض هذه التجزئة، علينا أن نوحِّد قضايانا، ونصلها بعضها ببعض، ويكون بين العاملين لهذه القضايا تحالف وتنسيق، بل اتفاق ووحدة، الأصل أنْ يكون هناك وحدة، هكذا كان المسلمون، ما عرف المسلمون هذه التفرقة.

والعجيب أنَّ أعداءنا يعاملوننا باعتبارنا أُمَّة واحدة، هكذا ينظرون إلى المسلمين، تصوروا أنَّه عندما حدث اتفاق أوسلو كان أول بلد ذهب «رابين» ليزورها هي إندونيسيا، وعندما وُفِّقت باكستان لعمل القنبلة النووية هاجت إسرائيل وماجت، وثارت ثائرتها، لأنَّها تعلم أنَّ قوة باكستان قوة للعرب، قوة لفلسطين، وحينما قويت إيران عرفوا أنَّ قوتها قوة لفلسطين وللعرب، فهم ينظرون إلينا باعتبارنا أُمَّة واحدة.

ونحن للأسف ننظر إلى أنفسنا على أننا أمم مختلفة، حتَّى أجد بعض الناس يقولون: الأمم الإسلامية. وهذا تعبير خاطئ، لا يجوز أن نقول: الأمم الإسلامية. بل نقول: الشعوب الإسلامية، والأُمَّة الإسلامية. فهي أُمَّة واحدة ذات شعوب، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

قوة الأُمَّة:

على أنَّ أُمَّتنا ـ أيُّها الإخوة ـ أُمَّة قوية، تملك الكثير من الإمكانات والمقومات، والطاقات الجديرة بأنْ تعطينا الأمل.

QaradawiBooks.com

القدرة البشرية:

عند أمتنا الطاقة والقدرة البشريَّة، عندها مليار وثلث مليار من البشر، والقدرة البشـريَّة ليسـت هباءً ولا ضياعًا، بل هي نعمة يُمتن بها، والله تعالى يقـول: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. يقول هذا في معرض الإنعام والامتنان.

والشاعر العربي يقول:

وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمُ حصًى وَإِنَّـمَـا الـعِـزَّةُ لِـلْـكَـاثِـرِ[١]

ويقول الآخر في معرض الفخر والاعتزاز:

ملأنـا البـرَّ حتَّـى ضـاق عنـا ونحـن البحـر نملؤه سـفينا[٢]

وأمتنا تملك مليارًا وثلث المليار من البشر، تملك قوة الموارد البشرية.

القدرة الاقتصادية:

وتملك أمتنا ـ كذلك ـ القدرة الاقتصاديَّة، تملك السـهول الزراعيَّة؛ وتملك الثروات المائيَّة، البحار، والبحيرات، والأنهار؛ وتملك الثروات المعدنية، يكفي أنْ معظم النفط يرتكز في بلاد المسلمين، حتَّى إنَّ أحد كبار رجال الغرب قال ذات مرة لأحد الإخوة في ماليزيا، هو أخونا أنور إبراهيم فك الله أسـره، قال له: نحن نعجب أنَّ البترول لا يكاد يستخرج إلا من بلاد المسـلمين، لماذا يسـتخرج في ماليزيا ولا يسـتخرج في تايلند؟ فهناك ثروات هائلة عند هذه الأُمَّة.

---

(١) ديوان الأعشى الكبير صـ١٤٣، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، نشر مكتبة الآداب، القاهرة.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١.

QaradawiBooks.com

الطاقة الحضاريَّة:

وتملك أُمَّتنا كذلك الطاقة الحضاريَّة، فهي ترِث حضارات العالَم، كل الحضارات العظيمة نبتت في أرض الإسلام، الحضارة الفرعونيَّة في مصر، والحضارة الفينيقيَّة في بلاد الشام، والحضارة الآشوريَّة، والبابليَّة، والكلدانيَّة في العراق، والحضارة الفارسيَّة في إيران، كل هذه الحضارات نشأت في أرضنا، فلسنا أُمَّة قريبة القاع، أو عائمة الجذور، لا، بل نحن أُمَّة تضرب في أغوار التاريخ بجذور عميقة.

وكما نبتت الحضارات العظيمة في أرضنا، نبتت كذلك كل الرسالات السماوية في أرضنا، اليهودية، والمسيحيَّة، والإسلام، وأنزل الله فيها التوراة، والإنجيل، والقرآن.

الرسالة الروحيَّة:

ثم فوق ذلك تملك أُمَّتنا الرسالة الروحيَّة، فنحن عندنا الطاقة والقوَّة الروحيَّة التي لا يملكها أحد غيرنا، نحن وحدنا الذين نملك الوثيقة السماوية الإلٰهية التي تتضمَّن كلمات الله الأخيرة للبشر، التي سلمت من التحريف والتزييف والتبديل، هذه الوثيقة هي القرآن الكريم، عندنا نحن هذه الرسالة، رسالة الإسلام، الرسالة الربَّانية، الأخلاقيَّة، الإنسانيَّة، العالميَّة، رسالة التوازن والاعتدال، الرسالة التي وصلت الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والفرد بالجماعة، والحق بالواجب، وأقامت هذا التوازن، فأمتنا هي الأُمَّة الوسط، التي تملك المنهج الوسط، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

QaradawiBooks.com

ضعف القادة:

نحن نملك هذا كله، نملك مصادر القوة، وعوامل القوة، ومقوِّمات القيادة، والريادة، والسيادة؛ ولكن مع الأسف لم تنتفع الأُمَّة بهذه المقومات، لأنَّ الأُمَّة سُلِّطت عليها أنظمة حاكمة لا تنتسب إلى هذه الأُمَّة حقيقة، قيادات غُرِّبت عقولها وضمائرها، غرَّبها الاستعمار الثقافي عن قومها وأهلها، حتَّى بات هؤلاء في وادٍ، وشعوب الأُمَّة في وادٍ آخر.

وكان للسيد محب الدين الخطيب شعاران من قديم يذكرهما في كل عدد من مجلته، «مجلة الفتح»، الشعار الأول: كلمة الأوزاعي رضي الله عنه: أنت على ثُغرة من ثغر الإسلام فلا يُؤتينَّ من قِبَلِك[1]. كلُّ مسلم حارس على نقطة معينة لا يجوز له أنْ يتخلى عنها، والشعار الآخر يقول: المسلمون إلى خير، ولكن الضعف في القيادة.

مشكلة المسلمين الضعف في القيادة، ابتلينا بقيادات مستسلمة، واهنة، هانت على أنفسها فهانت على أعدائها وخصومها، مستعدَّة لأنْ تسلِّم لها في كل شيءٍ، هذه مشكلة القيادات التي ابتليت بها الأُمَّة.

ولقد شرَّقت وغرَّبت، وسافرت إلى بلاد الإسلام، ووجدت المسلمين ـ وخصوصًا بعد الصحوة الإسلامية المعاصرة ـ في خير كثير، وعلى خير كثير، ولكن هناك مَنْ يحاول أنْ يُطفئ الجذوة، ويطفئ الشمعة، ويُخمد الروح، هناك للأسف تلك القيادات السياسيَّة الواهنة ـ إلا مَنْ رحم ربُّك، وقليل ما هم ـ التي ابتليت بها هذه الأُمَّة، القيادات التي تعيش في غير وادي الأُمَّة.

---

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في السُّنَّة (٢٩)، وإسناده حسن.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التعويل على الأُمَّة:

من هنا نقول: الشعوب الإسلامية إلى خير، وفيها خير كثير، ويجب علينا أنْ نثق بالأُمَّة، بجمهور الأُمَّة، بشعوب هذه الأُمَّة، بجماهيرها التي آمنت بربِّها، وبقرآنها، وبنبيِّها ﷺ، فأنا أعتقد أنَّ هذه الأُمَّة على خير، وفي الحديث: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(١).

هذا ما بشَّرنا به رسولنا ﷺ، وهو ما هدانا إليه القرآن حينما قال: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. وحينما قال: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. الأُمَّة التي تهدي بالحق، وتحكم بالحق، وتعدل بالحق مستمرَّة إلى يوم القيامة.

ومن هنا كان علينا أنْ نوقِظ هذه الأُمَّة من سباتها، وأنْ نُحييها من مَواتها، وأنْ نصحِّيَها من سكرتها، فالآخرون يحاولون أنْ يُنوِّموها ويُخدِّروها، فلنحاول نحن أنْ نوقظها ونصحِّيَها، ونحن قادرون على ذلك، والأُمَّة ـ بحمد الله ـ تستجيب لنا، الأُمَّة فيها الخير الكثير.

نحن مستعدون أنْ نظل مع هذه الأُمَّة لنجمعها من شتات، ونحييها من موات، وإذا اجتمعت الأُمَّة وحيَتْ، واستيقظت ستستطيع أنْ تستردَّ حقوقها، وتستطيع أنْ تعطي الدروس القاسية، والدروس البليغة لأعدائها، وإنْ كانت أقلَّ منهم عددًا أو عُدَّة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧) (١٧٤)، عن معاوية.

QaradawiBooks.com

الله ولي المؤمنين:

إنَّ المسلمين في تاريخهم لم ينتصروا بمجرد عددهم، ولا عُدَّتهم، كما قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: إنَّما ننتصر بطاعتنا لله، ومعصية عدُوِّنا له[1]. إذا وضعنا يدنا في يد الله عز وجل سننتصر، هم أكثر ولكن، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وهم عندهم الحصون تمنعهم، ولكننا نتلو قول الله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

وهم أكثر منا مكرًا وكيدًا، ولكنَّ كيد الله أقوى، ومكر الله أعظم، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧]. فمكر الله لنا، وكيد الله معنا، وقوة الله معنا، ويد الله معنا، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]. ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

الله تعالى هو الذي يحارب معنا، ويدافع عنا، يقول: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ [الحشر: ٢]. كأنهم يحاربون الله، فالله هو الذي تولَّى شأنهم، وفلَّ كيدهم، وأبطل مكرهم، وشتَّت جمعهم، وانتصر منهم، ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]. ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

---

(١) ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد (١١٧/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

أيها الإخوة، هذه الأُمَّة تملك من المقوِّمات، والطاقات، والقدرات ما تستطيع أنْ تحقِّق بها ذاتها، وأنْ تربح قضاياها، وأنْ تنتصر على أعدائها، إذا وجدت القيادات الصَّالحة، فإذا لم توجد هذه القيادات في الحكومات، فليُكَوِّن الشعب من نفسه قيادات شعبيَّة تمضي في طريقها، معتمدة على الله تبارك وتعالى متوكِّلة عليه، آخذة بالأسباب المقدورة لها.

إنَّ الله تعالى أمرنا فقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. لم يقل: وأعدوا لهم مثل ما أعدوا لكم. إنَّما قال: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾. فإذا استطعنا عمل قنبلة نوويَّة فهو خير، وإذا لم نستطع المقاومة إلا بالبنادق والرشاشات، أو بالطوب والحصى نحارب بما استطعنا، علينا أنْ نبذل ما عندنا، والباقي على الله تبارك تعالى، فهو الذي ينصرنا، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠]. وإذا نصرنا الله فلن يغلبنا أحد، ولن يخذلنا مخلوق، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أيها الإخوة، هذه خواطر مرسلة، بثثتها إليكم، أرجو أنْ ينفع الله تعالى بها، وأنْ يوقِظ بها القلوب والعقول، ويهيِّئ بها هذه الأُمَّة لتقف مع إخوانها في هذه المعركة العادلة، معركة الحقِّ ضد الباطل، ومعركة النور ضد الظلام، ومعركة الإسلام ضد الجاهليَّة، ومعركة التوحيد ضد الشرك، وإنَّ الله لناصرنا إن شاء الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٧ ـ ١١].

QaradawiBooks.com

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وأسأل الله تعالى لإخواننا النَّصر المبين، وأسأله أنْ يعجِّل بالهلاك لأعدائنا، اللهم خذهم أخْذَ عزيز مقتدر، اللهمَّ عليك باليهود الغادرين، وعليك بالوثنيين المتعصبين، وعليك بالصليبيين الحاقدين، وعليك بجميع أعدائك أعداء الدين، اللهمَّ خذهم، ومَنْ ناصرهم، أو وادَّهُم، أو عاونهم أخذ عزيزٍ مقتدرٍ، اللهم أنزل عليهم بأسَك الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، اللهمَّ نكِّس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، وأذهب ريحهم، وأدِلْ دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تجعل لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]. اللهمَّ آمين، وصلِّ اللهم على عبدك محمدٍ، وعلى آله وصحبه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

الأُمَّـة الإسـلاميـة

نسخة مجانية

من الدستور الإلهي للبشرية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**». رواه مسلم.

عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إنِّي قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال «**...عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن**». رواه الترمذي حسن صحيح غريب.

عن تميمٍ الدَّاري قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر إلَّا أدخله الله هذا الدِّين، بعِزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذليل، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر**». رواه أحمد والحاكم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٨

واجب العلماء نحو وحدة الأُمَّة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخلْقِ إلى الحق، ومُخرج النَّاس من الظلمات إلى النُّور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومُعلِّمنا محمَّد، وعلى آله وصحبه، ومَنْ دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهادَه إلى يوم الدِّين.

فضيلة الإمام الأكبر، أخي الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ أحمد الطيِّب، شيخ الأزهر، الَّذي أسأل الله تعالى أنْ يوفِّقه، ويوفِّق الأزهر في عهده، إلى أنْ يخطو خطوات إلى الأمام في إصلاح الأزهر، وإصلاح الأمَّة بالأزهر، اللهمَّ آمين.

---

(١) ألقيت بمركز الأزهر للمؤتمرات، في اللقاء التحضيري للملتقى العالمي السادس لخريجي الأزهر، تحت عنوان: أهل السُّنَّة والجماعة.. دعوة إلى الوحدة والتسامح ونبذ الفرقة والتطرف. بدعوة من الرابطة العالمية لخريجي الأزهر، القاهرة، مساء الاثنين ٢٤ يناير ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

أيها الإخوة الأحبة، خير ما أحيِّيكم به تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله، لقد استمعتم ـ واستمعت معكم ـ إلى هذه الكلمات المنيرة المشرقة الطيِّبة من علماء أجلَّاء، جاؤوا من مشارقِ الأرض ومغاربِها إلى هذا الأزهر، الَّذي لم أذهب إلى بلد من البلدان إلا وجدتُ أبناءَه في المقدِّمة، قادةً في العلم، وقادةً في الرأي، وقادةً في الإصلاح، وقادةً في السياسة، وهذا هو شأن الأزهر.

مكانة الأزهر ودوره:

الأزهر الَّذي أراد أناسٌ من قديم أنْ يجتثُّوا جذورَه، ولكنَّهم ذهبوا وبقي الأزهر، وقد قال شوقي من قديمٍ في قصيدته الشهيرة:

دَعْ عنكَ قولَ عِصَابَةٍ مَفْتُونَةٍ يَجِدُونَ كلَّ قديمِ أمرٍ مُنْكَرَا
ولَوِ استطاعُوا في المَجَامِعِ أَنْكَرُوا مَنْ ماتَ مِنْ آبائِهِمْ أَوْ عُمِّرَا
مِنْ كُلِّ سَاعٍ في القَدِيمِ وهَدْمِهِ وإذا تَقَدَّمَ لِلْبِنَايَةِ قَصَّرَا[1]

ذهب هؤلاء، وبقي الأزهر.

وعلينا نحن ـ أبناء الأزهر ـ أن نحافظ على هذا الأزهر وننمِّيه، نحافظ على قديمه، ونزيد من جديدِهِ، نحاول أنْ يكون الأزهر كما شاء الله له، حاملَ الراية، وحاملَ المشعل لأمَّة الإسلام، والعامل على توحيد المسلمين في كل مكان.

(١) في قصيدته الأزهر، انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٥١/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأزهر هو معهد أهل السُّنَّة، وقد نشأ أول ما نشأ بغير السُّنَّة، وشاء الله تعالى أنْ يبقيه معهدًا، ومركزًا، وحاملًا لراية أهل السُّنَّة في مشارق الأرض ومغاربها.

مشكلة التعصُّب والغلو:

وإنْ كان ممَّا يدعو للأسف أن هناك بعض الإخوة ـ سامحهم الله وهداهم ـ يعتبرون الأزهر مُروِّجًا للبدعة، وقالوا: إنَّ الأزهر أشعري وماتريدي، والأشعرية والماتريدية ليسوا من أهل السُّنَّة!

وأنا أعجب من هذا القول.

جمهور الأُمَّة:

كنت في أحد المؤتمرات، وسألني بعض الشباب المتحمس، الَّذي ينظر إلى الأمور من أفقٍ ضيِّق ـ عن الأشعرية، فقلت له: إنَّ الأمة الإسلاميَّة أشعريَّة، الأزهر في مصر أشعريٌّ، والزيتونةُ في تونس أشعريَّة، والقرويين في المغرب أشعريَّة، وديوبند في الهند أشعريَّة، وندوةُ العلماء أشعريَّة، وأغلب الجامعات الشرعيَّة، والمدارس الدينية أشعريَّة، هذه هي الأمَّة الإسلامية، فهل تريد أن تُضلِّل الأمة الإسلاميَّة كلها؟ إذا كنَّا نقول للشيعة: أنتم أقليَّة، وأنَّ جمهور الأمَّة الإسلاميَّة هم أهل السُّنَّة. فإذا أخرجت الأشعريَّة من أهل السُّنَّة، فماذا بقي للأُمَّة الإسلاميَّة إذنْ؟

نحن ـ أيُّها الإخوة ـ لا ينبغي أن نسمعَ للغُلاة، نحن نقول كما قال العلَّامة السفاريني في عقيدته: أهل السُّنَّة ثلاث فئات: الأشعريَّة، أتباع

QaradawiBooks.com

أبي الحسن الأشعري؛ والماتريدية، أصحاب أبي منصور الماتريدي؛ وأهل الحديث، أتباع أحمد بن حنبل[١]. وهذه هي الحقيقة.

وللأسف جاء المُعلِّق على هذه العقيدة إلى الحاشية، وقال: وهذه مصانعة من المؤلف للأشاعرة والماتريديَّة، والحقيقة أنَّه لا يوجد أهل سُنَّة إلا أهل الحديث.

وهذا القول من المُعلِّق ليس قولًا صحيحًا، فالأُمَّة كلها تقول: الأشاعرة أهل سُنَّة، والماتريدية أهل سُنَّة.

ذمَّ أحدهم ذات مرة أبا حنيفة، فقلت له: أنت بذلك تذمُّ أكثر من نصف الأمة، لأنَّ أكثر من نصف الأمة أحناف، فإذا نظرت إلى المسلمين في الهند، والمسلمين في باكستان، والمسلمين في بنجلاديش، والمسلمين في أفغانستان، والمسلمين في تركيا، بالإضافة إلى المسلمين الأحناف المنتشرين في بلاد الإسلام المختلفة، فكيف تذم أبا حنيفة؟

لقد رأينا الإمام ابن تيمية ألَّف كتابه المُركَّز الممتاز «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، فمَنْ هم هؤلاء الأعلام؟ أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، هؤلاء كلهم أئمة، اعتبرهم ابن تيمية أئمَّة أعلامًا.

وذكر أنَّ أحدًا منهم لم يقصد أنْ يعارض السُّنَّة، أو يخرج على السُّنَّة، بل يمكن أنْ يكون أحدهم لم يبلغه الحديث، ويمكن أنْ يكون الحديث بلغه لكنَّه ضعَّفه، ويمكن أن يكون قد عارضه معارض قويٌّ، إلى آخر

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٧٣/١)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، ومكتبة أسامة، تعليق عبد الرحمن أبابطين وسليمان بن سحمان.

QaradawiBooks.com

ما ذكــره من الأعــذار العشــر لأيِّ إمام من الأئمــة رُئِيَ أنَّــه لم يعمل بالحديث[١]. هؤلاء هم أهل السُّنَّة، وهذا هو فقههم.

ومعروفٌ في تاريخنا الفكري، والفقهي، والثقافي ـ أيُّها الإخوة ـ أنَّ الأمَّة الإســلاميَّة قادها الفقهاء، ولم يقدها المحدِّثون، هذه حقيقة، المحدِّثون لم يقــودوا الأمَّة، لقد كان لهم فضلهم العظيم ولا شــك، لكنَّ الأمَّة مشت وراء أبي حنيفة، ووراء مالك، ووراء الشافعي، مشت وراء الفقهاء.

المشــكلة أيُّها الإخوة في هؤلاء المُتَعَصِّبين الغلاة، ولو ســرنا وراء الغلاة لضاعت الأمة، وتفرَّقت الأمة شــذر مذر، نحــن نحاول دائمًا أن نبني ولا نهدم، وأن نجمع ولا نفرِّق، بعض الإخوة يقول: لا تدخلوا معنا الســلفيَّة، ولا الوهابية، وأمثالهم. لا يا أخي، نحن لا نعمل مثلما يعمل هؤلاء، هناك من الأشــعريَّة مَنْ قال: أنا لا أكفِّر إلا مَنْ كفَّرني. فردَّ عليه أكثر من أشعري وقالوا: حتى لو كفَّرنا لا نكفِّره. فالإسلام يسع الجميع.

ولكن المشكلة أنَّ هناك أناسًــا دُخَلاء على العلم، وأحيانًا يكونون أطفالًا حديثي عهد بطلب العلم، يــردُّ أحدهم أقوال أبي حنيفة، وأقوال مالك، وأقوال الشافعي، ثم يقول: هم رجال، ونحن رجال!

أدب العلم:

لهذا كنَّا في حاجةٍ إلــى أن نثقِّفَ أبناءنا تثقيفًا جديــدًا، قائمًا على الرسوخ والأدب، بحيث ينظر الإنســانُ إلى نفسه أنَّه لا يزال يتعلَّم، كما

(١) راجع: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

QaradawiBooks.com

قال علماؤنا من قديم: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإن ظنَّ أنَّه علم فقد جهل[١].

من الأشياء التي وجدتها حينما ذهبت إلى الخليج من حوالي خمسين سنة، جاءني عالمٌ كبير أول ما ذهبت إلى المكتبة، وقال: أنا أخوك فلان الفلاني، من طلبة العلم. فأعجبني هذا التَّعبير، أنْ يقول العالمُ عن نفسه أنَّه من طلبة العلم. فنحن طلاب علم، نطلب العلم من المهد إلى اللحد.

بين السلفيَّة والصوفيَّة:

علينا أن نعمل على التقريب بين فئات الأمَّة المختلفة، بعضها وبعض، أذكر أنِّي كنت أتناقش أنا والمفكر السوري المسلم الكبير الأستاذ محمد المبارك، وقد كان يُدَرِّس في السعودية، فأهل سوريا يعتبرونه وهابيًّا، وأهل السعودية يعتبرونه صوفيًّا، وأشعريًّا، فكان يقول: لا بدَّ أن نعمل مزْجًا بين الفئات بعضها وبعض، فنريد أن نُسلِّف الصوفيَّة، ونُصوِّف السلفيَّة.

وهذا صحيح، فالسلفيَّة عندهم انضباط بالأحاديث، وبالسُّنَّة، ولكن عندهم جفاف، وهذا الجفاف يحتاج إلى نوع من التَّرطيب الروحي؛ وكذلك الصوفيَّة عندهم الجانب الروحي متَّقدًا، ولكن ليس عندهم انضباط بالسنن، عندهم بدع في العقيدة والعبادة، نحتاج إلى تنقيتها، فنحتاج إلى تطعيم كلِّ فئة بالأخرى.

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة (٣٠٨)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ. من كلام ابن المبارك. وليس حديثًا كما يظن بعض الناس.

QaradawiBooks.com

وهذا ما كان عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، مَنْ يقرأ سيرة الإمام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيم يجدهما في القمَّة من التَّصوف، ولابن تيمية كتابان في مجموع رسائله وفتاواه، مجلد في السلوك، ومجلد في التصوف، أمَّا ابن القيم فله عدد من الكتب، مثل كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، وكتابه «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، وكتابه «روضة المُحِبِّين ونزهة المشتاقين»، إلى آخر كتابه الموسوعي «مدارج السالكين في شرح منازل السائرين إلى مقامات إيَّاك نعبد وإياك نستعين».

ومَنْ يقرأ لابن تيمية وهو يقول حينما أدخلوه السجن قوله: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنَّتِي وبستاني في صدري، إنْ رُحْتُ فهي معي لا تُفَارِقُني، إنَّ حبْسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة[1]. هذه المعاني الربَّانيَّة لماذا نتجاهلها، ولا نعمقها، ولا نتأدَّب بها؟

ضرورة الوحدة:

نحن نسعى ـ أيُّها الإخوة ـ إلى تقريب فئات الأُمَّة، الأمَّة تضعف حينما يختلف بعضها مع بعض، وأعني بالاختلاف الاختلاف المذموم، اختلاف التَّعصب والتَّفرق، ولو كان يجوز للأمَّة الاختلاف في أيِّ عصرٍ من العصور، لا يجوز لها الاختلاف في عصرنا، فالأمَّة تواجه أيُّها الإخوة معركة من أعدائها، معركة عسكريَّة، ومعركة سياسيَّة، ومعركة اقتصاديَّة، ومعركة فكريَّة، ومعركة دينيَّة.

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم صـ٤٨، تحقيق سيد إبراهيم، نشر دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

حتى المعركة الدينيَّة، إنهم يريدون أن ينصِّروا الأمَّة الإسلاميَّة، وقد قرأنا كتاب التنصير المشهور الَّذي صدر عن مؤتمر «كلورادو» سنة (١٩٧٨م)، اجتمع مائة وخمسون شخصًا من النَّصارى البروتستانت في أمريكا طوال أسبوعٍ في هذا المؤتمر، وقدَّموا فيه أربعين دراسة كلها تعمل على تنصير المسلمين في العالم، فهناك معركة دينيَّة أيضًا، وهذا يقتضي من الأمَّة أنْ تتضامَّ وتتلاحم.

عصر التكتُّل:

نحن في عصر التكتُّل، العالم يتكلم بلغة التكتُّل، إلا المسلمين يتكلمون بلغة التفرُّق والتَّشرذم، نحن علمنا أنَّ أوربا قاتل بعضها بعضًا، خصوصًا في الحربين العالميتين الأخيرتين، التي قتل فيها عشرات الملايين من الأوربيين، ثم رأوا أنَّ المصلحة العليا تقتضي أنْ يتَّحد الجميع ويتلاحموا، وينسوا الماضي، وقالوا: نحن أبناء اليوم، ولسنا بقايا الأمس، دعونا من ذكر الحروب ومآسيها، وضحاياها، وتعالوا ليضع بعضنا يده في يد أخيه. وأقاموا الاتِّحاد الأوربيِّ.

هكذا فعلت أوربا الآن، ونحن لا نستطيع أن نقيمَ اتِّحادًا حقيقيًّا في أي مكان، وأنتم تعرفون حال جامعة الدول العربية، والتباغض بينها، وكذلك منظمة المؤتمر الإسلامي، التي لا ينقضي العجب من اسمها، فهم حين اجتمعوا في المغرب بعد إحراق المسجد الأقصى قالوا: نريد أن نعمل مؤسَّسة، فماذا نسميها؟ هل نسمِّيها جامعة الدول الإسلاميَّة؟ فقامت بعض الدول وقالت: لا؛ نحن لسنا دولًا إسلاميَّة، نحن دول علمانيَّة. فاحتاروا ماذا يسمُّونها؟ وفي النهاية قالوا: نحن مجتمعون في مؤتمر إسلامي،

QaradawiBooks.com

فلنسمِّيها «منظمة المؤتمر الإسلاميِّ»! وعند النحويين شيءٌ يُسمَّى «الإضافة لأدنى مُلابَسة»، لهذا نسبوا هذه المُنظَّمة إلى هذا المؤتمر العارض!

مقوِّمات الوحدة:

نحن أُمَّة كبيرة، هذه الأمَّة الكبيرة يُضعفها الاختلاف، فالاختلافُ يُضعف الكثرة، والاتِّحاد يقوِّي القلَّة، وقد أضعفَ الأمَّةَ اختلافُها في أمور كثيرة، والإسلام يسعى بكلِّ ما يمكنه إلى توحيد الأمَّة، فهي أمَّة واحدة، ربُّها واحد، وكتابها واحد، ونبيها واحد، وقِبلتها واحدة، وعقائدها واحدة، وشريعتُها واحدة، وقيمُها واحدة، وأهدافها واحدة، ومصيرها واحد، وأعداؤها أيضًا متَّحدون، فلماذا تتفرَّق هذه الأمَّة؟

والأُمَّة الإسلاميَّة عندها كل مقوِّمات الوحدة، ولا يستطيع أن ينهض بالأمَّة الإسلاميَّة إلا أنْ تتَّحد، نحن نرى الدول الأوربيَّة تشترك دولتان أو ثلاث دول في صناعة طائرة متطورة، ونحن كل بلد منا تريد أنْ تجعل من نفسها إمبراطورية، وربما كانت بلدًا لا تكاد تُرى على الخريطة، ومع ذلك تريد أنْ تعمل مملكة مستقلة عن غيرها، نحن المسلمين أحوج ما نكون إلى أن نتوحَّد، وإلى أن نتلاحم.

مسؤوليَّة العلماء:

وعلماء الأُمَّة تقع عليهم مسؤولية هذا التوحد أكثر من غيرهم، العلماء مسؤولون عن توحيد الأُمَّة، علينا أن نجمعَ الأمَّة، ولا نفرقها، علينا أن ننبِّه دائمًا إلى عوامل الوحدة، لا أن نثير عوامل التَّفرُّق، فهناك من الناس مَنْ يدأب على إثارة الأمور التي تفرِّق الأمَّة، وينفخ فيها، ويوسِّع دائرتَها، ونحن لا ينبغي أنْ يكون هذا شأننا.

QaradawiBooks.com

نحن أُمَّة واحدة، أُمَّة محمَّد ﷺ، وقد أصبحت الأُمَّة الآن ـ في أحدث الإحصاءات ـ مليارًا وستمائة مليون إنسان، فنحن أُمَّة كبرى، والأُمَّة الكبرى تحتاج منا إلى أن ندع عوامل التفريق، ونسعى إلى عوامل التوحيد، فنحن أمَّة الوحدة، وحدة المعبود، ووحدة العابدين.

أسأل الله تعالى أنْ يوفِّق الأزهر، ويوفِّق علماء الأزهر، ويوفِّق علماء الأُمَّة، على أنْ يسعوا إلى جمع كلمة الأُمَّة على الهُدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبَّة، وعزائمها على عمل الخير، وخير العمل، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٤]. اللهم آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٩

رؤية مستقبليَّة للأُمَّة الإسلاميَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشـــهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا وإمامنا وأسوتنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، وارض اللهمَّ عمَّن دَعَا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، واحتكم إلى شريعته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكـــم به ـ أيُّها الإخـــوة ـ تحيَّة الإســـلام، تحيَّةً من عند مباركةً طيبةً، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أمَّا بعد)

فإنِّي أحمد الله تبارك وتعالى أن هيَّأ لي هذه الفرصة للقاء بالإخوة الأحبَّة، الَّذين أســـعد بلقائهم في هذه الدار المباركـــة، بهذه الجمعيَّة الميمونة، بهذه القاعة التي تحمل اســـم أخٍ عزيـــزٍ علينا، حبيب إلينا، ويطيب لي ويسعدني أنْ ألتقي كما يســـعدني دائمًا بالإخوة الأحبة في هذه الجمعيَّة.

نسخة مجانية

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يكون لقاؤنا هذا خالصًا لوجهه، وأن يكون طاعة من الطاعات، وقربة من القربات، وأن يجعله الله تعالى في ميزاننا يوم القيامة حسناتٍ ودرجاتٍ عنده، فنحن في رحاب هذه الدار نطلب العلم النافع، ونلتمس علمًا، عسى الله تعالى أن يُسهِّل لنا به طريقًا إلى الجنة، ونعيش في رحاب كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فأسأل الله ﷻ أن يغشانا برحمته، ويحفنا بملائكته، وأن يذكرنا في ملأ عنده، وأن ينزل علينا السكينة بفضله وبرحمته.

لقد سرني أيها الإخوة أن يختار الشباب القائم على هذا اللقاء هذا العنوان «رؤية مستقبليَّة للأُمَّة الإسلاميَّة»، وأنا من طبيعتي إذا حُدِّد لي الموضوع أقول: الحمد لله. وإذا لم يُحدَّد لي موضوع احتار في الاختيار، حتَّى يفتح الله عليَّ بموضوع، فأتحدَّث فيه بما يشاء الله.

النظرة المستقبليَّة في الإسلام:

هناك عبارات جديدة على الناس، مثل: رؤية مستقبليَّة، أو رؤية المستقبل، أو استشراف المستقبل، أو التَّخطيط للمستقبل، ولهذا يظنُّ بعض الناس أنَّ الحديث عن المستقبل بعيد عن الدين تمامًا، بل يظنُّ بعض الناس أنَّه منافٍ للدين، ويقولون: كيف نتحدَّث عن المستقبل، والمستقبل غيب لا يعلمه إلَّا الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ٣٤]. فلا يعرف ما تأتي به الأيام إلا الله.

ولكن إذا كان في المستقبل جزء من الغيب الَّذي لا يعلمه إلَّا الله، فإنَّ فيه جزءًا آخر يستطيع الناس أن يعلموه، كما نجد ذلك في الأرصاد الجويَّة، التي تتوقع في كل يوم حالة الطقس، وتقول: غدًا تتعرض البلاد

QaradawiBooks.com

لمنخفضٍ جويٍّ، يترتب عليه كذا، أو تتعرض لمرتفعٍ جويٍّ، يترتب عليه كذا. وهذا ليس تخمينًا، ولا علمًا بالغيب، إنَّما هو بناءٌ على ظواهر كونيَّة، تتبع للأسباب والمسبَّبات، فكذلك النظرة إلى المستقبل.

غير مرخصة للطباعة

المستقبل في ضوء القرآن:

ونحن في الواقع إذا نظرنا إلى القرآن والسُّنَّة والسيرة نجد فيها تجليَّات لهذه النظرة المستقبليَّة، فحينما قال القرآن: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١ ـ ٤]. ألم يكن هذا حديثًا عن المستقبل، ورؤية للمستقبل؟ فهو يقول: لا تظنوا أنَّ الغالب يظلُّ غالبًا دائمًا، وأنَّ القويَّ يظلُّ قويًّا دائمًا، فالدنيا دول، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ [آل عمران: ١٤٠]. والدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك، وكما قال الشاعر:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا ... وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرْ[1]

ودوام الحال من المحال، فالذين غُلبوا بالأمس، يمكن أن يغلِبوا غدًا، ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٢ ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]. كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: لما نزلت هذه الآية كنت أقول: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ فلمَّا كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول:

(١) هو النمر بن تولب، كما في الحماسة للبحتري صـ٢٥٩، تحقيق د. محمَّد إبراهيم حُوَّر وأحمد محمد عبيد، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾. فعرفت تأويلها يومئذ[١]. إنَّها كانت تعد العقلية المسلمة للغد المرتقب، للتغيير الحتمي، الَّذي يسير وَفْق سنن الله، ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾، هكذا علمنا الإسلام أن ننظر إلى المستقبل.

وقد بشَّر الإسلام بالمستقبل وهو يتحدَّث عن قيام الليل في سورة المزمل، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

لماذا خفَّفَ الله عن المسلمين قيام الليل، ولم يفرضه عليهم؟ الجواب: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. لأنّه ستأتي أيام تحاربون فيها، وتقاتلون في سبيل الله، وتضربون في الأرض، فهذا حديثٌ عن المستقبل يراعي فيه أحوالهم وظروفهم.

المستقبل في ضوء السيرة:

وحينما ابتلي الصحابة، وعذِّبوا عذابًا شديدًا في مكَّة، أشار عليهم الرسول الكريم بأن يذهبوا إلى الحبشة، لم يكن هذا ارتجالا، ولا تفكيرًا عشوائيًّا، لم يذهب المسلمون إلى الحبشة اعتباطًا، وإنَّما كان بناءً على دراسة مستقبليَّة؛ فهذا المكان هو المناسب دينيًّا؛ لأنَّ أهل الحبشة كانوا نصارى أهل كتاب، وهو المناسب جغرافيًّا لأنَّه ليس بعيدًا جدًّا عن

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٦٩)، تحقيق د. محمود محمد عبده، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

أرض العرب، ولا هو في جزيرة العرب، بل بينه وبين جزيرة العرب بحر، وهو مناسب سياسيًّا؛ حيث قال النبي ﷺ: ستجدون في الحبشة ملكًا لا يظلم عنده أحد[١]. إنَّه ملك يحترم الناس، ويحترم عقائدَهم، ويحترم حقوقَ الإنسان.

حتى الهجرة النبويَّة خطط لها النبي ﷺ، فأعمل عقله، واختار غارًا في جنوب مكة، وليس في طريق المدينة، فالمدينة في الشمال، والغار في الجنوب، اختاره تعمية على المشركين، وحدَّد من يأتيه بالزاد وهو في الغار، ومن يأتيه بالأمداد والأخبار، ومن ينام في فراشه، وهو عليُّ بن أبي طالب، ومن يصحبه في رحلته، وهكذا اختار ﷺ الزمنَ المناسب، والمكانَ المناسب، والطريقَ المناسب، والدليلَ المناسب، والصديقَ المناسب.

ولكن هناك أشياء قد يخطِّط لها الإنسان ليحقِّق شيئًا، ثمَّ يفاجئ بما لم يكن في الحسبان، فماذا يصنع إذا فوجئ بما ليس في الحسبان ولم يخطط له؟ هنا يأتي دور التوكل، فبالرغم من هذه الاحتياطات التي اتَّخذها النبي ﷺ في هجرته جاء المشركون، والتفُّوا حول الغار، والنبي ﷺ وأبو بكر بداخله، فخاف أبو بكر على رسول الله ﷺ، وقال: لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا. فقال النبي ﷺ، في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: «**يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟**»[٢]، «**يا أبا بكر لا تحزن إنَّ الله معنا**»[٣]. وهذا ما يجب على كل مسلم أن يبذل ما عنده

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٣٠١/٢)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ٦٩٠، عن أم سلمة.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٧.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٥)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٠٠٩)، عن البراء بن عازب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من أسباب، ثمَّ يترك النتائج إلى الله، فالنبي ﷺ كان ينظر إلى المستقبل كما تبيَّن في إعداده لرحلة الهجرة.

وحينما هاجر إلى المدينة كان من أول ما طلبه من المسلمين ـ كما روى البخاري ومسلم ـ أنَّه قال: «**أحصوا لي عددَ من يَلْفِظُ بالإسلام**». فأُحصوا له، فكانوا ألفًا وخمسمائة رجل[1]. أراد أن يعرف القوَّة الضاربة التي عنده، كم هناك من الرجال، خاصَّة الرجال، فهو يبحث عن القوَّة؛ لأنَّه سيواجه من القوى المعادية، كانوا ألفًا وخمسمائة رجل، هذا أول إحصاء في تاريخ الإسلام، نحن الآن نَظُنُّ أنَّ الإحصاء من عمل الغرب، فهم يقولون: إننا نستخدم الإحصاء، وهذا أسلوب غربي حديث. لا، هذا أسلوب محمَّديٌّ نبويٌّ، فليس عجيبًا ـ أيُّها الإخوة ـ أن ننظر في مستقبل الأُمَّة، وأن نرى رؤية مستقبليَّة للأُمَّة الإسلاميَّة على ضوء الواقع الَّذي تعيشه.

وجود الأُمَّة الإسلاميَّة ووحدتها:

ونحن نفضل تعبير «الأُمَّة الإسلاميَّة» عن تعبير «العالم الإسلامي»؛ لأنَّ الله تعالى سمَّى المسلمين أُمَّة فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. فهي أُمَّة واحدة إذن، ولذلك لا أحبُّ أن نقول: الأمم الإسلاميَّة. كما يقول بعض الكتاب. لا، بل نقول: الشعوب الإسلاميَّة. فالمسلمون شعوب في أُمَّة واحدة، والأُمَّة الإسلاميَّة ـ كما ذكرت في بعض كتبي، مثل كتاب «الأُمَّة الإسلاميَّة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٤٩)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

حقيقة لا وهم» ـ هي أُمَّة فعلًا، وهذا الأمر حقيقة دينيَّة، وهو حقيقة تاريخيَّة، وهو حقيقة جغرافيَّة، وهو حقيقة سياسيَّة، وهو حقيقة شعوريَّة، فهناك أُمَّة إسلاميَّة.

صحيح أنَّه من ناحية أنظمة الحكم توجد أنظمة مختلفة، وربما تكون متجافية، وأحيانًا تكون متعادية، وأحيانًا تكون متقاتلة، لكنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة موجودة، فحيثما تجد مسلمًا وتقول له: أنت مسلم؟ يقول لك: مسلم والحمد لله، حتَّى لو كان أعجميًّا يقول لك: السلام عليكم ورحمة الله.

وهناك شعور بين المسلمين يُعبِّر عن هذه الأُمَّة الواحدة، انظر إلى المسلمين في أحداث البوسنة والهرسك، تجد المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، وخطباء المساجد على المنابر يدعون الله بنصرة المسلمين في البوسنة والهرسك، وفي أيام غزو أفغانستان يدعون كذلك، وقضيَّة فلسطين والمسجد الأقصى الَّذي يُهدَّد بالانهيار الآن، تجد للمسلمين جميعًا مشاعر واحدة. الَّذي كوَّن هذه المشاعر الواحدة هو: وحدة العقيدة، ووحدة الشعائر، ووحدة الشريعة، ووحدة الآداب، ووحدة القِبلة، ووحدة الغاية والطريق.

إنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة موجودة فعلًا، وليس هناك أبدًا ما يمنع من الحديث عنها، وعن مستقبلها، فالأُمَّة الإسلاميَّة حقيقةٌ قائمةٌ.

إنَّ أعداء الإسلام لا يريدون أن نتكلَّم عن الأُمَّة الإسلاميَّة، ومن العجيب أنَّهم يخوِّفون منها، ويستخفون بها في آنٍ واحد، فيقولون: إنَّ الإسلام يحاول أن يوجد أُمَّة، فما هو مستقبل الأُمَّة الإسلاميَّة؟ هل للأُمَّة الإسلاميَّة مستقبل مرموق ينتظرها؟ هل لها مكان تحت الشمس؟ هل يمكن لهذه الأُمَّة أن يكون لها دور، وأن تكون لها رسالة بين الأمم؟

QaradawiBooks.com

مقوِّمات الأُمَّة الإسلاميَّة:

ونحن نقول: نعم؛ الأُمَّة الإسلاميَّة تملك من مقوِّمات السيادة، ومقوِّمات الريادة، ومقوِّمات القيادة، ما لا تملكه غيرها من الأمم، إنَّها تملك ما تستطيع به أن تكون أُمَّة عظيمة، وأُمَّة ذات هدف، وأُمَّة ذات رسالة إلى العالم كلِّه.

الأُمَّة الإسلاميَّة تملك القوة البشريَّة، وتملك القوَّة الماديَّة والاقتصاديَّة، وتملك القوَّة الحضاريَّة، وتملك القوَّة الروحيَّة، هذه أربعة من عناصر القوة التي تتفاوت فيها الأمم.

(١) القوة البشريَّة:

تعداد الأُمَّة الإسلاميَّة الآن نحو مليار وثلث، وبعضهم يقول: إنَّها مليار ونصف. فتعدادها على أقل تقدير هو ألف وثلاثمائة مليون مسلم في العالم، فهي قوة بشرية عظيمة، والله تعالى يقول في معرض الامتنان والإنعام: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. ويقول العرب قديمًا: وإنَّما العزَّة للكاثر. والشاعر الآخر يقول:

مَلَأْنَا البَرَّ حتَّى ضَاقَ عنَّا ونحنُ البَحْرُ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا[1]

هكذا كان العرب يفتخرون، عندنا ألف وثلاثمائة مليون مسلم، فهذه قوَّة بشريَّة ضخمة ليست هيِّنة.

(١) القوة الاقتصاديَّة:

وعندنا كذلك قوَّة ماديَّة اقتصاديَّة، فنحن نملك من السهول الزراعيَّة، والوديان، والجبال، والبحار، والبحيرات، والأنهار، والمعادن المختلفة،

(١) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١.

QaradawiBooks.com

ما يُكوِّن قوَّة ماديَّة واقتصاديَّة هائلة، لو تكامل العالم الإسلامي لأصبح بها قوَّة هائلة، المهم أن يتكامل هذا العالم الإسلامي، ففي هذا البلد جبال، وفي هذا البلد سهول، وفي هذا البلد أنهار، وفي هذا البلد أمطار، وفي هذا البلد حديد، وفي هذا البلد منجنيز، وفي هذا البلد مناجم ذهب، حتَّى معظم مخزون النفط في العالم يوجد في عالمنا الإسلامي. ومن الطريف أن نائب رئيس وزراء ماليزيا قال لي: إنَّ بعض الأوربيين قال له: يا أخي، أمر غريب أشاهده، لماذا لا يوجد معظم النفط إلَّا في البلاد الإسلاميَّة؟ حتَّى أنّه يظهر في ماليزيا وأندونيسيا ولا يظهر في تايلاند!

فعند المسلمين إمكانات ماديَّة واقتصاديَّة هائلة، خلقها الله تعالى لهم، والقوَّة الماديَّة مقوِّم مهمٌّ لا بدَّ منه لأيِّ أُمَّة.

(٣) العمق الحضاري:

ونحن عندنا ـ كذلك ـ القوَّة الحضاريَّة، عندنا العمق الحضاري، فلسنا أُمَّة دخيلة على التاريخ، ليس عمرنا مائتين سنة مثل الولايات المتحدة الأمريكيَّة، حين كنت في الولايات المتحدة قيل لي: نريد أن نذهب بك إلى زيارة للمتاحف. قلت: هل عندكم متاحف؟!

نحن في مصر ـ مثلا ـ نقول: نريد أن نشاهد المتاحف الفرعونيَّة، أو الآثار الإسلاميَّة، أو الآثار القبطيَّة؛ أمَّا عندكم فماذا نشاهد؟ هل نشاهد الأسلحة المستخدمة في حرب التحرير منذ مائة سنة؟!

نحن بلاد الحضارات، فقد نبتت في دار الإسلام والأوطان الإسلاميَّة كل الحضارات العالمية، كما هبطت فيها الرسالات السماوية، ففي هذه الأوطان نشأت الرسالات السماوية: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، كما وُجِدت فيها الحضارات الكبرى في العالم: حضارة الفراعنة في مصر،

QaradawiBooks.com

وحضارة الآشوريين والبابليين في العراق، وحضارة الفينيقيين في سوريا، وحضارة الفرس في إيران، والحضارة الهندية، كلها في ديار الإسلام، فلسنا بلادًا دخيلة، لا؛ بل نحن بلاد الحضارات.

كانت أوربا لا ترى الضوء إلَّا من سمِّ الخياط، وكانت بلادنا تقود الحضارات لقرون عديدة، سواء في الإسلام، أو قبل الإسلام.

نحن الذين علمنا أوربا النظافة، كان في قرطبة ستمائة حمام، وكان الأوربيون لا يعرفون الاغتسال، وكان الرهبان منهم يقولون: يرحم الله القديس فلان؛ لقد عاش خمسين سنة ولم يقترف إثم غسل الرجلين! وبعضهم يقول: وا أسفاه كان مَنْ قبلنا يعيش طول عمره لا يبلُّ أطرافه بالماء، ولكننا ـ وا حسرتاه ـ أصبحنا في زمن يدخل فيه الناس الحمامات[1]. فدخولهم الحمامات كان عدوى من المسلمين.

لقد كنَّا أصحاب الحضارة، وكنَّا قادة الحضارة، هم يقولون عنَّا الآن: العالم الثالث. ولو كان هناك عالم رابع لنسبوا إليه بعض البلاد الإسلاميَّة، لكننا في الحقيقة كنَّا العالم الأول، والأُمَّة الأولى في تاريخ البشريَّة في عدَّة قرون:

كانت جامعتنا مأوى الطلاب من بلاد العالم المختلفة، وكان علماؤنا هم أشهر العلماء في العالم، وكانت كتبنا هي المراجع العالميَّة، في الطب، والتشريح، والكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، وفي أمثال هذه العلوم، كانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء، كابن سينا، والرازي، وجابر بن حيان، والحسن بن الهيثم، والبيروني وغيرهم.

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ للعلاَّمة أبي الحسن الندوي صـ١٥١، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.

QaradawiBooks.com

ولم يقم عندنا صراع بين العلم والدين كما قام في أوربا، فالدين عندنا علم، والعلم عندنا دين، ولذلك نجد ـ مثلًا ـ رجلًا مثل ابن رشد، كان فيلسوفًا من أعظم الفلاسفة، بل كان بعض مؤرِّخي الفلسفة يقول: هو أعظم فيلسوف إسلامي على الإطلاق. وهو أعظم شارح لأرسطو، وهو طبيب في نفس الوقت، صاحب كتاب «الكليَّات» في الطب، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللاتينيَّة، واستفادت منه أوربا عدَّة قرون، وهو في الوقت نفسه فقيه، يُسمَّى القاضي ابن رشد الحفيد، صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

كما نجد الفخر الرازي صاحب الكتب الشهيرة: «التفسير الكبير»، و«المحصِّل في علم الكلام»، و«المحصول في علم الأصول»، وغيرها، نجده في نفس الوقت طبيبًا، وقد قال الذين ترجموا له: إنَّ شهرته في الطب لم تكن تقلُّ عن شهرته في علوم الدين.

كما نجد ابن النفيس مكتشف الدورة الدمويَّة الصغرى، فقيهًا ومحدِّثًا، وقد ترجم له تاج الدين السبكي في كتاب «طبقات الشافعية»، وهكذا نحن أصحاب هذه الحضارة، لم ينفصل العلم عندنا عن الدين، فعندنا العمق الحضاري، عندنا هذا التاريخ الملهم لكلِّ من يريد أنْ يقود ويقتاد.

(٤) الرسالة الروحيَّة:

ثمَّ عندنا ـ كذلك ـ الرسالة الروحيَّة، فنحن وحدنا الذين نملك كلمات الله الأخيرة للبشريَّة، الكلمات الهادية لها، التي لم يعترها تحريف ولا تبديل، المتمثلة في القرآن الكريم، كتاب الله **الَّذي** ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

QaradawiBooks.com

لقد حرِّفت التوراة، وضاع الإنجيل، ولكن بقي القرآن كما هو، فنحن نكتب القرآن كما كتب في عهد عثمان رضي الله عنه، حتَّى إنَّ أحدًا لم يجرؤ أن يُغيِّر طريقة كتابته، فتقرأ فيه لفظ الصلاة باللَّام والواو (الصلوة)، ولفظ الزكاة بالكاف والواو (الزكوة)، ولفظ الربا بالباء والواو (الربوا)، فقد كُتِب هكذا، فبقي كما كُتب.

ونقرأ القرآن ـ أيضًا ـ كما أنزل، كما يوضحه علم «التجويد»، فنقرأ فيه: أن هذا إدغام بغنَّة، وهذا إدغام بغير غنَّة، وهذا إقلاب، وهذا إخفاء، وهذا ممدود، وهذا مقصور، نقرؤه كما كان يقرؤه الرسول ﷺ وأصحابه، فنحن وحدنا الذين نملك هذه الرسالة المعصومة بمصادرها الإلهيَّة الموثقة، القرآن وما يبينه من سُنَّة محمد ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فنحن وحدنا الذين نملك أعظم رسالة للوجود، هذه الرسالة العظيمة، رسالة التوازن التي تُنشئ الأُمَّة الوسط، فهي الرسالة الوسط للأُمَّة الوسط، رسالة الصِّراط المستقيم، التي توازن بين الدنيا والآخرة، بين العقل والقلب، بين الفرد والمجتمع، بين الروحيَّة والماديَّة، بين الحقوق والواجبات، لا يوجد رسالة مثل هذه الرسالة، تعطيك الإيمان ولا تحرمك العلم، وتعطيك الآخرة ولا تُحرِّم عليك الدنيا، وتطالبك بحقِّ الرَّب ولا تحرمك حظَّ النفس، وتصلك بالسماء ولا تنتزعك من الأرض، نحن وحدنا الذين نملك هذه الرسالة العظيمة.

عندنا هذه القوَّة الروحيَّة، ولا يوجد أُمَّة في العالم تملك الإيمان الديني كما تملكه الأُمَّة الإسلاميَّة، حتَّى إنَّ توماس كارليل صاحب كتاب «الأبطال»، الَّذي تحدَّث عن البطل في صورة نبي، واختار لذلك

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ، قال في آخر كلامه: ماذا تريد ممن يدَّعي لك أنَّه بنَّاء، أكثر من أنْ يبني لك صرحًا بحيث يسع مئات الملايين، وأنْ يبقى هذا الصرح ثلاثة عشر قرنًا؛ ليعلم الناس أنَّ مثل الباطل كمثل ورق البنكنوت الزائف، يمرُّ من يد إلى يد، ثمَّ لا يلبث أن يُضبط ويُعرف أنَّه زائف، فلا يرفع أحدٌ له رأسه، فالأُمَّة الإسلاميَّة هي من أشدِّ الأمم تمسكًا بدينها في الأرض[1]. هذا كلام توماس كارليل.

وقد أكَّد هذا الكلام الأستاذ جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»، وأكَّد ذلك أيضًا كل من كتب عن المسلمين، قالوا: المسلمون أشدُّ الأمم تَمسُّكًا بدينها. ومَنْ يَطَّلع على الإحصائيَّات الآن يدرك مدى التزام المسلمين بدينهم، فالإحصائيَّات منذ عدة سنوات تقول: إنَّ الذين يذهبون إلى الكنائس في الغرب خمسة في المائة (٥٪). مع أنَّ المسيحي لا يذهب كلَّ يوم إلى الكنيسة، بل يذهب إليها مرَّة كل أسبوع، وليس كلُّ من يذهب إلى الكنائس يذهب تعبُّدًا وتديُّنًا، فهناك من يذهب إلى الكنائس على أنَّها فسحة، تغيير في نمط الحياة، وهناك من يذهب لمواعيد ولقاءات، وبعضها لقاءات غرامية، وقد ذكر الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الَّذي فُقد «أمريكا الَّتي رأيت»، أنَّه ذهب مرة إلى إحدى الكنائس، فوجد أغنية تذاع فيها خلاعة، فسأل القسيس: هل يليق بالكنيسة مثل هذا الأمر؟ فقال: لأنَّ الشباب لا يأتون إلى الكنائس، فنحن نريد أن نشدَّهم بهذه الأغاني[2]!

---

(١) الأبطال لتوماس كارليل صـ٥٤، ترجمة محمد السباعي، نشر المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٣، ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م.

(٢) انظر: أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب للدكتور صلاح الدين الخالدي صـ١١٠، نشر دار المنارة، السعودية، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

هذا هو وضع الكنيسة، والمعروف الآن أنَّ الكنائس تُباع، وأنَّ المسلمين يشترونها، ويحولونها إلى مساجد، أو مراكز إسلاميَّة، وهذا موجود ـ والحمد لله ـ في كندا، وأمريكا، وأوربا، وغيرها من بلاد العالم المسيحي، صحيح أن بعضهم تنبَّه الآن وقال: لا يجوز أن تبيعوا الكنائس للمسلمين. ولكن هذا حدث. فنحن أُمَّة الإيمان، أُمَّة الدين الحقِّ، عندنا كل هذه المقوِّمات: القوَّة البشريَّة، والقوَّة الماديَّة، والعمق الحضاري، والرسالة الروحيَّة العظيمة.

إهمال الأُمَّة لمقوماتها:

ولكن السؤال المهم: هل استفدنا من هذه المقوِّمات، وهذه الإمكانات، وهذه الطاقات، وهذه النِّعم، وهذه القوى التي منحها الله لنا؟ أنا أقول: للأسف لا، لم نستفد منها كما ينبغي.

كثرة كغثاء السيل:

فالقوَّة البشريَّة عندنا هي كما يقول المثل العامي: العدد في الليمون. صحيح عندنا ألف ومائة مليون مسلم، ولكن هل استفدنا من هذا العدد؟ لا؛ بل نحن نعتبر أنّ هذا العدد مشكلة، وهناك الذين يدعون إلى تحديد النسل، والذين أوحوا إلى المسلمين بهذا هم القوى المعادية للإسلام، فالذين كتبوا عن الإسلام قالوا: إنَّ من أسباب القوة عند المسلمين: خصوبة النسل، أنَّ المسلمين أُمَّة ولود. ولذلك أوحوا إلى المسلمين أن يُحدِّدوا النسل، واستجاب لهم المسلمون فقلَّلوا الأعداد، مع أنّ العالم الإسلامي مترامي الأطراف، ومع ذلك يقولون: هناك مشكلة اقتصاديَّة بسبب كثرة النَّسل! لماذا لم تزرعوا السودان مثلًا، وتستصلحوا الصحراء، وتوفِّروا عملًا للعاطلين؟ إنَّ تعداد الصين حوالي مائتي مليون، ولكنها

QaradawiBooks.com

قامت بتشغيل هذه القوَّة البشـــريَّة، وصدَّرت الكثير من هذه العمالة إلى بلاد العالم، لـــم تكتفِ فقط ذاتيًّا، وإنَّما صـــدرت إلى البلدان الأخرى، ونحن لم نستفد من القوة العدديَّة البشريَّة التي عندنا، كما حذَّر الحديث النبوي حينما قال: «**يوشـــكُ أنْ تداعى عليكم الأمم مـــن كلِّ أفق، كما تداعى الأكلةُ على قصعتها**». قلنا: يا رسول الله، أمن قلَّة بنا يومئذ؟ قال: «**أنتم يومَئذٍ كثير، ولكن تكونون غثاءً كغثاءِ السَّـــيْل، تُنْتَزَعُ المهابةُ من قلوب عدوِّكم، ويجعل في قلوبكم الوهْن**». قلنا: وما الوهْن؟ قال: «**حبُّ الحياة وكراهية الموت**»[1]. فأُمَّتنا كثرة كغثاء السيل.

ما هو غثاء السيل؟ هو ما يحمله السيل من حطب، وخشب، وقش، وعيدان، وأشياء يجمعها أنَّها أشـــياء غير متجانسة، وأنَّها أشياء سطحيَّة، وأنَّها أشياء لا هدف لها، لأنَّ النهر له هدف، له مجْرى معلوم، ومصبّ معلوم، إنَّما السيل يصعد ويهبط، ويذهب يمينًا ويسارًا، فالأُمَّة الإسلاميَّة في المرحلة الغثائيَّة ليس لها هدف، وأُمَّة سطحيَّة خفيفة الوزن، وأُمَّة غير متجانسة في أفرادها وشـــعوبها، هذه هي الغثائيَّة، وأُمَّتنا تعيش في هذه المرحلة الغثائية، لهذا لم نستفد من هذه الكثرة الهائلة، كما يقول الشاعر:

مَا أَكْثَرَ النَّـــاسَ، لَا بَلْ مَا أَقَلَّهُمو ... اللهُ يَعْلَـــمُ أَنِّـــي لـــمْ أَقُـــلْ فَنَدَا
إِنِّي لَأَفْتَـــحُ عَيْنِي حِيـــنَ أَفْتَحُهَا ... عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِـــنْ لَا أَرَى أَحَدًا[2]

أرى دموعًا هائلة ولكن لا أرى شيئًا؛ لأنّ العبرة ليست في الكثرة أو بالكَمِّ، بل العبرة بالكيف، فما قيمة أناس يغطُّون الأرض من كثرتهم، ثمَّ لا يُغْنون في أمر جَلَل؟ كما يقول القائل: تجمعهم زمَّارة، وتفرِّقهم عصاة.

---

(١) سبق تخريجه صـ٨٩.

(٢) من شعر دعبل. انظر: العقد الفريد (١٥٢/٢).

QaradawiBooks.com

وهذا لا يجوز ولا يمكن، فنحن نريد أن نُحوِّل الكمَّ إلى كيف، أن نستفيد من هذه القوة البشريَّة، أن نوظِّفها لتخدم دينها وتنهض بدنياها، ويمكن أن نفعل هذا لو أحسنَّا التَّخطيط والإعداد.

التخلف الاقتصادي:

ثمَّ إننا من ناحية القوة المادية، عندنا الأنهار، والبحار، والجبال، والهضاب، والسهول، والمعادن المختلفة، ولكننا ـ للأسف أيضًا ـ لم نستفد من هذه القوة، فما زلنا ـ برغم هذه الإمكانات ـ ضمن العالم المتخلِّف، حتَّى إنهم يسمُّوننا البلاد النامية، وهو تعبير مهذَّب مؤدَّب عن البلاد المتخلِّفة؛ حتَّى لا يجرحوا شعورَنا. وبعض الإخوة يقول: لسنا بلادًا نامية؛ وإنَّما بلاد نائمة.

استهلاك ما ينتجه الغير:

وقال بعض الباحثين: هذا الَّذي يجري في بلادنا ليس نموًّا حقيقيًّا، بل هو صورة نمو، فهذه الحركات التي تموج بها شوارعنا ليست إلا مجرَّد سيَّارات تغدو وتروح، وهذا ليس نماءً، إنَّما هو استهلاك. فنحن نستهلك أدوات يصنعها غيرنا، ولم نصنعها نحن، صحيح أننا نركب أفخر أنواع السيَّارات «بي إم دبليو» و«المرسيدس»، ونحوها، ويمكن للإنسان أنْ يرسل إلى مصنع «المرسيدس» في ألمانيا ليطلب منه مواصفات سيَّارة معينة، فيصنع له ما يريد، وليست في ذلك مشكلة، طالما عندك الأموال، ولكن هل تستطيع أنت أنْ تصنع منها شيئًا؟ للأسف: لا. وأنتم تعرفون ماذا فعلنا؛ لمَّا تعطَّلت المحطة الكهربائية هنا منذ فترة؟ ذهبنا إلى المصنع الَّذي صنعها من أجل أنْ يصلحها.

QaradawiBooks.com

موقعنا من ثورات العصر الكبرى:

نريد أن تنهض هذه الأُمَّة، ونحن عندنا الإمكانات، لكننا لا نستخدمها، فكيف تتطور الأُمَّة وتنتقل إلى التكنولوجيا المتطورة إذن؟ نحن في عصر ثورة التكنولوجيا، وثورة البيولوجيا، هل تسمعون عن الاستنساخ؟ إنهم يريدون بهذا الاستنساخ أن يعملوا إنسانًا عن طريق الهندسة الوراثيَّة وعجائبها، وإذا كانوا في عصر الثورة الإلكترونيَّة، قد صنعوا الكمبيوتر، فنحن مختلفون في تسميته: هل نسميه الحاسب الآلي، أم الحاسب الإلكتروني، أم الحسَّابة، أم المحساب، أم الحاسوب، أم الدماغ الالكتروني؟! حتَّى الاسم لم نتَّفق عليه!

وقد صنعت إسرائيل قمرًا صناعيًّا، يصوِّر الأرض العربية شبرًا شبرًا، وفترًا فترًا، وما يسمَّى الاستشعار عن بُعد، بينما نحن لا نزال مختلفين: هل التَّصوير حلال، أم حرام؟! أين الأُمَّة من هذه الثورات العلميَّة؟ للأسف لا تستطيع الأُمَّة في عصر الثورات الكبرى: البيولوجيَّة، والتكنولوجيَّة، والإلكترونيَّة، والفضائيَّة، والمعلوماتيَّة ـ أن تصنع شيئًا.

هؤلاء هم، فأين نحن، وماذا صنعنا؟ لم نستفد من الناحية الماديَّة التي عندنا، نحن لا زلنا متخلِّفين، حتَّى في الزراعة، معظم البلاد الإسلاميَّة بلاد زراعيَّة، ومع هذا تستورد بلاد المسلمين أكثر من نصف قُوتها! فنحن لم نفلح في الزراعة، كما لم نفلح في الصناعة، حتَّى الصناعة، أنزل الله تعالى سورة سمَّاها سورة «الحديد»، وقال فيها: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. ففي قوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. إشارة إلى الصناعات الحربيَّة، وفي قوله: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾. إشارة إلى الصناعات المدنيَّة، ونحن لم ننجح في الصناعات

QaradawiBooks.com

الحربيَّة، ولا في الصناعات المدنيَّة، نحن في هذا المجال نستورد من غيرنا، وغيرنا إذا لم يعطنا السلاح لا نستطيع أن ندافع عن نفسنا، أي أُمَّة هذه التي لا تملك الرغيف الَّذي تأكله، ولا السلاح الَّذي به تدافع عن نفسها؟!

تفرُّق الكيانات المادِّيَّة:

ثمَّ إنَّنا ـ مع ذلك ـ أُمَّة مُتفرِّقة، ولكي تدخل عصر التكنولوجيا المُتَطَوِّرة لا تستطيع أن تدخلها وحدك، لا الكويت وحدها، ولا مجلس التعاون وحده، ولا حتَّى العرب وحدهم، فنحن الآن في عصر الكتل الكبرى، لقد ظلَّت أوربا قرونًا على ما كان بينها من صراع وحروب، حتَّى لَمْلَمَت جراحها، ونسيت هذا الماضي الأليم، وحاولوا أن يجعلوا من أنفسهم كتلة واحدة، كتلة اقتصاديَّة، وسياسيَّة، وعسكريَّة.

ونحن لا زلنا في فُرقة مستمرَّة، كل جماعة يريدون أن يكونوا أنفسهم وحدهم، وأن يدخلوا عصر التكنولوجيا وحدهم، وهذا أمر مستحيل، فنحن نرى الآن بعض الدول الصناعيَّة الكبرى ـ بلدان أو ثلاثة ـ يشتركون في صناعة طائرة متطورة، وهذه دول كبرى، فنحن لن نستطيع أن ندخل عصر التكنولوجيا متفرقين متناثرين.

هناك شيء يسمُّونه الإنتاج العريض، الإنتاج العريض فبدل أنْ يزرع كل إنسان لوحده مساحة قليلة، يزرعون مساحات كبيرة بجهودهم المجموعة، فتقل التكاليف، ويتوفَّر الوقت، ويتوفَّر الجهد، وتزداد كمية الإنتاج، بحجم أكبر، وبتكلفة أقل، هذا هو المهم، فنحن عندنا القوة الماديَّة، ولكن للأسف لم نستطع أن نستفيد منها!

QaradawiBooks.com

حضارة سائدة صارت بائدة:

ونحن لم نستفد ـ كذلك ـ من العمق الحضاري الَّذي وهبه الله لنا، نحن ورثة الحضارات، ولكن ما قيمة أننا نقول: إنَّ أجدادنا كانوا قادة الحضارة في العالم؟ وقد قال الشاعر:

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكْتَسِبْ أَدَبًا يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
إنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: هأنذا ليس الفَتَى مَنْ يَقُولُ: كَانَ أَبِي[1]

أتفتخر بأبيك؟

لَئِنْ فَخَرْتَ بآباءٍ ذوي حَسَبٍ لقد صدقتَ ولَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا[2]

فالمهمُّ هو: مَنْ أنت؟ وماذا صنعت وقدمت؟ وليس المهم: مَنْ هم أجدادك؟ نحن في حاجة إلى أن نكون وَرَثة حقيقيين لهذه الحضارات التاريخيَّة العظيمة.

نكوص الأُمَّة عن أداء رسالتها:

ثمّ هذه الرسالة الروحيَّة التي خصَّنا الله تعالى بها، وكلَّفنا بأن نقوم بواجبها، وجعلنا بها خير أُمَّة أخرجت للناس، هل أدينا حقَّها؟

لماذا جعل الله هذه الأُمَّة خير أُمَّة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؟ إخراج الأُمَّة يعني: أنَّها ليست أُمَّة نابتة وحدها في البر، نبتًا شيطانيًّا كما يقولون. بل إنَّها أُمَّة مزروعة، زرعها زارع، وغرسها غارس،

(١) ينسب لسيدنا علي بن أبي طالب، كما في الديوان المنسوب إليه صـ١٦، جمع عبد العزيز الكرم، ط١، ١٩٨٨م.

(٢) ديوان ابن الرومي (٥٢٥/١)، شرح أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

وأخرجها مُخْرِج، وهو الله ﷻ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. من الَّذي جعلها؟ الله جلَّ جلاله، فهي أمّة مجعولة، أُمَّة مُخرَجة.

وهي لم تُخرج لنفسها، وإنَّما أُخرجت للناس، لهداية الناس، ولنفع الناس، إنَّها أُمَّة ذات رسالة عالميَّة، فهل قامت الأُمَّة بهذه الرسالة؟

نحن نعلم أنَّ هناك مئات الملايين من البشر في العالم لا يعرفون شيئًا عن الإسلام، وأنَّ هناك أناسًا بلغتهم دعوة الإسلام بلوغًا مشوَّشًا مشوَّهًا، كل ما يفهمونه عن الإسلام أنَّ رجلًا ظهر في جزيرة العرب، وأخذ السيف ليقتل الرجال، ويسبي النساء من أجل أن يتزوَّجهنَّ، هذه الصورة المشوَّهة التي رُسِمت منذ أيام الحروب الصليبيَّة، تنتشر في الناس حتَّى اليوم.

كيف نُحسِّن هذه الصورة؟ كيف نُبلِّغ هذه الرسالة؟ هذا الأمر يحتاج إلى عمل كبير، وأنا أعتقد أنَّ المسلمين عامَّةً، والعرب خاصَّةً، مسؤولون عن تبليغ رسالة الإسلام إلى هذه الأمم؛ لأنَّ الإسلام رسالة الله للعالمين، ونحن لم نبلغ هذه الرسالة العالميَّة إلى هذه الأمم.

كيف نُبلِّغ هذه الرسالة إلى أمم الأرض؟ نُبلِّغها بلسانهم، لا يوجَد أيُّها الإخوة ـ بإقرار الخبراء وإجماع العارفين ـ ترجمة واحدة لمعاني القرآن الكريم يرضى عنها العارفون من المسلمين، حتَّى ولو باللغة الإنجليزيَّة التي يتكلم بها مئات الملايين من المسلمين، فضلًا عن غير المسلمين، لا يوجد هذا للأسف!

بعض الناس يفهم أننا لكي نبلغ رسالة الإسلام إلى العالم لا بدَّ أن نقاتل غير المسلمين، لماذا نقاتل الناس؟ هل عرضنا عليهم رسالة الإسلام ورفضوها؟ إنَّ جهاد الدعوة اليوم يعني أن تبلِّغ رسالة الإسلام

QaradawiBooks.com

إلى العالم، عندك الأقمار الصناعيَّة، كلِّم الأمم بلسانها، أحضر دعاة وعَرِّفهم ألسنة الأمم، وهذا يحتاج إلى إعداد هائل، أرسل دعاة إلى بلاد العالم المختلفة، اكتب كتبًا ورسائل بلغات العالم، أين هذا كله لكي نفعل هذا؟ نحتاج إلى جهود هائلة، وإعداد دعاة أكفاء ليقوموا بهذه المهمة العظيمة، ثم كيف نبلِّغ رسالة الإسلام إلى العالم ونحن في داخل ديارنا لم نطبق شريعة الإسلام، ولم نطبق منهج الإسلام؟! فهذا كله من مظاهر نكوص الأُمَّة عن أداء رسالتها.

عقبات تقف في مستقبل الأُمَّة:

من هنا نقول: إذا نظرنا إلى مستقبل الأُمَّة نجد هناك عقبات كثيرة، بعض هذه العقبات من الخارج، وبعضها من الداخل.

القوى المعادية للإسلام:

هناك قوى معادية للإسلام، بعضها يكره الإسلام بدوافع الحقد الصليبي، كما أنَّ هناك أناسًا يجهلون الإسلام، ويخافون منه، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي الَّذي يسمُّونه «الخطر الأحمر»، قالوا: نحتاج إلى عدوٍّ جديد نوجِّه إليه حماسة الشعوب وقواها المختلفة، فقالوا: الإسلام هو المرشَّح لهذه العداوة، وسمَّوْه «الخطرَ الأخضر»، فبعد أن تقاربوا مع «الخطر الأصفر»، ممثَّلًا في الصين، وبعد زوال «الخطر الأحمر» ممثَّلًا في الاتحاد السوفيتي، لم يبقَ إلَّا الإسلام الَّذي سمَّوه «الخطر الأخضر».

تشويه الإسلام:

إنَّ القوى المعادية للإسلام في الغرب، وفي أمريكا، تلعب دورًا في تشويه الإسلام، هناك الصليبيَّة الحاقدة، القديمة الجديدة، وهناك

QaradawiBooks.com

الصهيونيَّة العالميَّة التي تلعب دورها في الكيد للمسلمين، والمكر بهم، وإثارة كلِّ القوى ضدَّ الإسلام، والصحوة الإسلاميَّة، والحركة الإسلاميَّة، والعاملين للإسلام، كما أنَّ هناك الوثنيَّة أيضًا، كما قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]. فالوثنيَّة الهندوسيَّة، وغيرها تكيدُ للإسلام والمسلمين.

الإسلام رحمة للعالمين:

ونحن نقول للذين يخافون من الإسلام، والجاهلين به، والمتأثِّرين بحملات التشويه ضده: هل الإسلام خطر حتَّى تخافون منه؟ هل تعرفون حقيقة الإسلام؟

الحقيقة أنَّ الإسلام رحمة، إنَّه خطر على الإلحاد، وعلى الاستعباد، وعلى الفساد، ولكنَّه ليس خطرًا على الإنسان، بالعكس: الإسلام هو رحمة الله للإنسانيَّة.

فإذا كان هناك من يجهل الإسلام، ويخاف منه، فنحن في حاجة إلى أن نبذل جهدًا حتَّى يعلموا أننا لسنا غيلانًا تريد أن تأكل الناس، ولسنا وحوشًا تريد أن تفترس البشر، إنَّما نحن أصحاب رسالة عالميَّة، ورسالة إنسانيَّة، نحن في حاجة إلى أن نبذل جهدًا حتَّى نصحِّح الصورة المشوَّهة عن الإسلام، وعن دعاة الإسلام.

القوى الداخلية:

هناك في الداخل قوى أخرى تحارب الإسلام وتكيد بأهله، هناك فرق منشقة عن الإسلام، هناك العلمانيُّون المستغرِبون الذين غرَّبهم التعليم والإعلام في أوربا، وفي أمريكا، وفي غيرها من الدول، تغرَّبت

QaradawiBooks.com

عقولهم، فأصبح الشخص يحمل اسمًا إسلاميًّا، وعقلًا أوربيًّا أو أمريكيًّا، قد يكون اسمه محمَّدًا، أو أحمد، أو عبد الله، أو عمر، أو عبد الرحمن، أو عليًّا؛ ولكن عقله هو عقل جون، وجورج، لا يعرف من الإسلام إلَّا اسمه، ولعله لا يعرف من القرآن رسمه، وهؤلاء ضحايا العلمانيَّة الآثمة التي تعمل عملها في بلاد الإسلام لتمزيق الأُمَّة، وهي يد الاستعمار الحديث في بلادنا، مع وكلائه من الحكام المأجورين لرعاية مصالحه.

ولا شك أنَّ الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة من المبشِّرات في هذا العصر، لكن القوى المعادية كلها اتَّفقت على عدائها، إنَّها تريد أنْ تقتلعها من الجذور، وأن تضربها الضربة القاصمة، وقد عملت على تخويف الحكام منها؛ لأنَّ هذه الصحوة هي منقذ الأُمَّة، هي سفينة الإنقاذ، وطَوْق النَّجاة لهذه الأُمَّة.

إنَّ شباب الصحوة الإسلاميَّة الذين يصومون الاثنين والخميس، ويقومون الليل، ويقرؤون القرآن، ويدرسون الحديث والسيرة، ويبذلون من وقتهم وجهودهم وأموالهم لخدمة مجتمعاتهم، هذا الشباب هو أثمن ما تملكه الأُمَّة؛ ولذلك يخوِّفون الحكام منه، من الَّذي يحمي الأمّة إذن؟ هل هم الذين يعيشون في أوبئة المخدرات والمسكرات، متحلّلين من قيم السماء من الرجال والنساء؟ هل هؤلاء هم الذين ينهضون بالأُمَّة، أم هم الشباب المؤمنون، القانتون، العابدون، الحامدون، الراكعون، الساجدون، المستغفرون بالأسحار، الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر، الحافظون لحدود الله؟

التركيز على الإصلاح الداخلي:

فهناك ـ أيها الأخوة ـ عقبات تقف في طريق مستقبل الأُمَّة الإسلاميَّة، بعضها خارجي، وبعضها داخلي، وأنا دائمًا أحذِّر من العقبات الداخليَّة

QaradawiBooks.com

أكثر من العقبات الخارجيَّة، بعض الباحثين دائمًا يركز على المؤامرات الخارجيَّة، ويهمل المؤامرات الداخليَّة، ونحن لا بدَّ أن نركز على الداخل، ونهتم بإصلاحه، فالله ﷻ يقول: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. ويقول: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. لا بدَّ أن نرجع إلى أنفسنا لنغيِّر ما بها، حتَّى يغير الله تعالى ما بنا، لا بدَّ أن نركز على أسباب الخلل والاضطراب في داخلنا، ونعرف أين هو، أين يكمن الخلل؟ هل هو في العقول، أم في القلوب، أم في النفوس؟ لا بدَّ أن نبحث عن الخلل داخلنا لنداويه، فإذا لم نعرف الأسباب لن نستطيع أن نضعَ العلاج، وإذا كان التَّشخيص صحيحًا، كان العلاج سليمًا.

تغلب الصحوة على مشكلاتها:

هناك بلا شك عوائق وعقبات، وأشد العقبات أيها الإخوة: العقبات داخل الصحوة الإسلاميَّة، أن تُؤْتى الصحوة الإسلاميَّة من نفسها، أن تنشغل هذه الصَّحوة وأبناؤها بالفروع عن الأصول، وبالشكل عن الجوهر، وبالنوافل عن الفرائض، وبالمختلَف فيه عن المتَّفق عليه، وأن يحاربَ بعضها بعضًا، وأن يكيدَ بعضها لبعض، ولا تقف صفًّا واحدًا في القضايا المصيريَّة، فأخطر ما يصيب الصحوة أن يُضرب بعضها ببعض، فتتآكل من الداخل قبل أن تُضرب من الخارج، وهذه هي الخطورة.

نحن نريد من أبناء الصحوة أن يقفوا صفًّا واحدًا، وأن يبتعدوا عن التناحر والشقاق، ليترك كلُّ واحد منهم أخاه يعمل، هذا يعمل في جانب العقيدة، وهذا يعمل في مجال العبادة والتزكية، وهذا يعمل في

QaradawiBooks.com

محاربة البدع، وهذا يعمل في خدمة المجتمع، وهذا يعمل في جانب الاقتصاد، وهذا يعمل في جانب الأسرة، وهذا يدخل البرلمان وينشغل بالعمل السياسي، كل واحد يعمل في جانب، أو أكثر من جانب، فلا مانع أن تتعدَّد الأنشطة وتتنوَّع، فهذا الاختلاف نسمِّيه اختلافَ تنوُّع، وليس اختلاف تضادّ، هذا التنوُّع تثْرى به الحياة وترقَى، إنّما الممنوع ألا يتعاون الجميع في القضايا المصيريَّة، أن يكيد الجميع بعضهم لبعض، لا، بل لا بدَّ أن نشعر أننا في خندق واحد، كلُّ القوى الإسلاميَّة، يجب على كل فصائل الصحوة الإسلاميَّة، ومدارس الصحوة الإسلاميَّة، على اختلاف أسمائها كلها، أن تقف في خندق واحد، فالعدوُّ الَّذي يريد أن يضرب الجميع لا يقول: اتركوا هؤلاء. بل سيضرب الجميع ضربةَ رجلٍ واحد.

لقد كانوا قديمًا يقولون: احذروا التطرُّف الإسلامي. الآن أتدرون ماذا يقولون؟ يقولون: احذروا الإسلام المعتدل. فالإسلام المعتدل ـ ولا يكون الإسلام إلا معتدلًا ـ أشدُّ خطرًا، وأعمق أثرًا، وأطول عمرًا، أمَّا التطرف فهو قصير العمر، لا يستمر طويلًا؛ لأنّه ضد الطبيعة الإنسانية، كما جاء في الحديث: «**إنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى**»[1]. إنّما الإسلام الَّذي يخافونه هو الإسلام المعتدل، بل هم يقولون: إنَّ الإسلام لا يمكن أنْ يكون معتدلًا، الإسلام بطبيعته متطرف، هؤلاء يعتدلون من باب تمسكَنْ حتَّى تتمكَّن.

وآخر ما قالوه: الإسلام المعتدل الَّذي نقبله هو إسلام سلمان رشدي، وزين العابدين بن علي، فسلمان رشدي يُمثِّل عندهم اعتدال

(١) رواه ابن الأعرابي في معجمه (١٨٨٣)، وابن بشران في أماليه (٨٤٧)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

الأفراد، وزين العابدين يُمثِّل اعتدال الحكومات، هذان هما المعتدلان في المسلمين!

فنحن يجب أن نقف صفًّا واحدًا أمام هذه القوى التي لا تبقي ولا تذر، لا تبقي للمسلمين من باقية.

المبشرات رغم العوائق والعقبات:

لا أريد ـ أيُّها الإخوة ـ أن أدع هذا الحديث حتَّى أقول: إنَّه رغم أننا لم نستفد من هذه القوى التي في أيدينا، ورغم هذه العوائق، ورغم القوى المعادية في الخارج، ورغم القوى المنشقَّة في الداخل، رغم هذا كله تبقى المبشِّرات أكثر من المُؤيسات.

وأنا كتبت رسالة سمَّيتها «المبشِّرات بانتصار الإسلام»، ذكرت فيها خمس مبشِّرات: المبشِّر الأول من القرآن الكريم، والمبشِّر الثاني من الحديث النبوي الشريف، والمبشِّر الثالث من التاريخ الحافل، والمبشر الرابع من الواقع الماثل، والمبشِّر الخامس من سنن الله في الكون، ولا يتَّسع الوقت لكي أحدثكم عن هذه المبشِّرات، فالمبشِّرات كثيرة والحمد لله.

ومن أعظم المُبَشِّرات: الصحوة الإسلاميَّة التي نراها، ونرى آثارَها في كل مكان والحمد لله، لقد كنَّا في وقت من الأوقات لا نرى في المساجد إلَّا الشيوخ الكبار الذين أكل الدهر عليهم وشرب، فالرجل منهم بعد أن يُحَال إلى التقاعد أو إلى المعاش يذهب إلى الصلاة، أمَّا الشباب فلم يكونوا يعرفون الذهاب إلى المساجد، اذهب الآن إلى المساجد لتجد خمسة وتسعين في المائة (٩٥٪) من الشباب، واذهب إلى مواسم الحج والعمرة لتجد الأغلبيَّة فيها من الشباب، وقد كان الإنسان

QaradawiBooks.com

في الزمن السابق لا يحج إلَّا في ختام حياته، كما قال الإمام الغزالي: الحج هو تمام الأمر وختام العمر[١].

إنَّ الصحوة الإسلاميَّة التي صنعت هذا الشباب المؤمن في كلِّ مكان، هي من أعظم المبشرات.

ونحن نعتقد أنَّ المستقبل لهذا الدين، أنَّ الغد للإسلام، والمبشِّرات عندنا كثيرة والحمد لله، فالقوى الكبرى المعادية لن تظلَّ قوًى كبرى، فالزمن ليس في صالحها، لقد انهار الاتحاد السوفيتي فجأة، وهو من القوى المعادية، وما يدرينا أنَّ أمريكا ـ هذه القوة العظمى المتوحدة في العالم ـ قد بات السُّوس ينخر في جسدها، حتَّى فقد المجتمع الأمريكي أحاديَّته، وفقد أخلاقيَّاته، وليس ببعيد أن ينهار هذا المجتمع اليوم، فنحن نعتقد أنَّ المستقبل الأفضل لهذا الدين، فالله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣]. فقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾. أي على كلِّ الأديان، صحيح أنَّ الإسلام انتصر على اليهوديَّة، وعلى المسيحيَّة، في وقت من الأوقات، وعلى بعض الوثنيَّات، العربية والمجوسيَّة، ولكن المسيحيَّة ظهرت في العالم الآن، وهناك وثنيَّات كبرى الآن في العالم، مثل الهندوسيَّة، والبوذيَّة وغيرهما، وحتى اليهوديَّة التي كانت تعيش في كنف المسلمين ثمَّ طردهم العالم من أنحاء الأرض ولم يجدوا كهفًا يؤويهم، إلَّا ديار الإسلام، ثمَّ قلبوا للمسلمين ظهر المجنّ، وأقاموا لهم دولةً على أرض بلاد الإسلام.

(١) إحياء علوم الدين (٢٣٩/١)، نشر دار المعرفة، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نحن نقول: إنَّ الإسلام سيظهره الله على الدين كله، وهذا واضح بنصوص القرآن الكريم، ففي القرآن الكريم ثلاث آيات: في سورة التوبة، وسورة الفتح، وسورة الصف، يقول الله فيها: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾.

وروى الإمام أحمد عن أبي قبيل، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد سئل: أي المدينتين تُفتح أولًا: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا. قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولًا: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينةُ هرقلَ تُفْتَحُ أوَّلًا**»[1]. يعني القسطنطينية.

وقد فُتِحت هذه المدينة في الثامن والعشرين من مايو سنة (١٤٥٣م)، فتحها ذلك الشاب العثماني الطموح محمد بن مُراد، الشهير في التاريخ باسم محمد الفاتح، وهو منذ كان عمره تسع عشرة سنة، أخذ يفكر في فتح القسطنطينيَّة، حتَّى فتحها وهو في الثالثة والعشرين من عمره.

لقد فُتحت القسطنطينيَّة، وبقي أن تُفتَح روميَّة، ومعنى فتح روميَّة أن يدخل الإسلام إلى أوربا مرة أخرى، بعد أن طُرد منها مرَّتين، مرة من الأندلس ومرة من البلقان.

وأنا أظن أنَّ الفتح الإسلامي في هذه المرة قد لا يكون بالسيف، لعله فتح الدعوة والفكر، الفتح السِّلمي، وهو مذكور في القرآن الكريم، وله

(١) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحَّح إسناده على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل، وهو ثقة. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤).

QaradawiBooks.com

سورةٌ تسمَّى سورة الفتح، التي يقول الله تعالى فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. هذا الفتح لم يكن بالسيف ولا بالحرب، بل كان بالصلح، صلح الحديبيَّة، ولذلك حينما نزلت السورة قال الصحابة: أفتحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «**نعم، هو فتح**»[(١)].

فلعلَّ فتح أوربا ورومية المأمول يكون فتحًا بالدعوة والفكر إن شاء الله، حينما تشعر هذه البلاد أنَّها في حاجة إلى ما يروي ظمأها الرُّوحي، ويملأ فراغها العقائدي، ويصل أرضَها بالسماء، ودنياها بالآخرة، وعلمها بالإيمان، وماديَّتها بالروحيَّة المتوازنة؛ فلعل أوربا، ولعل الغرب، بعد أن وصل إلى القمر، وحاول غزو الكواكب، يشعر أنَّه ـ رغم ذلك ـ لم يُسعِد نفسه على وجه الأرض، وأنَّه في حاجة إلى السعادة والسكينة، ولن يجدها إلا في رسالة الإسلام، رسالة المنهج الوسط، للأُمَّة الوسط، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن يُحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥)، عن سهل بن حنيف.

QaradawiBooks.com

١٠

الأُمَّة الإسلاميَّة بين الأمجاد والأخطار[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، ونشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دَعَا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات ـ بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم في المشرق العربيِّ الإسلاميِّ ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام: السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأحمد الله تبارك وتعالى أنْ هيَّأ لي هذه الفرصة، لأزور هذا البلد الطيِّب، وألتقي بهذه النخبة الطيِّبة، من إخواني وأخواتي، وأبنائي وبناتي، في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ المسلمين، حيث تحاك لهم المؤامرات، وتُبيَّت لهم المكايد من شرقٍ وغرب، ومن يمينٍ ويسارٍ.

أحمد الله تبارك وتعالى أنْ هيَّأ لي هذا اللقاء ـ بعد أنْ كنت قد اعتذرت ـ لحضور مؤتمر هذه الجمعيَّة، وظننتُ أنِّي لن أستطيع

(١) ألقيت في مؤتمر: الإسلام والمسلمون في إفريقيا، بمدينة تطوان بالمغرب، في نهاية الثمانينيات.

QaradawiBooks.com

الحضور، ولكنَّ إرادة الله فوق كلِّ إرادة، شاء الله تعالى ألَّا يحرمني شرف الحضور إلى هذا المؤتمر، الذي أسأل تعالى أنْ يجعل فيه خيرًا للإسلام وللمسلمين في هذا البلد، وفي أفريقيا كلِّها إنْ شاء الله.

أولًا: من أمجاد الماضي:

شعرت ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ وأنا قادم إليكم بشيءٍ من الأسى والألم حينما قارنت بين الماضي والحاضر، بين ما كنا فيه، وما أصبحنا عليه، قيل لي: هنا جبل طارق، هنا المضيق الذي عبرته الجنود الإسلاميَّة من إفريقيا إلى أوربا.

انتشار الإسلام واتساع دولته:

متى كان ذلك؟ كان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا، حينما عبر المسلمون بإسلامهم لينشروا هذا النور في أوربا، يوم كانت أوربا لا ترى الضوء إلا من سمِّ الخياط، عبر طارق بن زياد إلى ذلك المكان الذي لا زال يحمل اسمه.

في وقت واحد ـ أيُّها الإخوة ـ كان هناك أربعة من القادة يحملون الإسلام إلى أطراف العالم، في عهد بني أميَّة الذين ظلمهم التاريخ، كان موسى بن نُصير ـ ومعه طارق بن زياد ـ يحمل الإسلام إلى أوربا، وكان محمد بن القاسم بن محمد الثقفي يحمل الإسلام إلى الهند على مشارف السند، وهو ابن السابعة عشرة من عمره، وفيه قال الشاعر:

إنَّ السماحة والمروءة والندى ... لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حَجَّة ... يا قُرب ذلك سؤددًا من مَوْلد[1]

(١) ذكرهما من غير نسبة ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار (٣٣٢/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وكان هناك قُتيبة بن مسلم الباهليِّ على أسوار سمرقند، يحمل الإسلام إلى تلك البلاد التي تخرَّج منها فيما بعد الإمام البخاري، والسمرقندي، وغيرهما، وكان هناك مَسْلمة بن عبد الملك على أسوار الصِّين.

في وقت واحد كان قادة المسلمين من الشباب، وكلهم شباب يعيشون بهذه الأحلام، أحلام نشر الإسلام إلى العالم، ما كانوا يريدون فتح أسواق للمسلمين، وما كانوا يريدون إعلاء جنس على جنس، وما كانوا يريدون استذلال أحدٍ، بل كانوا يريدون أنْ تكون كلمة الله هي العُليا، وكلمة الله هي الحقُّ والعدل والإحسان، كان هذا هو ماضينا.

دعوى انتشار الإسلام بالسيف:

في قرنٍ واحدٍ انتشر الإسلام في العالَم كلِّه، حتى حيَّر المحلِّلين والدارسين، أيُّ قوة نشرت هذا الدين؟ لم يُعهد في التاريخ انتشار على هذا النَّحو في هذه المدة البسيطة، يمكن أنْ يفتح الإنسان أرضًا واسعة، كما فعل الإسكندر، ولكن أنْ تُفتح الأرض، وتُفتح القلوب والعقول، ويدخل الناس والأمم في دين الله أفواجًا، فهذا لم يحدث في التاريخ، أبالسيف انتشر الإسلام كما يقول الأفَّاكون؟ إنَّ السيف قد يفتح أرضًا، ولكنَّه لا يفتح قلبًا، بل السيوف تُغلق القلوب دونها، ولكن ما الذي نشر الإسلام إذنْ؟

ليس السيف، فهناك بلاد لم يُسلَّ فيها سيفٌ، ولم يدخل إليها جيشٌ، ومعظم أفريقيا لم تدخلها جيوش، انتشر الإسلام فيها عن طريق التجَّار، والطرق الصوفيَّة، وعموم الناس، وكذلك آسيا، حتى البلاد التي دخلتها الجيوش، أول جيش مسلم دخل أفريقيا كان جيش عمرو بن العاص إلى مصر، هل يمكن لبضعة الآلاف التي كانت مع عمرو أنْ تُكرِه الناس على الدخول في الدين الجديد؟

QaradawiBooks.com

لا والله، بل الناس هم الذين رحَّبوا بهذا الفاتح الجديد، فتحوا له أذرعتهم، وفتحوا له قبل ذلك صدورهم، ودخلوا في هذا الدين مختارين، وتعلَّموا معه لغة هذا الدين، أسلموا وتعرَّبوا، وهذا كان سِمَة الفتح الإسلامي في القرون الأولى، أنَّ العربية تسير من الإسلام جنبًا إلى جنب.

وفي وقت من الأوقات كان الناس يدخلون في الإسلام بالآلاف وعشرات الآلاف، حتى أثَّر ذلك في ميزانيَّة الولاية المصريَّة، ففرض بعض ولاة بني أميَّة الجزيَة على مَن أسلم، ومن المعروف أنَّ الإسلام يسقط الجزية، ولا تجب عليه الزكاة إلا بعد حولان الحول، فكان هذا يؤثِّر على ميزانيَّة الدولة.

حتى جاء عهد عمر بن عبد العزيز، فأرسل إليه الوالي يقول: يا أمير المؤمنين، إنَّ الناس يدخلون في الإسلام كثيرًا وكثيرًا، وكان من قبل يفرضون الجزية على من أسلم، أفلا نفرض الجزية على مَن دخلوا في الإسلام؟ فبعث إليه عمر بن عبد العزيز بذلك الجواب الموجز الجامع يقول له: قبَّح الله رأيَك، إنَّ الله بعث محمَّدًا ﷺ هاديًا، ولم يبعثه جابيًا[1].

وهكذا لم تكن الدولة الإسلاميَّة دولة جباية، ليست دولة تحصيل للأموال، وإنَّما هي دولة هداية، ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج: ٤١]. هكذا انتشر الإسلام، في قرن من الزمان كان الإسلام يسيطر على الدنيا القديمة، لا بالسيف، ولكن بهذه المعاني، بهذه القيم التي جاء

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٨٤/٥)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

بها الإسلام، عقيدة واضحةً تلائم العقل والفطرة، وأخلاق واضحة تزكو بها النفس، وشريعة واضحة تقيم القسط بين الناس، هكذا جاء الإسلام فدخل النَّاس فيه أفواجًا.

ثانيًا: من أخطار الحاضر:

إنَّني أنظر إلى هذا الماضي أيُّها الإخوة، ثم أنظر إلى حاضرنا، ما الذي أحاط بنا، ما الذي جعلنا في مؤخِّرة القافلة، وكنَّا في طليعتها، وفي مأخذ الزِّمام منها، ماذا جرى، ما الذي حدث؟

الواقع أننا إذا نظرنا إلى الأمر نجد في التاريخ الإسلامي كلِّه، أنَّ المدَّ والجزر، والنَّصر والهزيمة، والامتداد والانكماش، والقوَّة والضعف، والازدهار والذبول، كل هذا مرتبط بمَدى القُرب من الإسلام، أو البُعد عنه، كلما اقترب النَّاس من الإسلام الصحيح فهمًا وسلوكًا، قويت شوكتهم، واتَّحدت كلمتهم، وانتصروا على عدوِّهم، وعزّوا في ديارهم، وكلما بعدوا عن الإسلام ساء فهمهم لهذا الدين، وساء تطبيقهم له، وطمع فيهم عدوُّهم، وغُزُوا في عقر دارهم، هذا ما يقوله التاريخ، وهذا ما يقوله الواقع اليوم.

ولا عجب أنْ يحدَث هذا بعد أن ابتعدَ المسلمون عن الإسلام في عصرنا، بعد أن استطاع الاستعمار بألوانه وأسمائه المختلفة أنْ يُغرِّب من أسماء هذه الأُمَّة مَن يُغرِّب، استطاع عدونا أنْ يتحكَّم فينا، وأصبحنا نواجه أخطارًا عديدة، ولننظر إلى أفريقيا التي هي موضوع هذا المؤتمر، «الإسلام والمسلمون في أفريقيا»، ماذا تواجه أفريقيا من أخطار؟

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(١) الخطر الخارجي:

هناك خطر التنصير، وهناك خطر الصهيونيَّة، وهناك خطر الشيوعيَّة، وهناك أخطار داخلية لا تقل في خطورتها عن تلك الأخطار الخارجيَّة، بل ربما كانت أشد منها وأسوأ، كالعلمانيَّة، واللادينيَّة، والإباحيَّة، وغير ذلك، كل هذه الأخطار نواجهها.

أ ـ خطر التنصير:

يعمل التنصير عمله في ديار المسلمين، وخصوصًا في أفريقيا، وكأنها دار بلا أصحاب، أصبحنا نهبًا.

ومَنْ رَعَى غَنَمًا في أَرْضِ مَسْبَعَةٍ ونامَ عَنْها تَوَلَّى رَعْيَها الأَسَدُ[1]

كنا قديمًا ننشر الإسلام في العالم، فأصبحنا يراد أنْ تنشر فينا أديانٌ أخرى، اجتمع المبشرون البروتستانت في ولاية «كلورادو» في أمريكا سنة (١٩٧٨م)، في مؤتمر هدفه المعلن تنصير المسلمين في العالم، وأنشؤوا لذلك معهدًا عُرِف باسم «معهد زويمر»، وزويمر هو المبشر المعروف في أوائل هذا القرن، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار.

وقد بدؤوا التنفيذ بالفعل، فالتنصير قائم على قدم وساق، يعمل عمله في الأنفس والعقول، يتسلَّل في ديارنا تحت أسماء شتى، وشعارات شتى، كالعمل الخيري، والعمل الاجتماعي، والعمل الثقافي، إلى آخره.

---

(١) من شعر أبي مسلم الخراساني، كما في المحاسن والأضداد صـ٤٥، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

واستطاع التنصير أنْ ينجح إلى حد كبير، أحيانًا يكتفي بأنْ يخرج المسلم من الإسلام، وإنْ لم يدخله في النصرانية، وخاصَّة في البلاد العربية، حيث الفهم للإسلام أقوى وأكبر، وهي منطقة القلب، فالتنصير في هذه الحالة لا يهمُّه أنْ يتحوَّل المسلم من محمد، وأحمد، وحسن، وحسين، إلى جورج، وبطرس، وجون، وبولس، ولكن يهمه أنْ يشكِّكه في إسلامه، ويدعه هلاميًا مائعًا رجراجًا لا هو مسلم، ولا هو غير مسلم، هذا ما يفعله التنصير في المنطقة العربية.

ولكنَّه في قلب أفريقيا وآسيا لا يكتفي بهذا، بل إنَّه ينصِّر بالفعل، هناك أناس يُنصَّرون، ولا تعجب إذا ذهبت إلى بعض البلاد في أفريقيا وآسيا أنْ تجد إنسانًا اسمه نصراني واسم أبيه أو جدِّه مسلم، حتى في اللافتات التجاريَّة وغيرها، إذن ارتدَّ مَنْ ارتدَّ، بأساليب كثيرة، يأخذون اليتامى، واللقطاء، والفقراء، ويربُّونهم في مدارسهم منذ نعومة الأظفار، وقد استطاعوا أنْ ينتصروا في بلاد شتى.

أذكر أنِّي ذهبت منذ بضعة عشر عامًا إلى إندونيسيا، وفي الطائرة الإندونيسية سألت المضيفة: هل أنت مسلمة؟ فقالت: لا، أنا مسيحية، ولكن العائلة مسلمة. أي أنَّها ارتدَّت، والعياذ بالله، وسألت الرجل المضيف: هل أنت مسلم؟ قال: لا، ولكن زوجتي مسلمة. وهذه مصيبة أخرى أيضًا.

أسباب الادِّعاء بإخفاق التنصير:

إذنْ لا ينبغي أنْ نقول: قد أخفق التنصير. وإنْ كان المبشرون ينشرون ذلك، ويقولون: إننا أخفقنا. ولكن لا ينبغي أن نصدق هذا الكلام، فهم يقولون ذلك لعدة أسباب:

QaradawiBooks.com

أولًا: أنَّهم أخفقوا وفشلوا بالنظر إلى أحلامهم الكبيرة، أنَّهم خطَّطوا لتنصير المسلمين في إندونيسيا في خمسين عامًا، فإذا لم يجدوا الرسم البياني كما يريدون قالوا: إننا فشلنا. ولكن ليس معنى هذا أنَّهم أخفقوا تمامًا، لا.

ثانيًا: أنَّهم كلما أعلنوا أنَّهم أخفقوا وفشلوا جاءتهم المعونات، تتدفَّق من هنا وهناك، من الحكومات، ومن المؤسسات، ومن الجمعيات، ومن الأفراد، بالملايين والبلايين، منذ أشهر ترجم لي أحد الإخوة الذين يعرفون الإنجليزية صفحات مما يُنشر في أمريكا عمن يسمونهم القساوسة المسلحين، وهم مسلحون بالمال والدهاء، هؤلاء يجمعون مليارات من الدولارات سنويًّا من أجل التنصير، فهم ينشرون أنَّهم أخفقوا ليستدروا هذه المساعدات.

ثالثًا: أنَّهم يعلنون إخفاقهم ليخدِّروا الفريسة، لينوموا حتى نقول: الإسلام بخير، وأُمَّة محمد بخير. ونسكت على ما يحدث.

يا أيُّها الإخوة، الأمر خطير، ولا بدَّ أن نواجِه هذه القضايا، التنصير يعمل عمله في بلاد المسلمين.

ب ـ خطر الصهيونيَّة:

والصهيونية تعمل عملها، وتتسلل إلى أفريقيا، تدخل في هذه البلاد وتؤثر في سياساتها، وثقافاتها، في وقت من الأوقات استطاع الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ باسم الإسلام أنْ يكسب كثيرًا من هذه الدول إلى الصف الإسلامي والعربي، ويقطعوا علاقاتهم بدولة الاغتصاب الصهيوني، ثم تغيَّر الأمر بعد ذلك، فالصهيونية تعمل عملها، ومن يقرأ ألاعيبها، وما يدبرونه للمسلمين، يجد الشيء الكثير.

QaradawiBooks.com

ج ـ خطر الشيوعيَّة:

وهناك الخطر الشيوعي أيضًا الذي استطاع أنْ يؤثِّر في بعض الدول، وهناك دول تنتهج النهج الماركسي الشيوعي، وبعض هؤلاء ملكيون أكثر من الملك كما يقولون. وهم ماركسيون أكثر من ماركس، وشيوعيون أكثر من جورباتشوف، هذا للأسف موجود، ولم تعد الشيوعية تكتفي بالغزو الفكري والثقافي، بل استعملت الغزو المسلح أخيرًا في أفغانستان.

(٢) الخطر الداخلي:

وهكذا أيُّها الإخوة نحن مهدَّدون بأخطار خارجية متنوعة، ولكن الأشد من الأخطار الخارجية، الأخطار الداخلية، أننا نواجه في بلادنا الإسلاميَّة من أبناء المسلمين أنفسهم مَنْ يرفض كلمة الإسلام، مَنْ يرفض الدعوة إلى تحكيم شريعة الإسلام في أرض الله وفي عباد الله.

إنهم مسلمون من بني جلدتنا، يتكلَّمون بألسنتنا، كما وصفهم الحديث الذي رواه الشيخان عن حذيفة، حينما كان يسأل النبي ﷺ: قلت: فهل بعد ذلك الخير مِن شرٍّ؟ قال: «**نعم؛ دُعَاةٌ على أبواب جهنَّم، مَنْ أجابَهُم إليها قذَفُوه فيها**». قلتُ: يا رسول الله، صِفْهُم لنا؟ قال: «**هُمْ مِن جِلدَتِنا، ويتكلَّمون بألسِنتِنا**»[(١)].

هؤلاء الدعاة على أبواب النَّار، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ﴾ [القصص: ٤١]، موجودون بيننا، العلمانيُّون اللادينيُّون من أبناء المسلمين أنفسهم، هؤلاء أشدُّ خطرًا من الصهاينة والمنُصِّرين، لأنَّهم منا وفينا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٨٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧).

QaradawiBooks.com

وقد تحدث القرآن في أوائل سورة البقرة في آيتين عن المتقين، وفي آيتين عن الكافرين، وفي ثلاث عشرة آية عن المنافقين، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٢]، إلى آخره.

هؤلاء هم الخطر، دعاة العلمانية واللادينية، دعاة الإباحية والتحلل في العالم الإسلامي، الذين يريدون أنْ يفتحوا الأبواب على مصاريعها، وفي البلاد الإسلاميَّة للأسف صنم يعبده الكثيرون، ويدعون إلى عبادته، هذا الصنم اسمه السياحة، يقولون: افتحوا الأبواب، دعوا الناس تشمُّ الهواء، حتى تأتينا العملات من كل جانب. يقولون هذا حتى لو أضعنا القيم، وأضعنا الأخلاق، وأضعنا الدين في سبيل كسب دنيويّ رخيص، لا مانع عندهم من هذا.

ولو أنَّ هؤلاء فقهوا أنَّ المنافع الاقتصاديَّة لا قيمة لها بجوار الخسائر الأخرى، لما قالوا هذا، فالقرآن أهدر المنافع التي في الخمر والميسر لأنَّ فيهما إثمًا كبيرًا، يضر العقول والأخلاق، والأبدان والأديان، ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

كان المشركون يحجون إلى البيت الحرام، ويطوفون بالبيت وهم عرايا، ولكن كان أهل مكة يستفيدون من وراء حج المشركين، إفاداتٍ ماديَّة، منافع تجارية واقتصادية، فجاء الإسلام وأهدر هذه المنافع، ولم يجعل لها قيمة، وبعث عليَّ بن أبي طالب ليلحق بأمير الحج في تلك

QaradawiBooks.com

السنة أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما، ليعلن: «**لا يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، ولَا يَطُوفُ بالبَيْتِ عُرْيَانٌ**»[1]. فبعض الناس كأنهم حزنوا لما سيفوتهم من منافع، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. لا يكن خوف الفقر سببًا لأن تفتحوا الباب للشرك والفساد، وقد أغناهم الله من فضله، وفتح لهم الفتوح، وجاءهم الفيء والغنائم من كل حدب وصوب.

فالمنافع الاقتصادية إذن لا قيمة لها إذا أضاعت القيم والأخلاق، فالاقتصاد الإسلامي اقتصاد أخلاقي، ليس اقتصادًا ماديًّا فحسب، لا، إنَّه اقتصاد مرتبط بالأخلاق، هذا الدين دين أخلاقي، لا تنفصل فيه السياسة عن الأخلاق، ولا الحرب عن الأخلاق، ولا العلم عن الأخلاق، ولا الاقتصاد عن الأخلاق، «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ**»[2].

الخطر أيُّها الإخوة في هؤلاء الذين يعيشون بين ظهرانينا، ويتكلَّمون بألسنتنا، وهم من بني جلدتنا، يدعون إلى التَّحلل، ويدعون إلى اللادينيَّة، ويدعون إلى التقليد الأعمى للغرب، أن نفقد هويتنا، ونسير في ركاب غيرنا، فكريًّا وسلوكيًّا، ما بين دعاة اليمين، ودعاة اليسار، ولكن اليمين واليسار فرعان من شجرة واحدة، هي الشجرة الملعونة في القرآن، والتوراة، والإنجيل، شجرة المادية النفعية الخبيثة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٦٢٢)، ومسلم (١٣٤٧)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هذه التيارات تريد أن تقتلعَنا من جذورنا، وأن تنسيَنا انتماءنا وذاتيتنا، وأن نسير وراء غيرنا شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، هكذا حدَّثنا النبيُّ ﷺ، كيف تفقد الأُمَّة شخصيتها وذاتيَّتها، قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَن من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**». قلنا: يا رسول الله، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قال: «**فَمَنْ؟**»[1]. وحجر الضب يُضْرَب به المثل في الضيق، والظلمة، والالتواء، وسوء الرائحة.

ومع هذا لو دخلوا جُحْر ضبّ تظهر موضة اسمها موضة جُحر الضب، سواء هذا في الموضات الفكرية، أو الموضات السلوكية، إذا ظهرت عندهم الوجودية نقلدهم فيها، أو ظهرت العدمية والعبثية نقلدهم فيها أيضًا، وهكذا نفقد هُويتنا ونتبع هؤلاء، هذه هي مشكلتنا، فقد الهُوية، فقد الذاتيَّة الإسلاميَّة، أن نصبح أذنابًا، وقد جعلنا الله رؤوسًا، أن نصبح عبيدًا لغيرنا وقد جعلنا الله أحرارًا وسادة، موضعنا موضع الأستاذية، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فنصبح وقد أخذنا موضع التلاميذ بالنسبة للفكر الغربي، بل موضع العبيد، وهؤلاء أسمِّيهم عبيد الفكر الغربي.

وقال لي بعض الإخوة: ألا تسميهم تلاميذ الفكر الغربي؟ قلت: ليتهم تلاميذ، إنَّ التلميذ قد يناقش أستاذه، وقد يعترض عليه، ولكن موقف هؤلاء ليس موقف التلمذة، بل إنَّه موقف العبوديَّة، ما قاله الغرب فهو عندهم حقّ، وما فعله فهو جميل، وما دعا إليه فهو خير، هذه هي العبوديَّة، أن نفقد هُويَّتنا، ونسير وراء غيرنا، هذا هو الخطر الداخلي.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

والخطر الداخلي أيُّها الإخوة هو أشدُّ الأخطار، هو الذي يجلب الخطر الخارجي، ما جاء الخطر الخارجي إلا لأنَّ هناك خللًا داخليًّا، ولهذا ينبغي أنْ نداوي الخلل من الداخل لنتفادى الخطر من الخارج.

ثالثًا: مواجهة الأخطار:

يا أيُّها الإخوة، لا بدَّ من وقفة أمام هذه الأخطار، وأحب أن أقول: ليس معنى هذا أنَّه لا أمل. لا، فالمؤمن والحمد لله لا يفقد الأمل أبدًا، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

من طبيعة الإسلام أنَّه لا يستسلم أبدًا، من طبيعة الإسلام أنَّه دائمًا يوقظ الأُمَّة من سبات، ويحييها من موات، طبيعة الأُمَّة المسلمة أنَّها لا تنام نومة أهل الكهف، قد ينام بعضها، ولكن يظل بعضها يقظانًا، قد تنام فترة قليلة، ولكن لا بدَّ أنْ يأتي مَنْ يوقظها ويحركها، هذه طبيعة هذا الدين.

لا يمكن أنْ تموت هذه الأُمَّة ما دام الإسلام فيها، يقول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي على الدين ظاهرين، لعدوِّهم قاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم إلَّا ما أصابهم من لَأْوَاءَ حتَّى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**». قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس وأكنافِ بيت المقدس**»[1]. ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، فهذه الأُمَّة باقية إلى قيام الساعة.

(١) سبق تخريجه صـ٣٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولذلك لم يحدث في عصر من العصور أن نامت الأُمَّة ولم يوجد فيها من يدعوها إلى اليقظة، في أحلك أوقات الظلام تجد هناك من العلماء، والدعاة، والمجدِّدين، مَنْ وقف يدعو هذه الأُمَّة إلى أن تستيقظ، وإلى أنْ تستجمع قواها، وإلى أنْ تعود إلى مركز الدائرة من جديد، حدث هذا في كل عصر من العصور.

الصحوة المعاصرة أمل الأُمَّة:

ونحن في عصرنا ـ والحمد لله ـ نرى الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة في كل مكان، تملأ الآفاق، وصيحاتها تبلغ المشارق والمغارب، الصحوة الإسلاميَّة ـ والحمد لله ـ حقيقة واقعة.

وهذه الصحوة ليست بنت اليوم، ولا وليدة الأمس، بل شارك في تكوينها رجال، ومدارس، وحركات، وجامعات، وجماعات، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم، هناك رجال قضوا نحبَهم، قدَّموا أرواحهم في سبيل الله، أناس عاشوا أعمارهم من أجل هذا الإسلام حتى آتى ذلك أُكله، لأنَّ الكلمة الطيِّبة معطاءة، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]. الكلمة الطيِّبة لن تضيع.

ولهذا كان من آثار جهود هؤلاء العاملين، والدعاة، والمصلحين، والمُجدِّدين هذه الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، التي نراها خصوصًا في جيل الشباب، والشباب المثقف من الجنسين، من الفتيان والفتيات.

هذه الصحوة نجدها في بلاد العرب، وبلاد العجم، في آسيا، وفي أفريقيا، بل في أوربا، وأمريكا الشمالية وأستراليا، وفي أمريكا

QaradawiBooks.com

الجنوبيَّة كذلك، حيثما ذهبت وجدت هـذه الصحوة، وجدت أبناءها وبناتها، وجدت الصائمين القائمين، وجـدت الذين يصومون الاثنين والخميس، وجدت الشباب الذين يدرسون القرآن والحديث والسيرة، وجدت الشـباب الذين يعيشون للإسلام، وبالإسـلام، في كل مكان، هذه هي الصحوة.

العداء للصحوة:

ولذلك لا ينبغـي أن نظهر الأمر وكأنَّها ظلمـة لا فجر لها، لا، فقد بدت تباشـير الفجر والحمد لله، ولكن هذا الفجر جعل أعداء الإسـلام يخافون، وهذا الخوف جعلهـم يرصدون كل حركة وسـكنة، وكما أن أقمارهم الصناعيَّـة تصور أرضنا، وتصور كل شـبر فيـه، هناك كذلك الأجهزة الراصدة الحساسة تصور، وترصد، وترقب، وتسجل كل شيء، لتعرف كيف تفرِّق هذا الجمع، كيف توقع الفتن بين أهله، كيف تشعل الخلافات، كيف تجعل من الأمور الصغيرة قضايا كبيرة، إلى آخره؟ هذا ما يفعله أعداؤنا، القوة المتربصة تفعل هـذا، لا تظنوا أنَّهم نائمون، لا، هم يقومون بذلك، وبدهاء، وعلم، ومكر.

ذهب أحدهـم إلى الكويت، وهو رجل معروف، اسـمه «ريتشـارد ميتشل»، الذي كتب كتابه عن الإخوان المسـلمين، ذهب إلى الكويت والتقـى به أحد الناس فجأة، قال له: ألسـت فلانًا؟ قـال: بلى. قال له: ما الذي جاء بك إلى هنا؟ قال: أنا في مهمة علميَّة. قال له: وما هي هذه المهمة العلمية؟ قال: دراسة الخلافات بين الجماعات الإسلاميَّة، بعضها وبعض. هل هو يدرس هذه الخلافات لوجه الله تعالى أم يدرسها ليوظفها في تعميق الهوة، وتوسيع الفجوة، وإشعال النار؟

QaradawiBooks.com

يا أيُّها الإخوة، هؤلاء الناس لا يعبثون، إنَّهم يعملون بتخطيطٍ وعلم، يريدون أنْ تأكل هــذه الصحوة بعضَها بعضًــا، أنْ يدخلوها في مَتاهات لا تخرج منها، أنْ يشــتغلوا بالقضايــا الخلافيَّة الفرعيَّــة التي لا يمكن للناس أنْ يتفقــوا على رأي واحــد فيها، ومَــا اتفق عليهــا الصَّحابة، ولا التابعون، ولا الأُمَّة في خير القرون.

ولا يمكن للناس أنْ يتفقوا على هذه القضايا، ما دام قد أنزل الله كتابه، ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ [آل عمــران: ٧]، فطبيعة اللغة التي فيها الحقيقة والمجاز، والصريــح والكناية، وتحتمل ألفاظها أكثر من معنى، وطبيعة العقول البشريَّة التي تختلف في غوصها إلى المعاني، وطبيعة البشر ما بين مضيِّق وموسِّع، كما عرف في تراثنا رخص ابن عبَّاس، وشدائد ابن عمر، وطبيعة البيئات واختلافها ما بين بدويٍّ وحضريٍّ، ما بين بسيط ومعقَّد، كل هذه أسباب تجعل من المســتحيل أنْ يتفق الناس في المسائل الجزئيَّة، ولكن للأســف يريد بعض أبناء الصحوة من هذه القضايا معارك، وكل هذا يؤخِّر الصحوة ولا يقدِّمها، يعوقها عن مسيرتها.

نحن في حاجة إلى أنْ يفهم أبناء الصحوة أنَّهــم الأمل لهذه الأُمَّة، أعداؤهم لا ينامون، وفي تراثنا أنَّ الإمام الحسن البصري سئل: هل ينام الشــيطان؟ فقال: ليتــه، لو نام لاســترحنا[1]. وهؤلاء أيضًــا لا ينامون، ولا يستريحون، يعملون باستمرار.

كانوا من قبــل يقولون: احــذروا الإســلام المتشــدِّد، الأصوليين المتشــدِّدين المتطرفين. لكن مَنْ هو المتطرف؟ مجــرَّد أنْ يطلق رجلٌ لحيته يكون عندهم متطرِّفًا، ومجرَّد أن تلبس امرأةٌ حجابها تكون عندهم

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/٣١).

QaradawiBooks.com

متطرِّفةً، أو أنْ يصلِّي أحدنا الفجر، أو يحرص على الصلاة جماعة في المساجد يكون عندهم متطرِّفًا، هكذا خوَّفوا الناس من المتطرفين، وهم في الحقيقة مسلمون ملتزمون.

هل تدرون ما النغمة التي يقولونها الآن؟ بعد أنْ حدَّدنا نحن التطرف الحقيقي ـ لا المزعوم ـ وقلنا: إنَّ التيَّار الذي ندعو إليه هو تيار الوسطيَّة الإسلاميَّة، بخصائصه التي تجمع بين السلفيَّة والتَّجديد، وبين الأصالة والمعاصرة، وتوازن بين الثوابت والمتغيرات، وتأخذ من التراث وتنظر إلى المستقبل، وتجمع بين الإيمان الراسخ والعلم الواسع، هذا هو تيار الوسطيَّة الإسلاميَّة الذي ندعو إليه.

وبعد أنْ بات أمرًا واضحًا، بدؤوا يغيرون النغمة، فصاروا الآن في بعض وسائل الإعلام الغربية يقولون: احذروا الإسلام المعتدل، احذروا المعتدلين المسلمين، إنَّهم يبدؤون معتدلين ثُمَّ يتطرَّفون، إنَّ الإسلام لا يمكن أنْ يكون معتدلًا، الإسلام متطرف بطبيعته، فإذا أظهر هؤلاء الاعتدال فإنما يتمسكنون ليتمكنوا.

سبحان الله! ماذا نفعل إذنْ؟! إذا كان التَّطرُّف لا يعجبهم، والاعتدال لا يعجبهم، فإلى أيِّ شيءٍ ندعو؟ إنَّ هؤلاء لا يعجبهم شيءٌ إلا أنْ نترك الإسلام، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ولن نتَّبع ملتهم، ولن نبيع ديننا بملك المشارق والمغارب، ولو وضعوا الشمس في أيْماننا، والقمر في شمائلنا، لن ندع هذا الدين، وسنعيش له، وسنعيش به، ونموت عليه، ونضحِّي بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس في سبيله، حتى يحق الله الحق، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العمل للإسلام:

يا أيُّها الإخوة، الصحوة الإسلاميَّة هي الأمل، ولكن ينبغي أنْ تدرك الصحوة الإسلاميَّة أنَّ عليها أن تعمل، وأنْ يكون عملها على مستوى إسلامها، على مستوى رسالتها، وعلى مستوى ما يخطِّط لها أعداؤها.

فعلى مستوى رسالة الإسلام، ينبغي أن ندرك أننا وحدنا الذين نملك الوثيقة السماويَّة الإلهيَّة التي تتضمَّن كلمات الله الأخيرة للبشر، التي سلمت من التَّحريف والتَّزييف والتَّبديل، هذه الوثيقة هي القرآن الكريم، عندنا نحن هذه الرسالة، رسالة الإسلام، الرسالة الربَّانيَّة، الأخلاقيَّة، الإنسانيَّة، العالميَّة، رسالة التوازن والاعتدال، الرسالة التي وصلت الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والفرد بالجماعة، والحق بالواجب، وأقامت هذا التوازن، فلا بدَّ أنْ يكون عملنا على مستوى رسالة الإسلام.

ولا بد للصحوة الإسلاميَّة أنْ يكون عملها للإسلام على مستوى العصر الذي نعيش فيه، نحن الآن على مشارف القرن الحادي والعشرين، وفي مطالع القرن الخامس عشر الهجري، تغيرت الدنيا، فلا يجوز أنْ نعمل بعقلية قرنٍ مضى، وبوسائل قرنٍ مضى.

نحن في العصر الذي يسمونه عصر الكمبيوتر، عصر الصناعة الثاني، الثورة الصناعيَّة الأولى كانت تعمل لتوفير الجهد البدني للإنسان، كان الإنسان ينسخ الكتب والرسائل بيده، ثم أخذت المطبعة تقوم بهذا الدور، بل إنَّها تطبع مئات، وآلاف النسخ في لحظات، ثم جاء الثورة الصناعية الثانية لتوفر الجهد الذهني للإنسان، من خلال الكمبيوتر، حافظ العصر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ماذا فعلنا نحن في عصر الكمبيوتر؟ قلت لإخوانكم في الرباط منذ أشهر: هم صنعوا الكمبيوتر، ونحن ما زلنا مختلفين، ماذا نسمِّيه: هل نسمِّيه الحاسب الآلي، أم المحساب، أم الحاسوب، أم الحسَّابة، وهكذا؟ هم يخترعون، ونحن مختلفون حتى في التسمية، لم نتفق على اسم هذا المخلوق الجديد.

وفي وقت من الأوقات أعلنت إسرائيل أنَّها صنعت قمرًا صناعيًّا، وأطلقته في الفضاء ليتجسس على الأرض العربية والإسلاميَّة، ويصور البرَّ، والبحر، والصَّحراء، إلى آخره، قلت لهم: إسرائيل تقوم بتصوير كل شيءٍ من خلال قمرها الصناعيّ، وما زلنا مختلفين: هل التَّصوير حلال أم حرام؟ ما زلنا مختلفين في هذه القضايا، فنحن ينبغي أن نفكر بمنطق عصرنا، نخدم الإسلام بمنطق العصر ووسائله.

ثم ينبغي أن نخدم الإسلام بمستوى ما يخدم الآخرون أديانَهم، ماذا يفعل الآخرون لخدمة أديانهم؟ يرصدون آلاف الملايين، حينما قرأت منذ سنوات ما صنعه المائة والخمسون مبشرًا في «كلورادو»، وأنَّهم رصدوا ألف مليون دولار دفعة أولى لتنصير المسلمين، قلت: نحن لا نلومُهم على حماسهم لنشر دينهم، إنَّما نلوم أنفسنا ـ نحن أصحاب الدين الحق ـ على تقاعسنا عن نشر ديننا، يقول ابن حزم: لو لم نرَ هؤلاء الناس بأعيننا، ونجادلهم بألسنتنا، ونسمعهم بآذاننا، ما صدقنا أنَّ في العالم مَنْ يقول: الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة[1].

ومع بطلان هذه المقولة وجدت مَنْ يتحمَّس لها وينشرها في العالم، يرصدون ألف مليون دولار، ولو أن كل واحد من المسلمين دفع دولارًا

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٩/١)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

واحدًا لجمعنا في يوم واحد أكثر مما جمعوه، ولهذا رفعنا شعار «ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا»، ولكننا لا زلنا نحبو، يجب أن نعمل على مستوى ما يعمل أعداؤنا.

هناك جيوش من المبشِّرين والمبشِّرات تركوا بلادهم، بلاد الحضارة، والرفاهية، والأزرار الأوتوماتيكية، وجاؤوا إلى أدغال آسيا وأفريقيا يعيشون في القرى، والغابات، والصحارى، بين البدو، والريفيين، والأمِّيين، في حياة بدائية.

وقد ذكرت لبعض الإخوة ما قصَّه علينا قصة أحد الإخوة، ونحن في مؤتمر الدعوة الإسلاميَّة في دار السلام في تنزانيا ـ وهو لواء على المعاش في الجيش السوداني ـ قال: ذهبنا في الخمسينيات إلى قرية في جنوب السودان، وكنا نركب سيارة (چب)، ولم يكن أهل القرية قد رأوا سيارة في عمرهم، فأول ما رآها الناس ذُعروا، وهرعوا إلى بيوتهم خائفين، يقول: فأخذنا نُعيد الناس ونُطمئنهم، ونقول: نحن سودانيون مثلكم. وبينما نحن نتحدث معهم سمعنا ناقوسًا يدق، فقلنا: هل هنا مدرسة؟ قالوا: ليس هنا مدرسة، وليس هنا أحد يعرف القراءة والكتابة. قلنا: ما هذا الجرس؟ قالوا: هذا أبونا.

قال: فذهبنا إليه، فوجدنا رجلًا بلجيكيًّا يعمل مُبشرًا، وعرفنا أنَّه يطوف على بعض القُرى بدرَّاجته، وهو يجيء إلى هذه القرية مرتين كل أسبوع، ومعه حقيبتان، واحدة بها أدوية خفيفة، كالأسبرين وقطرات العيون وأمثالها؛ ليعالج بها أهل القرية، والأخرى بها حلوى؛ ليوزِّعها على أطفالهم، ثم يجلس يُحدِّثهم حديثا يُبلِّغ فيه دعوته عن المسيح والعذراء، يفعل ذلك منذ ثلاثين سنة. قلنا للرجل: كم مرة

QaradawiBooks.com

زرت فيها بلدك؟ قال: أنا لم أزرها منذ جئت إلى هنا. قلنا: ومتى تنوي العودة إلى بلدك؟ قال: وما حاجتي إلى العودة؛ أنا رسالتي هنا، وحياتي هنا، وقبري هنا؟

انظروا، هذا الذي يجيء من أوربا إلى بلاد لم تشاهد سيارة من قبل، ويطوف عليها بالدراجة، ويقول: هنا حياتي، وهنا رسالتي، وهنا قبري. هذا ما يعمله الآخرون، فماذا عملنا نحن؟ لا بدَّ أنْ يكون عملنا على مستوى عملهم، إن لم يكن أكثر منه، والمفروض أنْ يكون أكثر، على مستوى الحقِّ، على مستوى إسلامنا، على مستوى عصرنا، لا بدَّ للصحوة الإسلاميَّة أن تدرك هذا.

يا أيُّها الإخوة، إننا إذا فعلنا ذلك فثقوا أنَّ المستقبل لنا، فشعوبنا معنا، فطرة هذه الشعوب مع الإسلام، مع القرآن، مع محمد ﷺ، لم تكفر هذه الشعوب بإسلامها، وإن علاها الغبار، وتراكم عليها الصدأ، نستطيع بقليل من الجهد أن نزيل الصَّدأ، ونزيح الغبار، ونصل إلى المعدن الأصلي لشعوبنا هذه، قد استطاعت الصحوة الإسلاميَّة أنْ ترد هذا الشباب بالآلاف ـ والحمد لله ـ إلى أصله، أنْ تردَّه إلى فطرته السليمة.

كنت في الإسكندرية منذ أيام، وقال لي بعض الإخوة: انظر إلى الشاطئ. فنظرت إلى الشاطئ لأجد الفتيات والنساء ينزلن إلى البحر بملابسهن كاملة، بالحجاب، بالطرحة والخمار. قال: والله كان النساء من قبل ينمن على الشاطئ شبه عرايا، والعياذ بالله.

الآن حدث تغيُّر لافت، فالمرأة التي كانوا قد أبعدوها في وقت من الأوقات عن الإسلام، وانتزعوها من قيمه وأخلاقه تمامًا، وأصبحت أداة للإفساد والتدمير، أصبحت الآن تعود إلى الإسلام، وتدعو إلى الله ﷻ،

QaradawiBooks.com

والشباب المثقف، شباب الجامعات، والمعاهد، والمدارس، هؤلاء هم العمود الفقري للصحوة الإسلاميَّة.

إنَّ أقل جهد نبذله جدير بأن نجد آثاره وثماره واضحةً، ولن يضيع الله أجر مَنْ أحسن عملًا، المستقبل للإسلام إذا أحسنَّا الفهم له، وأحسنَّا الإيمان به، وأحسنَّا العمل به، والعمل له.

المستقبل للإسلام:

وإنَّ البشائر ـ والله ـ كلها تدلُّ على أن لهذا الدين دورًا آتيًا، أن له دولة، وأنَّ رايته سترتفع، والقرآن يقول: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]. ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

والأحاديث التي تبشر بانتصار الإسلام، وأنَّ المستقبل له كثيرة جدًّا، وللأسف هناك كثير من الوعاظ الذين ينشرون أحاديث الفتن وأشراط الساعة التي قد توحي باليأس، وأنَّ الأمر في تدهور، وأننا من إقبال إلى إدبار، لا، هناك المُبشِّرات التي يجب أنْ نشيعها في الناس، منها حديث تميم الداري رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر إلَّا أدخله الله هذا الدِّين، بعِزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر**»[(١)].

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم.

QaradawiBooks.com

ومنها ما رواه الإمام أحمد، عن أبي قبيل، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، فسأله سائل: أي المدينتين تُفْتَح أولًا: قسطنطينيَّة أو روميَّة؟ فدعا عبد الله بصندوق له حَلَقٌ. قال: فأخرج منه كتابًا. قال: فقال عبد الله: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسولُ الله ﷺ: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينيَّة أو روميَّة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولًا**»، يعني قسطنطينيَّة[١].

روميَّة هي: روما، كما يقول ياقوت في معجم البلدان[٢]. وقسطنطينية: هي التي كانت عاصمة الدولة الرومانيَّة البيزنطيَّة، ومكانها الآن إستانبول.

كأنَّ الصحابة عندهم علمٌ ممَّا سمعوه من النبيِّ ﷺ، أنَّ كلتا المدينتين ستُفتح، كل ما في الأمر أنَّهم يريدون أنْ يعرفوا: أي المدينتين تُفتح أولًا؟ فقال النبي ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولًا**». وهي القسطنطينيَّة.

وقد فُتِحت القسطنطينيَّة بالفعل، فتحها ذلك الشاب العثماني الطموح، محمد بن مُراد، الشهير في التاريخ باسم محمد الفاتح، الذي شغله هذا الأمر، وكانت له نفسٌ توَّاقة، فكأنه قد قرأ في مستدرك الحاكم وغيره حديث النبي ﷺ: «**لتُفْتَحَنَّ القسطنطينيَّة، فلَنِعْمَ الأميرُ أميرُها، ولنِعْمَ الجيش ذلك الجيش**»[٣]. كان في العشرينيَّات من عمره فتاقت نفسه ـ وكانت له نفس توَّاقة ـ أنْ يكون هو هذا الأمير، وأنْ يكون جيشه هو ذلك الجيش، وظلَّ يفكر ويُخطِّط حتى فتحها وهو ابن الثالثة والعشرين، في الثامن والعشرين من مايو سنة (١٤٥٣م).

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٢٢.

(٢) معجم البلدان (١٠٠/٣)، نشر دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

(٣) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

QaradawiBooks.com

فتحت القسطنطينية أولًا، ونحن نؤمن أنَّ رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقًّا، ولا ينطق إلا صدقًا، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، فما زلنا ننتظر البشارة الثانية، أنْ تُفتح رومية، أنْ تفتح روما، أنْ نعود إلى روما مرَّة أخرى بعد أنْ طُرِدْنا منها، فقد دخلناها مرتين، دخلناها مرة من هنا، من هذا المضيق، من جبل طارق، يوم عبر موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى الشاطئ الآخر، وأقمنا حضارة شامخة سامقة ظلت ثمانية قرون، لا زال العالم يرى بعض آثارها الماديَّة إلى اليوم، وبعض آثارها المعنويَّة، وقد ظلَّت قرونًا تعلم أوربا، كانت جامعات المسلمين هي المَوْئل للطلاب من أوربا، أقمنا حضارة على الشاطئ الآخر ثم ضيَّعناها، كما قالت إحدى الأمهات لأحد الأمراء:

ابْك مثلَ النساء مُلكًا مُضاعًا لم تحافظْ عليه مثل الرِّجَالِ[1]

بعد أنْ طردنا من الأندلس هذه المرَّة، وبعد أن طردنا مرَّة أخرى من أوربا بعد أنْ طرق العثمانيون أبواب «فيينا» عدة مرات، لا بدَّ أنْ نعود إلى أوربا، نعود لنحمل الإسلام، لا لنأخذ ثأرًا، فلسنا طلابَ ثأر، نحن طلابُ هداية، وحَمَلةُ رسالة، ولا نرضى أنْ نكون أنانيين، نحتكر الهُدى لأنفسنا، إنَّما نريد أن ننشر الهدى في العالم، لا بدَّ أنْ ننتقل إلى الشاطئ الآخر.

هذه مهمتكم يا أبناء الإسلام، أنْ نكمل المشوار الذي طرقه طارق بن زياد، وموسى بن نصير، وأحفاده من بعد، أنْ نعيد الإسلام إلى أوربا، وأن نُحقِّق بشرى رسول الله ﷺ، بعودة الإسلام إلى أوربا وانتشاره في العالم.

---

(١) انظر: قصة الحضارة (٧٠/٢٣)، ترجمة د. زكي نجيب محمُود وآخرين، نشر دار الجيل، بيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

كل ما نريده أن نكون عند حسن الظن بنا، أن نكون مسلمين حقًّا، أن نحقِّق الإسلام في حياتنا، والإسلام ليس قولًا يُقال، ليس مجرَّد شعار يُرفع، أو دعوى تُدَّعى، فما أسهل الدعوى، وما أعزَّ المعنى، ما أهونَ القول، وما أصعبَ العمل، وكما قال الإمام الغزالي: يا بنيَّ، إنَّ النصيحة سهلة، ولكن الصعب قبولها، والعمل بها[1].

علينا أن نكون مسلمين حقًّا، نُطبِّق الإسلام في أنفسنا، ونكون مُثُلًا للإسلام، يرى النَّاس الإسلام فينا حقًّا، يرانا الناس مصاحف تتحرَّك بهذا الدين، تفسِّره بالعمل لا بالقول، ويوم نكون كذلك ثقوا أنَّ الدنيا ستنقاد لنا بزمام، أنَّ الإسلام سيعيد مكانته من جديد، سترتفع رايته من جديد على أرض الله، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

عليكم يا أحفاد طارق بن زياد، ويا أحفاد موسى بن نصير أن تحملوا الإسلام من جديد ليطبَّق في أرضكم، ثم لتنتقلوا به إلى الآخرين، حتى يروا نورَ الله، وتعلو فيهم كلمةُ الله، وما ذلك على الله بعزيز، وإنَّا لهذا اليوم لمنتظرون.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) أيها الولد للغزالي صـ٩٤، تحقيق د. علي محيي الدين علي القره داغي، نشر دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

غير مرخصة للطباعة

مقاومة الأخطار:

السؤال الأول: تحدَّثتم عن الأخطار الداخليَّة، التي تتمثَّل في دعاة العلمانيَّة، ودعاة الإباحيَّة، ودعاة التقليد الأعمى للحضارة الغربيَّة، كيف نستطيع أنْ نقاوم هذه الدعوات الخطرة، والهدامة، داخل بلاد المسلمين؟

الجواب: أقول أيُّها الإخوة: لم تتكوَّن هذه الدعوات الهدَّامة بين يومٍ وليلة، ولا بين عشيَّة وضحاها، بل بعمل طويل المَدى قام عليه الاستعمار، ويجب أولًا أنْ نعترف أن قبل عصر الاستعمار كانت هناك عصور من الانحلال والتخلُّف أصابت الفكر الإسلامي بالجمود، وجاء الاستعمار فزاد الطين بِلَّةً، والداءَ عِلَّةً، واستطاع أنْ يبعد كثيرًا من أبناء هذه الأُمَّة عن دينها.

ومهمتنا ليست سهلة، لا بدَّ من عمل على كل مستوى، لا بدَّ من عمل فكريٍّ، وعمل دعويٍّ، وعمل تربويٍّ، وعمل اقتصاديٍّ، على كلِّ صعيد، كل جماعة تعمل في ناحية.

وأستطيع أن أقول: بدأت الصحوة الإسلاميَّة ـ والحمد لله ـ تعمل الآن على مستويات عديدة، هناك عمل على المستوى الفكري، والمفكرين الإسلاميين، لم تعد المكتبة الإسلاميَّة كما كانت في أول هذا القرن، لا، بل أصبحت المكتبة الإسلاميَّة غنيَّة في كل ناحية من النَّواحي، وأضرب لكم مثلًا بموضوع الاقتصاد الإسلامي، أصبحت الكتابات في هذا المجال الآن كثيرة، هناك عشرات رسائل الدكتوراه والماجستير، وهناك مئات الأبحاث والكتب، ما بين صغير ووسيط

QaradawiBooks.com

وكبير، وهناك أقسام للاقتصاد الإسلامي في الجامعات، ومراكز للاقتصاد الإسلامي، وهكذا، فهناك عمل الآن موجود بالفعل.

ولكن المطلوب الآن عمليَّة تعاون وتنسيق، وجمع للكلمة، أخطر ما نواجهه عمليَّة التمزيق التي تواجه الصحوة الإسلاميَّة الآن، إذا استطعنا أن نجمع القوى الإسلاميَّة، ونضمَّ بعضها إلى بعض، ونتعاونَ فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، نستطيع أن نكسب الكثير.

ونحن نكسب كل يوم، فالأمر تغيَّر كثيرًا، أصبح كثيرٌ من المثقفين في صف الإسلام، أعرف كثيرًا من الماركسيين العتاة انقلبوا إلى دعاة إسلاميين، حتى المستشرقين بدأت تخِفُّ لهجتهم عمَّا كانت عليه من قبل، لأنَّهم كانوا من قبل يكتبون ولا يقرأ المسلمون ما يكتبون، لكن الآن أصبح المسلمون يقرؤون لهم، ويردُّون عليهم، فالمطلوب منا أن نعمل، لكي ننافس هؤلاء لا بدَّ من عمل، فالكلام وحده لا يكفي، عمل على مستوى الإسلام، وعلى مستوى العصر، وعلى مستوى ما يعمل الآخرون، وأهم شيءٍ أن نجمع الكلمة، أن نقف صفًّا واحدًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

دور المرأة:

السؤال الثاني: ما هي نصيحتكم للمرأة المسلمة، في ظل الأخطار التي تتعرض لها الأُمَّة؟

الجواب: أنا في الحقيقة مسرور بوجود عدد من الأخوات في هذا المؤتمر، وأنا قلت: إنَّ الصحوة الإسلاميَّة ليست مقصورة على الرجال،

QaradawiBooks.com

بل هي للرجال والنساء، للمرأة المسلمة نصيبها من هذه الصحوة، وقد كان للمرأة المسلمة من أول يوم دور في نصرة الدعوة الإسلاميَّة، أول صوت ارتفع بتأييد النبيِّ ﷺ كان صوت امرأة، هو صوت خديجة[١]، وأول دم أريق في الإسلام كان دم امرأة، هي سميَّة بنت خياط أم عمَّار بن ياسر[٢]، فالمرأة لها دورها.

ولذلك نريد من المسلمة أنْ تعمل، تفقه الإسلام حقيقة، دون غلو ولا تفريط، وتحاول أن تكون مسلمة صادقة، تلتزم بالإسلام الذي فهمته، ثم تحاول أنْ تعمل في مجال الأسرة، إنْ كانت متزوجة تقوم بحق الزوجيَّة، فتدعو زوجها، وتعينه على الخير، كما كانت المرأة من نساء السلف تقول لزوجها إذا أراد أنْ يخرج من البيت: يا أبا فلان، إيَّاك وكسبَ الحرام، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على حرِّ النار، وغضب الجبار[٣]. تكون عونًا لزوجها على طاعة الله، وتكون نعم المربية لأبنائها إذا كانت أمًّا.

ثم عليها أيضًا أنْ تعمل مع بنات جنسها، تدعو المتحلِّلة منهن إلى الإسلام، والمتدينة غير النشيطة تحركها وتتعاون معها في خدمة

---

(١) كما في حديث بدء الوحي، حينما قالت لرسول الله ﷺ: والله ما يخزيك الله أبدًا. متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة. وقال ابن الأثير: خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٨٠/٧) تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٦٨٩)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، وقال ابن الأثير في أسد الغابة (١٥٢/٧): سمية أم عمار بن ياسر هي سمية بنت خباط كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان ياسر حليفًا لأبي حذيفة، فزوجه سمية، فولدت له عمارًا، فأعتقه أبو حذيفة.

(٣) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

للإسلام، تقيم مع أمثالها جمعية ولو صغيرة لمدارسة الإسلام، أو للدعوة إليه، أو للعمل الخيري، فالمجال فسيح أمام المسلمة لخدمة دينها، والمهم أنْ يصدق العزم، وإذا صدق العزم وضح السبيل.

التضييق على المرأة:

السؤال الثالث: الأخوات اللاتي يعملن في الدعوة يضطررن للخروج من المنزل بصفة مستمرَّة، ولكن هذا الوضع لا يرضي آباءهن، فما العمل؟

الجواب: لا بدَّ أولًا من محاولة إقناع الآباء، والأب إذا كان صاحب دعوة سَيُسر بأن تكون ابنته داعية إلى الله، نحن في حاجة إلى توعية، لو عرف هذا الأب جيوش المبشِّرات التي تنتشر في العالم ما صعب عليه أنْ يرى ابنته تخرج من بيتها في بلدها وفي حيِّها. لا بدَّ أن نُعرِّف هؤلاء الآباء أنَّ الإسلام ليس للرجال فقط، الإسلام للرجل والمرأة، فلا بدَّ للبنت أن تبذل جهدًا في إقناع أبيها، أو زوجها، لأنَّ أحيانًا أيضًا تكون المشكلة عند الأزواج.

وقد شكت لي بعض الأخوات في أكثر من بلد أن بعض الأزواج ـ حتى من الملتزمين ـ بعد أنْ يتزوَّج يريد أنْ يحبس امرأته، يقول لها: البيت أولى بك. وربما تزوجها وهي داعية، هذا لا يجوز، المرأة ـ أيُّها الإخوة ـ نصف المجتمع من الناحية العدديَّة، وهي أكثر من النصف من ناحية تأثيرها في زوجها، وفي أبنائها، وفي بناتها، فلا يمكن أنْ نفرط في هذا القدر من المجتمع المسلم، ونتركه هملًا، ولا يمكن أنْ نؤدِّي رسالتنا إلا إذا عملت المرأة مع المرأة، أنا لا يمكن أنْ أجلس في كل وقت مع مجموعة من النساء لأدعوهن، لكنَّ المرأة تستطيع أنْ تفعل

QaradawiBooks.com

ذلك، ولذلك نصيحتي للآباء وللأزواج أنْ يعينوا بناتِهم، وأخواتِهم، وزوجاتِهم على القيام بالدعوة إلى الله، نحن في أشد الحاجة إلى القيام بهذا الدور.

مستقبل الصحوة في المغرب:

السؤال الرابع: كيف ترون مستقبل الصحوة الإسلاميَّة في المغرب العربي؟

الجواب: أنا أرى الصحوة الإسلاميَّة في المغرب ـ والحمد لله ـ ذات أمل، أرى الأمل، وأرى الفجر، ووجود هذه الصفوة من الشباب هو دليل على هذا الأمل.

ومنذ أشهر كنت في الرباط، في الندوة التي نظمتها شعبة الدراسات الإسلاميَّة، وعرفت أن شعبة الدراسات الإسلاميَّة أصبحت شعبًا من فترة ـ والحمد لله ـ ويدخلها الشباب الجامعي، لا من شباب أصول الدين، ولا الشريعة، ولكن الشباب الذي درس العلوم، والرياضيات، والهندسة، ونحوها، وقال لي الدكتور محمد البشير، والدكتور أمين إسماعيل: كلية الآداب هذه لم يكن يذكر فيها اسم الله قط، ما كان يجرؤ أحد أنْ يبدأ محاضرته باسم الله الرحمن الرحيم.

الآن تغيَّر الوضع، ويمكن بعض الشباب هنا له بعض الصِّلات بالرباط، ولعلهم رأوا الحشود في محاضرتي في هذه الكليَّة، آلاف مؤلفة في قاعة ابن خلدون، وقد ضاقت بالناس، فهذا والحمد لله ممَّا يعطي الأمل.

وقبلها كنت حاضرًا من الجزائر، والله كان هناك الآلاف، وعشرات الآلاف كانوا يحضرون المحاضرات، ألقيت درسَ الجمعة في مسجد

QaradawiBooks.com

الأبيار في العاصمة الجزائرية، قال لي بعض الإخوة: أنت لم ترَ كل الناس، كانت الشوارع والساحات ممتلئة بالإخوة والأخوات من بعيد. قالوا: لا يقلُّ الحاضرون عن ستين ألفًا. هذا في الجزائر التي كان يقال: إنَّها فرنسية. وأنا قلت للإخوة هناك: إذا كانوا قديمًا يقولون: إنَّهم يريدونها جزائر فرنسية. فأرجو في الوقت القادم أن نريد نحن فرنسا جزائرية مغربية إسلاميَّة.

المستقبل ـ إنْ شاء الله ـ للصحوة الإسلاميَّة، عليكم فقط أنْ تعملوا، وأنْ تتَّحدوا، كونوا يدًا واحدة، كما يريد الله ﷻ، والمؤمنُ للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا.

نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، ونسأل الله تبارك وتعالى أنْ يبارك فيكم، وأنْ يحفظكم بالإسلام، وأنْ يحفظَكم للإسلام، وأنْ يبارك للإخوة الذين نظموا هذا المؤتمر، ونسألُ الله الذي جعل يوم الإخوة خيرًا من أمسهم، أنْ يجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأنْ يجمعنا دائمًا على ما يحب ويرضى، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١١

الأُمَّة الواحدة بين الأمس واليوم والغد[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على رحمة الله للعالمين، وحجَّته على الناس أجمعين، البشير النذير، والسراج المنير، مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخلْقِ إلى الحقِّ، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمّد، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات في هذه الأرض الطيبة ـ تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله

(١) ألقيت بدار الثقافة، في تيزي وزو، بمنطقة القبائل بالجزائر، على هامش المشاركة في مؤتمر أخلاقيات الإسلام واقتصاد السوق، الذي دعا إليه المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، يوم الخميس ٣٠ مارس ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

وبركاته، وإذا كانت هذه هي تحية الإسلام فأنا مستغن عن أن أقول لكم: «أزول فلاون». لأنَّ تحيَّتنا في الدنيا والآخرة هي السلام، كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

غير مرخصة للطباعة

منطقة الأمازيغ:

أيها الإخوة الأحبة، أودُّ أنْ أصارحكم بشيءٍ في نفسي، فقد كنت مشتاقًا وتوَّاقًا إلى أنْ أزور هذه الأرض الطيبة، لقد قدمت أوَّل ما قدمت إلى الجزائر في سنة (١٩٨٢م)، للمشاركة في ملتقيات الفكر الإسلامي، وكان أوَّل ملتقى شاركت فيه ملتقى تلمسان، ثمَّ في قسنطينة، ثمَّ في عدد من البلاد، ولكن لم يُقدَّر لي خلال تلك الملتقيات أنْ أزور منطقة القبائل، لا في «تيزي وزو»، ولا في «بجاية»، وحينما أقمت في الجزائر سنة دراسية، سنة (١٩٨٩م/١٩٩٠م)، زرت عددًا من المدن، ولم يُقدَّر لي أيضًا أنْ أزور هذه المنطقة العزيزة عليَّ، الحبيبة إليَّ، الأثيرة لديَّ.

وظلَّ هذا الشوق في نفسي، وسألت الله أنْ يتحقَّق، وكل شيءٍ عند الله بمقدار وبأجل مسمَّى، فشاء الله أنْ يتحقَّق هذه المرة، وفي هذا اليوم الكريم، يوم استشهاد الشهيد عميروش ابن المنطقة.

رجال أشاوس:

كنت أعرف أنَّ هذه المنطقة منطقة الأمازيغ، والأمازيغ هم الرجال الأشاوس الأحرار، الَّذين احتضنوا الإسلام من أوَّل يوم، لقد دخلوا في الإسلام صادقين، وحملوا لواءه مجاهدين، ونشروه في العالم ناصرين ومناصرين.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

كان أوَّل من برز منهم وتجلى هو ابن الأمازيغ، وابن هذه الأرض، وفاتح الأندلس طارق بن زياد، كان في أوَّل دخول هذه المنطقة إلى الإسلام، فالمنطقة دخلت الإسلام وحملته فكرة واضحة في رأسها، وعقيدة راسخة في قلبها، ورسالة موجهة لحياتها، ودعوة إلى العالم أجمع، ولذلك انطلق طارق بن زياد ليفتح الأندلس مع موسى بن نصير، ويقول لجنوده: البحرُ من خلفكم، والعدوُّ من أمامكم، وليس لكم والله إلَّا الصدق والصبر[1].

أثر البيئة:

كانت للجبال في هذه المنطقة، وهذه المدينة، أثر في حياة أبنائها وأهليها، نراه في هذا الشموخ والرسوخ، فالجبال تمتاز بثباتها ورسوخها، وتمتاز بشموخها وعلوِّها، وهو ما يميز هذه المنطقة، «تيزي وزو» وما حولها.

وكما علمت أنَّ «تيزي وزو» تعني ثنيَّة الجندول، الهضبة الَّتي ينبت فيها شجر الجندول طيِّب الرائحة، يمتاز بأشواكه، والشوك يعني المناعة، وهذا يعني أنَّ هذه المنطقة منيعة تستعصي على الغزاة وعلى الطغاة.

التصوُّف والجهاد:

و«تيزي وزو» هي مدينة الفضائل، فهي مدينة الزوايا، ومدينة القرآن، ومدينة العلم، ومدينة التصوف، ومدينة الجهاد، وقد ذهبت لزيارة إحدى زوايا هذه المنطقة، زاوية «سيدي بالوا»، أو أبو اللواء، وألبسني الإخوة «البُرنس»، أو الخِرْقة كما يقول الصوفيُّون، ونحن نقول: تنتهي مصر ويبدأ المغرب العربي حيث يؤكل الكسكس، ويُلبَس البُرنس، وتُحلق الأَرؤس. فألبسوني الخرقة لأصبح صوفيًّا رحمانيًّا معهم.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٢١/٥)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

الصوفيَّة الملتزمة:

وقد قلت لهم: أنا لست ضد الصوفيَّة، ولكن أنا مع الصوفيَّة الملتزمة، البعيدة عن الشِّركيَّات والابتداع. قالوا: هذا هو التصوُّف عندنا. التصوُّف هو جزء من هذه المنطقة كما قال ابن عاشر:

فِي عَقْدِ الأَشْعَرِي وفِقْهِ مَالِكِ وفي طَرِيقَةِ الجُنَيْدِ السَّالِكِ[1]

والجُنَيْد هو الَّذي يُمثِّل التصوُّف المستقيم، وتصوُّف هذه البلاد يمزج بين الشريعة والحقيقة، وقد قالوا قديمًا: مَنْ تشرَّع ولم يتحقَّق فقد تَفَسَّق، ومَنْ تحقَّق ولم يتشرَّع فقد تزندق. فمن يأخذ ما يسمُّونه الحقيقة دون قاعدة من الشرع يصل إلى الزندقة، كالذين قالوا بوَحدة الوجود، والاتِّحاد والحلول، وما في الجُبَّة غير الله، وهذه الأمور الخرافيَّة، ومن تشرَّع ولم يتحقَّق، لم يصل الباطن بالظاهر، عاش فقط في القشور، ولم يصل إلى اللباب، ولم يمزج حياته بالإخلاص لله ﷻ، من لم يكن له نيَّة في كلِّ أمر، فقد تفسَّق، وصل إلى الفسق، لم يصل إلى الدِّين الحقيقي.

وتصوُّف المنطقة مرتبط كذلك بالجهاد، والأمير عبد القادر الَّذي قاد الجهاد الأوَّل ضدَّ الفرنسيين في الجزائر، كان مُتَصَوِّفًا معروفًا، وله كُتُب في التصوُّف، وكتابه «المواقف» معروف، وكذلك المُتَصَوِّفون الَّذين نشؤوا في زوايا هذه المنطقة هم الَّذين قادوا الجهاد والمقاومة من أوَّل الأمر.

ولعلَّ من الَّذين يذكرهم التاريخ، ويذكرهم الناس من هذه المنطقة، البطلة المجاهدة الَّتي يجب أنْ يُكتب تاريخها بحروف من نور، هي لالة فاطمة نسومر، الَّتي دوَّخت الاستعمار الفرنسي، وهزمت عددًا من الجنرالات الفرنسيِّين، يقال: إنَّهم سبعة جنرالات، ويقال: إنَّهم بضعة عشر جنرالًا.

(١) متن ابن عاشر صـ٢، نشر مكتبة القاهرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذه المرأة كانت تركب الخيل وتقود الرجال، وتُجَنْدل الأبطال من الأعداء، وكما يقول شيخنا الغزالي: لو وجدت هذه المرأة في الغرب لأقاموا لها التماثيل، وصنعوا منها الأساطير. ولعلَّكم تعرفون قصَّة «جان دارك» الَّتي جعلوا منها قِدِّيسة من القديسات، أمَّا فاطمة المرأة الَّتي قادت الأبطال، وجنَّدت الرجال، وانتصرت على هذا الاستعمار المُتَجَبِّر، فجديرة بأنْ نسجل لها تاريخها، ونحفظ لها بطولتها.

حفظ التاريخ لهذه المنطقة الكثيرين، الشيخ الحجَّاج، والشيخ المِقْراني، وهؤلاء جميعًا خرجوا من الزوايا، حتى فاطمة نسومر خرجت من هذه الزوايا، فحينما ترتبط الزوايا بالعلم، وترتبط بالجهاد نُرحِّب بها.

أيُّها الإخوة، هذا بعض ما نذكره لهذه الديار الميمونة المباركة المجاهدة الموصولة بالإسلام، الَّتي لا يمكن أبدًا أنْ تنفصل عن الإسلام، أو ينفصل الإسلام عنها، إلَّا كما ينفصل الجسد عن الروح، فهذه منطقة إسلاميَّة ولا شك.

ولذلك فإنَّ الَّذين يحاولون أن يُنصِّروا جماهير هذا الشعب، أو يخرجوه عن دينه وهُويته، إنَّما يعبثون، ويحاولون محاولات مستحيلة؛ لأنَّ هذا الشعب بعد أنْ رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا ومنهاجًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا، لن يبيع دينه ولا بملك المشرق والمغرب.

وحدة الأُمَّة الإسلاميَّة:

يا أيُّها الإخوة، إنَّ الإسلام دينٌ عالميٌّ، وإنْ نزل قرآنه بلسانٍ عربيٍّ، وكان رسوله عربيًّا، ولكن الإسلام يقوم على كلِّ الأجناس، يقوم على العرب والعجم، وأهل الشرق والغرب، فلكلِّ جنس من الأجناس دوره في نصرة الإسلام، فقد نصر الفرس الإسلام بعد أنْ دخلوا فيه، نصروا

QaradawiBooks.com

اللغة العربيَّة، ونصروا السُّنَّة، ونصروا الفقه الإسلامي، وقد كان أبو حنيفة فارسيًّا، وكذلك كان البخاري والترمذي وابن ماجه والقزويني، والذين خدموا العربية كالزمخشري والجرجاني.

هذه شعوب ليست عربيَّة، وإنَّما شعوب مسلمة اعتزَّت بالإسلام ونصرته، كما نصر الشعب التركي الإسلام، وكما نصر الشعب الهندي الإسلام، وكما نصر الشعب الأفغاني الإسلام، وكما نصر الشعب الأمازيغي الإسلام، ولا زال ينصر الإسلام إلى اليوم، ومن هنا لا ينبغي أبدًا أن تكون جنسيَّة أي شعب أو لغة أي شعب حائلًا بينه وبين نصرة الإسلام.

العربية اللسان:

وأنا لا أعتبر العربية ـ أيُّها الإخوة ـ دمًا، وعنصرًا، وجسمًا، وجنسًا، العربية ثقافة، ونحن نحب العربية لأنَّها لسان القرآن، ولسان الإسلام، ولغة الحديث الشريف، ولغة العبادة، نحن حينما نصلي نقرأ الفاتحة، ونقرأ السورة، وندعو الله، ونهلِّل، ونكبر، ونسبِّح، ونحمد، كل هذا باللغة العربية، وهذا يُحبِّبنا في اللغة العربية.

ونحن المصريين هل كنا عربًا في الأصل؟ لا والله، أنا لا أعرف إلى مَن ترجع جذوري؟ هل هي إلى العرب، أو تحتمس، أو رمسيس، أو أي واحد من هؤلاء؟ لكن أعرف أنَّ الإسلام عرَّبني، فصرت أحبُّ العربيَّة، وأتعلَّم العربيَّة، لأنَّها لغة الإسلام، والإخوة الآن من حولي أنا أعتبرهم عربًا.

ولو نظرنا إلى النهضة الإسلاميَّة الحديثة نجد مثلًا مُؤَسِّس جمعيَّة العلماء في الجزائر هو الشيخ المُجَدِّد عبد الحميد بن باديس، وهو أمازيغي، فهذا رجلٌ عربي من أئمَّة العرب، وقابلت الفُضَيْل الورتلاني في مصر ولبنان، ولم أكن أعرف هذا التقسيم، لكن أعرف أنَّه من العرب الفصحاء.

QaradawiBooks.com

وكان يسكن معي في مصر شاب جزائري من الَّذين اشتركوا في الجهاد، وكان يخاطب المجاهدين كلَّ ليلة من صوت العرب في القاهرة، الساعة الثانية عشرة مساءً، اسمه محمد الأقصري، وكان من الأدباء، عرفتُ أخيرًا أنَّه أمازيغي.

فالذي يتكلَّم العربية هو عربي.

فيا أيُّها الإخوة، نحن كلنا مسلمون، نحبُّ القرآن، ونحبُّ محمدًا ﷺ، ونحبُّ العربية لأنَّها لغة القرآن، ونحبُّ محمدًا لأنَّه جاءنا بالإسلام، لا لأنَّه عربي، ونحبُّ بلاد العرب لأنَّ فيها مكة والمدينة والقدس، فيها المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، الَّتي تشد الرحال إليها جميعًا.

نحن أُمَّة واحدة، يجب أنْ نشعر بهذه الحقيقة، ويجب أن نرفض دعوات الَّذين يريدون أنْ يمزقوا الأُمَّة بأسباب شتى، بسبب عنصري، أو سبب إقليمي، أو سبب لغوي، أو سبب مذهبي، أو سبب طبقي، أو أي سبب آخر، فالأُمَّة الإسلاميَّة أُمَّة واحدة، وما دمنا نتجه إلى قبلة واحدة، ونؤمن بعقيدة واحدة، وشريعة واحدة، ما دمنا نؤمن بربٍ واحدٍ، ورسولٍ واحد فنحن أُمَّة واحدة، لا يستطيع أحد أنْ يفرقنا، ولا أنْ يمزقنا، نحن أُمَّة لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله.

الأُمَّة الواحدة بين الأمس واليوم والغد:

يا أيُّها الإخوة، أريد أنْ أحدثكم عن هذه الأُمَّة الواحدة بين الأمس واليوم والغد، هذه الأُمة الَّتي ننتمي إليها، ونعتز بالانتماء إليها، لأنَّ الله تعالى جعلها خير أمة أخرجت للناس، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]،

QaradawiBooks.com

وجعلها أُمَّة وسطًا، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، لأنَّها أُمَّة تحمل الرسالة الخاتمة، والرسالة العالميَّة، رسالة الرحمة للعالمين، والهداية للناس أجمعين.

أوَّلًا: مفاخر الأُمَّة الإسلاميَّة وأمجادها:

هذه الأُمَّة كانت في وقت من الأوقات سيدة الأمم، كانت معلمة الأمم، كانت في المرتبة الأولى في العالم.

(١) في المجال السياسي العسكري:

بلغ من مجدها السياسي أنَّ أحد خلفائها، وهو هارون الرشيد، نظر إلى سحابة في السماء، أظلَّت سماء بغداد، وانتظر الناس أن تمطر، فانقشعت عن بغداد ولم تمطر، فقال لها: أيتها السحابة، شرِّقي أو غرِّبي، وأمطري حيث شئت، فسيأتي خراجُكِ إلى بيت مال المسلمين[١]. يعني إذا أمطرت في بلاد الإسلام جاء زكاة لبيت المال، وإذا أمطرت خارج بلاد الإسلام جاء خراجًا لبيت المال، إلى هذا الحد بلغ مجد الأُمَّة السياسي.

وبلغ المجد العسكري للأُمَّة أنَّ أحدَ المسلمين أُسِر في عهد عمر بن عبد العزيز، وتطاول عليه أحد أمراء الروم، فبعث إليه عمر أنْ يطلق سراحه، ثمَّ قال له: وإلا غزوتك بجنود أولها عندك وآخرها عندي[٢]. فلم يملك إلا أنْ يطلق سراحه.

(١) انظر: صبح الأعشى (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم صـ١٤٨، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

أربعة جيوش:

كانت الدولة الإسلاميَّة في عهد بني أمية تقاتل في أربع جبهات في وقت واحد، وتنتصر فيها جميعًا، كانت هناك جبهة على أسوار الصين يقود مسلمة بن عبد الملك جيشًا فيها، وجبهة على أسوار سمرقند يقود قتيبة بن مسلم الباهلي جيشًا فيها، وجبهة على أبواب الهند يقود محمد بن القاسم بن محمد الثقفي جيشًا فيها، وهو شاب ابن سبعة عشر عامًا، وهو الَّذي قال فيه الشاعر:

إنَّ السَّمَاحَة والمروءةَ والنَّدَى لمُحَمَّدِ بن القاسمِ بنِ مُحَمَّدِ
قاد الجيوشَ لسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يا قُرب ذلك سُؤْددًا من مَوْلدِ[1]

والجبهة الرابعة في الأندلس يقود القائد طارق بن زياد وموسى بن نصير جيشًا فيها، أربعة قواد في وقت واحد في أطراف العالم، وانتصر هؤلاء القواد في جبهاتهم الأربعة، أيُّ مجْد عسكريٍّ هذا لهذه الأُمَّة؟!

وا معتصماه:

امرأة لُطمت على خدها في بلاد الروم فصرخت: وا معتصماه! أين الخليفة المعتصم يغيثني، وينقذني؟ وسخر منها مَنْ لطمها، وقال لها: انتظري المعتصم يأتيك على فرسٍ أبلق لينقذك.

فلمَّا بلغ ذلك المعتصم طلب من رجاله عن الأفراس البُلق، وجمع ثلاثين ألف فرس، ثمَّ غزا بلاد الروم، وانتصر عليهم في موقعة شهيرة تُسمَّى موقعة «عمُّوريَّة»، في المكان الَّذي يُسمَّى الآن «بورصة» في تركيا.

---

(١) عيون الأخبار (٣٣٢/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وحينما عزم على هذه المعركة قال له المنجِّمون: نحن قرأنا في الكتب أنَّ الغزوة في هذه الأيام تبوء بالفشل والهزيمة، أخِّرْها حتى ينضج التين والعنب. فتركهم، وقال: دعوهم في كتبهم، وأنا سأغزو. وانتصر في هذه المعركة الَّتي سجَّلها أبو تمام في قصيدته البائيَّة الشهيرة، الَّتي افتتحها بقوله:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدِهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ

بيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ ... فِي مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّك والرِيَبِ

تِسْعُونَ أَلْفًا كآسادِ الشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التينِ والعِنَبِ[1]

كانت هذه هي الأُمَّة في مجدها العسكري.

(٢) في المجال الاقتصادي:

وبلغ مجدها الاقتصادي أنَّ والي عمر بن عبد العزيز على الصَّدقات في إفريقيا ـ وكان يُقصد بها في ذلك الوقت تونس وما حولها ـ جمع أموالًا من الصَّدقات، وبحث عن فقراء حتى يوصلها إليهم، فلم يجد فقيرًا، فأرسل إلى الخليفة في دمشق، عمر بن عبد العزيز، يستفتيه ماذا يفعل في هذا المال الَّذي تجمَّعَ عنده، ولم يجد من أهل الفقر والمسْكَنة مَنْ يعطيه؟ فأرسل إليه خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يقول له: ابحث عن أهل الذمَّة من النصارى واليهود. فلم يجدوا، فقال: اشترِ بها رقابًا فأعتقها[2].

(١) انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤٥٣/٣)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ٦٥.

QaradawiBooks.com

أي أنَّ المسلمين بعد أن حرَّروا الناس من الفقر، بدؤوا يوجهون حصيلة الزكاة إلى تحرير الناس من الرقّ، قبل أنْ تعرف ذلك هيئة الأمم، وهيئات حقوق الإنسان، الإسلام جعل مصرفًا في الزكاة اسمه «في الرقاب»، لتحرير الرقاب، كان هذا مجد الأُمَّة الاقتصادي.

(٣) في المجال الحضاري:

وبلغ مجد الأُمَّة العلمي في ظل الحضارة الإسلاميَّة الَّتي سادت العالم نحو ثمانية قرون أو أكثر، كانت هي الحضارة الرائدة، والحضارة المعلِّمة، كان هذا المجد يتمثل في أنَّ أشهر علماء الدنيا هم العلماء المسلمين، وأشهر المراجع العلمية هي مراجع المسلمين، ترجمت إلى اللاتينية واللغات الأوربية، لو نظرنا مثلًا إلى كتب الطب نجد كتاب «الحاوي» لأبي بكر الرازي، وكتاب «القانون» لابن سينا، وكتاب «الكُلِّيَّات» لابن رشد، وكتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» لأبي القاسم الزهراوي، كانت هذه كتب منتشرة في العالم، كنا نحن معلمي العالم، كان الناس يأتون من أوربا ليتعلموا في بلادنا، فقد كانت بلاد النور، كانت الأندلس الَّتي ظلت الحضارة الإسلاميَّة فيها ثمانية قرون تعلم الأوربيين.

ولم يكن عندنا صراع بين العلم والدين، كما حدث في أوربا، بل كان العلم عندنا دينًا، والدين عندنا علمًا، والذين جمعوا بين علوم الدين وعلوم الكون والطبيعة كثيرون جدًّا، نجد الفخر الرازي، صاحب كتاب «التفسير الكبير: مفاتيح الغيب»، وصاحب كتاب «المحصول في علم الأصول»، و«مُحَصِّل أفكار المتقدمين والمتأخرين»، في علم الكلام، وغيرها من كتب أصول الدين، وأصول الفقه، والتفسير، هذا الفخر

QaradawiBooks.com

الرازي كان طبيبًا، وقال المترجمون له: لم تكن شهرته في علم الطب تقل عن شهرته في علوم الدين.

وكذلك كان ابن رشد الحفيد فيلسوفًا، وهو أعظم شارح لأرسطو، حتى إنَّ فلسفة أرسطو انتقلت إلى العالم عن طريق شروح ابن رشد، وكان طبيبًا كبيرًا، فهو صاحب «الكُليَّات» في الطب، الَّذي تُرجم إلى اللاتينية وانتفع به الغربيون قرونًا طويلة، وهو ـ في الوقت نفسه ـ فقيه مالكي من أعظم الفقهاء، وصاحب كتاب من أعظم كتب الفقه المُقارَن، هو كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

وكذلك كان الطبيب الشهير ابن النفيس ـ الَّذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى ـ من فقهاء الشافعيَّة، ترجم له العلَّامة ابن السُّبكي في كتابه الشهير «طبقات الشافعية»، وهكذا كان العلم والدين يمشيان جنبًا إلى جنب.

ثانيًا: تراجع الأُمَّة الإسلاميَّة:

كانت هذه هي حضارتنا، كنا سادة العالم، ثمَّ دار الزمن دورته، وتأخرنا بعد تقدم، وانكمشنا بعد امتداد، وضعفنا بعد قوة، وافتقرنا بعد غنًى، وتفرقنا بعد وحدة، وأصابنا ما أصابنا فسُلِّطت علينا الأمم الأخرى، سُلِّطت علينا الصليبية من الغرب، والتتارية من الشرق.

ومن قرأ تاريخنا أيُّها الإخوة يرى بوضوح أنَّ المدَّ والجزر، والنصر والهزيمة، والامتداد والانكماش، والقوة والضعف، كل هذا مرتبط بالقرب من الإسلام أو البعد عنه، في التمسك بالإسلام أو الانحراف عنه، كلما كانت الأُمَّة أكثر ارتباطًا بالإسلام كانت أقوى وأعزَّ، وأقدر على الانتصار، وإذا بعدت عنه أصابها البلاء من كل ناحية.

QaradawiBooks.com

(١) الحملات الصليبيَّة:

ولهذا لما بعدت الأُمَّة عن الإسلام سلَّط الله عليها هؤلاء الأعداء، جاءت الصليبيَّة في تسع حملات مشهورة، وأقامت لها ممالك في بلاد الشام، وعلى سواحل البحر الأبيض، واستعانت للأسف بالخونة، والضعفاء، والمنافقين من حكام المنطقة، كما هو الحال دائمًا، فهؤلاء يكونون دائمًا مع الغُزاة والمستعمرين، وظل المسجد الأقصى تسعين سنة لا تُقام فيه صلاة.

عماد الدين ونور الدين:

حدث هذا، حتى هيَّأ الله رجالًا، لم يكونوا من جنس العرب، عرَّبهم الإسلام حقيقةً، كان بعضهم من الجنس التركي مثل عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، سمَّاه المؤرخون الشهيد، مع أنَّه لم يُستشهد، لأنَّه ظل عمره يتوق إلى الشهادة، ويدعو الله أنْ يموت شهيدًا، ولكنَّه لم يمت شهيدًا، فسموه الشهيد، وكان يُشبَّه بالخلفاء الراشدين في عدله، وزهده، وحسن سيرته، وشجاعته، ورغبته في الجهاد في سبيل الله.

كان رجلًا فذًّا من رجالات الإسلام العظام، حتى إنَّهم رووا عنه أنَّه روى عن بعض شيوخه حديثًا مسلسلًا بالابتسام، ومعنى مسلسل بالابتسام: أنَّ النبيَّ ﷺ يبتسم في حديثه، فالصحابي الَّذي يروي عنه الحديث يبتسم، حتى ينقل الصورة قولًا وفعلًا، والتابعي الَّذي يروي عن الصحابي يبتسم، وهكذا تابع التابعي، إلى نهاية السند.

فلمَّا أخذ نور الدين محمود يروي الحديث المسلسل بالابتسام قال له شيخه: ابتسم؛ حتَّى تكتمل الصورة وتتمَّ رواية الحديث. فحاول أنْ

QaradawiBooks.com

يبتسم فلم يستطع، فقال له: ابتسم. قال: كيف أبتسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر[١]؟ وكان الصليبيون يحاصرون مدينة دمياط في مصر؛ هذا نور الدين محمود.

غير مرخصة للطباعة

صلاح الدين:

ثم جاء تلميذه صلاح الدين الأيوبي، وهو ثمرة من ثمرات نور الدين محمود، ولكن الغربيين يكرهون نور الدين فلم يذكروه في تاريخهم، ولم ينوهوا به، وسار المسلمون على طريقتهم.

نحن نعرف صلاح الدين، وقلَّ من يعرف نور الدين، وهو أفضل من صلاح الدين وأستاذه، كان نور الدين محمود تركيًّا، وصلاح الدين الأيوبي كرديًّا، فالأتراك والأكراد هم الَّذين نصروا الإسلام، وحرَّروا القدس، وبيت المقدس، وانتصروا لهذا الدين، تحررت فلسطين في معركة «حِطِّين»، ومعركة «بيت المقدس»، واستكمل ذلك بعد صلاح الدين الظاهر بيبرس، والناصر قلاوون، وغيرهما من المماليك الَّذين حكموا مصر.

(٢) الغزو التتاري:

أصيب الإسلام بنكسة أيَّام الصليبيِّين، وبنكسة أخرى أيَّام التتار، وقد أدرك الصليبيُّون التتار وهم في بلاد الإسلام، وكان بينهم تعاونٌ خفيٌّ لم يُعرف إلا بعد ذلك.

دخل التتار بلاد الإسلام ولم يجدوا مقاومة حتى فتحوا بغداد، وأسقطوا عاصمة الخلافة العباسية، وسالت الدماء فيها أنهارًا، امتلأت

(١) سبق تخريجه صـ ٤٧.

QaradawiBooks.com

بها الشوارع وأسطح المنازل حتى سالت الميازيب دماءً، بعض المؤرخين يقولون: بلغ عدد الَّذين قُتِلوا ألفي ألف. أي مليونَيْن، وبعضهم قالوا: كانوا ألفَ ألفٍ. حتى مليون في الواقع كثير جدًّا، فلم يُقتلوا بالقذائف، بل بالسيوف والسكاكين.

سقطت بغداد أيُّها الإخوة سنة (٦٥٦هـ)، ولكن الإسلام كما انتصر على الصليبيين انتصر على التتار، انتصر عليهم مرتين، انتصر عسكريًّا، وانتصر معنويًّا.

هزيمة التتار:

انتصر عليهم عسكريًّا في معركة «عين جالوت»، وهي قرية في فلسطين، الَّتي وقعت في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ)، أي بعد سنتين من سقوط بغداد استرد المسلمون الثقة وانتصروا على التتار في هذه المعركة الَّتي تُعد من المعارك الحاسمة في التاريخ، وهي المعركة الَّتي قادها القائد المُظفَّر سيف الدين قطز، القائد المملوكي الَّذي كان يحكم مصر في تلك الفترة، وقاد الجيش المصري.

وكان العز بن عبد السلام ـ سلطان العلماء، وبائع الملوك كما يقولون ـ قد قال للأمراء ومن حوله: توبوا إلى الله، واخرجوا مما تملكون من الذهب، ومما اغتصبتموه، حتى يستجيب الله لكم. فباعوها وجهزوا بها الجيش، ودعا لهم الإمام العز بن عبد السلام أنْ ينصرهم الله، وعبَّأ الشعبَ مع سيف الدين قطز، حتى وصلوا إلى «عين جالوت»، يوم الخامس والعشرين من رمضان، وكان يوم جمعة، فأراد بعض قوَّاده أنْ يبدؤوا المعركة من الضحى، فقال لهم: انتظروا حتى تفيء الظلال، وتهبَّ الرياح، ويُصلي المسلمون الجُمَعَ في أنحاء بلاد الإسلام، ويدعو

QaradawiBooks.com

لنا الخطباء بالنَّصر، فلعلَّ فيهم بعض الصَّالحين، الَّذين يؤمِّنون على هذا الدعاء فيستجيب الله تعالى لهم.

وفعلًا بعد أنْ فاءت الظلال، وبعد الظهر بدأت المعركة، وفي أوَّل المعركة انكشف المسلمون أمام التتار، فرّوا أمامهم من الرعب الَّذي كان سائدًا بين الناس عن التتار، وكان المثل السائد في ذلك الوقت: إذا قيل لك إنَّ التتار قد انهزموا فلا تصدِّق. نفس أسطورة القوة الَّتي لا تُقهر.

قطز كان قد بدأ بتشجيع النّاس حينما جاء كتابُ التتار إليه مزَّق الكتاب أمام الجنود، وأمام الناس، ليريهم أنَّه لا يبالي، وقتل الرسول الَّذي جاء بالكتاب، مع أنَّه ممنوع شرعًا قتلُ الرسل، ولكنَّه أراد أنْ يبلِّغ رسالة إلى قائد التتار أنَّه لا يبالي به، ورسالة أخرى إلى جيشه أنَّه لا يبالي بهم، أراد أنْ يبثَّ في قلوبهم الشجاعة، والتضحية، والبطولة.

ولكن مع هذا انهزم المسلمون في أوَّل المعركة، ورأى قطز الناس يدبرون ويفرُّون، فخلع الخوذة النحاسية الَّتي يلبسها، وألقى بها في الأرض، وصاح صيحته التاريخيَّة الشهيرة: وا إسلاماه، وا إسلاماه، وا إسلاماه. يعني أنَّ الإسلام في خطر. فسمع الناس هذه الصيحة، فإذا بالفارِّ يعود، والمُحْجِم يُقْدِم، والجبان يتشجَّع، والمتردِّد يثبت، وأقبل المسلمون يهجمون على أعدائهم، ويقتلون ويأسرون، فما جاء آخر النهار إلا وقد كسب المسلمون المعركة، وكانت معركة من معارك التاريخ الحاسمة، ولم تقم للتتار بعد ذلك قائمة عسكرية، انتصروا في معارك صغيرة، لكن لم ينتصروا في معركة كبيرة، فكان هذا هو النصر العسكري على التتار.

QaradawiBooks.com

إسلام التتار:

ثم كان نصر آخر، كان المبشرون النصارى يحاولون أنْ يدخلوا هؤلاء التتار في النصرانية، وقد كانوا وثنيين، ليس لهم دينٌ كتابيٌّ، كانوا يحاولون أنْ يؤثِّروا فيهم، كما نرى أناسًا يحاولون هنا أنْ يؤثروا في منطقة القبائل، ويردونها عن الإسلام، وهيهات، هيهات.

ولكن نظر هؤلاء التتار إلى الإسلام الَّذي يقدمه إليهم مسلمون رقيقو الحال، وإلى النصرانية الَّتي يقدمها هؤلاء، فاختاروا الإسلام، دخل هؤلاء التتار أو المغول في الإسلام مختارين طائعين، ولأول مرة يسجِّل التاريخ دخول الغالب في دين المغلوب.

هؤلاء التتار هم الَّذين حكموا الهند بعد ذلك، وكان منهم الملوك العظام، وبنوا المباني مثل تاج محل، والقلعة الحمراء، كل الآثار العظيمة الَّتي تفخر بها الهند الآن، وتعتبرها من معالمها السياحيَّة، هي من عمل الملوك المغول في الهند، فهكذا انتصر الإسلام على التتار مرتين.

وانتعش الإسلام مرة أخرى، إلى أنْ أصاب المسلمين الضعف، ثمَّ الضعف، تأخروا وتقدَّم غيرهم، وناموا واستيقظ غيرهم، وركدوا وتحرَّك غيرهم، وكان غيرهم هم أوربا، الَّتي اقتبست النور من المسلمين، اقتبست العلم من المسلمين، من الأندلس، من صقليَّة، من الاحتكاك أثناء الحروب الصليبيَّة، بذروا البذرة وبدؤوا يرعونها، في حين بدأنا ننام، ونستغرق في النوم.

(٣) الاستعمار الحديث:

نامت الأُمَّة وتخلفت أيُّها الإخوة، حتى جاء الاستعمار ودخل بلاد المسلمين، وكانت أوَّل دولة يدخلها هي هذه الدولة، دولة هذا الشعب

QaradawiBooks.com

العظيم، دولة الجزائر، دخلها الاستعمار الفرنسي المتكبِّر المتجبِّر، الَّذي حاول أنْ يحوِّل المساجد إلى كنائس أو إلى متاحف، لم يفعل ذلك الاستعمار الإنجليزي فيما استعمره من بلاد، ولكن الاستعمار الفرنسي أراد أنْ يلغي هُويَّة هذا الشعب، وهُويَّة هذا الشعب تتمثل في دينه ولغته، ولذلك حينما حاول ابن باديس وإخوانه الإبراهيمي وغيره، إحياء النهضة الجزائرية، أرادوا أنْ يحيوا الدين، ويحيوا اللغة، وأنشدوا مع الشيخ ابن باديس نشيده:

شَعْبُ الجزائرِ مُسْلِمٌ وَإلى العُروبةِ يَنتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عنَ اصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذبْ[1]

دخل الاستعمار بلاد المسلمين، من إندونيسيا إلى المغرب، تقاسم الاستعمار بلاد المسلمين، تقاسموا الغنيمة الَّتي كانوا يسمونها تركة الرجل المريض، يقصدون به الدولة العثمانية الَّتي كانت تحكم بلاد المسلمين عامَّة في ذلك الوقت، اقتسموا هذه التركة، فأخذت فرنسا جزءًا، وإيطاليا جزءًا، وإنجلترا جزءًا، وإسبانيا جزءًا، حتى هولندا الَّتي كان عدد سكانها خمسة ملايين كانت تحكم خمسين مليونًا في إندونيسيا.

استُعمرِت بلاد المسلمين، ثمَّ عمل المصلحون عملهم لإنهاض الأُمَّة، ولإحياء الروح فيها، فكانت حركات المقاومة ضد الاستعمار بأجناسه وألوانه المختلفة، وكان من آخر البلاد الَّتي تحرَّرت هذه الجمهورية الحبيبة جمهورية الجزائر.

---

(١) انظر: آثار ابن باديس (٣٣٤/٤)، تحقيق عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

آثار الاستعمار:

تحرَّرت البلاد الإسلاميَّة، وإن لم يكن التَّحرُّر كاملًا، لأنَّهم قبل أنْ تتحرَّر هذه الديار غرسوا لنا غرسًا مسمومًا، وضعوا خنجرًا في ظهر هذه الأُمَّة، هذا الخنجر المسموم هو ما يسمى «إسرائيل»، بلونا بأسوأ استعمار، فإذا كان الاستعمار الفرنسي استعمارًا استيطانيًّا، فإنَّ هذا الاستعمار الإسرائيلي هو استعمار استيطاني إحلاليّ، كان الاستعمار الفرنسي يريد أنْ يستوطن ويبقي أهل الديار في أماكنهم، أمَّا الاستعمار الإسرائيلي فيريد أنْ يخرج أهل البلاد ويحل محلهم.

ولذلك لم يطب لنا الاستقلال تمامًا، ولم تتحرَّر الأُمَّة تحرُّرًا كاملًا، لأننا لا زلنا نحمل الكثير من آثار الاستعمار الثقافيَّة، والتشريعيَّة، والاجتماعيَّة، واللغويَّة، كل هذه الآثار لا تزال تعمل فينا، بالإضافة إلى الخنجر المغروس في ظهرنا، إسرائيل.

(١) في المجال التشريعي:

لا تزال القوانين الَّتي وضعها الاستعمار تعمل في ديارنا، في أكثر من بلد، حتى مصر بلد الأزهر لا تزال فيها هذه القوانين، كل ما بقي للإسلام رقعة صغيرة اسمها «قوانين الأحوال الشخصية»، وحتى في بعض البلاد لا يريدون أنْ يبقوا للإسلام هذا الجانب، يريدون أنْ يحرموا الطلاق، وتعدُّد الزوجات، ويبيحوا للمسلمة أنْ تتزوج بغير المسلم، ويسووا بين المرأة والرجل في الميراث، إلى آخره، فهم يريدون أنْ يخرجوا على ثوابت الشريعة، فلا زالت هناك آثار الاستعمار التشريعية.

QaradawiBooks.com

(٢) في المجال الفكري:

ولا زالت هناك آثار للاستعمار الفكري، لا زال كثير من النخب في بلادنا تعرف الكثير من الثقافة الاستعمارية، ولا تعرف الكثير من ثقافة بلدانها، بل لا تكاد تعرفها أصلًا، مع أنَّ كثيرًا من إخواننا المسيحيين في بلدنا يعرفون من ثقافة الإسلام الكثير.

كان في مصر رجل سياسي معروف، اسمه مكرم عبيد، كان الأمين العام لحزب الوفد أيَّام مصطفى النحاس باشا، كان هذا الرجل يكاد يحفظ القرآن، وكلَّما خطب استدلَّ بالقرآن، واقتبس من كلماته، وهناك آخر اسمه الدكتور نظمي لوقا، ألَّف كتابًا اسمه «محمد الرسالة والرسول»، وكتاب «محمد في بيته»، وكتاب «وا محمَّداه»، إلخ، كأنه أحد المسلمين.

وهناك فارس الخوري الَّذي كان رئيس وزراء سوريا في وقت من الأوقات، وكان مندوبها في الأمم المتحدة في وقت من الأوقات، يقول: إنَّه لا يمكن أنْ ينقذ العرب إلا العودة إلى الشريعة الإسلاميَّة، أنا أقول هذا وأنا مسيحي، لأني أعلم أنَّ القوانين الوضعية لا يمكن أنْ تعالج الجرائم، ولا يمكن أنْ تفعل كذا، فليس هناك حل إلا الشريعة الإسلاميَّة.

ومع هذا نجد من أبناء المسلمين من لا يعرف شيئًا عن دينه، لم يتثقف بثقافة الإسلام، كيف يعتبر هذا مثقفًا وهو لا يعرف عن دين قومه الَّذي تدين به أغلبيتهم؟ مقتضى الثقافة أنْ أعرف ما عليه قومي، لا بدَّ أنْ أدرس هذا الدين، فهذا مقتضى الثقافة الحقيقية، فلا تزال آثار الاستعمار الفكرية والثقافية في بلادنا أيُّها الإخوة.

QaradawiBooks.com

(٣) في المجال الاجتماعي:

ولا تزال آثار الاستعمار الاجتماعية في بلادنا، هذا العري الَّذي نراه في بلاد الإسلام، كأنها لا تمتُّ للإسلام بصلة، غضبنا من أجل رسول الله ﷺ حينما أساء إليه المسيئون بالرسوم الكاريكاتورية، وغضب الناس في كل مكان لمحمد رسول الله ﷺ، وهذه حسنة لا شكَّ تُحسب للأمة، ولكن المسلم الَّذي يغار على رسول الله، ويدفع التهمة عن رسول الله، أو المسلمة الَّتي فعلت ذلك، كيف ترضى لنفسها أنْ تكون كاسية عارية، مائلة مميلة؟ هذا مما يؤسف له.

إذا كنا محمديين قرآنيين إسلاميين فلا بدَّ أن يتمثل الإسلام في حياتنا، ولو بالحد الأدنى، لا نتوقع من كل الناس أن يكونوا في القمة، لأنَّ الله تعالى ذكر الأُمَّة المصطفاة فقال: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢]. نريد من كل مسلم الحد الأدنى على الأقل، بأداء الفرائض الأساسية، واجتناب الكبائر، فهناك آثار الاستعمار الاجتماعية.

(٤) في المجال اللغوي:

وهناك آثار الاستعمار اللغوية، هناك المسلم الَّذي يحاول أنْ يتحدَّث بغير العربية لكيلا يُتهم بأنه متأخر، حتى كثير من المتعلمين يتكلمون باللغة العربية ثمَّ يدخل في حديثه كلمات إنجليزية، أو فرنسية، أو إسبانية، بدون ضرورة، حتى يظهر أنَّه متعلم في الخارج.

أنا أحبُّ الصراحة ـ أيُّها الإخوة ـ في كل شيءٍ، لقد ساءني في «تيزي وزو» أنِّي وجدت جميع لافتات المحلات باللغة الفرنسية، أي اللغتين أقرب إلينا: العربية أم الفرنسية؟ العربية لا شكَّ أنَّها أقرب إلينا.

QaradawiBooks.com

أنا قلت للإخوة المسيحيين في مصر: لماذا تغضبون من الشريعة الإسلاميَّة؟ أي القوانين أقرب إليكم: القوانين الَّتي نبتت في هذه الأرض، أم القوانين الَّتي نبتت في الغرب، هل القوانين الإسلاميَّة أقرب إليكم أم القوانين العلمانية؟

وأنا أقول لكم أيُّها الإخوة: العربية هي لغة القرآن، لغة محمد ﷺ، لا مانع أنْ تكتب باللغة الفرنسية ولكن اكتب تحتها باللغة العربية، هذا ما يجب أنْ نعتزَّ به، وهذا الاعتزاز ليس ضد الأمازيغية، بالعكس أنا أدعو الإخوة إلى الاعتزاز بالعربية، لكي نُعلِّمهم القرآن، ونُعلِّمهم أحاديث محمد ﷺ، ونُعلِّمهم كيف ينهلون من كتب علماء الإسلام، من علم الشافعي، ومالك، والغزالي، وإمام الحرمين، وابن رشد، وسائر علماء الإسلام، كيف نتعلَّم العلم من هؤلاء إنْ لم نتعلم اللغة العربية؟

لا تزال آثار الاستعمار موجودة في بلادنا، والعبء يقع علينا، والواجب علينا أنْ نتحرَّر تمامًا من هذه الأعباء، ونصمد على أرضنا، ونتمسَّك بالعروة الوثقى، لا انفصام لها، فلا يمكن أنْ نبيع ديننا أبدًا.

ولذلك أنا رحَّبت بالقانون الَّذي أصدره السيد رئيس الجمهورية بمنع تحريض المسلم على ترك دينه، أو إغرائه باعتناق دين آخر، هذا ما ينبغي، نريد أنْ نحافظ على هُويتنا، أنْ نحافظ على ثوابت الأمة، ولكل أُمَّة ثوابت لا يجوز أنْ تُخترق، وثوابت أُمَّتنا هي الإسلام.

ثالثًا: على طريق النهوض:

يا أيُّها الإخوة، لقد كنا في القمة، ثمَّ نزلنا إلى الحضيض، والآن نحاول أنْ نرتقي من الحضيض، أنْ نعرف قدر أنفسنا، وأنْ نعرف ماذا نملك، ونحن نملك كل مقومات القوة.

QaradawiBooks.com

ونحن نختتم أمس مؤتمر «أخلاقيَّات الإسلام واقتصاد السوق» قلت للإخوة: نحن نملك كلَّ أسباب القوة، والقيادة، والريادة، عندنا القوة البشريَّة، وعندنا القوة الاقتصاديَّة، وعندنا القوة الحضاريَّة، وعندنا القوة الروحيَّة، وعندنا كلُّ ما تريده الأمم.

لا ينقصنا إلا الإرادة، عزائم قويَّة، نوايا صالحة، إرادات صادقة نجتمع عليها، لا يمكن أنْ ننهض ونحن متفرقون متبعثرون، لا يمكن أنْ ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة، عصر الثورات العلمية الهائلة: الثورة الإلكترونيَّة، والثورة الفضائيَّة، والثورة النوويَّة، والثورة البيولوجيَّة، وثورة المعلومات، وثورة الاتِّصالات، كيف ندخل هذا العصر ونحن متفرقون شذر مذر؟

إننا نجد الدول الأوربيَّة تجتمع دولتان أو ثلاثة منها من أجل صنع طائرة متطورة، ونحن كل بلد عندنا يريد أنْ ينهض وحده، ويرقى وحده، وهذا مستحيل، نحن فرادى ضائعون، وإذا تجمعنا أمكننا أن نصنع شيئًا كبيرًا لهذه الأُمَّة.

وكل من يمزِّق هذه الأُمَّة يكون خائنًا، كل من يدعو إلى فرقة هذه الأُمَّة إنَّما يدعو إلى أسباب الضعف، والهوان، والاستكانة، والاستسلام، والهزيمة، إذا أردنا أنْ نطعم من جوع، وأنْ نأمن من خوف، وأنْ نغتني بعد فقر، وأنْ نقوى بعد ضعف، وأنْ ننتصر بعد هزيمة، وأن نجتمع بعد فرقة، فلا بدَّ أنْ يكون نداؤنا جميعًا: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

من بشائر الأمل:

نحن ـ أيُّها الإخوة ـ عندنا مبشِّرات عدة تملأ قلوبنا بالأمل والتفاؤل،

QaradawiBooks.com

أننا منصورون، وأنَّ المستقبل لهذه الأُمَّة، وأنَّ الغد لهذا الدين، وأنَّ بعد الليل فجرًا، وأنَّ مع العسر يسرًا، وأنَّ هذه الأُمَّة ستنتصر وتقوى إنْ شاء الله.

غير مرخصة للطباعة

(١) بشائر من القرآن والحديث:

عندنا مبشِّرات من القرآن الَّذي يقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٤]. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وعندنا مبشِّرات من أحاديث رسول الله ﷺ، من ذلك ما رواه تميم الداري رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعِزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر**»[(١)].

(٢) بشائر من التاريخ:

وعندنا مبشِّرات من التاريخ الإسلامي، فقد حدثتكم عن فترات فيها انحدار، وضعف وانهزام، ثمَّ تحقق النصر بعد ذلك، فهذه الأُمَّة أشد ما تكون قوةً، وأصلب ما تكون عودًا، وأعظم ما تكون صمودًا، وأصفى ما تكون جوهرًا، حينما تُحيط بها الشدائد، وتنزل بها الخطوب، هنا يظهر المعدن النفيس الأصيل للأمَّة الإسلاميَّة، تتفجر مكنوناتها، وتظهر طاقاتها.

حدث هذا منذ فجر التاريخ، من عهد حروب الردة أيَّام أبي بكر الصديق، وأيام حروب الصليبيين، وأيام حروب التتار، وأيام حروب الاستعمار الحديث، وأنتم جربتم هذا في دياركم الطيبة هذه، هذه الأُمَّة عندها قوة كامنة تظهرها الشدائد، هذا ما حدثنا به التاريخ.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٤٥.

QaradawiBooks.com

(٣) بشائر من الواقع:

وهذا ما حدَّثنا به الواقع أيضًا، فقد شهدنا فيه الصحوة الإسلاميَّة، كان الناس قد ظنُّوا الظنون أنَّ الإسلام قد طُوِي بساطه، وأسقطت رايته، وغربت شمسه، وانتهى أمره، فإذا بهم يجدون هذه الصحوة، الَّتي أيقظت كلَّ نائم، وحرَّكت كلَّ ساكن، هذه الصحوة الَّتي ملأت المشارق والمغارب، وانتشرت بين الناس في داخل العالم الإسلامي، وفي خارج العالم الإسلامي، وشملت الرجال والنساء، والشباب والشابات.

أعادت المرأة المسلمة إلى حجابها، وأعادت الشباب إلى المساجد، كان المرء قديما لا يكاد يرى الناس في المسجد، إلا كبار السنّ، الشيوخ الَّذين أكل الدهر عليهم وشرب، مَنْ أحيل على التقاعد، ومَنْ ينتظر الموت، ثمَّ أصبح الَّذين يعمرون المساجد الآن هم الشباب.

وكان الناس قديمًا يريدون أنْ يختموا حياتهم بالحج، حتى قال الإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين»، عن هذه الفريضة: الحج تمام الأمر، وختام العمر[1]. والآن انظروا إلى مواسم الحج والعمرة، تسعون في المائة (٩٠٪) ممن تراهم هناك شباب وشابات.

الصحوة الإسلاميَّة:

هذا من أثر الصحوة الإسلاميَّة، فهي صحوةُ الاستقامة، صحوةُ العقول والأفكار، الكتاب الإسلامي هو الكتاب الأوَّل بسبب هذه الصحوة، صحوة العواطف والمشاعر، صحوة الإرادات والعزائم، صحوة الالتزام والسلوك، صحوة الغيرة والجهاد، الجهاد الأفغاني كان بسبب

(١) إحياء علوم الدين (٢٣٩/١).

QaradawiBooks.com

هذه الصَّحوة، والجهاد الفلسطيني الَّذي دوَّخ إسرائيل وزلزلها كان بسبب هذه الصَّحوة، والبنوك الإسلاميَّة، ومؤسَّسات الاقتصاد الإسلامي، وبيوت الزكاة، كان بسبب هذه الصَّحوة، الأُمَّة حدث فيها تغيُّر بسبب هذه الصَّحوة، هذا أيضًا من مبشِّرات الواقع، أنَّ هذا الإسلام سيظل هو المحرك الأوَّل للسلوك، والموجه الأوَّل للأفكار، والمؤثر الأوَّل في المشاعر.

(٤) بشائر من السنن:

ثم هناك بعد ذلك مبشرات من سنن الله تعالى، فمن سنن الله: أنَّ الأُمَّة إذا غيَّرت ما بنفسها غيَّر الله ما بها، إذا حاولنا حقيقة أن نتغيَّر من الداخل غيَّر الله أحوالنا، الماركسيُّون عندهم قاعدة تقول: غيِّر علاقات الإنتاج يتغيَّر التاريخ. ونحن عندنا قاعدة تقول: غيِّر نفسك ـ أو على حد التعبير القرآني: غيِّر ما بنفسك ـ يتغيَّر التاريخ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. قاعدة التغيير، سُنَّة التغيير.

ومن سنن الله سنة التداول، أنَّ الدهر قلب، يوم لك ويوم عليك، والأيام دول، ودوام الحال من المحال، كما قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وكما قال الإمام حسن البنَّا: إنَّ قيادة العالم كانت في وقت ما في الشرق، أيَّام الحضارات الفرعونية والفينيقية، والبابلية، والفارسية، ثمَّ انتقلت الشعلة إلى الغرب أيَّام حضارة اليونان والرومان، ثمَّ عادت إلى الشرق أيَّام الحضارة العربية الإسلاميَّة الَّتي سادت العالم[1]، وقد

(١) رسالة نحو النور ضمن مجموعة الرسائل صـ٢٧٦، نشر المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

حدثتكم بإشارات عنها، ثمَّ انتقلت إلى الغرب حينما نام المسلمون وتخلفوا، واستيقظ الغربيون وتقدموا.

ولكن الغربيين لم يحسنوا أنْ يؤدُّوا أمانة هذه القيادة، تبوؤوا القيادة وأمسكوا بعجلة القيادة، ولكن لم يعطوها حقَّها، أفلسوا روحيًّا، وأخلاقيًّا، نصروا الظالم على المظلوم، عملوا بمعايير مزدوجة، يُحِلُّون الحقَّ عامًا ويُحرِّمونه عامًا.

لقد أفلست الحضارة الغربية الَّتي زعموا أنَّها حضارة مسيحيَّة، وما هي بحضارة المسيح ابن مريم، إنَّما هي حضارة المسيح الدجال، لأنَّ المسيح الدجال وصف بأنه أعور، وهذه الحضارة عوراء، تنظر إلى الحياة والإنسان والكون بعينٍ واحدةٍ هي العين الحسيَّة الماديَّة، ليس للروح مكان عندهم، ولا للإله مكان، ولا للآخرة مكان، ولا للقيم والأخلاق مكان، فهي حضارة المسيح الدجال.

ضرورة العمل:

يا أيُّها الإخوة، نحن نؤمن أنَّ الإسلام سينتصر إنْ شاء الله، ولكن الانتصار لا يأتي من فراغ، لا بدَّ أنْ نعمل شيئًا حتى نستحق النصر، لا ننتظر الملائكة تتنزل علينا بالنصر ونحن نائمون على آذاننا، الملائكة لا تتنزل في فراغ، الملائكة تتنزل على قوم مؤمنين، كما قال تعالى للملائكة في غزوة بدر: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]. لا بدَّ أنْ يوجَد الَّذين آمنوا حتى تتنزل عليهم الملائكة تثبتهم.

لا بدَّ أنْ نعمل، ولا بدَّ أن ننهض، ولا بدَّ أن نترابط فيما بيننا، حتى نستحق نصر الله، فالنصر للمؤمنين، والنصر بالمؤمنين، كما قال تعالى

QaradawiBooks.com

لرسوله الكريم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

أسأل الله تعالى أنْ يرزقنا إيمانًا صادقًا، وعملًا صالحًا متقبَّلًا، وأنْ يفقِّهنا في ديننا، وأنْ يفقِّهنا في دنيانا، وأنْ ينير بصائرَنا، وأنْ يجعل يومَنا خيرًا من أمسنا، وأنْ يجعل غدَنا خيرًا من يومنا، وأنْ يُحْسِن عاقبتَنا في الأمور كلِّها، ونسأله تعالى أنْ ينصر إخواننا في فلسطين، وفي العراق، وفي كلِّ مكان، وأنْ يفتح لهم فتحًا مبينًا، ويهديهم صراطًا مستقيمًا، وينصرهم نصرًا عزيزًا.

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ وأستغفر الله لي ولكم والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

١٢

قراءة في واقع الأُمَّة في الفترة الأخيرة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا وقائد دربنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدى بسُنَّته وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات: تحيَّة الإسلام، تحيَّة من عند الله مباركة طيِّبة، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وإنَّها لفرصة كريمة، ومناسبة طيِّبة أنْ نلتقي في هذا المنتدى؛ لنتدارس ديننا ودنيانا وأمورنا، لنمضي على بصيرة من أمرنا، وبيِّنة من ديننا، فنحن أُمَّةُ العلم والبصيرة والنُّور، أُمَّة بدأ كتابها بقول الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، أوَّل ما نزل على مُحَمَّد ﷺ من هذا القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في قاعة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود في العاصمة القطرية الدوحة، في يوم الثلاثاء ٦ شعبان ١٤٢٢هـ ـ الموافق ٢٣ أكتوبر ٢٠٠١م، وكانت ضمن فعاليات المنتدى الثقافي الأدبي الذي نظمته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

QaradawiBooks.com

الأُمَّة التي نتحدَّث عنها:

أخبرني الإخوة أنَّ هذه المحاضرة أو هذا الحديث تحت عنوان: «قراءة في واقع الأُمَّة». وإذا ذكرنا كلمة الأُمَّة فلا نعني بها إلا أُمَّة الإسلام، أُمَّة الإجابة. هناك أُمَّة الدعوة وهذه تشمل العالَم كله، والبشرية كلها، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. فهذه أُمَّة الدعوة.

ولكنَّ حديثنا اليوم عن أُمَّة الإجابة، الأُمَّة التي رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، وبالقرآن منهجًا وإمامًا، فإذا قلنا: «واقع الأُمَّة» نعني بها هذه الأُمَّة الإسلاميَّة من المحيط إلى المحيط، من جاكرتا إلى الرباط، الأُمَّة الإسلاميَّة في المشارق والمغارب، وفي الشمال والجنوب. هذا هو مقصودنا حينما نقول: الأُمَّة الإسلاميَّة.

والعرب جزء من هذه الأُمَّة، فلا بدَّ حينما نقول واقع الأُمَّة: أن نتصور هذه المساحة الجغرافيَّة الكبيرة. بل هذه الأُمَّة تشمل أيضًا: الَّذين يعيشون خارج العالم الإسلامي من المسلمين. هناك أقليات إسلاميَّة ربما تبلغ أكثر من ربع المسلمين، بل ربَّما نحو ثلث المسلمين، يعيشون في أقليَّات وبعضها أقليَّات كبيرة، مثل الأقليَّة الهنديَّة حوالي (١٥٠) مليون مسلم ويعتبرون أقليَّة، هناك الَّذين يعيشون في أوربا وأمريكا، في الشرق الأقصى، في أفريقيا، في أستراليا، وفي غيرها؛ كل هؤلاء يدخلون ضمن الأُمَّة، أُمَّة الإجابة. حينما نقول واقع الأُمَّة، يشمل هذا الواقع هؤلاء المسلمين حيثما كانوا.

QaradawiBooks.com

ماذا تعني القراءة في واقع الأُمَّة؟

والقراءة في واقع الأُمَّة تعني أمورًا عدة:

١ ـ قراءة مستبصرة للقرآن والكون:

القراءة في واقع الأُمَّة تعني المعرفة والإدراك والاستبصار لحالة هذه الأُمَّة، نحن أُمَّة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، والقراءة لا تعني فقط قراءة ما يُكتب، وإلا لكان هذا الأمر بالنسبة لمحمد ﷺ عبثًا؛ هو لا يكتب، ولا يقرأ ما يكتب، فلماذا أُمِر بالقراءة؟

القراءة إذنْ أشمل وأعمق من أنْ تقتصر على قراءة المكتوب، هناك قراءة كتاب الله المسطور «القرآن»، وهناك قراءة كتاب الله المنظور «الكون». علماؤنا قديمًا يُعبِّرون عن القرآن بـ«المصحف الناطق»، ويُعبِّرون عن الكون بـ «المصحف الصامت»، والله تعالى قد أقسم بالمصحف الصامت على حقيقة المصحف الناطق فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠]، نحن مأمورون أنْ نقرأ كتاب الله مسطورًا أو منظورًا، كما قال الشاعر قديمًا:

تَأَمَّلْ سُطُورَ الكائناتِ فإنَّها ... من الملأِ الأعلى إليكَ رَسَائِلُ
وقد خُطَّ فيها لو تأمَّلْتَ سَطْرَهَا ... ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ[1]

فالقراءة في الكون قراءة مطلوبة، كالقراءة في كتاب الله؛ القرآن.

---

(١) ذكرهما من غير نسبة ابن القيم في بدائع الفوائد (١٥٩٣/٤)، تحقيق علي بن محمّد العمران، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٥هـ.

QaradawiBooks.com

٢ ـ قراءة التاريخ:

والقراءة للتاريخ مطلوبة: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]، قراءة ما خلَّفه الأقدمون من آثار، ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. فهذه قراءة للتاريخ، ومعرفة بأحداث التاريخ، وعبر التاريخ.

٣ ـ قراءة الواقع:

ثمَّ هناك قراءة للواقع، الواقع الَّذي سيصبح تاريخًا؛ لأنَّ التاريخ كان بالأمس واقعًا، ثم أصبح تاريخًا، فلا بدَّ أنْ نقرأ الواقع الَّذي نعيش فيه، بخيره وشرِّه، بحلوه ومُرِّه، بصوابه وخطئه، بوردِه وشوكه، لا بدَّ من قراءة الواقع على ما هو عليه.

فهذه كلها قراءة مطلوبة من الأُمَّة، أمَّة: ﴿ٱقْرَأْ﴾.

شرط القراءة أنْ تكون «باسم الله»:

ولكنها مطلوبة أنْ تقرأ باسم الله، ميزة قراءة الأُمَّة عن قراءة غيرها أنَّ قراءتها باسم ربِّها: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، هناك من يقرأ باسم الهوى، وهناك من يقرأ باسم الطاغوت، وهناك من يقرأ باسم قوم من الأقوام، وهناك من يقرأ قراءات مختلفة؛ تتعدَّد بواعثها، وتتنوَّع أهدافها، ولكن قراءة المؤمن وقراءة الأُمَّة المؤمنة هي قراءة «باسم الله»، والله هو الحقُّ المُبين، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]. فإذا قرأنا باسم الله فنحن نقرأ باسم الحقِّ، الَّذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

QaradawiBooks.com

كيفيَّة قراءة الواقع:

مطلوب منَّا أن نقرأ الواقع، وإذا كان الواقع أليمًا ومُرًّا ـ كما نعيشه نحن الآن؛ في هذه الأيام، وفي هذه الظروف ـ تكون القراءة مؤلمة أيضًا، ولكنها على إيلامها لا بدَّ منها.

ولكن أيُّها الإخوة: كيف نقرأ الواقع؟

١ ـ قراءة شاملة مستوعِبة:

نحن في حاجة إلى أن نقرأ الواقع أيُّها الإخوة قراءة صحيحة، وقراءة شاملة مستوعبة، وقراءة متوازنة، هناك من يقرؤون الواقع قراءة انتقائيَّة كما يقولون. يعني يقرأ من الواقع ما يحلو له، ما يكون في صفِّه، وما يكون ضده لا يقرؤه، لا يعيره التفاتًا، لا يصغي إليه، يعتبره كأنه لم يكن، وهذا ليس إنصافًا وليس عدلًا، لا بدَّ أن تقرأ الواقع كله، كما هو.

هذه هي القراءة الصحيحة، المستوعبة، الشاملة، قراءة شمولية لهذا الواقع. أمَّا أنْ تذكر الانتصارات وتنسى الهزائم، تذكر المكاسب وتنسى الخسائر، تذكر الاستقامة وتنسى الانحرافات، تذكر الطيب وتنسى الخبيث؛ فهذا ليس من إنصاف النفس، ولا من العدل معها.

المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل؛ لأنَّه إنسان متوازن، عدل حتى مع نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. هناك العدل مع نفسك، ومع من تحب، وهناك العدل مع عدوك ومع من تكره، والآية الأخرى تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

QaradawiBooks.com

فإذا أردت أنْ تُقوِّمَ الواقع تقويمًا صحيحًا فكن عدلًا مع نفسك، وكن عدلًا مع عدوك.

روى مسلم في صحيحه من حديث المستورد القرشي، وفيه أنَّه قال عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**». فقال له عمرو: أبصر ما تقول؟! قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلت ذلك إنَّ فيهم لخصالًا أربعا؛ إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرَّة بعد فرَّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة وجميلة وأمنعهم من ظلم الملوك[1].

شهد لهم عمرو بن العاص الَّذي كان في ذلك الوقت بينه وبين هؤلاء الناس معارك في أجنادين في فلسطين، وفي فتح مصر وغيرها كان يحارب الروم، ولكنَّه مع هذا شهد لهم؛ لأنَّ المسلم ينبغي أنْ يكون مقسطًا ومنصفًا حتى مع أعدائه، ليعرفهم على حقيقتهم بمزاياهم وعيوبهم، لا يحاول أنْ يُضخِّم في العيوب وأنْ يُقلِّل في المزايا، ولا العكس.

ومن القراءة المستوعبة: أنْ يقرأ الواقع بكل جوانبه، أعني أنْ يقرأ الواقع الاقتصادي؛ كما يقرأ الواقع السياسي، ويقرأ الواقع الفكري والثقافي؛ كما يقرأ الواقع الديني والأخلاقي، ويقرأ الواقع الأسري والاجتماعي؛ كما يقرأ الواقع العسكري والجهادي، ويقرأ الواقع الإقليمي والدولي؛ كما يقرأ الواقع القطري والمحلي.

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٨)، وأحمد (١٨٠٢٢).

QaradawiBooks.com

فهذه النواحي كلها تُمثّل الواقع الَّذي تعيشه الأُمَّة وتُجسِّده.

فليس من الواقعيَّة في شيء أن نُركِّز على الإنجازات الاقتصادية؛ كزيادة الإنتاج، وترشيد الاستهلاك، وإنشاء مؤسَّسات عمرانيَّة متنوِّعة، في حين نغفل انتهاك الدستور، وانتقاص حقوق الإنسان، أو الجور على حرمات الأفراد، أو حماية الكبراء من أنْ تنالهم المحاكمات، وتمسَّهم المحاسبات؛ فكأنهم لا يسألون عما يفعلون!

وليس من الواقعية الشاملة: أن نُركِّز في جانب الرياضة على كرة القدم، ونهمل كل ألوان الرياضة الأخرى من: السباحة، والرماية، وركوب الخيل، وألعاب القوى، إلى آخر ما يتصل بالجسم الإنساني، ووجوب العناية بصحته ونظافته وقوته، وقدرته على سرعة الحركة، وتحمله للخشونة، وعافيته من الأمراض.

والحديث في هذا العنصر ـ عنصر الشمول والاستيعاب للواقع ـ يطول والأمثلة فيه كثيرة ومتنوعة، وما ذكرناه فيه الكفاية.

٢ ـ قراءة بعيدة عن التهويل والتهوين:

بعض الناس ينظر إلى العيوب بميكروسكوب، يجعل من الحبَّة قُبَّة، ومن القط جملًا، كما يقولون. لا؛ حاول أنْ تنظر إلى الأشياء كما هي، فلا تضخِّم العيوب ولا تنسَ المزايا والحسنات، وهذا أيضًا يقودنا إلى ضابط آخر من ضوابط القراءة، لكي تكون القراءة منصفة، وصحيحة وحقيقية، يجب أنْ تبتعد عن أمرين: التهويل والتهوين.

كثيرًا ما نقرأ الواقع فنُهوِّل من الأمر ونُضخِّم فيه، كما نرى بعض الناس حينما يتحدَّث عن إسرائيل؛ كأنَّما إسرائيل هذه متألهة في الأرض،

QaradawiBooks.com

نحن أحجار على رقعة الشطرنج، والدنيا لعبة إسرائيل، وكل شيء من عمل اليهود ومن كيد إسرائيل، حتى الأحداث الأخيرة هذه[١]، بعض الناس يقول: إسرائيل هي التي عملت هذه، لا يستطيع أحد أنْ يعمل هذا الأمر ـ بهذا الابتكار، وهذا التخطيط وهذا التنظيم وهذا الإبداع ـ إلا الموساد! كأننا بذلك نُؤلِّه هؤلاء الناس.

هذا نوع من التضخيم والتهويل في هذه الأمور، وكأننا نحقر أنفسنا، حتى لو أننا عملنا شيئًا فيه تخطيط وعقل وإدراك وتنظيم نستكثره على أنفسنا.

لذا أقول: التهويل هذا قضية خطيرة جدًّا، فإذا هوَّلت من أمر عدوك وهوَّنت من أمر نفسك، أو العكس، كثيرًا ما يحدث العكس، أن نهوِّن من أمر العدو. كثيرًا ما سمعنا في الزمن الماضي أنَّ هؤلاء حفنة من الناس، وأننا سنؤدبهم، ونؤدب مَنْ وراءهم، سنرمي بهم في البحر، وسنلقي بهم في كذا، ثم عندما التقينا بهم للأسف لم يكن الأمر كما قيل من قبل.

فالتهوين أيضًا مرفوض كالتهويل، نريد أن نعرف الأمور على ما هي عليه، لنستطيع أن ندرك حاضرنا، ونستشرف مستقبلنا، ونحدد ماذا نفعل بعد ذلك.

القرآن حينما تحدث عن غزوة أحد، وغزوة أحد معروف أنَّ المسلمين انتصروا فيها في أوَّل الأمر، ثم انكسروا وأصيبوا بما أصيبوا به؛ نتيجة عصيانهم لأمر رسول الله ﷺ عندما سال لعابهم إلى الغنائم، وحدث

(١) أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م المعروفة.

QaradawiBooks.com

ما حدث، قال القرآن: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. رأيتم النصر أمامكم: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾، فقال سيدنا عبد الله بن مسعود: ما كنت أرى أنَّ أحدًا من أصحاب رسول الله يريد الدنيا؛ حتى نزلت فينا يوم أحد: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾[1]. ﴿مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾، حتى الصحابة منهم من يريد الدنيا، هناك الَّذين أردوا الغنائم، وتطلعوا إليها؛ هم الَّذين جلبوا على المسلمين ما جلبوا، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنَّ هذه كانت غلطة طارئة، وليست خطأ ثابتًا في حياتهم. قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]. كان منهم عثمان بن عفان، وبعض الصحابة الكبار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، فبيَّن لهم الأمر على حقيقته، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، من أين جاءهم هذا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾. فمن المهم جدًّا أن نعرف أسباب ما يحدث.

القراءة المستوعبة ليست أنْ تقرأ الخبر قراءة سطحية، بأنْ تعرف أنَّه حدث كذا وكذا، وحسب! لا؛ لا بدَّ أن تعرف: لماذا حدث؟ ما الدواعي

(١) رواه أحمد (٤٤١٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وابن أبي شيبة في المغازي (٣٧٩٣٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠٧٢): فيه عطاء بن السائب، وقد اختلط.

QaradawiBooks.com

التي أدَّت إليه؟ ما الأهداف المتوخَّاة منه؟ ما النتائج والآثار التي تترتب عليه؟ هذه هي القراءة الصحيحة المستوعبة المتكاملة المتوازنة.

ومع العمق في القراءة، يلزم التَّحلِّي بالموضوعية، والتَّخلِّي عن التَّحيُّزات المسبقة، حيث ترى كل واحد يقرأ الأحداث بناء على خلفية فكرية معينة، فالماركسي يقرأ الأحداث والواقع بناء على نظريته المادية الجدلية التاريخية؛ أنَّ كل شيء يتأثر بالمادة، المادة هي التي تصنع الأفكار، وتصنع الأحداث، والاقتصاد هو الَّذي يسير الأحداث، وعلاقات الإنتاج هي التي تفعل كذا وكذا، فكل شيء يُفَسَّر بناء على ذلك! والليبرالي كذلك يفسر كل شيء حسب الفلسفة الفردية النفعية! وهكذا.

قراءة الأحداث ينبغي أن تكون وفق سنن الله:

المسلم يقرأ كلَّ أمر قراءة إسلاميَّة، قراءة من يؤمن أنَّ الله تبارك وتعالى يحكُم هذا الكون ويدبِّر شؤونه، وهو مع ذلك يرى أنَّ الله تعالى ربط هذا الكون بشبكة من الأسباب والمسبَّبات، والسنن التي لا تتبدل ولا تتحول، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر: ٤٣]. ولذلك لا يقرأ الأحداث على أنَّها تحدث اعتباطًا، لا، ليس في الكون شيء يحدث اعتباطًا، كل شيء له أسبابه، وله نتائجه، فلا بدَّ أن تُقرأ الأحداث في ضوء السنن الإلهيَّة، التي لم يضعها الله تعالى في هذا الكون عبثًا ولا لعبًا.

والقراءة الإسلاميَّة غير القراءة الدينية التقليديَّة، يعني بعض الوعاظ والخطباء إذا حدثَ حدثٌ يقولون: هذا بذنوبنا، ومما كسبت أيدينا، وتوبوا إلى الله. هذا أمر صحيح: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، إنَّما لا يكفي أنْ تقول: إنَّ كل شيء

QaradawiBooks.com

يحدث من ذنوبنا؛ ما هي هذه الذنوب التي أدَّت إلى هذا الأمر؟ القراءة الصحيحة أيُّهـا الإخوة لا بـدَّ أن تحلل: ماذا حـدث؟ وكيف حدث؟ وما الأسـباب التي أدَّت إلى حدوثه؟ الأسـباب الفكرية، والأسـباب النفسـية، والأسـباب الاجتماعية، والأسـباب الاقتصادية، والأسـباب الأخلاقية، والأسباب السياسية، هناك مجموعة من الأسباب، ليس هناك تفسير واحد.

التفسير الأحادي للتاريخ مرفوض:

هناك ـ في قراءة الواقع البشري والتاريخ البشري ـ بعض التفسيرات يسمونها «التفسـير الأحادي»، يعني هناك من يفسر كل شيء بالاقتصاد، مثل التفسير الماركسـي، عندهم الإنسـان حيوان منتج، أهم شيء في الإنسـان أنَّه منتج، لا يقولون: إنَّه مفكر، أو إنَّه متدين، أو اجتماعي، أو نحو ذلك. فقط هو منتج، الناحية الاقتصادية وفقط.

وهناك آخـرون يجعلـون العامل النفسـي هو المؤثِّر في السـلوك البشري، مثل مدرسة التحليل النفسي الشهيرة؛ مدرسة فرويد، الَّذي يرى أنَّ الغريزة الجنسية وراء كل سلوك بشـري، يعني أن غريزة واحدة هي التي تفسِّر كل السلوك البشـري؛ الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي! وله تفسيرات غريبة في هذه القضية.

وآخر يقول: إنَّها غريزة حب السيطرة والاستعلاء، وهكذا.

هناك التفسـير الجغرافي؛ يرى أنَّ الجغرافيَّة والبيئـة الجغرافيَّة هي المؤثرة في السلوك الإنساني.

نحن نقول: إنَّ هذه التفسـيرات الوحيدية؛ التي تجعل سـببًا واحدًا وراء كل شيء هي تفسـيرات خاطئة؛ إنَّ العمل الواحد قد تكون وراءه

QaradawiBooks.com

أسباب عدة، وتفسيرات عدة؛ قد يشترك فيها الاقتصاد، وتشترك فيها الجغرافيَّة، وتشترك فيها عوامل نفسية، وتشترك فيها عوامل دينية، وتشترك فيها عوامل سياسية، كل هذه ممكن أنْ تؤثر في الحدث الواحد، فلا بدَّ لكي تكون قراءتنا قراءة صحيحة: أن ندرك الأمر من هذا الأفق الواسع، فهذه هي القراءة التي نطلُبها لواقع الأُمَّة.

عشر سنين غير كافية لدراسة واقع الأُمَّة:

الإخوة حينما حدثوني قالوا: نريد أنْ نتحدث عن واقع الأُمَّة في عشر سنوات، وأنا في الحقيقة أرى أنَّ عشر سنوات ليست كافية لننظر فيها لواقع الأُمَّة، أنا أرى أن نأخذ شريحة زمنية معينة، كأن نقول مثلًا: الرُبع الأخير من القرن العشرين الميلادي، أو الخُمس الأول من القرن الخامس عشر الهجري، ماذا حدث للأُمَّة فيه؟ لتكن شريحة كافية لننظر فيما حدث فيها من أحداث.

وأنا في الواقع لا يتَّسع المجال لي لأنظر في الأحداث التي حدثت في الفترة من سنة ١٤٠٠هـ إلى ١٤٢٢هـ، أو من سنة ١٩٧٥م إلى سنة ٢٠٠١م.

أحداث نحتاج الوقوف عندها ومحاضرة واحدة لا تكفي:

هناك أحداث كبيرة مهمة حدثت خلال هذه الفترة، بعضها له غور، وله أثر عميق، منها حادثة احتلال الحرم المكِّي، فقد بدأنا القرن الجديد، القرن الخامس عشر الهجري، وكان أوَّل حوادثه: احتلال الحرم المكِّي! حادث في غاية الخطورة، الحرم الآمن أصبح ساحة للحرب، وبناء على أوهام وتصورات غير صحيحة ممن قاموا به. هذا حدث خطير نحتاج إلى أنْ نعلق عليه ونطيل التعليق.

QaradawiBooks.com

هناك حدثُ الثورة الإيرانية.

هناك حدثُ تصاعد الصحوة الإسلاميَّة؛ من أهم الأحداث التي حدثت، تصاعد المد الإسلامي، أو ما سمِّيَ بالصحوة الإسلاميَّة، كان يُسمَّى: اليقظة الإسلاميَّة، البعث الإسلامي، الإحياء الإسلامي، إلى أن اصطلح الناس على تسمية هذا الحدث بالصحوة الإسلاميَّة. تصاعد الصحوة هذا أمر يحتاج إلى حديث طويل.

كذلك: حرب أفغانستان وما حدث فيها من تجمع المسلمين من أنحاء العالم للوقوف في وجه أعتى دولة إلحادية في تاريخ العالم، القوة الثانية في العالم، وأكبر قوة إلحادية في التاريخ، ثم سقوط الاتحاد السوفييتي هذه القوة العظمى، وانهيارها سريعًا ودون مقدِّمات كافية، ثم ترشيح الإسلام لأنْ يكون هو العدو البديل والخطير المرتقب، بعد سقوط دولة الشرّ كما سمَّاها «ريجان» الَّذي رشَّحَ العالم الإسلامي لأنْ يكون العدو القادم للغرب.

ثم مصيبة احتلال الكويت، وما جرَّت وراءها من مصائب إلى يومنا هذا، ولا تزال. هذا الحدث تحتاج الأُمَّة على الأقل نصف قرن قبل أنْ تداوي جراحها منه.

الجزائر، والانتخابات في الجزائر، ووصول الإسلاميين بانتخابات حرَّة نزيهة إلى السلطة بأغلبية كبيرة، هذا حدث من الأحداث المهمة في التاريخ.

حرب البلقان: البوسنة والهرسك، وكوسوفا.

قيام ثورة الإنقاذ في السودان، وقيام دولة إسلاميَّة في السودان.

QaradawiBooks.com

أحداث ضخمة جدا حدثت في هذه الفترة، وانتهت بهذا الحدث العالمي الكبير: حدث (١١) سبتمبر.

كيف تظنون أنْ أعلق على هذه الأحداث كلها، كيف أقرأ واقع الأُمَّة؟! إنَّ الحدث الواحد من هذه الأحداث يحتاج إلى محاضرة كاملة، لذلك سأكتفي بالتعليق على حدثين مهمين: حدث تصاعد الصحوة الإسلاميَّة في أوائل هذا القرن، وحدث الحادي عشر من سبتمبر.

الصحوة الإسلاميَّة:

في أوائل هذا القرن كانت الصحوة الإسلاميَّة في تصاعد هائل، كل من كان له عين ترى أو أذن تسمع كان يرى هذه الصحوة رأي العين، ويراها تنتشر كأنوار الصباح في كل مكان. أنا بحكم ترحالي في العالم مشرقِهِ ومغربِهِ رأيت الصحوة في كل مكان، رأيتها في العالم العربي، رأيتها في العالم الإسلامي، رأيتها خارج العالم الإسلامي؛ في أوربا وأمريكا.

رأيت هذا الشباب الصوَّام القوَّام؛ الَّذي يصوم الاثنين والخميس، ويقرأ القرآن، وكتب السيرة النبويَّة، ويأخذ نفسه بالتربية الإسلاميَّة؛ رجالًا ونساء.

رأيت الحجاب يعود إلى المرأة المسلمة، المرأة المسلمة التي كانت ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ في وقت من الأوقات قد فاقت المرأة الغربية في التَّبذُّل والتَّعرِّي والتكشُّف؛ كنت أمشي في المدن والعواصم العربية فلا أكاد أجد امرأة محجبة. هذا واقع رأيته بنفسي، في الستينيَّات؛ كنت أمشي في المدن الكبرى الإسلاميَّة والعربية وأجد المرأة العجوز الشمطاء ـ التي أكل الدهر عليها وشرب ـ تلبس الَّذي يسمونه «الجابونيز، والميني جيب، والميكرو جيب، والزفت جيب»، وهذه البلاوي.

QaradawiBooks.com

هذا كان الواقع. ثم عادت المرأة المسلمة إلى الحجاب طوعًا واختيارًا، الفتيات المسلمات في الجامعات، والكليَّات، والمعاهد، والمدارس الثانوية. أصبح الحجاب ظاهرة شائعة في عالمنا العربي وعالمنا الإسلامي، هذا كله من آثار الصحوة الإسلاميَّة. الكتاب الإسلامي كان أوَّل كتاب في التوزيع؛ يضرب الرقم القياسي في التوزيع، في أسواق الكتب، ومعارض الكتب الدولية.

الشباب في الجزائر كانوا يقولون لي: كنا ننتظر المعرض الدولي للكتاب، ونبيت أمام باب المعرض فإذا فتح المعرض هجمنا على الكتب الإسلاميَّة فلا تمضي ساعتان أو ثلاث حتى تكون الكتب الإسلاميَّة قد نفدت تمامًا.

هكذا كان التعطش لقراءة الكتاب الإسلامي. ولذلك أوَّل ما ذهبت إلى الجزائر طلبوا مني أنْ ينشروا كتبي، وقالوا: الشيء المسموح به عندنا هو الكتب وطبعُها. قلت: خذوها بدون مقابل، واطبعوها ـ وكذلك الشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ سمح لهم بطباعة كتبه ـ، وقلت لهم: هذه الكتب كفيلة بأن تفجِّر ثورة في الجزائر، وفعلًا فجَّرت ثورة فيما بعد، وقال لي الإخوة: صدقت نبوءتك؛ تفجَّرت الثورة الإسلاميَّة، وقام أوَّل حزب إسلامي صراحة في البلاد العربية، الجبهة الإسلاميَّة للإنقاذ.

أيها الإخوة، كنت أذهب لأصلي الجمعة في الجزائر فيحضر في صلاة الجمعة أحيانًا (١٠٠) ألف، (١٥٠) ألف، (٢٠٠) ألف، بتقدير الَّذين يحضرون من الصحفيين وغيرهم. المسجد ثلاثة طوابق يمتلئ، والساحات التي حول المسجد، والطرق والميادين الموصلة إلى المسجد، تتعطَّل المواصلات. قال لي سفير قطر هناك: ابني أراد أنْ

QaradawiBooks.com

يذهب وذهب من الساعة الحادية عشرة والصلاة عندهم من الساعة الواحدة، قال: يريد أنْ يصلي بقرب الشيخ يوسف القادم من قطر، فيقول: لم يستطع أنْ يدخل المسجد، حينما ذهب وجده ممتلئًا فلم يستطع دخوله.

شمول الصحوة لكل الميادين:

هذه صحوةٌ هائلة، الصحوة الإسلاميَّة، كانت صحوة عقول وأفكار؛ تقرأ الكتب.

وصحوة إرادات وعزائم؛ تلتزم بالإسلام.

وصحوة مشاعر وعواطف؛ تعيش مع كل القضايا الإسلاميَّة بالحماس والحب.

صحوة في الجانب الاقتصادي:

صحوة غيْرة ودعوة، وصحوة عمل وتطبيق، ظهر هذا العمل في ميادين شتى، أقامت على المستوى الاقتصادي البنوك الإسلاميَّة والشركات الإسلاميَّة، هذا من عمل الصحوة الإسلاميَّة، كان لها ثمار تطبيقيَّة، كانوا يقولون: لا تحلموا بأن تقوم بنوك إسلاميَّة! الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والربا عصب البنوك، فلا تحلموا بأنْ يقوم بنك بغير ربا وبغير فوائد، وقامت البنوك الإسلاميَّة؛ كان هذا من أثر الصحوة الإسلاميَّة في الجانب الاقتصادي.

صحوة في الجانب الجهادي:

كما كان لها أثرها في الجهاد، الجهاد الفلسطيني، حيث قامت الانتفاضة الأولى، وقامت الانتفاضة الثانية، كنَّا نسميها ثورة المساجد

QaradawiBooks.com

أوَّل ما قامت؛ لأنَّها حين قامت في غزة، انطلقت من مساجدها، شعاراتها «لا إلٰه إلا الله والله أكبر»، ورایاتها المصاحف، يحملونها، ونشيد أطفالها «خيبر خيبر يا يهود، جيش مُحَمَّد سوف يعود»، هذا كله من أثر الصحوة الإسلاميَّة في الجانب الجهادي.

والصحوة الإسلاميَّة بخير والحمد لله، ولكنِّي أقول بصراحة: الصحوة الإسلاميَّة فرضت نفسها على الجميع حتى العلمانيين، ما كانوا يستطيعون أنْ يقولوا شيئًا في هذه الصحوة، الحكام أنفسهم حاولوا أنْ يهادنوها أو يتملقوها، ويقتربوا منها، إلى أن حدثت نكبة احتلال الكويت، التي كان لها أثرها فيما بعد ذلك، وإن كنت أرى أنَّ الصحوة مستمرة والحمد لله، ولكن لو ظل استمرارها في هذا التصاعد لكان لها شأن آخر غير ما هو الآن.

فإذا كان ولا بدَّ من أن نقرأ الواقع؛ فلنقرأ هذه الصحوة.

وعلى الصحوة مآخذ:

الصحوة الإسلاميَّة لا شك أنَّه كانت لها هذه الآثار الإيجابيَّة، ولكن هناك مآخذ على الصحوة الإسلاميَّة. وأنا قد عُنِيتُ بالصحوة الإسلاميَّة منذ نحو ربع قرن على الأقل من الزمان، وتابعتها في المشارق والمغارب، وسدَّدتها وانتقدتها أيضًا؛ لأنَّ من الواجب على العلماء والدعاة والفقهاء والمربِّين: أنْ يرشِّدوا هذه الصحوة، وأنْ يقوموا بتسديد خطاها حتى لا تنحرف مسيرتها، أو يستغلها غير أبنائها.

ولذلك أصدرت عدة كتب في ترشيد الصحوة، لعلَّ أوَّلها كتاب «الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرُّف»، وهو الكتاب الثاني في سلسلة كتب مَجَلَّة الأُمَّة، هذه المَجَلَّة كانت أيضًا من ألسنة الصحوة في

QaradawiBooks.com

العالم، وحينما توقفت كنت كلما توجَّهت إلى أيِّ بلد في العالم يتساءلون: لماذا توقفت هذه المجلة؟ وحزِنَ المسلمون أنْ يسكت لسان من ألسنة الحقِّ في هذا الزمن. فمن أجل ترشيد الصحوة ألفت كتابي: «الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرُّف» و«الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم» و«الصحوة الإسلاميَّة وهموم الوطن العربي والإسلامي» و«من أجل صحوة راشدة» وكتابي «أين الخلل؟»[1] الَّذي نُشر ابتداءً مقالات في مجلة «الأُمَّة»، الخلل في الأُمَّة الإسلاميَّة، والخلل في الحركة الإسلاميَّة، «أين الخلل؟»؛ لا بدَّ أنْ يكون هناك خلل يجعلنا لا نصل إلى النتائج التي نتوخاها، نمشي خطوات كبيرة، ولكن لا نصل إلى النتيجة. كان لا بدَّ أن نتحدَّث عن هذا الخلل بصراحة. وذكرت في هذا الكتاب وفي غيره أنواعًا من الخلل: العقلي، والنفسي، والسلوكي، والاجتماعي، والسياسي.

من هنا أقول: لا بدَّ لكي نُرَشِّدَ مسيرتنا، أن نعرف عيوبنا، كما نعرف مزايانا وحسناتنا، هذا هو الواجب علينا. هذه قراءة سريعة للصحوة الإسلاميَّة.

أحداث ١١ سبتمبر:

ومن الأحداث التي ذكرتها، ويجب أن نقف عندها، باعتبارها موضوع الساعة، هي أحداث (١١) سبتمبر (٢٠٠١م).

---

(١) ومن كتبي التي عُنِيتُ فيها كذلك بترشيد الصحوة الإسلامية: أولويات الحركة الإسلامية، وفي فقه الأولويات، والإسلام والعلمانية وجهًا لوجه، والثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، وملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، وغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وشريعة الإسلام صالحة في كل زمان ومكان، والأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، والصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد؛ التي حددت فيه خطوطًا عشرة هي أبرز ما ينبغي رعايته لترشيد الصحوة.

QaradawiBooks.com

هذه الأحداث التي هزَّت العالم، وزلزلت القوَّة العظمى المتألهة في الأرض، والتي كانت تظن أنَّها تغزو ولا تُغْـزى، وتضرب ولا تُضْرَب، وأنَّها في أمن محيط من كل النواحـي، فضُربت في عقر دارها، ولذلك جُنَّ جنونها.

نحن أنكرنا هذا الحادث منذ وقوعه، أيًّا كان فاعله، أيًّا كان دينه، أيًّا كان وطنه، أيًّا كان جنسه، سـواء كان عربيًّا أم غير عربي، مسلمًا أم غير مسلم، شرقيًّا أم غربيًّا.

الفرق بين العمليات الاستشهادية و١١ سبتمبر:

نحن ندين هذا العمل، وبعد المؤتمر الوزاري الإسلامي هنا، جاءني عدد من الصحفيين الأمريكان والغربيين، يسألونني ويريدون أنْ يستخلصوا من تنويهي بالعمليَّات الاستشهاديَّة في داخل فلسطين، أنِّي أجيز هذا العمل.

قلت لهم: هناك فرق بين الأمرين. قالوا: ما الفرق؟ قلت: هذا العمل داخل فلسطين، هذا إنسان يدافع عن وطنه، يدافع الغُزاة المحتلين، الَّذين جاؤوا من خارج وطنه، ليطردوه من أرضه، ويشرِّدوه في أنحاء العالم. هو يقاوم هؤلاء، وهذا من حقِّه، من حقِّ الإنسان أنْ يدافع عن وطنه، ولو بالتضحية بنفسه. فالدفاع عن الوطن أمر مشروع، أقرَّته الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية، والأعراف الدولية، والقيم الأخلاقية.

المقاومة فطرة بيولوجيَّة:

حتى الطبيعة الفطريَّة البيولوجيَّة تُقرُّه، فالجسم حينما يهاجمه ميكروب غريب يقاومه ويطرده، هذه فطرة.

QaradawiBooks.com

فلا غرابة إذا وجدنا إنسانًا يقاوم الغزاة المحتلين، يقاومهم بنفسه، يفجِّر نفسه في هذا المجتمع العسكري، وهو كله عسكري رجاله ونساؤه، يُضحِّي بنفسه من أجل وطنه، فهذا يقاتل في بلده المحتلين.

بخلاف هذا الَّذي ذهب إلى بلد آخر وغزاه، ثم هو لم يضحِّ بنفسه فقط بل ضحَّى بأناس آخرين برآء لا ذنب لهم، لم يوكلوه أنْ يضحِّي بهم؛ ركاب الطائرات الأربع هؤلاء لم يقولوا لخاطفها: نحن مستعدون للتضحية. لا، لم يوكلوه في هذا. هؤلاء لا ذنب لهم، ففيهم أناس ليس لهم في السياسة ناقة ولا جمل، ولا عنزة ولا حَمَل، ولا يعرفون فيها، وفيهم عرب ومسلمون، وفيهم أفريقيُّون وآسيويُّون، وفيهم من كل جنس ولون، فهناك فرق بين هذا وذاك.

لذلك نحن أنكرنا هذا الحادث من أوَّل يوم. ولكن هل معنى إنكارنا هذا الحادث: أننا نبيح أنْ يقاوَم هذا الحادث بشنّ حرب شاملة على الإرهاب كما يدَّعون؟ وأنْ تبدأ هذه الحرب المجنونة بغزو أفغانستان؟ هذا الشعب المسكين الجائع البائس، الَّذي عاش أكثر من عشرين سنة يقدِّم الضحايا وراء الضحايا، ما ذنب هذا الشعب؟ قالوا: ذنبه أن هناك أسامة بن لادن! أنتم حتى الآن تقولون «المشتبه فيه الرئيسي». يعني أنكم لم تقدِّموا أدلة قاطعة، حتى قال وزير الخارجية القطري: إنهم قدَّموا لنا أدلة ولكنها ليست جوهريَّة ولا حاسمة، أبِالاشتباه تعاقبون شعبًا بأكمله؟!

الأفغان قالوا: هاتوا لنا أدلة، ونحن مستعدون لتقديمه إلى محكمة شرعية إسلاميَّة، ويأخذ جزاءه، وأنكروا هذه العمليات. ولكنهم قالوا: ليس هناك دليل على أن ابن لادن هو الَّذي فعل هذا.

QaradawiBooks.com

وهذا صحيح؛ لا بـــدَّ أن توجد الأدلة[١]، لا يجـــوز أنْ يؤخذ الناس بالشُّبهة أو بالظِّنَّة.

النبي ﷺ يقول: «**لو يُعطَى الناس بدعواهم؛ لادَّعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المُدَّعَى عليه**»[٢]. فأين البيِّنة؟

لم يقدِّموا بيِّنة إلى اليوم، وقدَّموا أناسًـــا؛ تسعة عشر شخصًا، وُجِد منهم من هو حي يرزق في الســـعودية، ومن مات من ســـنين قبل ذلك، ووُجِد منهم الأطفال!

ثم ما الدليل على أنَّ هناك عربيًّا هو الَّذي خطف الطائرة؟ لا يوجد دليل قاطع. السر في الحقيقة ذهب مع هؤلاء الَّذين فعلوا ما فعلوا؛ لأنَّهم أصحاب التهمة الأصليين، وقد انتقلوا إلى جوار الله. هناك قرائن معينة، واحتمالات، وغيرها، ولكن هذه كلها ليست قاطعة.

في حادث «أوكلاهوما ســيتي» اتَّهموا العرب والمسلمين، ثم ظهر أنَّ الفاعـــل أمريكي. ما الَّذي يمنـــع أنْ يكون الفاعل هنـــا أمريكيًّا، أو يكون الفاعل يابانيًّـــا، ممن ينتقمون لهيروشـــيما وناجازاكـــي، أو يكون الفاعل صربيًّا، أنْ يكون الفاعل من هؤلاء وهؤلاء، أو خليط من جملة من البشر؟

لا يوجد عندنا دليل قاطع، حتى ابن لادن حينما قال في شـــريطه الَّذي أذاعته قناة الجزيـــرة: «إنَّ هؤلاء كوكبـــة من كواكب الإســـلام لقنوا أمريكا درسًا»، هذا يكاد يكون نوعًا من ركوب الموجة، ويريد أنْ يخوفهم وهو ليس اعترافًا حقيقيًّا. هذا الكلام لو وضع أمام القاضي لا يحكم بأنه اعتراف.

(١) أعلنت القاعدة فيما بعد أنَّها وراء هذا الحادث، ولم يجن المسلمون من ورائه خيرًا.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٥٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ثم ما هي مسؤولية ابن لادن، هل الَّذين فعلوا ذلك جنود عند ابن لادن؟ أحيانًا عندما يكون الشخص جندي، ويأمره الضابط افعل كذا، يجب أنْ يفعل، وإلا يكون متمرِّدًا. وهؤلاء ليسوا جنودًا في جيش، هم يحملون مسؤولية أنفسهم.

نفرض أن ابن لادن حرَّضهم، أو نحو ذلك؛ هل التحريض يجعله مسؤولًا مسؤوليَّة كاملة مباشرة؟

قد يكون مسؤولًا من الدرجة الثانية أو الثالثة، أو غير ذلك، إذا ثبت هذا يقينًا. ولم يثبت شيء حتى الآن.

ثم ما ذنب الشعب الأفغاني حتى يُضرَب وتُدمَّر منشآته الحيويَّة كلها، كل ما يملك، كأنَّما يراد به أنْ يعود إلى العصر الحجري؛ كل المنشآت تُدمَّر، ويقتل المواطنون قصفا! الليلة أذاعت قناة الجزيرة أن ثلاثة وتسعين شخصًا قتلوا في قرية واحدة من القصف الأمريكي، وعُرِضت صورهم، (٩٣) شخصًا قتلوا في قصف صاروخي واحد!

وهل أفغانستان تستحق كل هذه الترسانة الهائلة والصواريخ الَّذي يكلف أحدها مليون دولار وربما أكثر؟ والطائرات «بي١» أو الطائرات العملاقة التي يسمُّونها التنين السحري، إلخ؛ علام هذا كله؟ هذا هو التَّجبُّر في الأرض؛ محاربة الإرهاب الَّذي لم يُعْرَفْ!

تجريم الحركات الجهادية باسم محاربة الإرهاب:

إنهم حتى الآن لم يُحدِّدوا حقيقة الإرهاب الَّذي يحاربون، ما هو؟ هم يريدونه هكذا ليبقى عائمًا غائمًا رجراجًا، ليشمل حركة حماس في فلسطين ويشمل الجهاد في فلسطين، ويشمل المجاهدين في كشمير،

QaradawiBooks.com

وقد قامـــوا بذلك فعـــلًا؛ فجعلوا حركـــة المجاهدين الكشـــميريين من المنظمات السبع والعشرين التي حدَّدوها في قائمة الإرهابيين.

محاربة العمل الخيري باسم محاربة الإرهاب:

حتى العمـــل الخيري لم يَسْـــلَم من التَّجريـــم! أصبحت جمعيات خيريـــة هنا في قَطَـــر، وفي الســـعودية، وفي غيرهمـــا، خصوصا بلاد الخليج؛ متَّهمة بالإرهاب. والعمل الخيري يقوم بإنجازات مهمة. كنت منذ أيام فـــي اجتماع الهيئة الخيرية الإســـلاميَّة العالميـــة في الكويت ـ وللأسف العلمانيون يهاجمون العمل الخيري الإسلامي ـ وجاء أخونا أبو بدر عبد الله المطـــوع[1] ـ رئيس جمعية الإصـــلاح ـ بإحصائية عما عملته الكويت خلال الثلاثين ســـنة الماضية؛ آلاف المســـاجد بنيت، آلاف المدارس، والكتاتيب، ودور تحفيظ القرآن، ودور الأيتام. آلاف الآبار التي تسقي الناس والمواشي والزروع أنشئت. ملايين يدرسون، إنجازات هائلة.

ومع هذا أصبح العمل الخيري الإسلامي متَّهمًا باسم الإرهاب!

كلمة الإرهاب كلمة يراد أنْ تُتَّخَذ لضرب كل عمل إســـلامي، وكل دعوة إسلاميَّة، وكل حركة إسلاميَّة. وقد بدؤوا بأفغانستان، ولا ندري بم يُثنّون، وبِمَ يُثلّثِون؟ الباب مفتوح لم يغلق.

ومن المؤسف أنَّ كثيرًا من حكام المسلمين يتجاوبون معهم، لا يملكون أنْ يقولوا: لِمَ؟ ناهيك أنْ يقولوا: لا. حتى لِمَ؟ مجرَّد أنْ يستفسروا عن هذا

(١) توفي الشـــيخ عبد الله المطوع رَحِمَهُ اللَّهُ، في صبيحة يوم الأحد ١٠ شـــعبان ١٤٢٧هـ الموافق ٣ سبتمبر ٢٠٠٦م. انظر كتابنا: في وداع الأعلام صـ٥٦٤ ـ ٥٧٥، نشر الدار الشامية، تركيا.

QaradawiBooks.com

أو ذاك لا يحدث. هذا هو الهوان والضعف والاستخْذاء، أمام هؤلاء، يمكن أنْ يتجاوبوا مع الأسف لضرب العمل الإسلامي، والدعوة الإسلاميَّة، باسم ضرب الإرهاب، أو ضرب الأصولية، أو كما يسمونها.

غير مرخصة للطباعة

لا بدَّ من محاربة أسباب التطرف:

قابلني في مكتبي القائمُ بأعمال السفارة الأمريكيّة، وقلت له: إنَّ ما تقومون به لن يجدي نفعًا، أنا أخشى أن تنفقوا الأربعين مليار دولار التي خصصتموها لمحاربة الإرهاب ثم تكون النتيجة صفرًا؛ إن لم تكن بالناقص كما يقولون. لن تستطيعوا أنْ تقضوا على الإرهاب. يمكن أنْ تقضوا على أسامة بن لادن، وهيهات. ولو قضيتم على أسامة بن لادن سيظهر ألف أسامة بن لادن ولادن؛ إذا لم تقضوا على أسباب هذا الإرهاب، وهي الظلم الواقع في الأرض، والذي تقومون أنتم بمساندته.

مساعدة إسرائيل على جرائمها من أكبر أسباب التطرف:

وأعظم ظلم واقع في الأرض، وأعظم إرهاب تمارسه دولة: هو الإرهاب الواقع على الأرض الفلسطينيَّة، وعلى الشعب الفلسطيني، من هذه القوة المتجبرة في الأرض الكيان الصهيوني، الَّذي يقتل ويدمر، ويخرِّب ويحرق. ومع الأسف تقف أمريكا بجواره بالدعم والمساندة.

قلت لهذا القائم بالأعمال: لولا المال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي، ما استطاعت إسرائيل أنْ تُعَربد في المنطقة وتفعل ما تفعل، فإذا لم تقتلعوا أسباب هذا الإرهاب سيظل الإرهاب يفرز رجالًا ورجالًا، وأناسًا بعد ناس. اقتلعوا جرثومة الشر إذا أردتم أنْ تحاربوا الإرهاب الحقيقي.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ما ذنب البرآء؟

ومما قلت: إنَّ الإرهاب لا يقاوَم بحرب شاملة؛ لأنَّ الحرب الشاملة قد تصيب البرآء الَّذين لا ذنب لهم، كما نرى واقعًا: أنَّ كثيرًا من المدنيين العُزَّل في أفغانستان يسقطون، حتى اليوم يقولون (٩٣) قتلوا منهم (١٨) شخصًا من عائلة واحدة. هؤلاء الثمانية عشر تركوا بيوتهم لأنَّهم رأوها معرَّضة للخطر، وقالوا: نذهب إلى مكان آمن، فجاءت القنبلة وقضت عليهم مرة واحدة، فالحرب الشاملة قد تصيب البرآء، أمَّا الإرهابيون الَّذين تبحثون عنهم سينجون؛ لأنَّهم أقدر على الاختباء والتَّخفِّي، وعندهم ألف وسيلة ووسيلة للنجاة. فأنتم بهذا لا تحاربون الإرهاب.

لا بدَّ من محاربة الفكر بالفكر لا بالإرهاب:

ثم قلت له: إنَّ الإرهابي هذا شخص غير عادي، لكي نحارب الإرهابي لا بدَّ أن ندرس نفسيَّته؛ الإرهابي شخص صاحب فكرة يقاتل عن فكرته، متعصِّب شديد التَّعصُّب لفكرته، مغلَق على نفسه، متعصِّب لها، هو ليس صاحب مصلحة، لكنَّه صاحب مبدأ، عنده فكرة، ومستعد أنْ يضحِّي بنفسه من أجل القضية، هو صاحب قضية، فلا ينفع أن تحارب عنفه بعنف مضاد؛ لأنَّ العنف المضاد سيزيده تصُّلبًا وإصرارًا على موقفه. إنَّما حارب الفكرة بفكرة. أقنعه بهذا الأمر، بيِّنْ له أنَّه على خطأ، وهذا ليس عملكم أنتم؛ هذا عملنا نحن العلماء والمفكِّرين والدعاة والذين يقاومون الغلوّ والتطرُّف بالمنهج الوسطي، فبهذا وحده نستطيع ذلك، وهذا لا يتأتَّى بين عشية وضحاها، ولا بين يوم وليلة، هذا أمر يحتاج إلى عمل مستمر، العمل الفكري. حتى إنَّه قال لي: تعني حرب أفكار؟ قلت: نعم هذه حرب أفكار، فلا بدَّ أن نحارب الفكرة بالفكرة.

QaradawiBooks.com

تحقيق العدل كفيل بمنع الإرهاب:

وقلت له كذلك: لا بدَّ أن نقاوم المظالم أولًا، إذا أردتَّ أن نكون واقعيين، فبهذا وحده يمكننا أن نقيم العدل في الأرض. العدل هو أساس كل شيء، الله ﷻ بعث الرسل ليقيموا العدل والقسط في الأرض، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فلو قام القسط وقام العدل بين الناس وفي هذه الأرض، لانتهت هذه الظواهر التي نراها، من عمليات العنف أو عمليات الإرهاب، ولكن هذا العنف الَّذي نراه هو وليد لأسباب أخرى، وليد للضَّغط على هؤلاء الناس، وشدَّة الضغط تولد الانفجار كما يقول علم الفيزياء. لا يمكن أنْ تضغط على الناس، أنْ توقد النار تحت المِرْجَل، والمِرْجَل يغلي ويغلي، لا بدَّ ـ إذا لم يتنفس ـ أنْ ينفجر، في وقتٍ ما.

حسبي هذه الوقفة السريعة حول هذين الأمرين من أحداث الواقع خلال هذه المدة: تصاعد الصحوة الإسلاميَّة، وأحداث (١١) سبتمبر (٢٠٠١م).

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ ينير لنا الطريق، وأنْ يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأنْ يجعل غدنا خيرا من يومنا، وأنْ يهدينا إلى الطريق المستقيم، إنَّه سميع مجيب. أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٣

واقع المسلمين بين الإفراط والتفريط[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصَّالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشـــهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن دَعَا بدعوته، واهتدى بسُـــنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة ـ تحيَّةُ الإســـلام، وتحيَّةُ الإســـلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشكر لرئاســـة المحاكم الشرعيَّة والشـــؤون الدينيَّة ـ وعلى رأسها فضيلة العلَّامة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، وابنه البار النابه الأستاذ عبد الرحمن آل محمود ـ أنْ أتاحت لي هذه الفرصة للقاء بكم في هذه المرحلة الحاســـمة من مراحل تاريخنا الإســـلامي المعاصر، ولأتحدَّث إليكم في موضوع جدُّ خطير.

(١) ألقيت بقاعة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، برعاية إدارة الدعوة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في قطر، بتاريخ ٢٣ أكتوبر ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

لقد عرض عليَّ المسؤولون في رئاسة المحاكم الشرعية عدة موضوعات، لأتخيَّر منها ما أراه أليق بهذه المناسبة، فكان منها موضوع محاضرة الليلة «واقع المسلمين بين الإفراط والتفريط»، فآثرته على كلِّ موضوع آخر، ووجدته أليق الموضوعات بأنْ أتحدَّث عنه في هذه الليلة الطيِّبة المباركة إن شاء الله.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد اخترت هذا الموضوع، وآثرت الحديث فيه، لعدَّة أسباب:

الأول: أنَّ الإفراط والتفريط مشكلة المسلمين الأولى في هذا العصر، هي أنَّنا نشكو من المُفْرِطين المغالين المتزمّتين في جانب، والمُفَرِّطين المُضيِّعين في جانب آخر.

الثاني: أنَّنا إذا أردنا أن نصفَ الإسلام بجملة واحدة لم نجد إلَّا أن نقول: إنَّه دين الاعتدال، والأُمَّة الإسلاميَّة أُمَّة وسط، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة في الأمم أُمَّة وسط بين اليهود والنَّصارى، اليهود المسرفين في التَّحريم، والنَّصارى المسرفين في الإباحة والتَّحليل[1]. كذلك أهل السنَّة يقولون: إنَّهم وسط أيضًا بين الفِرَق. بين الذين يُكفِّرون مرتكب الكبيرة، ويرون خلودَه في النَّار، ومَنْ يقولون: لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. بين الغلاة في عليِّ بن أبي طالب والمبغضين له، بين

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٣٢/٢١)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

الذين يُضْفونَ على الإنسان ضربًا من الألوهيَّة ويقولون: إنَّه خالق لأفعال نفسه استقلالا، وأنَّ الله يقع في ملكه ما لا يريد، وأنَّ العبد يريد ما لا يريده الله. والذين جعلوا الإنسان مُسيَّرًا لا مُخيَّرًا، وأنَّ حركاتِه في منزلة حركات الأشجار عندما تهبُّ الرياح.

هكذا يرى شيخ الإسلام ابن تيميَّة أنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة أُمَّةٌ وسط، وأنَّ أهل السُّنَّة والجماعة أيضًا هم الجماعة الوسط، ولهذا آثرتُ الحديث في هذا الموضوع.

الثالث: كما أنِّي آثرت أنْ أتحدَّث في هذا الموضوع لأنَّه يتَّفق مع طبيعتي، ويتَّفق مع منهجي، فإنَّ الله بغَّض إليَّ الإفراط والتفريط، إنَّني أؤمن بالاعتدال منهجًا في فهم الدين، وفي الحديث عنه، وفي الفتوى في شؤونه وقضاياه، لكن الَّذي ينهج هذا النهج تحدُث له أحيانًا مشكلة؛ لأنَّه لا يُرضي الذين يقفون في أقصى اليمين، ولا الذين يقفون في أقصى اليسار، فبعض النَّاس يتَّهمونه بالتزمُّت، وبعض آخر يتَّهمونه بالترخُّص، ولكنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع.

إنَّ مشكلتنا في هذا العصر أنَّنا نقع بين المُفْرِطين والمُفَرِّطين، أو بين الغلاة والمُقصِّرين، وقديمًا قال الإمام الحسن البصري: السُّنَّة، والذي لا إلٰه إلا هو بين الغالي والجافي[1]. وحديثًا قال شكيب أرسلان رَحِمَهُ اللَّهُ: لقد أضاع الإسلامَ جامدٌ وجاحدٌ، الجامد يفتن الناس بجموده، والجاحد يُضلُّهم بجُحوده[2].

(١) رواه الدارمي في المقدمة (٢٢٢).

(٢) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم للأمير شكيب أرسلان صـ٨٨، ٨٩، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

QaradawiBooks.com

مجالات الإفراط والتفريط في واقع المسلمين:

إنَّنا إذا نظرنا في واقع المسلمين اليوم نجد ظاهرة الإفراط والتفريط واضحةً للعيان، سواءً كان هذا في مجال العقيدة، أو مجال الأصول، أو مجال الفكر، أو مجال الحضارة، أو مجال التاريخ، أو النظر إلى الأعداء، أو مجال العواطف، أو مجال السلوك والعلاقات، أو مجال الأسرة، أو مجال الآداب.

أولًا: في مجال العقيدة:

ففي مجال العقيدة نجد قومًا مسرفين في قضايا التصور والاعتقاد، سواء بدليل أو بغير دليل، يعيشون في عالم صنعته أوهامهم، يُصدِّقون بكلِّ شيء حتى بالخرافة، وعالم الخوارق والكرامات والأولياء والمُتصرِّفين في الكون، كأنَّ هذا الكون ليس له سنن، وليس له قوانين، كأنَّما ذابت فيه كلُّ الحدود، فهم يحكون لك ماذا صنع فلانٌ، وكيف مشى هذا على الماء، وكيف طار هذا في الهواء، وكيف يعرف هذا الغيب، وكيف يخترق هذا الحجب؟ إلى آخر ما تسمع، وما تقرأ في بطون الكتب من أمور غريبة جدًّا، سُوِّدت بها عشرات من الصفحات، بل المئات أحيانًا!

فنحن نقرأ في بعض الكتب خوارق ما سمعنا بها في عصر الخلفاء الراشدين، ولا في عصر الصَّحابة رضوان الله عليهم، وتتساءل: كيف أُتيحَ لمن بعدهم من المتأخرين أن تلين لهم السُّنن والقوانين كما لم تلن لأبي بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ، وعليٍّ، وصحابةِ رسول الله ﷺ ؟!

أمَّا المعجزات الَّتي صاحَبَت الرُّسل فكانت تأييدًا لدعوى الرسالة، أو إنقاذًا لموقف، أو تثبيتًا للمؤمنين، فهذا نبيُّ الله موسى عليه السلام ، عندما اتَّبعه فرعون وجنوده، وكان البحر من أمامه، والعدوُّ من خلفه، وقال له قومُه:

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]. هنالك أمره الله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. فهذه المعجزة على يد نبيٍّ مرسل، وفي مكانها، وفي زمانها، وعند الحاجة إليها، وليست دعوة لتجاوز سنن الله في الكون والحياة.

المبالغة في الكرامات:

كنت أقرأ قريبًا في بعض الكتب القديمة، فوجدت هذه القصة عن ذي النون المصري، قال: كنت راكبًا في سفينة، فسرق منها جوهرة، فاتَّهموا بها شابًّا، فقلت: دعوني أترفق به لعله يخرجها. فأخرج رأسه من تحت كسائه فتحدَّث وتلطَّفت به، فرفع الشاب رأسه إلى السماء وقال: أقسمت عليك يا رب لا تدع أحدًا من الحيتان إلا ويأتي بجوهرة. قال: فرأيتُ حيتانا كثيرة على وجه البحر، وفي فم كل واحدة منها جوهرة[1].

ما هذا؟ حيتان البحر كلُّها جاءت من كلِّ مكان، وفي كلِّ حوت جوهرة لتكذب التهمة؟! هذا أمر غريب جدًّا!

وتسمع أحدهم يحكي لنا من هذه الكتب فيقول: توفي أحد الصالحين في البحر في عُرض البحر ـ والحكم الشرعي في مثل هذه الحالة أنْ يُكفَّن الميِّت ويُرمى في البحر ـ، قالوا: فلمَّا أرادوا أنْ يرموه جفَّ البحر، ونزلت السفينة على الأرض، فحفروا قبرًا ودفنوه ثمَّ جاء الماء وطفت السفينة! لِمَ هذا كله؟ والله إنَّها لغرائب!

وهذه الغرائب والتهاويل يكثر شيوعها عند كثير من المتصوِّفة والدراويش وأمثالهم.

---

(١) شرح الأنفاس الروحانية لشمس الدين الديلمي صـ٢٨، تحقيق أحمد فريد المزيدي، نشر دار الكتب العلمية.

QaradawiBooks.com

إنكار الغيبيات:

وفي المقابل نجد آخرين ينكرون الغيبيَّات، ويقولون: لم تعد تنفع العقليَّة الغيبيَّة في هذا العصر، لقد مضى عصرُ الغيبيَّات. وهو ترديد لما قاله «أوجست كونت» فيما سمَّاه قانون الحالات الثلاثة، فهو يرى أنّ الجنس البشري يمرُّ بثلاث دورات: الدورة اللاهوتيَّة أو الدينيَّة، ثمَّ الدورة الميتافيزيقيَّة أو الغيبيَّة، ثمَّ الدورة الوضعيَّة أو العلميَّة، الَّتي يحيا فيها هذا العصر[١]. وكتب أحدهم كتابًا سمَّاه «خرافة الميتافيزيقا»[٢]، ردَّ عليه شيخنا الدكتور محمد البهي في كتابه القيم «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي»[٣].

وهكذا نجد هؤلاء الذين ينكرون الغيبيَّات، يُنكرون الأمور الَّتي نطق بها القرآن مثل: الملائكة، والعرش، والكرسي، حتى الجنَّة والنَّار أنكروهما، فقد وجدنا مَنْ يُفسر القرآن تفسيرًا عصريًّا، فيدّعي أنَّ الجنَّة والنَّار حالتَيْن نفسيَّتَيْن يعيش فيهما الإنسان، يعني أنَّ جنَّتَك في نفسك، ونارَك في نفسك، وهذه من الأمور الَّتي كفَّرَ الإمام الغزالي من أجلها الفلاسفةَ قديمًا؛ لأنَّهم أنكروا ما عُلِم بالدين بالضرورة، وما استفاضت به آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبيِّ الأمين محمد ﷺ، حتى أصبح أمرًا مقطوعًا به، فنحن ـ في أمور العقيدة ـ نضيع بين المُفْرِطين والمُفَرِّطين، بين هؤلاء الذين يزعمون أنَّهم عقليُّون فيُنكرون ما وراء الطبيعة، أو ما لا يقوم عليه دليلٌ حِسِّي، وهؤلاء الخرافيين الذين صنعوا عالمًا من الأوهام.

---

(١) انظر: أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل صـ١٩٤، ١٩٥، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣.

(٢) وهو الدكتور زكي نجيب محمود.

(٣) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي صـ٢٨٥ ـ ٢٩٦، ط٢، ١٩٦٠م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نجد أناسًا ينكرون الجنَّ، مع أنَّ القرآن نطق بالجنِّ، وهناك سورة في القرآن تُسمَّى سورة الجنِّ، وذُكر الجنُّ في آيات كثيرة، والثقلان هما الجنُّ والإنس، وهما الجنسان المُكلَّفان في هذا العالم، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ونجد آخرين يعيشون كأنَّ الحياة كلَّها عفاريت، فالجنُّ من بين أيديهم، والجنُّ من خلفهم، والجنُّ عن أيْمَانهم، والجنُّ عن شمائلهم، والجنُّ حين ينامون، والجنُّ حين يستيقظون، كأنَّ الله سلَّط الجنَّ على البشر بحيث لا يكون لهم اختيار، ولا إرادة، ولا تفكير.

الموقف الوسط في مجال العقيدة:

من أجل هذا نرى أنَّ الموقف السليم، والمنهج الوسط، في مجال العقيدة: أن نؤمن بما جاء به القرآن، وسائر الأدلَّة القطعيَّة، وما لم يقم عليه دليل قطعيٌّ فنحن في حلٍّ من ردِّه ورفضه.

إنَّ العقائد لا بدَّ أن تقوم عليها الأدلة، فليس عندنا في الإسلام ما في الأديان الأخرى: اعتقد وأنت أعمى، أو أغمض عينيك ثمَّ اتَّبعني. لا، بل البرهان عندنا هو أساس الاعتقاد، كما قال القرآن الكريم: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ثانيًا: في مجال الأصول:

كما نجد التفريط والإفراط في مجال الأصول، نجد أناسًا ينكرون الاجتهاد إلى عصرنا هذا، ويوجبون التقليد حتى على من يقدر على الاجتهاد، ويملك أدواته، على نحو ما قال القائل:

فواجبٌ تقليدُ حَبْرٍ منهمو كما حكى القومُ بلفظٍ يُفْهَمُ[1]

(١) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني وعلى هامشه التحرير الحميد صـ٤٠٢، نشر مكتبة الإرشاد، إستانبول، ط١، ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

يقولون: لا بدَّ من التقليد، ولا يجوز الخروج على المذاهب الأربعة، ومن خرج عليها فهو إما فاسق أو مارق[١]. وكُتبت المقالات في ذلك، وقد رُدَّ عليها في كثير من البحوث.

وفي المقابل نجد آخرين يقولون: التَّقليد حرام، لا يجوز لأحدٍ أنْ يُقلِّد. حتى إنَّهم يُوجبون على العاميِّ أنْ يجتهد! لم يفرِّقوا بين من يقدر على الاجتهاد، ومن لا يقدر على الاجتهاد، ويتمسَّك البعض بتقليد المذاهب إلى حدِّ أنْ يكتب أحد العلماء مقالة بعنوان «اللامذهبيَّة قنطرة إلى اللادينيَّة»؛ ويكتب آخر: «اللامذهبيَّة أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلاميَّة». وآخرون ينـدِّدون بالمذاهب وينكرون على أصحابها ويجعلون من أنفسهم أصحاب مذاهب، حتى بعض أنصاف العلماء الذين ليس لهم رسوخ قدم في العلم يجعل أحدهم نفسه كأنّه إمام مجتهد، ويُحدِّثك عن نفسه كأنَّما هو أبو حنيفة أو مالك، وربما قال لك: مَنْ أبو حنيفة؟ ومَنْ مالك؟ أنا رجل وهم رجال! بل ربما تطاول على بعض الصحابة، وهكذا نضيع بين الإفراط والتفريط في مجال الأصول.

الموقف الوسط في مجال الأصول:

الموقف السليم، والمنهج الوسط في هذا المجال عبَّر عنه رجل من دعاة الإسلام في هذا العصر، هو الإمام الشهيد حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ، كتب أصولًا موجزة مركَّزة لفهم الإسلام سمَّاها «الأصول العشرين»، قال فيها: لكلِّ مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعيَّة أنْ يتَّبع إمامًا من أئمة الدين، ويحسن به مع هذا الاتِّباع أنْ يجتهد ما استطاع في تعرُّف أدلته، وأنْ يتقبَّل كلَّ إرشاد مصحوبٍ بالدليل متى صحَّ عنده صلاحُ مَنْ

(١) حاشية الصاوي على الجلالين (٩/٣)، نشر مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٤١م.

QaradawiBooks.com

أرشده وكفايتُه، وأنْ يستكمل نقصه العلميَّ إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر[١]. حتى يستطيع أنْ يُرجِّح ويقول: هذا أوْلى، وهذا أوفق، هذا أصح، وهذا ضعيف، إلى آخره، هذا هو الموقف المعتدل بين الغُلاة والمُقَصِّرين.

ثالثًا: في مجال الفكر:

نجد في قضايا الفكر دعاة القديم، ودعاة الجديد، نجد قومًا يؤيِّدون كلَّ قديم على نحو ما قيل: ما ترك الأوَّل للآخر شيئًا، وليس في الإمكان أبدع ممَّا كان، وأنَّه لا يمكن ولا يُتصوَّر أنْ يأتي أحدٌ بما لم تأتِ به الأوائل، وأنّ الأقدمين قد جاؤوا بكلِّ شيء. هكذا، كأنَّما كانوا يعرفون ما يتمخَّض عنه الغيب، وما يأتي به المستقبل، فهؤلاء يُغلقون الباب في وجْه كلِّ مجدد أو مُجتهد، هذا صنفٌ من الناس ضرب الحياة بالركود فأصبحت كالماء الآسن.

وفي المقابل نجد الذين يُنكرون القديم كلَّ القديم، ويُرحِّبُون بالجديد أيِّ جديد كان، يرفضون الأمر لا لشيء إلَّا لأنَّه قديم، كأنّ مجرَّد مُضِيِّ الزمن على أمر يجعل الحقَّ باطلًا، ويجعل الصواب خطأً، وهذه سفسطائية مرفوضة.

إنَّ قديم اليوم كان بالأمس جديدًا، وجديد اليوم سيصبح غدًا قديمًا، ورُبَّ جديد عند قوم هو قديم عند غيرهم، ورُبَّ شيء يعتبره الناس في عصر ما جديدًا هو في الحقيقة تجديدٌ لشيء كان قديمًا جدًّا، وهكذا، فالجِدَّة والقِدَم أمور نسبيَّة، وغير ثابتة، فكيف نرفض الشيء لمجرَّد أنَّه قديم؟ ولهذا سخر أديب العربية والإسلام مصطفى صادق الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ،

(١) الأصل السابع من الأصول العشرين في رسالة التعاليم ضمن مجموعة الرسائل صـ٣٥٧.

QaradawiBooks.com

من هؤلاء القوم حينما قال: إنَّهم يريدونَ أنْ يُجدِّدوا الدين، واللغة، والشمس، والقمر[١]. أي يريدون أن يُجدِّدوا ما لا يتجدَّد، وقال فيهم أمير الشعراء أحمد شوقي رَحِمَهُ اللَّهُ، في قصيدته عن الأزهر، عن الذين ينكرون الأزهر لا لشيء إلَّا لأنَّه قديم:

دَعْ عَنْكَ قَوْلَ عِصَابَةٍ مَفْتُونَةٍ يَجِدُونَ كُلَّ قَدِيمِ أَمْرٍ مُنكَرَا
وَلَوِ اسْتَطَاعُوا فِي الْمَجَامِعِ أَنْكَرُوا مَنْ مَاتَ مِنْ آبَائِهِمْ أَوْ عُمِّرَا
مِنْ كُلِّ سَاعٍ فِي الْقَدِيمِ وَهَدْمِهِ وَإِذَا تَقَدَّمَ لِلْبِنَايَةِ قَصَّرَا[٢]

فهم ينشغلون فقط بهدم كل قديم، ولا يستطيعون أنْ يبنوا حجرًا جديدًا، هؤلاء هم دعاة التجديد، يرحبون بأي جديد كان.

الثبات والتطور:

وأحيانًا تُعرض قضيَّة القديم والجديد في شكلٍ آخر هو الثبات والتطور، فهناك دعاة التَّطور، الذين يريدون أنْ يثبتَ كلُّ شيء، وأن يجمد كلُّ شيء، لا يُفرِّقُون بين الأصول والفروع، بين الكليَّات والجزئيَّات، بين الأهداف والوسائل، وإنَّما يريدون أنْ يجمد كلُّ شيء وأنْ يثبت.

وفي المقابل نجد الذين يريدون أنْ يطوِّروا كلَّ شيء، لا يريدون أنْ يبقى شيءٌ ثابتًا، وبهذا تميع الحياة وتذوب الحدود، ولا يبقى شيءٌ يمسُك على الناس وحدتهم، ويمسُك عليهم قيَمَهُم، فالقيم عندهم غير ثابتة، والعقائد غير ثابتة، والأخلاق غير ثابتة، والشرائع غير ثابتة، فماذا يبقى للناس إذنْ؟!

---

(١) من عبارة الرافعي على غلاف كتابه تحت راية القرآن، نشر دار الكتاب العربي، ط٧، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٢) في قصيدته الأزهر، انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٥١/١).

QaradawiBooks.com

رد الفقه:

هؤلاء يريدون أنْ يُطوِّروا كلَّ شيء، وهم لا يقفون عند حد، إنَّهم يقولون: نريد أن نُطوِّر الفقه، فدعُونا من أقوال الفقهاء، دعونا من أقوال مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وابن حنبل، وابن تيميَّة، وابن القيم، دعونا من أقول هذا وذاك، هؤلاء بشر ونحن بشر.

ردُّ السُّنَّة:

فإذا سلَّمت لهم بهذا قالوا: من السُّنَّة النبويَّة آحاد، ومنها متواتر، والآحاد ظنِّي فلا نقبله. فيرفضون السُّنَّة الظنيَّة، فإذا سلَّمت لهم لم يقفوا عند هذا الحد، بل قالوا: وحتى السُّنَّة القوليَّة لا ينبغي أن نرتبط بها. ويوجد في بعض البلاد العربيَّة الآن مَنْ يدعو جهرة إلى رفض السنَّة القوليَّة، ويقول: إنَّما نأخذ بالسنَّة الفعليَّة فقط.

هذا مع أنَّ السنن الفعليَّة ليس لها دلالة، إلَّا إذا ارتبطت بسنة قوليَّة؛ لأنَّ الفعل المجرد يدلُّ فقط على مجرَّد المشروعيَّة، فلا يدل على وجوب أو استحباب، أو تحريم أو كراهة، وإنَّما يدل فقط على الجواز أو الإباحة، لكننا نتَّبع النبي ﷺ في شأن الصلاة ـ مثلًا ـ لأنّه قال: «**صلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي**»[(١)]. وفي شأن الحج لأنَّه قال: «**خُذُوا عنِّي مناسككُم**»[(٢)]. فقد اقترن الفعل بالقول، أمّا الفعل فلا يكون وحده مصدر التَّشريع، فالنبي ﷺ كان يواصل في الصيام، فلو اقتدى الصحابة بفعله لكانوا مخالفين؛ لأنَّه ﷺ نهاهم عن الوصال[(٣)].

(١) رواه البخاري في الأذان (٦٣١)، عن مالك بن الحويرث.
(٢) رواه مسلم في الحج (١٢٩٧)، وأحمد (١٤٤١٩)، عن جابر بن عبد الله.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلمَّا رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله صلاته قال: «**ما حملكم على إلقائكم نِعَالَكم؟**» قالوا: رأيناك ألقيتَ نعليك فألقينا نعالنا. فقال رسول الله: «**إنَّ جبريل** عليه السلام **أتاني فأخبرني أنَّ فيهما قذرًا**». وقال: «**إذا جاء أحدكم المسجد فلينظر، فإن كان في نعليه قذر أو أذًى فليمسحه، ولْيُصَلِّ فيهما**»[1].

إذن لا تكفي السُّنَّة الفعليَّة وحدها مصدرًا للتوجيه والتشريع.

ردُّ القرآن:

على كلِّ حال لو أننا صدَّقنا هؤلاء وسلَّمنا لهم فلن يقفوا عند هذا الحد، بل سيتطاولون على القرآن نفسِه، وهذا ما فعلوه في الواقع، قالوا: جاء القرآن لبيئةٍ معيَّنة، وهذه البيئة ليست ككلِّ البيئات، إنَّه حرَّم الخمر في بيئة حارَّة، ولو نزل في بيئةٍ باردة لكان له شأن آخر.

وقالوا: إنَّما حرَّم القرآن الخنزير ووصفه بالرِّجس؛ لأنَّ الخنازير الَّتي يعرفها العرب كانت سيِّئة التغذية، ولو رُبِّيَت الخنازير في حظائر، وأشرف عليها أخصائيُّون في التغذية؛ لكان للقرآن موقف آخر.

وقالوا: حرَّم القرآن على المرأة أن تأخذ مثل الرجل في الميراث، وأوجب أن يكون لها نصف ما للرجل، وهو إنَّما جعل للذكر مثل حظ الأنثيين في مجتمع لم يكن للمرأة فيه استقلالها الاقتصادي، أمَّا حينما تستقل اقتصاديًّا فينبغي أن تأخذ المرأة مثل الرجل. وبهذا فعلت تركيا،

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٦٥٠)، وصحَّح إسناده النووي في خلاصة الأحكام (١٣٢/٣).

QaradawiBooks.com

ونادى رئيسٌ عربيٌّ في بعض البلاد العربية بهذا. فحتى القرآن لم يسلم منهم، فهم لا يريدونه أن يكون هو المصدر.

وحينما كنت في السودان ـ منذُ سنتين ـ إذا بي أجد رجلًا يدعو النَّاس إلى الأخذ بالقرآن المكي لأنَّه هو الأساس، أمّا القرآن المدني الَّذي نزل في المدينة فيمكن أن يُؤْخَذ ويُترك!

فهؤلاء الذين يدعون إلى تطوير كلِّ شيء لا يريدون أنْ يبقى شيء ثابتٌ أبدًا.

الموقف الوسط في مجال الفكر:

ولكن أين نقف نحن؟ مع مَنْ نقف؟ نقف الموقف المعتدل، موقف الأُمَّة الوسط، نثبت على الأهداف، والمبادئ، والكليَّات، والأصول، أمَّا الفروع والجزئيَّات والوسائل فهي مرنة، فنحن في الأولى أصلب من الحديد، ونحن في الثانية ألين من الحرير، نجمع بين الثبات والمرونة، الثبات في الأهداف والأصول، والمرونة في الوسائل والفروع، هذا هو الموقف المعتدل الَّذي ينبغي أن نفقهه في عصرنا، لا موقف الإفراط، ولا موقف التفريط.

رابعًا: في النظر إلى الحضارة الغربية:

وقف الناس ـ أيضًا ـ مواقف شتَّى في النظر إلى الحضارة الغربية الَّتي وفدت على المسلمين في هذا العصر.

فمنهم من أنكرها كلَّ الإنكار، ورفضها كلَّ الرفض؛ لأنَّها جاءت على أيدي الكفَّار، فهم رفضوها كلَّها، خاصَّة في أوائل ما جاءت إلى بلادنا، كان الناس سيئي الظن بكلِّ ما جاء من الحضارة الغربيَّة،

QaradawiBooks.com

خصوصًا أنّ مادِّياتها اختلطت بمعنوياتها، وأصولها قد اختلطت بفروعها، فلم يميز هؤلاء بين هذا وذاك، فرفضوها كلَّها.

وفي المقابل قال آخرون: لا، بل لا بدَّ أن نأخذَ الحضارة الغربيَّة كلَّها، فالحضارة لا تتجزَّأ، لا يؤخذ منها جانب دون جانب، لا بدَّ أن نأخذها بخيرها وشرِّها، وحُلوها ومُرِّها، ما يُحبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب، ومن ظنَّ غير ذلك فهو خادع أو مخدوع[1]. هكذا نادى منادون من النَّصارى، ومن المسلمين، أو ممَّن ينتسبون إلى الإسلام، من أناس يدَّعون الأدب، ومن أناس يدَّعون الفلسفة، وغيرهم.

وهؤلاء يريدون أن نكون عبيدًا للحضارة الغربيَّة، لا مجرَّد تلاميذ، فإنَّ التلميذ قد يناقش أستاذه، وقد يردُّ عليه، وقد يأخذ منه ويدع، ولكنهم يريدوننا عبيدًا، نؤمر فنطِيع، ويُقال لنا فنسمع، نتبع هؤلاء شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، هكذا أرادوا أن نكون.

الموقف السليم من الحضارة الغربيَّة:

والموقف السليم ـ في الحقيقة ـ هو بين هؤلاء وهؤلاء، ففي الحضارة الغربيَّة جوانب ليست ملكًا لأحد، فيها الجوانب العلميَّة المحضة، الجوانب التكنولوجيَّة، هذه الجوانب لا تتلوَّن بلون ولا تصْطبغ بصبغة، وإن كان عرضها قد يتلوَّن وقد يصطبغ؛ فالعلوم العلميَّة والتجريبيَّة قد تُعرض من منظور مادي أو إلحادي، إلَّا أنَّ نتائج العلوم الكونيَّة بصفة عامة، تلك الَّتي تخضع للملاحظة والتَّجربة هي نتائج بشريَّة عامَّة، فلا مانع أن نأخذها من هؤلاء.

(١) هو قول قديم لطه حسين، في كتابه: مستقبل الثقافة صـ٣٩، نشر دار المعرفة، ط٢، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ونحن في الحقيقة حينما نأخذ من هؤلاء الجانب العلمي أو التَّكنولوجي إنَّما نستردُّ ما أخذوه منَّا، فهي بضاعتُنا تردُّ إلينا، لقد شهِدَ عددٌ من مؤرِّخي العلم مثل «بريفولت»، و«جورج سارتون»، و«جوستاف لوبون»، و«درايبر»، وغيرهم بأنَّ المنهج التَّجريبي الَّذي يُنسب إلى «فرنسيس بيكون» أو «روجر بيكون» إنَّما هو مأخوذ من الحضارة الإسلامية، عرفه المسلمون نظرًا، وطبَّقوه عملًا، فالمسلمون هم أول من نقدوا منطق أرسطو، ذلك المنطق الصُّوري، القياسي، الشكلي، وقد ناقشه ابن تيمية مناقشة علميَّة في كتابين له، ولم يكتفوا بالنقد، بل أقاموا منطقًا بديلًا ذا أصول ومناهج، وطبقوه في شتَّى أنواع العلوم، بل اخترعوا علومًا برأسها مثل علم الجبر وغيره، وصحَّحوا أوهام اليونان في علوم أخرى، وأضافوا إضافات جيدة، وكانوا يقيمون ذلك كلَّه على أساس الملاحظة والتجربة، لم يكونوا مجرد نَقَلة، كما زعم الزاعمون بأنَّ العقليَّة العربيَّة لا تصلح للعلم لأنَّها عقلية خيالية، أو عقلية أدبية، أو لأنَّ اللغة العربية لا تصلح لاستيعاب العلوم العصرية، مع أنَّها كانت لغة العلم في العالم كلِّه لعدَّة قرون، ولا زالت آثار هذه اللغة في اللاتينيَّة وغيرها من اللغات الأوربيَّة، ولا زالت مئات الكلمات موجودة في اللغات الأخرى، كما أحصاها بعض الدارسين.

لهذا نقول: الموقف السليم هو أن نأخذ الجانب العلمي والتكنولوجي من الحضارة الغربية، نأخذ الجانب الطيِّب منها، نأخذ أحسن ما عندهم، أمَّا ما يتعلق بالقيم، والمعنويات، والتشريع، والآداب، والتقاليد، فنحن في ذلك مستقلون عنهم، نحن لنا ديننا، ولهم دينهم، لنا قيمنا، ولهم قيمهم، لنا مبادئنا، ولهم مبادئهم، لا يجوز أن نتَّبعهم في هذه النَّواحي، فينبغي أن نفرق بين الجانبَيْن.

QaradawiBooks.com

الَّذي يحدث ـ للأسف ـ في عالمنا الإسلامي أنَّنا نأخذ أسوأ ما عندهم، وندع أطيبَ ما عندهم، نأخذ اللهو، والأزياء، والموضات، وسائر الجوانب الإباحيَّة، وهذا ما لا ينبغي، هذا هو موقف مجتمعاتنا للأسف في النظر إلى الحضارة، والصواب هو الاعتدال بأخذ الطيب، وردِّ الخبيث.

خامسًا: في مجال التاريخ:

وفي النظر إلى التاريخ نجد تاريخنا أيضًا ضائعًا بين مُفْرِطين ومُفَرِّطين، فهناك بعض الناس ينظرون إلى التاريخ الإسلامي على أنَّه مجموعة أمجاد ومفاخر، ليس فيه أخطاء على الإطلاق، متعسِّفًا في التأويل وفي التفسير.

وفي المقابل هناك مَنْ يرَوْن التاريخ الإسلامي مجموعة مثالب ومساوئ، يرونه تاريخ حروب، وفتن، وشهوات، وملوك يُضلِّلون الشعوب، وهؤلاء أيضًا مثل أولئك، كلاهما إمَّا مفرط وإمَّا مفرِّط.

إنَّ تاريخنا مليء بالأمجاد والمفاخر ـ ولا شك ـ إذا قُورن بتواريخ الأمم الأخرى؛ لأنَّه تاريخ صنعته الرسالة الإسلاميَّة، إنَّما كان لنا تاريخ يوم جاء الإسلام، فالإسلام هو صانع هذا التاريخ حقيقة، وصانع الحضارة الَّتي أشرق وجهُها في هذا التاريخ، وهو لا يخلو من مثالب، ولكن لا ينبغي أن نُضخِّم هذه المثالب، وأن ننظر إليها تحت ضوء الميكروسكوب، فنجعل من الحبَّة قبة كما يقولون.

هذا التَّضخيم في الحقيقة جناية على تاريخنا، وعلى أنفسنا، وهذا للأسف ما تفعله معظم المناهج الدراسيَّة الَّتي تقدمه لأبنائنا، فهي تشوِّهه وتقدمه على أنَّه مجموعة حروب وفتن وقتال بين هؤلاء وهؤلاء، لا على أنَّه تاريخ رسالة، ودعوة، وأُمَّة حملت إلى العالمين هداية الله.

QaradawiBooks.com

الموقف السليم في مجال التاريخ:

الموقف السليم في هذا المجال: أن نُقوِّم الأشياءَ كما هي دون غلوٍّ، ودون تقصير، أن ننظرَ إلى أنفسنا لنعرف من نحن؟ فإذا كان هناك قومٌ لا يؤمنون بأمَّتهم، ويرونها مجموعة من العيوب والمساوئ، ومركَّبات النقص، وتبرؤوا منها، وآمنوا بالغرب وكفروا بهذا الشرق الإسلامي، كفروا بأمَّتهم وانسلخوا عنها، أولئك الذين ذهبوا إلى أوربا، أو أمريكا، أو روسيا، وعادوا بأسمائهم القديمة، الأسماء العربيَّة أو الإسلاميَّة، ولكن بعقول أوربيَّة أو أمريكيَّة أو روسيَّة، رجعوا بعقول أخرى تتبرأ من أمَّتها، ولا تجعل لها فضيلة أو ميزة! وإذا كان هناك آخرون ينظرون إلى هذه الأُمَّة على أنَّها أفضل الأمم، وأنَّها خالية من العيوب.

إذا كان هناك من ينظر إلى أُمَّتنا هذه النظرة أو تلك، فيجب أن ننظر إلى أنفسنا بنظرة معتدلة، ففي أمَّتنا كثيرٌ من الأمراض، وكثيرٌ من العيوب، وكثيرٌ من النقائص، ولكنها ليست أصيلًا فيها، بل هي عرضية يمكن أنْ تعالج، يمكن أن تكون هذه الأُمَّة بالفعل خير أُمَّة إذا قامت بالرسالة الَّتي ناطها الله تعالى بها، يمكن أن تكون الأُمَّة الوسط، الشاهدة على الناس، الَّتي تقوم في البشر مقام الأستاذيَّة، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وذلك إذا أزالت نقائصها، وانتصرت على ضعفها، وعرفت مبرر وجودها.

يجب أن ننظر إلى أنفسنا هذه النظرة المعتدلة، لا نظرة جماعة «هتلر» وأمثاله إلى أنفسهم، ولا نظرة اليهود إلى أنفسهم، أنَّهم شعب الله المختار، حيثما كانوا، وكيفما كانوا، وعلى أيِّ صفة كانوا، لا، فالله تعالى إنّما فَضَّل هذه الأُمَّة بأوصاف حينما قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فهم لم

QaradawiBooks.com

يُفضَّلوا إلَّا لأنَّهم أُخرِجوا برسالة عامَّة للإنسانيَّة، فهم أُخرجوا ليأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر، ويقيموا الإيمان بالله تعالى في أرض الله، هذه هي أمتنا.

سادسًا: في النظر إلى الأعداء:

ونحن ـ كذلك ـ في نظرنا إلى أعدائنا نقع بين الإفراط والتفريط، بين التَّهوين والتَّهويل، فهناك من ينظرون إلى إسرائيل ـ مثلًا ـ نظرة تهوين، ويسمُّونها إسرائيل المزعومة، وظللنا سنوات عديدة نقول: إسرائيل المزعومة. وهي تناوش هذه الجبهة، وتلطم هذه الجبهة، وتتحدَّى هذا وذاك، ثم استحيينا من أنفسنا بعد مدَّة، وحذفنا كلمة المزعومة، وصرنا نقول: هؤلاء سنرميهم في عرض البحر، وسنفعل بهم كذا وكذا. وهذا تهوين من شأن أعدائنا، خاصَّة مع وجود أزمة حقيقيَّة خانقة، وتمزق واضح في قلب فلسطين، هذا الوطن المحتل.

وفي المقابل: هناك مَنْ يُهوِّلون من شأن اليهود ويضخِّمون من أمر إسرائيل، وتجد كتبًا تروج ذلك، بل نروِّجها نحن، كمن كتب كتابًا بعنوان «الدنيا لعبة إسرائيل»، أو «أحجار على رقعة الشطرنج»، العالم كلُّه أحجار تحركها اليد الإسرائيليَّة، فاليهود وراء كلِّ شيء، والعالم كلُّه تُحرِّكه الأصابع اليهودية! إذا كان العالم كلُّه يحركه اليهود فماذا نصنع نحن؟ فالتهوين من شأن اليهود، والتَّهويل من شأن اليهود كلاهما مرفوض؛ لأنَّه إفراط وتفريط.

الموقف السليم في النظرة إلى الأعداء:

إنَّ اليهود ليسوا شيئًا خارقًا للعادة ولا فوق البشر، إنَّهم أناس مثلنا، ولكنهم يتَّبعون سنن الله، في التَّخطيط والتَّنظيم والأخذ بالعلم،

QaradawiBooks.com

إنهم لا يقومون على الفوضى، ولا على الارتجال، ولا على التمزق الَّذي نحن فيه، ولهذا استطاعوا أنْ ينتصروا رغم كثرتنا؛ لأنَّ النظام لا بُدَّ أن ينتصر على الفوضى، والعلم لا بُدَّ أنْ ينتصِرَ على الجهل، والتَّخطيط لا بُدَّ أن ينتصرَ على الارتجال، والوحدة لا بُدَّ أنْ تنتصرَ على التفرق، هذه من سُنن الله تبارك وتعالى، اليهود ضعفاء جدًّا ولكنَّهم متماسكون أيضًا، فلا بُدَّ أن نعرف مزايا عدوِّنا وعيوبه، لا نُهوِّل ولا نُهوِّن.

سابعًا: في مجال العواطف:

كما نجد الإفراط والتفريط في مجال العواطف، في الحب والبغض، في الرضا والسخط، فإذا أحببنا إنسانًا رفعناه فوق السماوات العلا، لم ننظر إلى أيِّ عيب فيه، فكلُّه حسنات، وكلُّه مزايا؛ وإذا كرهنا إنسانًا نزلنا به إلى الأرض السُّفلى، لم نذكر له مزيَّة، ولم ندع له حسنة، وهذا ليس من الإنصاف، وليس من العدل، وليس من الواقع، فكلُّ إنسان له مزايا، كما أنَّ له عيوبًا، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨]. ويقول: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧]. كما ورد عن عليٍّ رضي الله عنه موقوفًا: أحبِبْ حبيبَك هوْنًا ما، عسى أنْ يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هوْنًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما[1].

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٩٧)، وقال: هذا حديث غريب، والصحيح عن علي موقوف قوله. والطبراني في الأوسط (٣٣٩٥)، قال العراقي في تخريج الإحياء صـ٦٤٣: رجاله ثقات رجال مسلم، لكن الراوي تردَّد في رفعه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ثامنًا: في مجال السلوك:

وفي مجال السلوك نجد مجتمعاتنا تقع أيضًا في الإفراط والتفريط، سواء كان سلوك الفرد، أو سلوك الأسرة، أو سلوك المجتمع، وسائر العلاقات.

اتجاه التشدُّد:

فهناك أناس يريدون أنْ يُحرِّموا كلَّ شيء، كلُّ شيء عندهم حرام، حتى التليفزيون الَّذي يصوِّرنا الآن، فكل تصوير عندهم حرام، حتى التصوير الفوتوغرافي، أو التصوير الشمسي، والسينما كلُّها حرام، والأغاني كلُّها حرام، وخروج المرأة إلى الجامع، أو إلى المدرسة حرام.

ناقشني بعض الأساتذة في إحدى الجامعات الدينيَّة يومًا فقال لي: لا يجوز للبنت أنْ تتعلَّم أكثر من المرحلة الابتدائيَّة. قلت له: ولماذا لا تتعلَّم لتكون طبيبة للنساء، أو معلِّمة للبنات؟ قال: يمكن للطبيب أنْ يفحص المرأة. قلت له: هل يجوز للطبيب أنْ يفحص المرأة على وجه الإطلاق؟ أم هو من باب الضرورة؟ قال: من باب الضرورة. قلت: ولماذا تصبح الضرورة قاعدة؟ الضرورة لا ينبغي أنْ يُسْتَسلم لها حتى تصبح أصلًا في الحياة، لماذا لا تتعلَّم المسلمة لتصبح هي الطبيبة؟ خاصَّة في طب الولادة، وأمراض النساء، وطب الأطفال، لماذا لا تكون هناك ممرضات للنساء بدل ممرضين من الرجال للنساء؟ لماذا لا تُعلِّم المرأةُ البنات بدل أنْ يُعلِّمهن الرجال؟ فحتى تعليم المرأة مرفوض عندهم.

وكانوا يعيبون عليَّ في كتابي «الحلال والحرام» أنِّي قلت: إنَّ

QaradawiBooks.com

الوجه ليس بعورة، واليدين ليس بعورة، وأخذت بقول ابن عباس وعائشة وغيرهما من الصحابة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]. قال ابن عباس[١]، وعائشة[٢]، وأنس[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، وغيرهم: ما ظهر منها يعني: الوجه والكفَّان، أو الكحل والخاتم. لكنهم استنكروا عليَّ أنْ أقول بذلك، مع أنَّ المعركة اليوم لم تعد على كشف الوجه والكفين، بل أصبحت على كشف الصدور، والنحور، والظهور، والشعور، والسيقان، والموضات والأزياء الَّتي وفدت علينا فَعَرَّت المرأةَ المسلمة، وأخرجتها عن طبيعتها، وعن أنوثتها، فأين نحن اليوم من هذا؟ فهذا صنف متشدُّد غاية التَّشدُّد.

وأرى في قلب الجامعات الآن بعض الفتيات يلبسن نقابًا، فلا يُرى منها إلَّا العينان، وربما لبست عليهما نظارة، وجاءت إليَّ إحداهن تسألني: ما رأيك في النقاب؟ فقلت لها: أنا أحييك ـ أولًا ـ لتحدِّيك الحضارة الحديثة، ولصُمودك في وجه هذه التيارات الَّتي تدعو إلى التَّحلُّل، ولكنِّي لا أفضِّل هذا الزِّيَّ؛ لأنَّه يعزلك عن بقية الفتيات، نحن نريدك داعية إلى الفضيلة بينهنَّ، وهذا الزِّيُّ يقف بينك وبينهن، حتى في قلب أمريكا رأيتُ بعضهنَّ يلبسن النقاب، ويدعون إليه، وهذا تشدُّد على النفس، وتشديد على الغير.

(١) رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار في الكراهة (٧٢١٤)، والبيهقي في الصلاة (٢٢٥/٢).
(٢) رواه ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٢٨٧).
(٣) رواه البيهقي في النكاح (٨٥/٧).
(٤) رواه الطبري (١٥٧/١٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اتجاه التحلُّل:

وإذا كان هذا اتِّجاه التَّشدد في التَّحريم؛ فهناك في المقابل اتِّجاه التَّساهل في التحليل، هناك أناس يريدون كل شيء حلالًا، حتى الأشياء المقطوع بها يريدون أنْ يستبيحوها، من ذلك غطاء المرأة، وقد سألني بعض الناس: ما الدليل على أنَّ غطاء المرأة واجب؟ قلت له: الدليل هو القرآن الَّذي يقول: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. والخمار هو غطاء الرأس، ولم يكتفِ بغطاء الرأس، بل أوجب أنْ يضرب الغطاء على الجيب، وهو فتحة الصدر.

وهناك من يشكِّك في حرمة الخمر، كما قال البعض متحذلقًا: إنَّ الله لم يقل الخمر حرام. ولكنَّه قال: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾. يعني في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

قلت له: يا أخي، كأنك تُهَوِّن من كلمة ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، وهي كلمة لم ترِد في القرآن إلَّا مع الشِّرك ومع الكبائر، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]. وقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]. فالقرآن قال عن الخمر: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾. لأنَّ كلمة اجتنبوه أقوى من كلمة اتركوه أو لا تشربوه؛ لأنّه لا ينهى عن شربه، وإنَّما ينهى عن مجرَّد القُرب منه، كما قال في الزنا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢].

QaradawiBooks.com

فقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُ ﴾. مثل قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾. أي: اجعلوا بينكم وبينه جانبًا، يعني لا تشربوا الخمر، ولا تجلسوا على مائدة يُدار عليها الخمر، ولا تحملوها، ولا تتناولوها من قريب، ولا من بعيد؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ أنَّ الله تعالى لعن في الخمر عشرة فقال: «**لعن اللهُ الخمر، ولعن شاربَها، وساقيها، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكِلِ ثَمَنِها**»[(١)].

فهؤلاء المتحلِّلون يريدون أن يبيحُوا كلَّ شيء، حتى الأشياء القطعيَّة، وهذا من الفتن ونوع من المؤامرات الفكريَّة الَّتي دخلت ـ أو أُدخلت ـ على المسلمين، يريدون أنْ يجعلوا المحكَّمات متشابهات، والقطعيَّات محتَمَلات، والأمور المُجْمَع عليها مختلفًا فيها، وبهذا لا يبقى عندنا شيء نستمسك به، ويحفظ الوحدة الفكريَّة والسلوكيَّة للأُمَّة، فلا ينبغي أن يستدرِجَنا هؤلاء إلى هذا المنزلق.

تاسعًا: في مجال الأسرة:

نحن واقعون بين المُفْرِطين والمُفَرِّطين في هذه النَّواحي، في موضوع المرأة والزِّيّ والخِطبة والعلاقات الأسريَّة هناك من لا يسمح لخاطِب ابنته أنْ يراها، فقط يراها، مع أنَّ النَّبي ﷺ أمر بهذه الرؤية، وقال لرجل خطب امرأة: «**انظر إليها؛ فإنَّ في أعين الأنصار شيئًا**»[(٢)]. وفي حديث آخر: «**اذهب فانظُر إليها؛ فإنَّه أجدر أنْ يؤْدَم بينكما**»[(٣)]. أمرَ

(١) رواه أحمد (٥٧١٦)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، كلاهما في الأشربة، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٨١٥٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسَّنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن المغيرة بن شعبة.

QaradawiBooks.com

بالنظر ليكون هناك نوع من الوفاق، وحتى لا يفاجأ الإنسان ليلة الزفاف بصورة غير الصورة الَّتي تَخيَّلها، وكيف يعيش الإنسان مع وجْهٍ لم يره قط، ولم يتخيَّله؟ فهذا صنف من الناس.

وهناك صنف آخر يَدَع لابنته الحبل على الغارب، ويطلق لها العنان، لتخرج مع خاطبها إلى السينمات والمتنزَّهات، وهكذا نضيع بين المُفْرِطين والمُفَرِّطين، فكيف يمكن أنْ تستقيم حياة أُمَّة تقع بين هذين الطرفين المتباعدَيْن المتناقضيْن، من غلو مُفْرِط في جانب، وتقصير مُفَرِّط في جانب آخر؟ هذه هي مشكلتنا أيُّها الإخوة.

عاشرًا: في مجال الآداب:

وفي مجال الآداب الشرعيَّة، نجد بعض الناس يريد أنْ يجعلوا من بعض الآداب الَّتي لا تعدو أن تكون من المُستحبَّات معركة ينشغلون بها، ويعرقلون سير غيرهم، كنت في أمريكا في الصيف الماضي، وزرت بعض المراكز الإسلاميَّة، فرأيت هناك بعض الشباب أقاموا معركة بينهم وبين جمهور الناس من أجل هذه الأمور: لبس البنطلون حرام أم حلال؟ لبس الثوب الأبيض القصير واجب أم سُنَّة؟ وهل تلبس الساعة في اليمين أم اليسار؟ وهل لبسها في اليسار بدعة أم لا؟ والجلوس إلى غير القبلة جائز أم غير جائز؟ وأمور كثيرة من هذا النوع.

ولما اشترى الإخوة في مدينة نيويورك كنيسة من النَّصارى وحوَّلوها إلى مركز إسلامي، وجعلوا جزءًا منه مسجدًا، وفي يوم الأحد يحولون هذا المسجد إلى قاعة يقيمون فيها الندوات والمحاضرات، ولأنهم يجلسون ساعات يحضرون فيها كراسي، فجاء هؤلاء يقولون لهم: كيف تضعون في المسجد كراسي؟ وكيف يجلس الناس ووجوههم إلى غير القِبلة؟

QaradawiBooks.com

قلت: سبحان الله! هذا يقال في أمريكا؟! نحن نريد أن نُعرِّف الناس حقيقة الإيمان، أن نُعرِّفهم الأمور الأوليَّة في الإسلام، وهؤلاء يقيمون معركة من أجل هذه الأمور، من أجل هذه الآداب!

هكذا نجد ظاهرة الإفراط والتَّفريط واضحةً في واقع المسلمين اليوم، سواء كان هذا في مجال العقيدة، أو مجال الأصول، أو مجال الفكر، أو مجال الحضارة، أو مجال التاريخ، أو النَّظر إلى الأعداء، أو مجال العواطف، أو مجال السلوك والعلاقات، أو مجال الأسرة، أو مجال الآداب، إمَّا أناس تزمَّتوا وتَشدَّدوا غاية التزمُّت والتَّشدُّد، وإمّا أناس تَحلَّلُوا كلَّ التَّحلُّل، وانفلت زمامهم، ولهذا لا بدَّ أن نعودَ إلى الموقف الوسط، والمنهج الوسط، للأُمَّة الوسط.

آفات الإفراط:

وللغلو ـ أو الإفراط ـ آفات تضر بالفرد والمجتمع، نذكر بعضها سريعًا.

(١) قصير العمر:

أول عيوب التشدد والغلو أنَّه قصير العمر، قليل الثبات؛ ولذلك قال ﷺ: «**يا أيُّها الناس، خُذوا من الأعمال ما تُطيقون، فإنَّ الله لا يمل حتَّى تملُّوا، وإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ**»[١].

كم من أناس كانوا متشدِّدين متزمِّتين، فلما سألت عنهم بعد سنوات، وجدتهم إما قد انقطعوا تمامًا، أو انقلبوا إلى الخط المعادي، فمن العسير

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٦١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

جدًّا أنْ يصبر إنسان على الغلو والتَّشدُّد، ولهذا قال ﷺ: «**ألا هلك المُتنطِّعون**» وكرَّرها ثلاثًا[١]. وقال: «**إيَّاكم والغلوَّ، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ**»[٢].

(٢) الجور على الحقوق الأخرى:

ومن عيوب الغلوّ والإفراط: أنَّه يجُور على الحقوق الأخرى، وقد جاء في الحِكم المأثورة عن السلف: ما اجتهد قومٌ في بدعة، إلَّا أضاعوا مثلها من السُّنَّة[٣]. وقال أحدهم: ما رأيت إسرافًا إلَّا بجانبه حقٌّ مضيَّع[٤]. لأنَّ طاقة الإنسان محدودة، فإذا ضيَّع الإنسان طاقتَه بالغلو في جانب، أضاعَ مثلَه في جانب آخر، وهذا ما حَذَّر منه النَّبي ﷺ أصحابَه، كما قال لعبد الله بن عمرو بن العاص، وقد بلغه أنَّه يصوم النهار، ويقوم الليل، قال له: يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟»، فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «**فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم، فإنَّ لجسدك عليك حقًّا، وإنَّ لعينك عليك حقًّا، وإنَّ لزوجك عليك حقًّا، وإنَّ لزورك عليك حقًّا، وإنَّ بحسبك أنْ تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإنَّ لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإنَّ ذلك صيام الدهر كله**». فشددت، فشدد عليَّ،

---

(١) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٣٢٤٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي في الحج (٣٠٥٧)، وابن ماجه في المناسك (٣٠٢٩)، والحاكم في الصوم (٤٦٦/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه النووي في المجموع (١٧١/٨)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣)، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد (١٦٩٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وجوَّد إسناده الحافظ في الفتح (٢٥٣/١٣)، عن غضيف بن الحارث مرفوعًا.

(٤) نسبها الجاحظ لمعاوية بن أبي سفيان، انظر: البيان والتبيين (١٧٧/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قلت: يا رسول الله إنِّي أجد قوة. قال: «**فصم صيام نبي الله داود** عليه السلام ، **ولا تزد عليه**». قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام ؟ قال: «**نصف الدهر**». فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ[١]. فالغلو في ناحية يكون على حساب ناحية أخرى.

(٣) التنفير من الإسلام:

كما أنَّ التشدُّد والغلو منفِّرٌ من الإسلام، والإسلام لا يريد أن نُنفِّر النَّاس منه، والنبي ﷺ حينما بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن أوصاهما بهذه الوصيَّة الموجَزة الجامعة: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا، ولا تختلفا**»[٢].

وكان ﷺ ينهر أصحابه إذا نفَّروا، فعندما أطال معاذ الصلاة قال له: «**أفتَّان أنت يا معاذ، أفتَّان أنت يا معاذ، أفتَّان أنت يا معاذ، صلِّ بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وبالغاشية**»[٣]. وقال: «**إنَّ منكم مُنَفِّرين، من أمَّ بالنَّاس فلْيتَجوَّز، فإنَّ فيهم المريض، والكبير، والضعيف، وذا الحاجة**»[٤]. فالتَّنفير من الإسلام من عيوب التَّشدُّد والغلوِّ.

(٤) التخويف من الإسلام:

ثمَّ إنَّ التشدُّد يعطي فرصة لخصوم الإسلام أن يقولوا: أتريدون أنْ تعودُوا بنا إلى ما يريده هؤلاء، هل هذا هو المجتمع الَّذي تريدونه، هل هذا هو الإسلام الَّذي تريدون أن نحكم بقانونه؟ فهم يرون الحكم

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠٦)، ومسلم في الصلاة (٤٦٥)، عن جابر بن عبد الله.
(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٢)، ومسلم في الصلاة (٤٦٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.

QaradawiBooks.com

الإسلامي فيما يراه هؤلاء، وكأنَّ هؤلاء هم الإسلام، فخصوم الإسلام يتَّخذون من سلوك هؤلاء المتشدِّدين حُجَّة لتعطيل الحكم بالإسلام، والدعوة إلى العودة إليه، ومن هنا كان خطر الغُلوِّ والتَّشدُّد.

غير مرخصة للطباعة

(٥) الإصابة بالوسوسة:

ومن ناحية أخرى ينتهي التَّشدُّد بالإنسان إلى نوع من الهستيريا، أو الهوس، إلى نوع من الوسوسة في الدين، تجد عند بعض النَّاس وسوسة في السلوك، وعند البعض الآخر وسوسة في الفكر، فأحدهم يقف ليتوضَّأ ثلث ساعة أو نصف ساعة يستهلك فيها من المياه الشيء الكثير، ولماذا هذا؟ كان النبي ﷺ يتوضأ بمُدٍّ[١]، وهو يعادل نصف كيلو، ويغتسل بصاع[٢]، لكن هذا الشخص يمكن أنْ يستهلك عدة صفائح وهو يتوضَّأ، مع أنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن الإسراف، وحينما سأله سعد أفي الوضوء سرف؟ قال: «**نعم، وإن كنتَ على نهرٍ جار**»[٣]. وقال فيمن زاد على ثلاث مرات في الوضوء: «**من زاد على ذلك فقد أساء وتعدَّى وظلم**»[٤].

ومن هنا ننكر الإسراف، وننكر الغلو، وننكر الإفراط، كما ننكر التَّفريط أيضًا، ففي التَّفريط إضاعة؛ لأنَّ معناه الانحلال، والبُعد عن الاستمساك بالتعاليم، فكلاهما شرٌّ على الأُمَّة الإسلاميَّة، وعلى المجتمع المسلم.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٠١)، ومسلم في الحيض (٣٢٥)، عن أنس.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) رواه أحمد (٧٠٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطهارة (٤٢٥)، وضعَّفه الألباني في الإرواء (١٤٠)، ثم حسَّنه في الصحيحة (٣٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه أحمد (٦٦٨٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود (١٣٥)، والنسائي (١٤٠)، كلاهما في الطهارة، وحسَّنه الألباني في مشكاة المصابيح (٤١٧) عن عبد الله بن عمرو.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

أسباب الإفراط:

نستطيع ـ أيُّها الإخوة ـ أن نعرف علاج الإفراط أو الغلو إذا عرفنا أسبابه، وتمكَّنَّا من الوقوف عليها، وهذه بعض أسبابه:

(١) قلة الفقه وعدم الرسوخ في العلم:

أول أسباب الإفراط والغلو: قلة الفقه، وعدم الرسوخ في العلم، لا أقول: عدم العلم. فمشكلة هؤلاء المغالين المفرِّطين أنَّهم يعرفون قشورًا من العلم، يقرؤون كتبًا ولكنهم ليسوا أُصَلاء، وليسوا راسخين، بل هم متسرِّعون سطحيُّون، يجعل كلُّ واحد منهم نفسه مفتيًا أو إمامًا بأسرع ما يمكن، ولمَّا تثبت قدمه، ولمَّا يعلو كعبه في العلم.

(٢) الإعجاب بالرأي والتعصب له:

وبالإضافة إلى نقص العلم والقصور تجد فيه غرورًا وإعجابًا بالرأي، يُعجب بنفسه، ويتعصَّب لرأيه الخاص، ويعتقد أنَّ ما عنده هو الحقُّ، وأنَّ ما عند الآخرين هو الباطل، من قال هذا؟ أشدُّ ما قاله الأئمة المجتهدون عن اجتهاداتهم: أنْ يقول أحدهم: رأيي صوابٌ يحتمل الخطأ، ورأيُ غيري خطأ يحتمل الصواب. ولكنَّ كثيرًا منهم قالوا: كلا الرأيين يحتمل الخطأ والصواب. وبعضهم يقول: كلُّ مجتهد مصيب. لكن هؤلاء يرون أنَّ رأيهم هو الصواب، ورأي غيرهم هو الخطأ، وهذا هو التَّعصُّب والغرور الَّذي يورث الغلو.

(٣) شيوع التحلُّل من الدين:

ومن أسباب الغلو والإفراط: شيوع التَّحلُّل من الدين، شيوع الإباحية والإلحاد، فوجود هؤلاء الذين لا يبالون بالإسلام، الذين يهاجمون

QaradawiBooks.com

الإسلام فكرًا، والذين يقاومونه سلوكًا، لا بدَّ أن يكون له ردُّ فعل، فحينما يوجَد من يطعن في الإسلام، حينما يتسلَّط الشيوعيون على أجهزة الإعلام، حينما يوجد فيها من ينشر التحلل والفساد والمنكر، حينما تخرج المرأة عن طبيعتها، وتخرج عارية أو شبه عارية، حينما يظهر الفساد في المجتمع ويطلُّ برأسه ولا يجد من ينكره فستكون النتيجة غلوٌّ وإفراطٌ في الجانب الآخر.

يقولون في علم الميكانيكا: كلُّ فعل لا بدَّ له من ردِّ فعل مساوٍ له في القوة، ومضادّ له في الاتِّجاه. هذا الَّذي يقال في علم الميكانيكا يقال أيضًا في المعنويات، يقال في النواحي الاجتماعيَّة والفكريَّة أيضًا، فالتحلل، والإباحية، والإلحاد، والتيَّارات الهدَّامة الغازية الَّتي دخلت على مجتمعاتنا ولم تقاوَم، وأقرَّتها الأجهزة المختلفة، كان نتيجتها هذا الغلو والتَّشدُّد في الناحية المقابلة، فالتطرُّف يقاوَم بتطرف عادة، فهذا من الأسباب الَّتي لا بدَّ أن نعرفها.

أسباب التفريط:

وكما أن للغلو ـ أو الإفراط ـ أسبابًا تؤدي إليه، كذلك للتفريط أسباب تؤدي إليه، ومن أسباب التفريط: ضعف التقوى، وتتبُّع الرخص، وتصيُّدها من هنا وهناك، وهو من قلة العلم أيضًا، فهناك أناس يضعون أنفسهم موضع الفتوى، يريدون أنْ يُرخِّصوا في كلِّ شيء.

يقول أحدهم: ولماذا تقيمون الدنيا وتقعدونها من أجل زيِّ المرأة، إذا كشفت عن سيقانها، أو عن نحرها، هذه مسألة بسيطة، حتى وإن كانت حرامًا فهي من الصغائر الَّتي تكفِّرها الصلاة والصيام

QaradawiBooks.com

وغيره؟ كأنَّ هذا الشخص لم يقرأ قولَ النبيِّ ﷺ، فيما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مائلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنَّة، ولا يجدن ريحَها، وإنَّ ريحَها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[(١)].

فمن أسباب التفريط: قلة العلم، وتتبُّع الرخص، والتقليد الأعمى، والانصياع وراء التيَّارات الوافدة، واتِّباع سنن الغرب الَّتي حذَّر منها النبيُّ ﷺ، ونبَّه عليها حينما قال: «**لتتبعُنَّ سَنَنَ من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه**». قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»[(٢)]. فإذا عرفنا هذه الأسباب سهل علينا أن نعرف العلاج.

علاج الإفراط والتفريط:

(١) إشاعة العلم الراسخ:

والعلاج يقتضي أن نشيع العلم الحق، لا بدَّ أن نُرسِّخ الأفكار الإسلاميَّة الصحيحة، حتى يرسخ في عقول الجيل الجديد الفقه الحقيقي للإسلام المأخوذ من ينابيعه الصافية من القرآن والسُّنَّة الصحيحة، ولا بدَّ أن نشيع هذا الفكر السليم المعتدل بكلِّ الوسائل، وأنْ تتعاون الأجهزة المختلفة على ذلك، أمَّا أن يتحدَّث العالم في ناحية، ثمَّ تأتي السينما أو

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.
(٢) سبق تخريجه صـ٢٣٥.

QaradawiBooks.com

الصحافة أو الإعلام من ناحية أخرى فيهدم ما يقوله، فلا يقام بذلك مجتمع، ولا يتربَّى جيل، كما قال الشاعر:

متى يبلغ البنيانُ يومًا تمامَه إذا كنت تبنيه وغيرك يَهْدِمُ[1]

لا بدَّ أن نشيع الفكر الإسلامي، لا بدَّ أن نُعلِّم أبناءَنا أن يُميِّزوا بين ما هو أصلي، وما هو فرعي، بين ما هو قطعي، وما هو ظنِّي، بين ما هو مُجمَع عليه، وما هو مختلَف فيه، لا بدَّ أن يتعلَّموا هذا، فإنهم يسارعون إلى أن يجعلوا كلَّ شيء في منزلة واحدة، مع أنَّ هناك مراتب للأعمال والتكاليف، فالإسلام جعل لكلِّ شيء سعرًا، هناك صغائر، وهناك كبائر، هناك فرائض وأركان، وهناك سنن ومستحبات، لا بدَّ أن نميز بين هذا وذاك، لا بدَّ أن نشيع هذا الفكر.

(٢) مقاومة تيَّارات التحلل والإباحية:

ولا بدَّ كذلك أن نقاوم تيَّارات التحلل والإباحية، وأن نقف لها بالمرصاد، لا ينبغي أن ندع لهذه التيَّارات العنان على الإطلاق، ثمَّ نرجو من الشباب أن يعتدل، لا، فما دامت هناك إباحية وتحلُّل فلا يُنتظر إلا الإفراط والتفريط، فلا بدَّ من مقاومة تيَّارات التَّحلُّل، والإباحية، والإلحاد في وطننا الإسلامي.

التطرف لا يعالج بالتطرف:

ومقاومة الأفكار المتطرفة لا تكون بالعنف، ولا بالاضطهاد، ولا بخنق الحريات، فبعض قصار النظر من الناس يظنون أنَّ السَّوط، أو الحبس، أو السجن، أو الاعتقال، أو التَّضييق يمكن أنْ يحلَّ المشكلة،

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣).

QaradawiBooks.com

وهذا خطأ، فما ظهرت الأفكار المتطرفة في بلادنا الإسلاميَّة إلا نتيجة الضغط، والاضطهاد، والتَّضييق.

إنَّ جماعة التكفير الَّتي ظهرت أوَّل ما ظهرت في القاهرة، إنَّما برزت في زنازين السجن الحربي حيث أولئك الطغاة المتسلِّطون، والزبانيَة الجلَّادون، الذين لا يبالون أنْ يقتلوا، وأنْ يستبيحوا الدَّم، وأنْ يضربوا إلى الموت، وأنْ يقولوا للناس: هاتوا ربَّكم ونحن نضعه في الزنزانة! نعوذ بالله ممَّا قالوا. في وسط هذا الجو الخانق القاتل ظهرت الأفكار المتطرِّفة، ظهر الشباب الَّذي يرى نفسه مُخلصًا في الدعوة إلى الإسلام، ويقول: هؤلاء يحاربونني لأنِّي مسلم، فهم إذن كفَّار، ولم يكتفِ بهذا، بل قال: ومن لم يكفِّرهم فهو كافرٌ مثلهم. فكفَّرهم وكفَّر من سكت عنهم، وهكذا يبدأ الغلو.

إشاعة الفكر المعتدل:

لا بدَّ ـ إذنْ ـ أن نعرف كيف نعالج المشكلة، إنَّ عالمنا الإسلامي يموج الآن بتيَّارات شتَّى، فلا بدَّ أن نعرف كيف نقاوم التطرف فيه.

إنَّما يقاوم التطرف ـ أول ما يقاوَم ـ بالعلم والعمل، بالفكر الإسلامي المستقيم المعتدل، الَّذي يُستَمدُّ من القرآن والسُّنَّة ومن منهج السَّلف الصَّالح: الصحابة، ومَنْ تبعهم بإحسان؛ فهم أفهم الناس لهذا الدين، إذا اختلفنا في فهم فلنرجع إلى أفهام هؤلاء، ولا أقصد أفهامهم الجزئيَّة، ولكن إلى منهجهم العام في فهم القرآن والسُّنَّة، فهُم الراشدون الذين يجب أن نعضَّ على سُنَنِهم ومناهجهم بالنواجذ، لا بدَّ من هذا الوعي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تمكين المعتدلين في المجتمع:

ثمَّ لا بدَّ من الناحية العمليَّة من مقاومة الإلحاد والإباحية، وتشجيع المسلمين المتدينين المعتدلين، فبهذا نتيح الفرصة للمعتدل من الناس أنْ يجد مكانًا، وأنْ يجد الجوَّ الَّذي يشجِّعه، وأنْ يجد المجتمع الَّذي يحتضنه، ولا ندع للأفكار المغالية أنْ تجد لها السراديب في الظلام، وفي باطن الأرض، نريد أن نعمل مع الناس في النور.

هذا ـ أيها الإخوة ـ ما أردت أنْ أقوله في هذه الليلة عن واقع المسلمين بين الإفراط والتفريط، إنَّنا إذا أردنا أن نعيش مسلمين ـ كما كنا وكما كانت أمتنا في عصورها الذهبيَّة الأولى ـ لا بدَّ أن نعود إلى القرآن والسُّنَّة، فهما اللذان يعطياننا المنهج المستقيم، أو على حدِّ تعبير القرآن: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾. الَّذي نسألُ اللهَ الهداية إليه كلَّ يوم سبعَ عشرة مرَّة على الأقل: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. والصِّراط المستقيم هو البعيد عن الإفراط والتفريط، فالاستقامة تعني الخيريَّة، وتعني الاعتدال، وتعني القوَّة، وتعني نقطة التلاقي، فالأطراف المتطرفة لا يُلتقى عليها، وإنّما يُلتقى عند الوسط، إذا أردنا أن نجمع أمَّتنا على شيء فلنجمعها على الوسط، أمَّا التطرُّف ـ يمينًا أو يسارًا ـ فلا يمكن أنْ تجتمع عليه الأُمَّة، وإنَّما ستتفرق بها السُّبُل، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هذا ما خطر لي أنْ أقوله لكم في هذه الليلة، وأرجو أنْ يكون فيه توضيح لما أردت، وأعتذر إنْ أطلتُ عليكم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

الدين والسياسة:

السؤال الأول: هل السياسة جزء من الدين، أم أنَّ الإسلام لا علاقة له بالسياسة؟

الجواب: الإسلام نظام شامل للحياة، ليس فيه جزءٌ يُسمَّى دينًا منعزلًا عن السياسة، وجزءٌ يُسمَّى سياسة منعزلًا عن الدين، بل الإسلام نظام شامل، هو دين، وسياسة، واجتماع، واقتصاد، إلخ، هو منهج شامل للحياة كلِّها، والمسلم يتدخَّل في السياسة حتى في صلاته؛ لأنَّه يقرأ في صلاته مثلًا من سورة المائدة قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، فهو يتدخَّل في السياسة.

وإذا نظرنا إلى أطول آية في القرآن الكريم نرى أنَّها نزلت في شأن من شؤون الحياة، فليس في الإسلام انفصالٌ بين الدين وبين السياسة، وهذا الأمر أيضًا من الأمور الَّتي وقع فيها الإفراط والتفريط، فهناك أناس بالغوا في فصل الإسلام عن السياسة، وقالوا: إنَّ الدين لا سياسة فيه، والسياسة لا دين لها. وأنا لا أعرف كيف تكون السياسة الَّتي لا دين لها؟ ولا أعرف أي دين يكون الَّذي ليس فيه سياسة؟ حتى زعم بعضهم أنَّ المسجد الَّذي يتكلَّم إمامه أو خطيبه في السياسة سيُهدم على رأس أصحابه. وهذا غلو.

وفي المقابل: هناك أناس بالغوا في مسألة السياسة، حتى قام بعض الخطباء فقال: إنّ الإسلام ليس ركعات تُصلَّى، وليس شهرًا يُصام، وليس

QaradawiBooks.com

رحلة إلى الكعبة، وليس كذا وكذا، فكلُّ ذلك يُعتبر صفرًا على الشمال بجانب النِّظام السياسي في الإسلام. وهذا أيضًا غلو، كيف يُستَهان بالعبادات والفرائض؟ نريد دائمًا الوسط، فالإسلام هو الوسط في هذه القضايا.

التثبت من الأخبار:

السؤال الثاني: ما رأيكم بالإسراع في تصديق الأخبار أو تكذيبها قبل وضوحها؟

الجواب: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]. فالأصل في المسلم أن يتبيَّن، وقد قال الشاعر:

همو نقلوا عنِّي الَّذي لم أفُهْ به وما آفةُ الأخبارِ إلَّا رُواتُها(١)

فلا بدَّ للإنسان أنْ يتثبَّت، خاصَّة مع شيوع الكذب في عصرنا، والأخبار المنقولة تحتمل الصدق والكذب، فلا بدَّ من التثبت والوضوح، وإلَّا وقع الإنسان فيما حذَّر منه القرآن: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ممالأة الظالمين:

السؤال الثالث: ما رأيكم في موقف الإسلام من ممالأة الظالمين والطغاة؟

الجواب: يرفض الإسلام ممالأة الظالمين والطغاة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، وكما في الحديث: «**من مشى مع ظالمٍ ليُعِينَه**

(١) البيت للرضي كما في التذكرة الحمدونية لبهاء الدين البغدادي (٣٢٩/٩)، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

QaradawiBooks.com

وهو يعلمُ أنَّه ظالم فقد خرج من الإسلام»[١]. وكما قال الحسن البصري: من دعا لظالمٍ بطول البقاء فقد أحبَّ أن يُعصى اللهُ في أرضه[٢].

غير مرخصة للطباعة

علماء السلطان:

السؤال الرابع: ما رأيك في العلماء الذين يُطوِّعون الإسلام إرضاءً للحكام الظلمة؟

الجواب: هؤلاء مرفوضون قطعًا، والعالِم الَّذي يُطوِّع الإسلام للحاكم الظالم ليس عالمًا، بل هو منافق، وقطعًا تعرفه الأُمَّة وتكشفه، فتلفظه سريعًا، ولا يظلُّ في نظرها عالمًا.

المفروض أنَّ المجتمع هو الَّذي يُطوَّع للإسلام، أمَّا تطويع الإسلام ليبرِّر واقع الناس فهذه فتنة ينبغي أنْ تُرفض، فالإسلام هو الحاكم، هو الميزان، فكيف نجعل الحاكم محكومًا، وكيف نجعل المتبوع تابعًا؟ كيف يصبح الميزان الَّذي يفترض أن نحتكم إليه يصبح موزونًا؟ هذا لا يمكن، فالعالِم الَّذي يريد أنْ يطوِّع الإسلام، ويُفرِّخ الفتاوى لإرضاء الحكام هو من علماء السوء، الذين لهم أشد العذاب، نسأل الله أنْ يجنِّبنا شرَّهم، وألا يجعلنا منهم.

المهدي المنتظر:

السؤال الخامس: هل يجب على المسلم أنْ يعتقد عقيدة المهدي المنتظر؟

---

(١) رواه الطبراني (٢٢٧/١)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٤٠٢): رواه الطبراني في الكبير وهو حديث غريب. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٠٦٤): فيه عياش بن مؤنس، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله وثقوا، وفي بعضهم كلام. عن أوس بن شرحبيل.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣٠).

نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

الجواب: اختلف الناس في مسألة المهدي المنتظر من قديم، وهناك من العلماء من ردَّها، ولم يرد في صحيح البخاري أيَّ حديث في المهدي، ولا في مسلم، كلُّ ما ورد في صحيح مسلم أنَّه: «**يكونُ في آخر أُمَّتي خليفةٌ يَحْثِي المال حَثْيًا، ولا يَعُدُّه عدًّا**»[١]. أي أن لديه أموالاً كثيرة.

وجاء في سنن أبي داود، وسنن الترمذي، حديث عن أنَّه سيخرج في آخر الزمان رجل «يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجَوْرًا»[٢]. وفي بعض هذه الروايات: سيخرج رجل منِّي أو من أهل بيتي، هذا أصح ما ورد، رغم أن هذه الأحاديث نفسها فيها كلام؛ لأنَّ من رواتها عاصم بن بهدلة، أو عاصم بن أبي النجود الكوفي، وهو أحد القراء السبعة، هو ثقة في رواية القرآن، مختلفٌ فيه جرحًا وتعديلًا في رواية الحديث، غاية ما في الأمر أن يقولوا عن حديثه: حسن. فهم يصحِّحون أو يحسنون بكثرة الروايات الضعيفة، وبعضهم يريدون أنْ يصلوا بكثرة الأحاديث إلى درجة التواتر، وهذا أمرٌ خطر، فجعل الراويات الضعيفة الكثيرة في منزلة المتواتر المقطوع به هو في الحقيقة أمرٌ لا أقرُّه أبدًا.

وعلى هذا الأساس قال بعض العلماء مثل السفاريني، وغيره: أصبح المهدي ـ بتواتر الأحاديث الواردة ـ عقيدة من عقائد المسلمين[٣]. وأنا لا أرى أبدًا أنَّه عقيدة، فهو خبرٌ جاء به بعض الأحاديث، وكل ما صحَّ فيها ـ بالنسبة للمهدي ـ أنَّه حاكم عادل، فالناس تتعلَّق آمالها بحاكم عادل يملأ الأرض عدلًا، أمّا أنْ يأتي عن طريق الخوارق وعلى غير سنن

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩١٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أبو داود في المهدي (٤٢٨٢)، والترمذي في الفتن (٢٢٣٠)، وقال: حسن صحيح. عن ابن مسعود.

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٧٠/٢).

QaradawiBooks.com

الله وقوانينه، فهذا ليس طبيعيًّا على الإطلاق، بل هو يقوم حسب السنن، لا يقوم إلا عندما يتهيَّأ المجتمع له، فلا بدَّ أنْ يُهيِّئ الأسباب، ويأخذ الحذر، ويعدَّ العدة، وليس الأمر بأنَّ المهدي المنتظر ينزل فجأة من السماء فيملأ الأرض عدلًا بعد أنْ مُلِئت ظلمًا وجوْرًا، وهذا تصوُّر غريب على المسلمين الذين يريدون أنْ يعملوا، ولكن هؤلاء يريدون أْن يخرج عليهم مَنْ يُحقِّق لهم ما يريدون، دون أن يضحوا، ويبذلوا، ويخطِّطوا، وينظِّموا! ولعلَّ هذه الفكرة الساذجة هي الَّتي جعلت بعض الشباب الذين صنعوا ما صنعوا في أن يحتلوا المسجد الحرام، في الحادث الشهير[١].

وفي بعض الروايات أنَّه سيظهر على رأس القرن في عشرة من المحرم، وأن عدد أتباعه سيكون ثلاثمائة وأربعة عشر، مثل عدد أهل بدر، وأنَّه سيكون معهم بعض النسوة[٢]. والذي يظهر أنَّ هؤلاء الشباب ظلوا يقرؤون هذه الروايات حتى اختمرت في عقولهم فقالوا: نذهب الآن إلى الحرَم، وسيظهر معنا المهدي المنتظر بعد ذلك.

إنّ الأحاديث الَّتي جاءت في المهدي المنتظر هي أحاديث من أحاديث الآحاد، ولو صحِّحت ستُصحح بمجموع طرقها؛ لأنَّه ليس فيها حديث صحيح بذاته، أقصى ما فيها أنَّها حسنة. وجاء أيضًا في بعض الأحاديث الواهية: أنَّ من كذَّب بالمهدي فقد كفر[٣]. يريدون أنْ يجعلوها عقيدة، بحيث يكفر من أنكرها، وهذا لا يُقبل إطلاقًا.

---

(١) في غرة محرم ١٤٠٠هـ ـ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٤٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٣٩٨): فيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. عن أم سلمة.

(٣) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٦٦٦٧)، في ترجمة محمد بن الحسن بن علي بن راشد الأنصاري، وقال: موضوع. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

السؤال السادس: لماذا لا تقوم فئة من علماء المسلمين المعتدلين بوضع كتيبات موجزة، تتناول جوانب ونواحي الشريعة الإسلامية، والسُّنَّة النبويَّة، والفقه الإسلامي في مختلف شؤون الحياة، ليسهل تناولها ومطالعتها من قِبَل الصغير، والكبير، والمتعلم، ونصف المتعلم؛ لتردَّ على روايات الجيب الَّتي يسهل مطالعتها من قبل الشباب؟

الجواب: والله يا أخي هذا اقتراح جيد، وهذا موجود والحمد لله، هناك منشورات، وهناك بعض الرسائل لشيخنا الدكتور البهي، للتعريف ببعض قضايا الإسلام، نشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة، وهي رسائل قصيرة وموجهة، وأنا أخرجت أيضًا بعض الرسائل، كتيب عن وجود الله، وعن توحيد الله، وغيرهما، ونرجو أنْ يصدر مثل هذا ـ إنْ شاء الله ـ في المستقبل القريب، فهذه الكتيِّبات موجودة، ولكن نريد المزيد أيضًا، ولا بدَّ أن يشمل الكتاب جميع المستويات، لا بدَّ أن نوجد الرسالة القصيرة، إلى جانب الكتاب المتوسط، والكتاب الكبير، والموسوعة؛ لأنَّ لهذا أهله، ولهذا أهله، وإذا صدق العزم وضح السبيل.

المشكلة أنَّ بعض الشباب لا يقبلون آراء غيرهم، ويتعصَّبون لرأيهم إلى حدٍّ كبير، وأنا أذكر لكم شيئًا: كنت في الصيف في جامعة القاهرة في معسكر للشباب، واجتمعت عدَّة ساعات في أحد الليالي بالروَّاد المشرفين على هؤلاء الشباب في المعسكر، وكانوا يقرؤون كتابًا لي من سلسلة «حتمية الحل الإسلامي»، ليناقشوني فيه، وناقشني شاب منهم، ويبدو من فكره أنَّه مؤمن بقضية المهدي المنتظر، وقال لي: ما هو الدليل على كلامك هذا؟ هل جاءت أحاديث تؤيد كلامك هذا؟ وهل هناك دليل من السنَّة؟

QaradawiBooks.com

فقلت له: اسمع، أنا أقول: لكي تنجح أي حركة إسلامية لا بدَّ لها من قاعدة شعبيَّة جماهيريَّة تساند فكرتَها، لا بدَّ من جيل مسلم يقتنع بهذا الفكرة، ويعيش بها، ويعيش لها، ويستعد للتضحية في سبيلها، لا بدَّ من وجود هذين الأمرين، وأنا أقول هذا بناءً على معرفتي بالتاريخ وتجاربه، فليس من الضروري أنْ يكون الدليل على هذا نصٌّ من القرآن والسُّنَّة؛ لأنَّ ميدان السياسة الشرعيَّة ليس من الضروري أنْ يكون عليه دليلٌ نصِّيٌّ، كما قال ابن عقيل، وابن تيميَّة، وابن القيم: إنَّ السياسة الشرعيَّة هي كل ما لم يخالف الشرع، وليس ما نطق به الشرع[1]. أي بحَسْبِ السياسة أنّ تحقق للناس مصلحة، أو تدرأ عنهم مفسدة، بشرط ألا تخالف الشرع.

ومن هنا ردوا على الذين قالوا: السياسة الشرعيَّة هي ما نطق به الشرع. بأنَّ هذا تعقيد وإعنات، وتغليط للصحابة والخلفاء الراشدين؛ لأنَّهم فعلوا أشياء لم يفعلها النبي ﷺ، وهم إنَّما فعلوها لمجرد جلب المصلحة، ودرء المفسدة، وسدِّ الذرائع، وكل ذلك من السياسة الشرعيَّة، كما لو قال لي طالب: أريد أنْ أنجح آخر العام، فما هي الوسائل الَّتي تعينني على ذلك؟ فأقول له: تنجح بأنْ تُلخِّص ما تقرأ، وأنْ تركز الانتباه، وأنْ تصغي إلى الأستاذ، وألا ترهق نفسك بالمذاكرة، إلخ. فلا تقل لي: ما هو دليلك على هذا من القرآن أو من السُّنَّة؛ لأنني أقول هذا بناءً على تجارب.

ومع هذا لو أردت دليلًا من السُّنَّة أقول: هذا ما فعله النبي ﷺ، فالنبي ﷺ حين كان في مكة، وليس معه سوى بضعة أشخاص، لم يطلب

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/٢٨٣)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

منهم هدم الأوثان وتكسير الأصنام، لم يقم ﷺ بهذه العملية الانتحاريَّة؛ لأنَّه لم يئن الأوان بعد؛ فالمجتمعُ كلُّه كان ضدَّه، وإنّما بدأ يفعل ذلك حين أقام قاعدة صلبة في المدينة، حين أصبح معه رأي عام، وجيل قوي، وأرض يقف عليها، وحتى الذين لا يؤمنون به وينافقونه لم يستطيعوا أنْ يقفوا ضدَّه، هذا في سيرة النبي محمد ﷺ، فالمهم أن يقتنع الشباب برأي العلماء، فالغرور وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه فتنة عظيمة، كما قلت لكم.

السؤال السابع: هل تعتبر الجماعة الَّذين قاموا في مكة واحتلوا المسجد الحرام كفَّارًا حقًّا كما سمعنا، أم هم شباب صالحون؟

الجواب: ما رأيت أحدًا قال: إنهم كفَّار. وإنَّما يقولون: الفئة الباغية، أو الفئة الخارجة. ونحن لا نريد أن نقع في قضيَّة التكفير، فهم شباب صالحون، ولكن يعيبهم الإفراط، والغلو، والتَّشدد، وكذلك جماعة التكفير في مصر ليسوا كفَّارًا، هم من أصلح الشباب، هم شباب صالحون في أنفسهم، ولكنَّ المشكلة في الفكر قبل كلِّ شيء، فليسوا كفَّارًا، وليسوا متحلِّلين، إنّهم أناس طيِّبون، ولذلك نحن نريد أن نُوَعِّيَ هؤلاء، نريد أن ننشر بينهم الفكر السليم المعتدل، حتى لا نقع كلَّ مدة في مثل هذا العنف، الَّذي ينبع من سوء الفهم، وقلة الفقه، والغلو والإفراط.

المبالغة في الكرامات:

السؤال الثامن: ذكرتم في بداية المحاضرة عن إيمان بعض الناس بالخرافات والأوهام، وأنَّه لم يوجد شيءٌ منها في عصر الصحابة، فما الحكم في القول بالكرامات الَّتي يراها بعض الصالحين، مثل ما حدث لعمر بن الخطاب حين قال: يا سارية الجبل؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجواب: أنا لم أنكر الكرامات، ولم أقل لم يحدث في عهد الصحابة شيء منها، إنَّما قلت لم يحدث في عصر الصحابة مثل هذا، اذكر لي كم حدث في حياة الصحابة مثل حادثة عمر هذه؟ وكم حادثة حصلت لعمر بن الخطاب نفسه، وكم حادثة حصلت لأبي بكر، وعثمان، وعليّ، والعشرة المبشَّرين بالجنَّة؟ إنَّها حوادث محدودة جدًّا، فأنا لا أنكر الكرامات وخوارق العادات، وأرى أنَّ الله ﷻ قادر على كلِّ شيء.

وإنَّما الَّذي أنكره هو الإفراط في هذا الموضوع، أنكر الإفراطَ والغلوَّ الَّذي يصبح به الكون كأنَّه بلا سنن وقوانين، فالكون قائم على سنن، ربطه الله تبارك وتعالى بشبكة من الأسباب والمسبَّبات، فلا نريد أن نذيب الفوارق بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وتصبح الأشياء سائبة ومتفلتة، ثم يعيش الناس في أوهام، فنحن نريد أن نعيش على الأسباب، لا على الأوهام، كما كانوا يقولون: هذه القاهرة لا يستطيع عدوٌّ أن يدخلها، لا من الإنجليز ولا من غيرهم، لماذا؟ لأنَّ فيها الحسين، والسيدة، وآل البيت. وقد دخلوا! فالغلو في هذه القضايا مرفوض، كما قالوا: إنَّ امرأة خطف التمساح ابنها، فذهبت إلى إبراهيم الدسوقي وطلبت منه أن يردَّ عليها ولدها، فجاء إبراهيم الدسوقي ونادى على التمساح، وطلب منه أنْ يردَّ عليها ابنها، فخرج التمساح من النهر ورمى الولد من فيه!

فهذه الأمور الَّتي فيها غلوٌّ من حقنا أن ننكرها؛ لأنَّها ستفسد عقيدة المسلمين، والكرامة إذا لم تثبت بدليل قطعي فمن حقِّ أيِّ أحد أنْ يَرُدَّها، فنحن لا نرفض المبدأ وإنّما نرفض الحوادث الَّتي يفتعلها بعض الناس، وأحيانًا تكون مكذوبة، لتضخيم شخص من الأشخاص، وجعله شيخًا يذهب الناس إليه يستعينون ويستغيثون به، وينذرون له، وفي الغالب كثير من هذه الأمور تكون مبنية على أباطيل.

QaradawiBooks.com

حرية الأديان:

السؤال التاسع: جاء النبي ﷺ خاتمًا للنبيين والمرسلين، فأرجو أن توضح لنا معنى حرية الأديان؟

الجواب: حرية الأديان تعني ألا يُكره أحد على ترك دينه والدخول في الإسلام، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ولم يُعرف في تاريخ الإسلام أنَّه أكره فردًا أو مجتمعًا على الدخول فيه، بل كفل الإسلام للناس جميعًا حرية الاعتقاد، وحرية التعبد، وقد أُتيحت ـ لمن عاش من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ـ حرية الاعتقاد، وحرية التعبد، وحرية العمل والكسب، عاش المسلمون معهم على أساس هذه القاعدة الإنسانيَّة: لهم ما لنا وعليهم ما علينا. وعلى أساس القاعدة الربَّانيَّة في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]. فالقاعدة هي البر والقسط لكلِّ من لم يناصب المسلمين العداء، فالحريَّة ـ والحمد لله ـ مكفولة لغير المسلمين، بل بالغ بعض المسلمين في بعض الأحيان في الحريَّة والتَّسامح إلى حدِّ أن تَجرَّأ عليهم غيرهم، حتى إنَّ ابن عابدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشيته يتمثل بهذين البيتين لما رأى من استئثار غير المسلمين في زمنه على المسلمين، حتى إنَّهم كانوا يتحكمون في الفقهاء والعلماء وغيرهم، فقال:

أحبابنا، نوبُ الزمان كثيرة ... وأمرُّ منها رفعة السفهاء
فمتى يُفيق الدهر من سكراته ... وأرى اليهود بذلة الفقهاء[1]

(١) حاشية ابن عابدين (٤/٢٠٨).

QaradawiBooks.com

وحتى إنَّ أحد الشعراء المصريين ـ هو الحسن بن خاقان ـ وصف يهود عصره وسيطرتهم على حكامه، فقال:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم وقد ملكوا
العِزُّ فيهم والمالُ عندهمُو ... ومنهم المستشارُ والملكُ
يا أهل مصر إنِّي نصحت لكم ... تهوَّدوا قد تهوَّد الفلك[1]

* * *

(١) الحضارة الإسلامية (١١٨/١).

QaradawiBooks.com

١٤

محنة الأمة الإسلامية بين ضعف الداخل وهجوم الخارج[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلوات الله وتسليماته على من أرسله رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين: سيدنا وإمامنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

خير ما أحييكم به أيها الإخوة والأخوات تحية الإسلام، وتحية الإسلام: السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأحمد الله تبارك وتعالى أن هيَّأ لي الفرصة مرة أخرى لألتقي بكم في رحاب هذا النادي، الذي سرني منه، وأسعدني من توجهه: أنَّه لا يقتصر على الأنشطة الترفيهية والرياضية كما هو شأن كثير من الأندية، بل أدخل الجانب الفكري والجانب الديني في صُلب أنشطته، فكان

(١) ألقيت في أحد النوادي الرياضية بدولة قطر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

جديرًا أن ينوَّه به وأن يُشجَّع، وهذا ما جعلني أستجيب لدعوته؛ رغم أنِّي في العادة أعتذر عن تلبية الدعوات في شهر رمضان المبارك خارج قطر؛ لارتباطي ببرامج رمضانية أساسية، فأسأل الله أن يسدد خُطوات القائمين على هذا النادي، وأن يكون أسوة لغيره من الأندية، وأن يزيدهم الله ثباتًا في الخير، وعزيمة على الرشد.

رمضان موسم المتقين ومتجر الصالحين:

أيها الإخوة والأخوات: نحن في شهر رمضان المبارك متَّجر الصالحين، وموسم المتقين! ونحن في العشر الأواخر منه، وقد كان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله! أحيا ليله بطاعة الله ﷻ، أحيا الليل كله؛ فإن من الليالي ما هو حي ومنها ما هو ميت! من الأمكنة ما يحيا ومنها ما يموت، ومن الأزمنة ما يحيا ومنها ما يموت! والأزمنة الحية هي التي تحيا بذكر الله تعالى وطاعته، وبالعمل الصالح؛ ولذلك كان النبي ﷺ يحيي الليل كله في العشر الأواخر؛ لأنَّها ختام الشهر، والأعمال بالخواتيم، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك**»[1].

تدارس العلم نوع من قيام الليل:

ثم إنَّ هذه العشر مظنة ليلة القدر، أرجح من غيرها، فهي تُلتمس في هذه الليالي خاصة، وفي الليالي الوترية منها، ونحن في ليلة وترية؛

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٩٤١١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩٧٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو مالك النخعي، وهو ضعيف. عن أنس.

QaradawiBooks.com

لعلها تكون ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، ومن قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه! لهذا أرجو أيها الإخوة أن تعتبروا لقاءنا في هذه الليلة المباركة هو لون من قيام الليل، اعتبروا لقاءنا هذا لونًا من قيام الليل، فليس قيام الليل بالصلاة فقط، ولا بالذكر والتسبيح فقط، فالعلم النافع ربما كان من أفضل العبادات، وقد جاء عن ابن عباس[١] وأبي هريرة[٢] وعدد من السلف أنَّهم قالوا: تذاكر ساعة أحب إلينا من قيام ليلة. تذاكر العلم في ساعة أحب إلينا من قيام ليلة.

لهذا فضلوا العلم على نوافل العبادة؛ لأنَّ العلم هو الذي ينير الطريق، وهو الذي يوضح للمسلم المقبول من المردود من الأعمال، والمسنون من المبتدع في العبادات، والحلال من الحرام في المعاملات، والصواب من الخطأ في الأفكار، والفاضل من المفضول في شتى الأمور، هذا أمر مهم لا يمكن أن يعرف إلا بالعلم، لهذا كانت دروس العلم، وكان تذاكر العلم وتدارسه نوعًا من أرقى أنواع العبادة.

وقد كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ في شهر رمضان من كل عام فيدارسه القرآن[٣]، انظروا إلى العبارة «يدارسه القرآن»، لم يكن لقاؤهما لمجرد التلاوة، بل كان للمدارسة والمذاكرة والتفقه في هذا الكتاب العظيم، فنحن نقتدي بالأمينين: أمين السماء وأمين الأرض عليهما الصلاة والسلام؛ لنتدارس القرآن، ونتفقه في الإسلام، ونتذاكر

(١) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن (٤٥٨)، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٠٧)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٠٩).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

العلم، ونعتبر هـذا لونًا من الإحياء لهذه الليلـة، ونوعًا من القيام الذي نسأل الله أن يجعله إيمانًا واحتسابًا، وأن يرزقنا فيه الإخلاص؛ عسى أن يغفر لنا ما تقدم من ذنبنا، ولعلنا نصادف فيه ليلة القدر، فتكون لنا خيرًا من ألف شهر إن شاء الله.

بعض الأجيال تعيش المحن:

أيها الإخوة: الموضوع الذي اختاره لي الإخـوة لأحدثكم عنه هو: «محنة الأُمَّة الإسلامية بين ضعف الداخل والهجمة الخارجية».

وقد قدر على جيلنا هـذا أن يعيش المحن، بعـض الأجيال تعيش الانتصارات، وبعـض الأجيال تعيش المحن، ولكـن لا بأس؛ فالمحن مجلبة المنح! وقد سئل الإمام الشـافعي رضي الله عنه: أيهما أفضل للمؤمن أن يمكن أم أن يبتلى؟ فقال: وهل يمكن المؤمـن إلا بعد الابتلاء؟ إنَّ الله ابتلى يوسف عليه السلام ثم مكن له في الأرض. ابتلاه بمحن شتى ثم مكن له، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

ولهذا فإنَّ المحنة ربما كانت سـببًا للمنحة، إذا أحسنا الانتفاع بها، والاستفادة منها! وقد جرت سُنَّة الله تبارك وتعالى أنَّ الحياة منح ومحن، سراء وضراء، هذا هو شـأن الحياة وشأن الإنسان في الحياة، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

جُبلت على كَـدَرٍ وأنت تريدها ... صفـوًا مـن الآلام والأكـدارِ
ومُكلِّـف الأيـام ضـدَّ طباعها ... متطلِّب فـي الماء جـذوةَ نارِ[1]

(١) من قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي، يرثي فيها ولده، انظر: الكشكول للعاملي (٢/٢٠٥ ـ ٢٠٧)، نشر دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

المؤمن أشدُّ ابتلاء:

هذا شأن الدنيا وشأن الإنسان فيها، شأن الإنسان أي إنسان، ولكن الإنسان المؤمن أشد ابتلاءً من غيره؛ لأنَّه يعيش حاملًا لرسالة، وهذه الرسالة تعارض مصالح كثيرين، وشهوات كثيرين، وتقاليد كثيرين، ومعتقدات كثيرين، ولهذا لا بدَّ أن يقاوَم ولا بد أن يبتلى، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٤٣]. الذي خلق آدم خلق معه إبليس، والذي خلق موسى خلق معه فرعون، والذي خلق إبراهيم خلق معه النمرود، والذي خلق محمَّدا خلق معه أبا جهل، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

هذه سنة الله في الحياة، ولهذا لا نستغرب المحن في حياة المؤمنين: المحن لا بدَّ أن تقع، وقعت في حياة الأولين ووقعت في حياة الآخِرين، ولكن من المهم إذا نزلت المحنة بالناس أن يحاولوا معرفة أسبابها، ما سبب المحنة؟

قد لا يكون لها سبب إلا الابتلاء فقط، كمحنة المؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة البروج، ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٤ ـ ٩].

ما كانت جريمتهم إلا إيمانهم بالله ﷻ، وكما قال الله تعالى عن الرسول وأصحابه: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]. كانت جريمتهم أن يقولوا ربنا الله، فأحيانًا لا يكون هنا

QaradawiBooks.com

سبب للمحنة إلا الابتلاء، إلا أنَّ الله يريد أن يصهر أهل الإيمان في بوتقة البلاء، وأن يدخر لهم من الأجر ما هو أعلم به، يريد أن يكفر سيئاتهم، ويزيد في رصيد حسناتهم، ويرفع من درجاتهم، هذا قد يكون.

وقد يكون للمحنة سبب من داخل المسلم نفسه، أو من داخل الجماعة المسلمة نفسها، وهذا هو الأكثر، أكثر ما يكون في شأن المحن إذا نزلت بالأمم والجماعات والأقوام!

ومن هنا أشار القرآن الكريم إلى أنَّ الفساد حين ينزل بالناس يكون تنبيهًا لهم، عقوبة من القدر؛ لينبِّههم الله تعالى على سوء أعمالهم، عسى أن يراجعوا أنفسهم، ويثوبوا إلى رشدهم!

يقول القرآن الكريم في سورة الروم: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

الفساد هنا اختلال الأوضاع، ليس الفساد الديني والخلقي؛ فهذا سبب وليس نتيجة: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾، لماذا؟ ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. من رحمة الله وفضله أنَّه ﷻ لا يعاقب الناس بكل ما عملوا، ولو فعل ذلك ما ترك على ظهرها من دابة، ولكن يعاقب بالبعض ويعفو عن كثير، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أي هذا ليس تشفيًا ولا انتقامًا منهم، وإنَّما هو نوع من التنبيه، درس إلٰهي يريد أن يعلمهم به حتى يفيقوا من غفلتهم، ويستيقظوا من سباتهم، ويقارنوا بين أمسهم ويومهم، ويتعلموا مما نزل بهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الأُمَّة الإسلامية مصطلح قرآني:

من هنا كان علينا أن ننظر في هذه المحن التي حاقت بالمسلمين، بالأمة الإسلامية، الإخوة كانوا اقترحوا أن نقول: «محنة العالم الإسلامي بين ضعف الداخل والهجمة الخارجية»، فأنا اقترحت أن يجعلوها: «محنة الأمة الإسلامية بين ضعف الداخل والهجمة الخارجية»، لماذا اخترتُ هذا العنوان؟ لأن هذا هو العنوان القرآني، الله تعالى سمّى المسلمين أمة، فينبغي أن نحرص على هذا المصطلح القرآني، على هذا المفهوم القرآني والنبوي، أنَّ المسلمين حيثما كانوا يكونوا أمة، هنا أناس اليوم يريدون أن ننسى أنَّ المسلمين أمة، بل هناك من يريد ألا يذكر العرب باعتبارهم أمة أو شعبًا، هناك حتى في بلاد الخليج من بعض المسؤولين منهم وبعض الوزراء المعروفين يقولون: ليس هناك أمة إسلامية ولا عربية، هناك شيء واحد الآن اسمه الشرق الأوسط، الشرق الأوسط فقط هو الموجود في سجلات وزارات الداخلية، ووزارات الدفاع، وملفات القوى العالمية، وينبغي أن نكون عقلاء وواقعيين، ولا نجري ولا نركض وراء الأحلام الكاذبة، هناك الشرق الأوسط، يجب أن نتعامل مع هذه الحقيقة.

يعني نتعامل مع إسرائيل، مع أطماع إسرائيل، مع أحلام إسرائيل التوسعية، مع ما تريده إسرائيل من اختراق: اختراق ديني، واختراق ثقافي، واختراق اقتصادي، واختراق اجتماعي، واختراق سياسي لهذه الأُمَّة!

ولما قيل له: ألا توجد وَحدة عربية؟ ولا يوجد بلاد عربية ووطن عربي؟ قال: دعوكم من هذه الأحلام. قيل له: اللغة العربية؟ قال: وهل أضاعنا إلا اللغة العربية وما فيها من بلاغة وبيان ومعانٍ وألفاظ مطاطة، إلى آخره؟

QaradawiBooks.com

حتى لغة القرآن، لغة هذه الأُمَّة، لغة الثقافة الإسلامية، لغة العبادة، لسان التفاهم المشترك بين هذه الأُمَّة نريد أن نغطي عليها، إسرائيل تحيي العبرية الميتة، ونحن نريد أن نميت العربية الحية، إسرائيل تريد أن تقيم إسرائيل الكبرى، ونحن نريد أن نزول من الخريطة، هكذا.

لا تعارض بين العروبة والإسلام:

ولذلك جدير بنا أن نقاوم هذه الموجة، ونتحدث عن الأمة الإسلامية، والعرب جزء من هذه الأُمَّة، وأنا ليس عندي تعارض بين العروبة والإسلام؛ فالعربية لسان الإسلام، والعروبة وعاؤه، وأرض العرب هي أرض المقدسات الإسلامية، فيها الكعبة البيت الحرام، وفيها المسجد النبوي، وفيها المسجد الأقصى، والعرب هم حملة رسالة الإسلام الأولون، وهم الذين نقلوا القرآن والسنن إلى أجيال الأمة من بعدهم، وهم الذين فتحوا العالم ونشروا الإسلام في مشارقه ومغاربه، ولذلك لا نجد تناقضًا بين العروبة والإسلام.

أمة بمنطق الدين:

من هنا نقول: الأمة الإسلامية ومنها الأمة العربية أو الشعب العربي! أنا أفضل أن أقول الأمة الإسلامية، وهي أمة ذات شعوب، هناك من يقول الأمم الإسلامية، لا، ينبغي أن نحرص على اللفظة القرآنية، القرآن سماها أمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

QaradawiBooks.com

فنحن ينبغي أن نحرص على هذه الأُمَّة، ونقول الأمة الإسلامية، لا الأمم الإسلامية كما أراد الاستعمار، وأرادت القوى المعادية للإسلام أن تفتتنا، وتجعلنا أممًا يجافي بعضها بعضًا، بل يعادي بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا! أنا حريص على هذا المفهوم، هذا المصطلح القرآني النبوي: الأمة الإسلامية، والأحاديث النبويَّة كثيرة، في أن هذه الأُمَّة لا تجتمع على ضلالة: «**مثل أمتي كمثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره**»[١]، و«**لا تزال طائفة من أمتي...**»[٢]، إلى آخر ما جاء في عشرات الأحاديث أنَّها أُمَّة، فهي أُمَّة بمنطق الدين، بهذه النصوص القرآنية والحديثية.

أُمَّة بمنطق التاريخ والجغرافيا:

لقد ظلت أُمَّة واحدة أيام الخلفاء الراشدين، وأيام الأمويين، وأيام العباسيين، وأيام العثمانيين، ظلت أُمَّة واحدة، تصرخ امرأة في أقصى الأرض: وا معتصماه! فيُصْرِخها الخليفة، وينجدها، ويقول: لبيكِ يا أختاه! ويُجيِّش الجيوش لنجدتها[٣]!

ويستصرخ آخر أُسر في الروم عمرَ بنَ عبد العزيز، فيبعث إلى إمبراطور الروم ويقول له: إذا جاء كتابي هذا فأطلق سراح هذا المسلم، وإلا جئتك بجنود أولها عندك وآخرها عندي[٤].

---

(١) رواه أحمد (١٢٣٢٧)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي بطرقة وشواهده. والترمذي في الأمثال (٢٨٦٩)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٢٨٦)، عن أنس.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٤. وصحَّ من حديث معاوية، وعمر، والمغيرة، وثوبان، وأبي هريرة، وقرة بن إياس، وجابر بن عبد الله، وعمران بن حصين، وعقبة بن عامر، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة، انظر: الأحاديث (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦)، ومن (٧٧٠١) إلى (٧٧٠٤) من صحيح الجامع الصغير وزيادته.

(٣) فتح المسلمون «عموريَّة» في رمضان سنة ٢٣٠هـ، بعد حصار دام ستة أشهر. انظر: تاريخ الطبري (٩/٥٧ ـ ٧١)، والكامل لابن الأثير (٦/٤٨٠).

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم صـ١٦٨.

QaradawiBooks.com

أمة في التاريخ، كانت أمة واحدة قرونًا متطاولة، وكانت هي الأمة الأولى لمدة ألف عام، يقولون عنا الآن: العالم الثالث. ولو كان هناك عالم رابع لنسبنا إليه، كنا نحن العالم الأول والأمة الأولى. فنحن تاريخيًّا أمة، بمنطق التاريخ نحن أمة.

وبمنطق الجغرافيا نحن أمة، الأمة الإسلامية متلاحمة جغرافيًّا، انظر إلى اللون الأخضر في أي خريطة تبين المسلمين تجد أنَّه لون متصل؛ لأنَّ الإسلام كان ينتشر انتشارًا طبيعيًّا من بلد إلى بلد ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] ـ وهكذا، فجغرافيًّا نحن أمة بمنطق الجغرافيا.

أمة بمنطق المصلحة:

مصلحتنا أن نكون أمة، ولو لم يكن لنا أمة لوجب أن نجعل لنا أمة كبيرة ننتمي إليها، خصوصًا في عصر التكتلات، هذا عصر الكتل الكبيرة؛ الصغار لا مكان لهم، الآن أوروبا تتجمع وتتلاحم، في شكل سوق اقتصادية، تريد أن تتحول إلى تكتل سياسي، كذلك في حلف عسكري، كتل كبيرة؛ لأنَّ الصغار لا مكان لهم، وتكتلات في آسيا، وتكتل أمريكا مع المكسيك، تكتلات اقتصادية، وأحيانًا تتحول إلى سياسية، وأحيانًا إلى عسكرية، نحن في عصر يتكلم بلغة التكتل، التكتل الكبير.

منطق المصلحة يجعلنا نقول: لا بدَّ أن نكون أمة، حتى اقتصاديًّا لا نستطيع أن ننتج إنتاجًا ينافس العالم إلا في ظل الإنتاج العريض الكبير، حتى يكون الإنتاج بأقل التكاليف، ويكون له سوق كبيرة للتوزيع، هذا ما ينبغي أن نفهمه.

QaradawiBooks.com

أمة بمنطق الواقع:

إذا نظرنا بمنطق الواقع فإنَّ واقع المسلمين يقول إنهم أمة، إذا صرفنا النظر عن الأنظمة الحاكمة ونظرنا إلى الشعوب، إلى وجدانات الشعوب، إلى أعماق أحاسيس هذه الشعوب، وجدنا أنَّ المسلمين يحسون أنَّهم أمة واحدة، الخطيب حينما يدعو في المسجد ويقول: اللهم انصر إخوتنا في البوسنة والهرسك، وانصر إخوتنا في الصومال، وانصر إخوتنا في كشمير، وانصر إخوتنا حول المسجد الأقصى، وانصر إخوتنا في بورما، وانصر إخوتنا في الفلبين، والناس تقول: آمين. والله وأنا أصلي التراويح في قطر، وحينما أدعو للمسلمين أسمع «آمين» تكاد تهز أبواب السماء، ما معنى هذا؟ هذا معناه إحساس الإنسان المسلم أن هناك أمة في وجدانه وأحاسيسه.

حدثني بعض الإخوة، وأنا في فرنسا في العام الماضي، وأنا أحضر هناك مؤتمر اتحاد المنظمات الإسلامية، وزرت هيئة الإغاثة الإسلامية فقالوا لي: جاءنا إخوة من أقاصي فرنسا من الجنوب، ومعهم تبرعات عينية ونقدية لإخوانهم في البوسنة والهرسك، وجاؤوا متحمسين، ثم همسوا في آذاننا على استحياء قالوا: نريد أن تعلمونا الوضوء والصلاة؟ قلنا لهم: ما تعرفون الوضوء ولا الصلاة؟ قالوا: ما دخلنا مسجدًا قط؟ قلنا: فما الذي حرَّككم وجاء بكم لمساعدة إخوانكم؟ قالوا: رأينا مشاهد المأساة في التلفاز، رأينا ما يُصنع بإخواننا وأخواتنا، فأخذتنا الغيرة الإسلامية، حماس الإنسان المسلم لإخوانه وأخواته، ففعلنا هذا، ودعانا هذا إلى أن نبحث عن إسلامنا، نعود إلى جذورنا، نريد أن نتدين، ما كنا متدينين.

معنى هذا أيها الإخوة أنَّ الإحساس بوجود الأمة بوحدتها الشعورية موجود حتى عند المسلم العاصي، ولذلك نقول الأمة: من ناحية الواقع موجودة!

QaradawiBooks.com

للأسف المصالح والأهواء المختلفة، والولاءات للشرق والغرب، والتمزقات بين اليمين وبين اليسار، وبين التقدمية والرجعية، والمكائد الخارجية التي تريد أن تفرق المسلمين قددًا، هذه كلها جعلت المسلمين يتفرقون شيعًا وأحزابًا وكتلًا مختلفة، هذا للأسف ما حدث، إنَّما إذا نظرنا إلى الواقع بالنسبة للجماهير، إذا نظرنا إلى الشعوب نجد أنَّ الأمة في وجدان كل مسلم، فمنطق الواقع أيضًا الأمة موجودة.

أمة بمنطق خصومنا:

ولو نظرنا بمنطق الآخرين وبمعيار الآخرين بمعيار خصومنا أنفسهم القوى المعادية للإسلام اليهودية والصليبية والشيوعية والوثنية، كل هذه القوى تنظر إلى المسلمين باعتبارهم أمة، لا تنظر إليهم باعتبارهم دولًا، عربًا وعجمًا وأتراكًا وهنودًا وباكستانيين وبنغاليين وإفريقيين، لا تنظر إليهم هذه النظرة، الآن يقولون: احذروا الخطر الأخضر. يحذرون من الخطر الأخضر بعد أن زال الخطر الأحمر، وهو خطر الشيوعية الذي كان يتمثل في الاتحاد السوفييتي، وبعد أن تقاربوا مع الخطر الأصفر وهو خطر الصين، قالوا: لم يعد هناك خطر حقيقي إلا الخطر الأخضر، يعنون الخطر الإسلامي، والمسلمون في هذه المرحلة من الاستضعاف والاستذلال يخافونهم، فكيف إذا قووا؟

والحقيقة أنَّ الإسلام ليس خطرًا إلا على الإلحاد والاستعباد والاستبداد والفساد، إنَّما هو رحمة الله للعالمين، فلماذا يخافونه؟ ويخافون الإسلام المعتدل أكثر مما يخافون الإسلام المتطرف!

النغمة السائدة الآن في الفكر الغربي والإعلام الغربي والتخطيط الغربي احذروا الإسلام المعتدل، لا يهمكم الإسلام المتطرف، الإسلام

QaradawiBooks.com

المتطرف هذا قصير العمر، لا يستمر طويلًا، الذي يستمر ويثبت ويمتد ويؤثر هو الإسلام المعتدل؛ فاحذروا هذا، فهو الذي يكسب كل يوم أرضًا، تمتد طولًا بيننا وعرضًا، هذا ما يقوله هؤلاء.

ولذلك ينظرون إلى المسلمين باعتبارهم أمة، ما يقولون احذروا المصريين، أو احذروا أهل الخليج، أو احذروا الباكستانيين، أو احذروا كذا، أو كذا، لا، احذروا المسلمين، احذروا الإسلام، وهذا قالوه من قديم!

في أوائل الأربعينيات واحد اسمه «جورج براون» ألَّف كتابًا قال فيه: كنا نخوف بالخطر البلشفي ـ يعني الشيوعي ـ ثم تبين لنا أنَّ البلاشفة حلفاء لنا، وكنا نخوف بالخطر اليهودي، ثم تبين لنا أنَّ اليهود جزء منا وأصدقاء لنا، وكنا نخوف بالخطر الأصفر، والخطر الأصفر بعيد عنا، ولكن الخطر الحقيقي هو خطر الإسلام الذي هو الجدار الوحيد والثابت في وجه الاستعمار الأوروبي[1].

هذا قالوه في أوائل الأربعينيات، وهم يكررونه اليوم بصورة أخرى!

أعداؤنا إذن ينظرون إلينا باعتبارنا أمة، ومن هنا ينبغي أن يحيا هذا المعنى وهذا المفهوم في أذهاننا وضمائرنا، أن هناك أمة إسلامية، وينبغي أن يظل هذا حيًّا، بمنطق الدين، وبمنطق التاريخ، وبمنطق الجغرافيا، وبمنطق الواقع، وبمنطق المصلحة، وبمنطق الآخرين أنفسهم هناك أمة إسلامية.

(١) التبشير والاستعمار للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي صـ١٨٤، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٧٣م.

QaradawiBooks.com

أمتنا تعاني محنًا شتَّى:

هذه الأُمَّة الإسلامية تعاني محنة أي محنة في عصرنا، تعاني محنة بل محنًا على أصعدة ومستويات شتى، على المستوى السياسي، والمستوى العسكري، والمستوى الثقافي، والمستوى الاقتصادي، والمستوى الأخلاقي، هناك محن تهدد هذه الأُمَّة، ولا أريد أن أطيل في هذا، أنتم تعايشون هذه المحن، وخصوصًا المحن الساخنة التي نحياها اليوم، نجتر آلامها، ونصابحها ونماسيها، ونراوحها ونغاديها، محن طال عليها الأمد، مثل محنة الأرض المقدسة، محنة فلسطين أرض النبوات، محنة الأرض التي بارك الله للعالمين، وذكرها القرآن بالبركة في ستة مواضع، محنة إخوتنا في البوسنة والهرسك، محنة إخوتنا في الصومال وما يجري هناك من مصائب واقتتال، وتدخل القوات باسم استعادة الأمل، وما هو باستعادة أمل؛ ولكنها أغراض في أنفسهم، محنة إخوتنا في كشمير وماذا صنعت بهم الوثنية المتعصبة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]، ما يجري في كشمير القضية المنسية، مئات الآلاف من المشردين، أُسر بمئات الآلاف معتقلون، شهداء، مُعوَّقون، جرحى، اغتصاب للنساء، قتل ورمي للجثث في الأنهار، هذا ما يجري في كشمير!

عن أي محنة أيها الإخوة نتحدث؟ نتحدث أحيانًا عن هذه المحن، ونصرخ صراخًا يملأ أجواء الفضاء، ويبلغ عنان السماء ثم تأتي مصيبة أخرى وكارثة أكبر فتنسينا ما حدث، كما جاء في الصحيح[1]، عن الفتن

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٤)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التي يرقق بعضها بعضًا، تأتي الفتنة فتصيب الإنسان المسلم فيقول: هذه مهلكتي، ثم تزول، فتأتي فتنة أشد منها فترقق الأولى، يعني يرى أنَّ الأولى كانت فتنة أو محنة رقيقة وهينة بالنسبة لهذه، وهذا هو حالنا اليوم، نقول ما أعظم وما أشد ما حدث، كما صرخنا وبكينا وذرفنا الدموع والدماء حينما حدث ما حدث لإخوتنا في سراييفو، حينما قتل الصرب منهم من قتل المدنيين العُزْل الأبرياء، والعالم يرى ويسمع، العالم الجديد، النظام الجديد، عالم الحضارة والنور كما يسمونه، ولكنَّه لا يفعل شيئًا يُذكر، يقدم رجلًا ويؤخر أخرى، يشجب ويستنكر ويهدد، ولا يفعل شيئًا لنجدة إخواننا.

مجزرة الصهاينة في مسجد الخليل:

حدث هذا ثم جاءت مصيبة أخرى أنست مصيبة سراييفو، وهي مجزرة مسجد الخليل إبراهيم عليه السلام، هذا اليهودي ومن كان معه، ولم يكن وحده، وكان في حراسة الجنود اليهود الذين يطوقون هذا المسجد باستمرار، وجاء والمسلمون ركع سجد؛ فلم يراعِ هؤلاء اليهود حرمة المكان: مسجد إبراهيم، ولا حرمة الزمان: شهر رمضان وفجر الخامس عشر من رمضان، ولا حرمة الإنسان: الإنسان الصائم المصلي الراكع الساجد البريء المسالم، ولا حرمة الإيمان والأديان! انتهكوا كل الحرمات، هذا هو شأن اليهود، وهذا هو المتوقع منهم، والشيء من معدنه لا يستغرب، والحية الرقطاء لا يمكن أن يؤخذ منها الشُّهد، بل يؤخذ منها السُّم، هذا هو الواقع، هذا ما ذكره القرآن عنهم، أنَّهم قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]. يستحلون دماء غيرهم وأموالهم، وهذا ما قالته التوراة وما قاله التلمود، ليس

QaradawiBooks.com

الأمر مقصورًا على تعاليم التلمود الخفية، بل تعاليم التوراة المعلنة، أنَّه: (إذا دخلت أرضًا فاستبح أهلها، نساءها وأطفالها وشيوخها ورجالها، واضربهم بحد السيف، اذبحهم بحد السيف؛ هذا ما تقوله توراتهم المحرفة)[1].

سراب السلام العاجز:

ليس غريبًا ما يحدث، ومع هذا كله نجد من يلهث وراء ما يسمى بالسلام، يجري وراء السراب، أي سلام مع هؤلاء الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد؟ الذين تطاولوا على الله ورسله، قتلوا أنبياء الله، نشروا سيدنا زكريا بالمنشار كما تنشر الخُشُب، ذبحوا ابنه السيد الحصور يحيى كما تذبح الشياه، قتلوا أنبياءهم: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]. ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. هذا ما أنكره القرآن عليهم وسجَّله عليهم، قتلوا الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس، هؤلاء هم اليهود، تطاولوا على رسل الله وتطاولوا على الله، حتى قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

للأسف نجد من ينسى هذا التاريخ كله، ومن ينسى مجازرهم من دير ياسين إلى مجزرة الخليل، ويضع يده في هذه الأيدي الملوثة بدماء الأبرياء المسلمين، اليهود لا يتعامل معهم إلا باللغة التي لا يفهمون غيرها، لغة الجهاد، والجهاد وحده أيها الإخوة.

(١) التثنية (١٣/٢٠، ١٤).

QaradawiBooks.com

الصليبية تحاربنا في البوسنة والهرسك:

محن المسلمين محن كبيرة، اليهودية ووراءها الصليبية العالمية التي قالت من أول يوم: إنَّما خلقت إسرائيل لتبقى. قال هذا الغربيون، وقال هذا الشيوعيون! اليهودية تحاربنا في فلسطين، والصليبية تحاربنا في البوسنة والهرسك، كل الصليبيات، الصرب الأرثوذكس، ومعهم أرثوذكس الروس؛ لأنَّ الروس أرثوذكس أيضًا مثلهم وهم معهم في السر والعلن، واليونان وهم أرثوذكس مثلهم، وحتى للأسف: الأمين العام للأمم المتحدة أيضًا أرثوذكسي مثلهم، فهو معهم، والكروات الكاثوليك أيضًا، ومعهم فرنسا ومعهم غيرهم، وحتى البروتستانت أمثال «جون ميجر» وبريطانيا، ورسالة ميجر إلى وزير خارجيته بأننا نتظاهر أننا مع هؤلاء في العلن، ولكن في الخفاء يجب أن تستمر الحرب؛ حتى لا يبقى للإسلام علم في أوروبا.

خطر البوسنة أنَّها بلد أوروبي مسلم، ليس إسلامًا وافدًا، بل إسلامًا من أهل أوروبا أنفسهم، وأهل البوسنة ليسوا أتراكًا، بل هم عنصر سلافي، من الجنس السلافي وليسوا من الجنس التركي، من أهل البلاد وأسلموا من قديم، ولكن لا يجوز أن يبقى الإسلام في أوروبا، من أجل هذا تآمر الجميع على إخوتنا المسلمين، وكانوا يريدون أن تسقط سراييفو في أسبوع أو أسبوعين أو ثلاثة على الأكثر، ومراسيم الاحتفال بسقوط سراييفو معدة ومهيأة، ولكن الله نفخ في روح إخوتنا هؤلاء فصمدوا، وصبروا وصابروا! لقد كانوا بعيدين عن الإسلام، ما كانوا أصوليين ولا متطرفين، ولا يكادون يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، ولعلهم لا يعرفون حتى رسم القرآن، فقد كانت المصاحف محرمة عليهم، ولكن معهم «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله»، ومن أجل الشهادتين قوتلوا وحوربوا.

QaradawiBooks.com

عودة أهل البوسنة إلى التمسُّك بالإسلام:

بدأ هؤلاء يبحثون عن هُويتهم، عن هذا الإسلام الذي يقاتَلون من أجله، من أجله تسفك الدماء، من أجله تنتهك حرمات النساء، من أجله تدمر البيوت والمساجد والمدارس، وكل آثار الحضارة عندهم، ما هذا الإسلام؟ بدؤوا يبحثون عن الإسلام، فبدؤوا يتدينون ويعرفون الإسلام ويقبلون عليه!

وأذكر والله عندما كنا هناك في زغرب في أكتوبر (١٩٩٢م) وزرنا بعض المعسكرات هناك وجدنا الناس يقبلون على الدين، يحاولون معرفة ألف باء الإسلام من جديد، وذهب إليهم أحد الدعاة وقال لهم: سآتيكم يوم الخميس القادم، وربنا ﷻ يستجيب الدعاء للصائم، فمن استطاع منكم أن يصوم فليصم؛ لنفطر معًا وندعو الله معًا، ويوم الخميس ذهبت إليهم وأنا أرجو أن يكون هناك عشرة أو خمسة عشر صائمًا، فوجدتُ من النساء والشيوخ والصبيان أكثر من أربعمائة صائم.

هناك إقبال على الإسلام، ولذلك هذه هي الروح الإسلامية التي جعلتهم يصمدون؛ رغم أنَّهم لا يكادون يجدون السلاح، ولا يكادون يجدون القوت، ولكن أعطاهم الإسلام روحًا فصمدوا نحو سنتين.

الكفر كله ملة واحدة:

يا أيها الإخوة: محننا محن كبيرة، اليهودية تحاربنا، والصليبية تحاربنا، والوثنية تحاربنا في كشمير، واللادينية تحاربنا، والماسونية تحاربنا، وكل القوى المعادية للإسلام تحاربنا، تختلف فيما بينها، وتتفق علينا!

QaradawiBooks.com

فقهاؤنا يقولون: الكفر كله ملة واحدة، وهذا ما قاله القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾؛ يوالي بعضهم بعضًا، ويساند بعضهم بعضًا: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾، يعني: إلا يوالِ بعضكم بعضًا، ويساند بعضكم بعضًا كما يفعل الآخرون ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٧٣]؛ لأنَّ النتيجة ستؤول إلى أن يكون هناك تجمع في جانب الكفر، وتفرق في جانب الإيمان، في جانب الباطل عمل وإيجابية، وفي جانب الحق سلبية وفراغ، وهذا لا يجوز: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾.

مسؤولية المسلمين أمام هذه المحن:

يأيها الإخوة: إزاء هذه المحن القاسية المتوالية المتتابعة التي تصلي نارها العالم الإسلامي والأمة الإسلامية من مشرق ومغرب وشمال وجنوب: ما موقفنا نحن؟ الإخوة جعلوا العنوان «محنة الأُمَّة الإسلامية بين ضعف الداخل والهجمة الخارجية»، هل سبب هذه المحن وعلته الأساسية كيد الخارج أم ضعف الداخل؟

كثيرًا ما نحاول أن نهون على أنفسنا بأن نجعل الأمر كله من كيد الخارج، ومن تآمر المتآمرين، ومن عمل الصهيونية والصليبية والشيوعية والوثنية، نريد أن نريح أنفسنا بهذا، صحيح إنَّ هؤلاء يمكرون بنا ويتآمرون علينا، ويخططون لضربنا ولإبادتنا!

ولكن هذا يعفينا من المسؤولية؟ لا، لا يعفينا من المسؤولية؛ لأنَّهم إذا كانوا يخططون لضربنا، لتصفيتنا، لتمزيقنا، فلماذا لا نخطط لأنفسنا؟

QaradawiBooks.com

لا ينبغي أن نقبل دور الضحية دائمًا:

لماذا نظل دائمًا نحن ضحايا تخطيط غيرنا؟ ونقول: مخطط جهنمي، اليهودية والصليبية، طيب: ونحن أليس لنا عقول نفكر بها ونخطط بها؟ ونقاوم ونصنع كما صنعوا؟ اليهود خططوا منذ نحو مائة عام، في مدينة بال في سويسرا، هرتزل ومن معه اجتمعوا في مؤتمرهم الشهير (١٨٩٧م)، وانتهوا بعد الدراسة إلى أنَّه لا بدَّ لليهود من دولة تقوم، وخططوا أن تقوم بعد خمسين عامًا، وفعلا بعد خمسين عامًا قامت الدولة التي كنا نقول عنها فيما مضى إسرائيل المزعومة، لعل جيلكم ـ والكثير منكم شباب ـ لم يعايش هذا، كانوا يقولون في الصحافة، وفي الإذاعة قبل عهد التلفزيون إسرائيل، وبعدها يكتبون بين قوسين المزعومة، ثم بعد مدة من الزمن وجدنا هذه المزعومة تصفع هذه الجبهة، وتركل هذه الجبهة، وتضرب تلك الجبهة، فاستحيينا وخجلنا من أنفسنا؛ بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين للأسف، حذفنا هذه المزعومة، أصبحت إسرائيل هي القوة التي لا تقهر، هكذا تقول عن نفسها، إسرائيل القوة التي لا تقهر، تملك ترسانة نووية لا تملك مثلها إنجلترا نفسها، هذه إسرائيل، نحن أمام هذا.

لا نعفي أنفسنا من المسؤولية:

فهل المسألة كيد الخارج فقط؟ تخطيط القوى الجهنمية لنا؟ هل هذا يعفينا من المسؤولية؟ لا، لا يعفينا، لا بدَّ أن نخطط لأنفسنا، ونمكر كما مكروا، نقاوم المكر اليهودي بمكر إسلامي، التخطيطَ الصليبي بتخطيط إسلامي، لا بدَّ من عمل، عمل على كل المستويات: عمل فكري، وعمل

QaradawiBooks.com

تربوي، وعمل اقتصادي، وعمل سياسي، وعمل اجتماعي، وعمل أخلاقي، عمل على كل المستويات، الساحة محتاجة إلى كل هذه الأنواع من الأعمال، لا بدَّ أن نعمل، ولا نكتفي بأن نقول هذا صنع أعدائنا.

القرآن حينما نزل بالمسلمين ما نزل في غزوة أحد، استشهد من المسلمين خمسون من أبطال الصحابة، من أمثال حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، وعبد الله بن جحش، وغيرهم من المهاجرين والأنصار، تساءل المسلمون ما الذي حدث؟ لقد انتصرنا في بدر ونحن أقل عددًا، فكيف هُزمنا في أحد ونحن أكثر عددًا؟ ونزل القرآن يبين حقيقة الموقف، ويرد الأمور إلى أسبابها الحقيقية، فيقول تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾؛ لأنَّ المسلمين أصابتهم مصيبة في أحد، وهي مصيبة سبعين من الشهداء، وفي بدر كانوا قد قتلوا سبعين من صناديد قريش، وأسروا سبعين، ولذلك قال: ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾.

الخطوة الأولى تحمل المسؤولية:

ولذلك فإن بداية الطريق الصحيح أن نرجع إلى أنفسنا ونقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. لا بدَّ أن نعود على أنفسنا باللائمة، وأول الطريق إلى الكمال هو الشعور بالنقص، أمَّا إذا قال الإنسان أنا ممتاز لا خطأ عندي في فكر، ولا خطيئة عندي في عمل، وظن نفسه مبرَّأً من كل عيب فلا يمكن أن يصل إلى ما ينبغي أن يصل إليه، لا بدَّ للإنسان أن يضع نفسه على مشرحة التحليل، وينظر في أخطاء الأمة وخطاياها!

QaradawiBooks.com

قد يقول بعض الناس ليس الذنب ذنبنا، الذنب ذنب الحكام، وآخرون يقولون الذنب ذنب العلماء، وآخرون يقولون الذنب ذنب الأحزاب، ولكن الواقع ينبغي أن نشعر بأنَّ الجميع مسؤول، ومن السلبيات في حياتنا أن يحاول كل فريق رفع المسؤولية عن عاتقه وتحميلها لغيره.

كلنا مسؤولون أمام هذه المحن:

الناس منهم من يقول المسؤولية على العلماء، وجماعة آخرون يقولون: المسؤولية على الحكام. العلماء ماذا يعملون؟ والحكام يقولون: المسؤولية على القوى الخارجية، هل نستطيع أن نحارب العالم كله؟ والفساد في الشعوب كلها!

ولكن الواقع أنَّ الجميع مسؤولون: العلماء مسؤولون، الحكام مسؤولون، قادة الفكر مسؤولون، المعلمون والمربون مسؤولون، الصحفيون والكتاب مسؤولون، الشعوب نفسها مسؤولة، الكل مسؤول، الشعوب مسؤولة؛ حتى إذا كان الحكام قد أساؤوا أو انحرفوا أو فرطوا في حقوق الأمة، أو ساروا في ركاب الطغاة والجبابرة من القوى المعادية للإسلام فالذنب يرجع إلى الشعوب، الشعوب التي صفقت لهم، والشعوب التي أثنت عليهم، والتي أحرقت البخور بين أيديهم، أو على الأقل الشعوب التي سكتت عنهم، سكتت عن هؤلاء ولم تصنع شيئًا، الشعوب مسؤولة.

قيل لأحد الدعاة يومًا: صار لكم خمسون سنة تدعون الناس إلى الإسلام، وتقولون الشريعة والحكم بالإسلام، والدولة الإسلامية، والأمة الإسلامية، ولم تحققوا ما وصلتم إليه؟ خمسون سنة وأنتم تتكلمون ولا تصنعون شيئًا؟

QaradawiBooks.com

فقال له: طيب أنتم صار لكم خمسون سنة وأنتم تسمعون ولا تصنعون شيئًا. لماذا يكون المتكلم هو الذي عليه مسؤولية، والسامع ليست عليه مسؤولية؟!

المسؤولية مسؤولية الجميع، ولذلك كل الأمة مسؤولة! صحيح أنَّ المسؤولية تتفاوت، مسؤولية العالم ليست كمسؤولية الأمي، مسؤولية المعلم ليست كمسؤولية التلميذ، مسؤولية أستاذ الجامعة ليست كمسؤولية فراش الجامعة، مسؤولية الحاكم ليست كمسؤولية المحكوم! كل واحد على قدر ما مكنه الله، وما آتاه من نعمة، وما آتاه من سلطة، وما آتاه من قدرة على التغيير تكون مسؤوليته أكثر، ولكن الجميع مسؤول.

من يهن يسهل الهوان عليه:

من هنا ينبغي لكل إنسان أن يقوم بدوره في مقاومة هذه المحنة، لا ينبغي أن نستسلم للمحنة، بعض الناس تمر عليهم هذه المحن وهو متبلد، لا يكاد يُحس بما يجري في العالم من حوله، هؤلاء ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١]. ليس مسلمًا ولا إنسانًا ولا حيًّا، وهذا هو الذي قال فيه المتنبي قديمًا:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام[1]!

وهناك أناس يشعرون بالآلام والمحن، ولكنهم يقابلونها باليأس والقنوط، وشعارهم: «لا فائدة»، ماذا نعمل؟ أنقاوم التيار؟ أنقف ضد الدنيا كلها؟

(١) ديوان المتنبي صـ١٦٤.

QaradawiBooks.com

اليأس ليس من صفات المؤمنين:

هذا لا يجوز، اليأس ليس من شيم المؤمنين، ولا من أخلاق المسلمين، ﴿لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. إن أحلام الأمس حقائق اليوم، وأحلام اليوم حقائق الغد، وكم رأينا في التاريخ صغيرًا كبر، وفقيرًا اغتنى، وضعيفًا قوي، ومهزومًا انتصر! هذه سنة الله، ولو وقف النبي ﷺ عند مرحلة الضعف التي كان عليها في المدينة وقال: ماذا أفعل أمام قريش والعالم كله، والوثنية العربية، والمجوسية الفارسية، واليهودية، والنصرانية؟ ما صنع شيئًا، ينبغي ألا نيئس؛ خصوصًا أننا أصحاب الحق، والحق منتصر، دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة.

الحقُّ ينتصر بأهله:

نحن أصحاب الرسالة العظيمة التي لا إنقاذ للعالم إلا بها؛ رسالة الإسلام، ولا بد أن تنتصر، غير أنَّ سُنَّة الله ﷻ أنَّ الحقَّ لا ينتصر وحده، الحقُّ ينتصر بأهله، بدعاته، برجاله، بنسائه، ولهذا يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. ومن هنا النصر كما أنَّه للمؤمنين هو بالمؤمنين.

وعادة السيف أن يُزْهَى بجوهره ... وليس يعمل إلا في يدَيْ بطل[1]!

السيف لا يضرب وحده، وإنَّما يضرب بالبطل، وكذلك الحقُّ لا ينتصر وحده، إنَّما ينتصر بالأبطال، وكل واحد مسلم يمكن أن

(١) ديوان الطغرائي صـ٣٠٧.

QaradawiBooks.com

يكون بطلًا إذا أدى ما هو عليه، إذا أدى الواجب الذي عليه يكون بطلًا، أنا قد لا أستطيع أن أفعل شيئًا وحدي، ولكن أنا وأنت وهو وهي وهم وهن نستطيع أن نفعل الكثير: كما يقول المثل «إيد على إيد تكيد»، ويقول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا**»[1]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

لنرفض اليأس، ولنقاوم ولنبدأ العمل، كل يعمل، أنت على ثُغرة من ثُغَر الإسلام فلا يؤتين من قبلك، كما قال ابن الخطاب رضي الله عنه، كل واحد على ثُغرة، محارب مرابط على الحدود، إياك أن يدخل العدو من النقطة التي تحرسها أنت، احرس هذه النقطة، أنت حارس، كل واحد في موقعه حارس ثُغرة، فلا بدَّ أن يعمل، ولا يستصغرن نفسه، لا يحقرن أحدكم نفسه، لنحاول التغيير، تغيير المنكر، وتغيير الفساد، الرسول ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه**»، حتى كلمة الحق لا تضيع هباءً، «**فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[2].

ما معنى «**فبقلبه**»؟ كيف يكون التغيير بالقلب؟ التغيير بالقلب هذا شحنة انفعالية عاطفية، شحنة غضب مخزونة عند الإنسان ستنفجر في وقت ما، المهم أن تنفجر في عمل إيجابي لا في عمل طائش، ولذلك سمّيته تغييرًا، ينبغي أن نعمل، كل واحد قادر أن يعمل شيئًا في حدود إمكاناته.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٤٥.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

المؤمنون على خير وإلى خير:

حينما دعونا الإخوة للتبرع، وأنا في المسجد الذي أصلي فيه التراويح دعوت قلت لهم: بعث لنا الإخوة في داخل فلسطين؛ الإخوة المجاهدون في حماس بعثوا يقولون: نحن محتاجون إلى خمسين ألف دولار فورًا، قلت للإخوة في المسجد عندي: الإخوة في داخل فلسطين يريدون خمسين ألف دولار أيها الإخوة، لو فيه واحد غني موجود يدفع لنا الخمسين ألف دولار، إذا لم يكن فليكن خمسة كل واحد يدفع عشرة آلاف دولار، وإلا فليدفع الفقراء الموجودون، وجاء أحد الإخوة؛ ليس من الأغنياء الكبار وقال: أنا أدفع عشرة آلاف دولار، وفي خلال ليلتين جمعنا ما يقرب من أربعمائة ألف ريال قطري، وخمسمائة جرام من الذهب، والأخوات جمعن نحو مئتي ألف ريال! هذه استجابة المسلمين، الإسلام إلى خير، والمسلمون فيهم خير كثير، المهم أن نستغل هذه الطاقة، والمهم أنْ يعي المسلمون ماذا يستطيعون أن يفعلوا.

نحن نستطيع أن نفعل الكثير، لقد كنت في العمرة ورأيت والحمد لله موسم العمرة! يمتلئ المسجد الحرام بالناس رغم التوسعة الهائلة، والمسجد النبوي يمتلئ بالناس رغم التوسعة الهائلة، ملأ الناس الأماكن وصلوا في المساحات الخارجة الرخامية حول الحرم، ولعلكم ترون الآن صلاة التراويح وصلاة القيام، وامتلاء الأدوار والسطوح، هذا إقبال عظيم، ولكن نريد أن يتحول هذا إلى عمل إيجابي! قلت في العام الماضي حينما زرتُ أبو ظبي في رمضان: لو أنَّ الذين ينفقون أموالهم في العمرة دفعوا هذا لإخوانهم في فلسطين، أو لإخوانهم في سراييفو، أو لإخوانهم في كشمير، أو في الصومال لتغير الموقف، في كل عام يحج أكثر من

QaradawiBooks.com

مليونين، ثلاثة أرباعهم أو أكثر ممن حجوا قبل ذلك، وحوالي الربع أو ثلاثين في المائة على الأكثر ممن يحجون لأول مرة، يعني يحجون تطوعًا، لو أنَّهم أنفقوا هذه الأموال لإخوانهم لتغير الموقف.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا الفرقان في المتشابهات، وأن يمنحنا النور في الظلمات، والهدى في مفارق الطرقات، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وينفعنا بما علمنا، إنَّه سميع قريب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٥

كيف تُستنهض الأُمَّة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير المبعوثِ رحمةً للعالمين، وحجةً على الناس أجمعين: سيدِنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحييكم به أيها الإخوة والأخوات تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنَّه ليسرني أنْ ألتقي بكم للمرة الثالثة في هذا المكان الطيب، وفي ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، وليالي العشر الأواخر، التي كان الرسول ﷺ يشُدُّ فيها المئزر، ويُحيِي ليلَه، ويُوقظ أهلَه؛ وذلك لأنَّها ختام الشهر، والأعمال بخواتيمها، ولأنها تُلتمس فيها ليلة القدر، وليلة القدر خير من ألف شهر!

نحن في ليلة من ليالي العشر: ليلة الرابع والعشرين من رمضان ليلة زوجية، وفي بلاد كثيرة هي ليلة فردية أيضًا، في مصر وفي غيرها نحن في ليلة فردية، وهنا في ليلة زوجية؛ ولذلك على المسلم أن يحرص على إحياء كل ليالي العشر؛ لأنَّه لا يعرف الفردية فيها من الزوجية بيقين.

QaradawiBooks.com

طلب العلم عبادة:

ونحن في إحياء الليلة، أي نحن في عبادة أيها الإخوة، ليست العبادة هي الصلاة وتلاوة القرآن والذكر والتسبيح فقط، فطلب العلم عبادة؛ بل كان الصحابة رضوان الله عليهم يفضلون العلم على نوافل العبادات، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: لأن أجلس ساعة فأفقه في ديني؛ أحب إليَّ من أن أحيي ليلة إلى الصباح[١].

ويقول حبر الأمة ابن عباس: تفكُّر ساعة خير من قيام ليلة وإحيائها[٢].

وحينما كان الإمام مالك يُدرِّس العلم لبعض تلاميذه، طوى التلميذ صحائفه وأراد أن يقوم. قال مالك: إلامَ تقوم؟

قال: أريد أنْ أصلي نافلة.

قال: ليس ما تقوم إليه بأفضل مما تقوم عنه، اجلس. وهكذا.

فلنحتسب هذه اللحظات والدقائق التي نقضيها هنا؛ إحياءً لليلة من ليالي رمضان؛ فنحن في عبادة إذا صحت النية، وإذا صدقت العزيمة، وإذا جرَّدْنا الأمرَ لله تعالى؛ كما هو شأن المسلم دائمًا في حياته كلها، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٠٩).

(٢) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤٢)، تحقيق رضاء الله المباركفوري، نشر دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

QaradawiBooks.com

محاولات النهوض بالأُمَّة:

لقد طرح الإخوة عليَّ هذه الليلة سؤالًا وقالوا: نريدك أن تجيب عنه: «**كيف تُستنهض الأُمَّة؟**». وهو سؤال خطير، وسؤال كبير، ومتى يأتي هذا السؤال؟ بعد قرنين من الزمان تقريبًا، والأُمَّة تحاول أن تنهض، منذ عصر محمد علي باشا في مصر، أي من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي والأُمَّة تحاول أن تنهض. إذا أردنا بالأمة أُمَّةَ العرب. فإذا أردنا أُمَّة الإسلام، فقبل ذلك بعقود وعقود.. حاول السلطان محمود الثاني من سلاطين آل عثمان أنْ ينهض بالخلافة العثمانية وأنْ يجدِّدها.

محاولات النهوض قديمة إذنْ، فلماذا لم تنهض الأمة؟ وهل الأمة حقيقة عاثرة، أو سقطت في حفرة من الحفر؟

والفرد يعثر ثم ينهض، أو يسقط في مطب أو في حفرة، ثم ينهض ويرتقي. هل الأمة عثرت وسقطت، أم ما حال هذه الأُمَّة؟

واقع الأُمَّة الإسلامية اليوم:

لا شكَّ أنَّ الأُمَّة لا نعتبرها في حالة رُقِيٍّ إلى اليوم، نحن إذا نظرنا إلى أمتنا: سواء كانت العربية أَم الإسلامية؛ فهي محسوبة على ما سمَّوه «العالَم الثالث»، بل إنَّ هناك بلادًا عربية وإسلامية لو كان هناك عالَم رابع لنُسِبت إليه، فليست في العالم الأول ولا في العالم الثاني ولا تستحق أن تكون في العالم الثالث.

نحن جميعًا نُحسَب على البلاد النامية، والبلاد النامية تعبير ملطف مهذب للبلاد المتخلفة، القوم لم يريدوا أنْ يجرحونا ويسمونا البلاد المتخلفة، فسمَّونا: «البلاد النامية»، ولعلَّهم أرادوا بذلك أن يوهمونا أنَّنا

QaradawiBooks.com

ننمو بالفعل، ونموُّنا يَطَّرِد. والحقيقة أنَّنا لا ننمو كما ينبغي، لا ننمو النموَّ الحقيقي المؤثر؛ ولهذا يقول بعض الظرفاء: نحن لسنا بلادًا نامية، نحن بلاد نائمة!

هذا هو وضْع الأمة، الأمة عالة على غيرها، لا زلنا نستهلك ولا ننتج. الطبع العام لنا أننا نستهلك ولا ننتج، نستورد ولا ننشئ، هذا هو الواقع.

لم نصنع «موتورًا» (محرِّكًا)، لا لطيارة، ولا لسيارة، ولا لشيء من هذا؛ ينبغي أن نعترف حتى نستنهض الأمة.

الاعتراف بالواقع أول شروط الاستنهاض:

أول شروط الاستنهاض أن تعرف الأُمَّة واقعها: أنَّها عالة في الأمور الأساسية على غيرها. نحن نعلم أنَّ محطة الكهرباء الرئيسية في مدينة خليجية منذ عدة سنوات أصابها عطل، فبقي ثلث المدينة معطلًا. انظروا قيمة الكهرباء في الحياة، ليس هناك مصباح كهربائي، ليست هناك مروحة تشتغل، ليس هناك مكيف، ليس هناك ثلاجة، ليس هناك موتور يرفع الماء، تعطَّلت الحياة وبقيت هكذا حتى جاء «الخواجة» من المصنع الذي صنعها بعد مدة وأصلحها. نحن عالة على غيرنا، يجب أن نعترف بهذا.

حتى في الزراعة: البلاد الإسلامية معظمها بلاد زراعية، وبلاد خصبة، ومع هذا نستورد معظم أقواتنا، بعض البلاد العربية وبعض البلاد الإسلامية تستورد أكثر من نصف قوتها، لو كفَّ الآخرون أيديهم عن إمدادها لهلكت جوعًا!

لا نملك حتى الرغيف الذي نأكله، القوت اليومي لا نزرعه، والآلات الأساسية لا نصنعها.. هذه حقيقة، لا نُصنِّع هذه الأشياء. وأنا دائمًا أقول

QaradawiBooks.com

كلمة، أقول: إنَّ أمة سورة الحديد لم تتعلم صناعة الحديد، ليس عبثًا أنَّ الله أنزل علينا سورة اسمها سورة الحديد، وفي آية بالغة في الروعة يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وكلمة ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى الصناعة الحربية العسكرية، لا بدَّ أن نصنع مدافع ودبابات، ومصفحات وطائرات إلخ. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى الصناعة المدنية، فالحديد هو أساس هذه الصناعات كلها: الصناعاتِ الثقيلة. أمتنا.. أمة سورة الحديد لم تتقن الصناعات الحربية ولا الصناعات المدنية، ما أتقنت ما فيه بأس شديد، ولا ما فيه منافع للناس.

لماذا لم تنجح محاولات النهوض؟

إذنْ، الأُمَّة فعلًا لا زالت في حاجة إلى نهوض، المحاولات القديمة إذنْ من عهد محمد علي إلى اليوم لم تنجح، لماذا؟ هل طبيعة الأمة أنَّها غير قابلة للنهوض والتقدُّم؟ أم طبيعة الدين الذي تدين به؟ كما أراد بعض الناس أن يردَّ هذا إلى الدين، قالوا: الإسلام هو الذي أخَّر الأمة! كذبتم؛ الإسلام هو الذي نهض بهذه الأُمَّة قديمًا، وجعلها خير الأمم، نقلها من رعاية الغنم إلى رعاية الأمم.

ما الذي جعل أمةَ العرب الأمةَ الأولى في العالَم ولم يكن لها ما كان للأمم الأخرى؟ ما كان لها فلسفة اليونان، ولا تشريع الرومان، ولا فلسفة الهند، ولا حكمة الصين، ولا مدنية الفرس، ما كان لها شيء من هذا، إنَّما صنعها الإسلام وجعل منها خير أمة أخرجت للناس، أقام منها خير أمة، الأمةَ الوسط، بوَّأها مكانَ الأستاذ للبشرية، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

QaradawiBooks.com

نشأة الحضارة الإسلامية وازدهارها:

هذه الأُمَّة نهضت بالإسلام، ونهض بها الإسلام، وأصبحت الأمة الأولى، وأصبحت لها مكانة القيادة والريادة والسيادة على الأمم قرونًا عدة، كانت الحضارة الإسلامية هي الحضارة السائدة في العالم، حضارة الإسلام المكتوبة بلغة العرب؛ ولذلك يقال: الحضارة العربية على أساس أنَّها مكتوبة بلغة العرب، وهي الحضارة الإسلامية لأنَّها انطلقت بدوافع الإسلام، ومن فلسفة الإسلام، ومن روح الإسلام، وقامت على أرض الإسلام كلها، أرض العرب وأرض المسلمين كلها.. قامت عليها هذه الحضارة، وشاركت فيها عناصر إسلامية غير عربية، فالدوافع إسلامية، والأرض إسلامية، والناس مسلمون؛ ولذلك فهي حضارة عربية إسلامية.

كانت هذه الحضارة ـ كما قلت ـ هي الحضارة الرائدة والسائدة، علماؤها هم أشهر العلماء في العالَم، إذا ذُكر الطب يُذكر الرازي وكتابه «الحاوي»، ويُذكر ابن سينا وكتابه «القانون»، ويذكر الزهراوي وكتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف»، ويُذكر ابن رشد وكتابه «الكليات»، وهكذا.

وإذا ذُكر الفلك، إذا ذُكر التشريح، وإذا ذُكرت الفيزياء، وإذا ذُكرت العلوم المختلفة. أشهر الأسماء في العالم هي الأسماء الإسلامية، أشهر الكُتب هي الكتب الإسلامية، أشهر الجامعات هي الجامعات الإسلامية، وهكذا، كانت موئل الطلاب.

أوروبا التي أصبحنا بعد ذلك نتتلمذ عليها.. كانت تتتلمذ على المسلمين، وكان الطالب من أوروبا إذا أراد أن يُظهِر براعته وتقدُّمه؛ يتكلم بعض الكلمات باللغة العربية؛ ليُعرف أنَّه مثقف، كما يصنع الناس

QaradawiBooks.com

الآن، حينما يكلمك شخص يتحدث بكلمات من الإنجليزية أو الفرنسية؛ ليُشعرك أنَّه إنسان يعرف الثقافة، هكذا كانوا.

عدم إدراك الأمة حقيقتها:

ليس إذنْ تخلُّف الأمة نتيجةً لطبيعة فيها، ولا لطبيعة دينها، هناك إذنْ خلل جعل الأمة لا تنهض رغم محاولات النهوض، هذه المحاولات لا بدَّ أن يكون الخلل فيها نفسها، أنَّها لم تُدْرِك سِرَّ هذه الأُمَّة لتستثير كوامنَها، وتستخرج مخزونها، وتفجر طاقاتِها المكنونة داخلها.

محمد علي حاول أن ينهض بالأمة، وأرسل بعثات إلى فرنسا، وذهب معهم إمامًا للبعثة: الشيخ رفاعة الطهطاوي، واستطاع محمد علي أن يفعل بعض الأشياء، ولكن كان مشروعه للنهضة منحصرًا في تقوية الجيش، إيجاد جيش قوي يستطيع أن يحقق طموحاته العسكرية، ولم يلتفت إلى الشعب، لم يهتم بالشعب، لم يهتم بإحياء الشعب، إحياءِ روح الشعب، النهوض بجماهير الأمة.. لم يهتم بهذا؛ ولذلك كان مشروعه قاصرًا مبتورًا، ولم يكتمل.

وكذلك مشروع خلفائه وأبنائه وأحفاده، كانوا يتطلعون إلى أوروبا، كما قال الخديوي إسماعيل: أريد أن تكون مصر قطعة من أوروبا. وحاول حتى بالديون، بل أغرق مصر بالديون، وتسبَّب في دخول المحتل إلى مصر، ولم يستطع أن ينهض بالأمة نهوضًا حقيقيًّا.

ضعف المحاولات القائمة على التغريب:

قامت محاولات كثيرة في بلاد عربية شتى، وكلها كانت تقوم على أساس الاستيراد: الاستيراد من الغرب، الاستغراب، لم تنبع هذه

QaradawiBooks.com

المحاولات من حقيقة الشعب، من ضميره، لم تنظر إلى أصالته، إلى تراثه، لم تنبش عن كنوزه القديمة، لم تبنِ اللاحق على السابق، والجديدَ على القديم، لم تُوصِل الحلقات بعضها ببعض؛ لذلك كانت كلها محاولات شائهة وناقصة.

بعضها استورد الليبرالية من عالَم الغرب، الليبرالية اليمينية الديمقراطية الرأسمالية.

وبعضها استورد الاشتراكية الثورية، حينما أخفقت الليبرالية الرأسمالية الديمقراطية قام أناس وطالبوا بالاشتراكية الثورية، وقامت الاشتراكية الثورية تحت أسنة الرماح، وتحت سلطان الحكم العسكري في أكثر من بلد، ولكن هل استطاعت الليبرالية أو استطاعت الاشتراكية أن تنهض بالأمة نهضة حقيقية؟! الواقع يقول: لا.

إذا نظرنا إلى تاريخنا المعاصر وقرأناه قراءة واقعية. ونحن عشناه، وكثيرٌ منا عاش فترة الليبرالية وعاش فترة الاشتراكية الثورية. صحيح أنَّ الكثيرين ممن أمامي شباب؛ إنَّما على الأقل عايشوا آثار هذه المراحل.

ما استطاعت الليبرالية، ولا استطاعت الثورية أن تحقق نصرًا عسكريًّا على العدو الدائم إسرائيل، لم تستطع أن تحقق رخاءً اقتصاديًّا: يكفل العمل لكل عاطل، والخبز لكل جائع، والدواء لكل مريض، والكساء لكل عريان، والتعليم لكل أمي، والسكن لكل مشرد إلخ، لم تستطع أن تحقق هذا الرخاء الاقتصادي.

لم تستطع أن تحقِّق التماسك الاجتماعي، ولم تستطع أن تحقِّق السمو الأخلاقي، والانضباط الأخلاقي. بالعكس، ظهرت السرقات

QaradawiBooks.com

المستترة والمكشوفة، وظهر النهب للأموال العامة ولثروة الأمة، ظهرت القطط السمان كما يسمونها. هذا معروف للجميع.

لم تستطع أن تحقِّق وحدةً للأمة، بالعكس قامت وحدة وفشلت، حتى بعض البلاد يحكمها أحزاب واحدة تقدُّمية، «حزب البعث» مثلًا، ما استطاع أن يحكم في بلدين متجاورين، ما استطاعا أن يتوحدا، ما استطاعت هذه الأنظمة أن توحد الأمة، وإلى اليوم الأمة ازدادت تمزُّقًا، وزادها تمزُّقًا حرب الخليج هذه، كارثة الخليج التي مزَّقت الأمة شر ممزق. كانت الفرقة قديمًا بين الحكام، وهذه دخلت حتى بين الشعوب، هذا هو واقع الأمة.

الاستيراد لم ينفعنا؛ لأن هذا الاستيراد جعل الأُمَّة معزولة، جماهير الأمة معزولة عن المشروع النهضوي ـ إن صحت النسبة ـ المشروع يقوم به نخبة، مشروع النهضة يقوم به ما يسمونه النخب، أمَّا الجماهير فهي بعيدة عن هذا الأمر، لا تحس به، لا تتحمس له، لا تعيشه، لا يعمل في أعماقها، لا يثير كوامنها.

حاجة الأمة لمشروع يقوم على عقيدتها وشريعتها:

ومن أجل هذا كانت الأمة في حاجة إلى مشروع جديد للنهضة، مشروع جديد يقوم على أساس أن هذه الأُمَّة أمة صاحبة رسالة، أمة متميزة، أمة لها حضارتها وتاريخها، أمة لها عقيدتها وقيمها، أمة ليست دخيلة على التاريخ ولا على الحياة، أمة عميقة الجذور، راسخة القدم، صلبة، مكانها على الأرض مكان ثابت، فلا بدَّ أن نعرِّف هذه الأُمَّة قدرها، ولا بدَّ لأي مشروع ينهض بها أن يكون مشروعًا حضاريًّا متكاملًا.. ترتبط الأمة به، وتعيش له، ولهذا لا بدَّ لهذا السؤال «كيف تستنهض الأمة؟» من سؤال يصحبه أو يسبقه: إلام تُستنهض الأمة؟

QaradawiBooks.com

إلامَ تستنهض الأمة؟

إلامَ نستنهضها؟ لا بدَّ أن نستنهضها لأهداف نحققها، وأن تكون هذه الأهداف واضحة لديها، منظورة نصب عينيها، وأن تكون مؤمنة بهذه الأهداف حق الإيمان، ولا يمكن أن تؤمن بها؛ إلا أن تكون هذه الأهداف مرتبطة بعقيدتها، مرتبطة برسالتها الأساسية، أي بالإسلام، ولذلك فإنَّ أي مشروع للنهضة ينفصل عن الإسلام لا يمكن أنْ يؤتي أكله، ولا يمكن أن يحقق ثماره؛ لأنَّه لا يمكن أن نفجر طاقات الأمة المكنونة إلا بالإسلام.

وهذا ما فعله النبي ﷺ.. كيف صنع بالعرب؟ النبي ﷺ خاطَبهم بكلمة الله، بكلمة التوحيد، صبَّ في عروقهم الإيمان، نفخ فيهم من روح الإسلام، فبدأت أمة جديدة، أمة عرفت أهدافها، إنَّها ليست لنفسها؛ ولكن لنفسها وللأمم الآخرين، لهداية الناس، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، هي أمة مخرجة، ليست نباتًا بريًّا أو شيطانيًّا، هي أُمَّة مخرجة ولكن ليست مخرجة لنفسها، مخرجة للناس، لهداية الناس، ولنفع الناس؛ ولهذا قال ربعي بن عامر حينما سأله رستم قائد جيوش الفرس: من أنتم؟ وما الذي جاء بكم إلى ديارنا؟ كنا نعرف عنكم معشر العرب أنكم كنتم تأتوننا لتسألوا بعض المعونات. قال له: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[١].

انظروا إلى هذا الصحابي الذي لم يتخرج في جامعة، ولم يحصل على شهادة كما يحصل الكثيرون اليوم، إنَّما تخرَّج في جامعة محمد،

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

وتربَّى في حجر النبوة، عرف فلسفة الإسلام العامة، والأهدافَ الكبرى للإسلام، ولخَّصها في هذه الكلمات: «ابتعثنا» فنحن أمة مبتعثة، الأمة مبعوثة: «لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده»، لنحرر الناس من العبودية لغير الله إلى العبودية لله وحده. «ومن ضيق الدنيا إلى سعتها»، جئنا لنوسِّع على الناس الحياة، «ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

هذا هو الذي نريده، أن نربط الأمة بمشروع حضاري تؤمن به، تؤمن بأنَّ هذه الأهداف عبادة، وأنَّ العمل لها جهاد في سبيل الله، فهي تعمل بروح المتعبد وروح المجاهد.

الفرق كبير جدًّا بين من يعمل وهو يتعبد لله، ومن يعمل أي عمل! إنَّما حين يعمل ويعلم أن هذا العمل عبادة، و«**إنَّ الله كتب الإحسان** (أي الإتقان) **على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة**»[١]، «**إنَّ الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه**»[٢]. إذا عمل هذا بروح المتعبد، وعلم أن هذا جهاد في سبيل الله، تصبح الأمة شيئًا آخر!

أسس نهضة الأمة:

فمن المهم جدًّا أن نربط الأمة بمشروع حضاري متكامل، هذا هو الأساس الأول، وأن تؤمن الأمة بأهداف مرتبطة برسالتها الكبرى، وبمشروعها الحضاري الأعظم، هذا ثاني ما ينبغي.

---

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١١١٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

أول ما ينبغي أن تحس الأُمَّة أنَّها لا زالت في دائرة التخلف، ولا تضحك على نفسها، لا بدَّ أن تعرف أننا لا زلنا في العالَم الثالث وفي البلاد النامية.

والشيء الثاني: لا بدَّ أن تعلم أن هذا التأخر ليس من طبيعتها ولا من طبيعة دينها، ولكن هناك خلل في محاولات النهوض السابقة.

الشـــيء الثالث: أنَّها لا بدَّ أن تربط النهوض بمشروعها الحضاري، وبرسالتها الأساسية وهي رسالة الإسلام.

الأمر الرابع: أن نُجنِّد من أجل ذلك كلَّ الطاقات، كل الطاقات لا بدَّ أن نجندها. الأمة فيها طاقات كثيرة:

أمتنا عندها طاقات هائلة:

هناك طاقات مادية، أمتنا ليست فقيرة، عندنا الثروات المذخورة في باطن الأرض، والمنظورة على ظهرها، عندنا ثـــروات النفط والمعادن، وعندنـــا الثـــروة الزراعية، وعندنـــا البحـــار والأنهار، وعندنـــا المواقع الإستراتيجية. الناحية المادية موجودة وإن كنا لم نحسن استغلالها.

عندنـــا النفط، نبيعه بأرخص الأســـعار، ثم يُصنَّع ويعـــاد إلينا ليباع بأغلى الأسعار، لم نحسن أن نوظِّفه!

عندنا أموال، والأموال الكبيرة، وبالمليارات، ولكن للأسف معظمها في الخارج، عشرات المليارات ومئات المليارات تُوظَّف في الخارج، لم نستطع أن نعمل للأجيال القادمة.

ســـيدنا عمر رفض أن يُقسِّم ســـواد العراق، حينما فتح العراق وأراد بعض الصحابة: بلال وغيره.. أن يقسمه على الفاتحين، أبى عمر وقال: إنِّي أريد أمرًا يســـع أول الناس وآخرهم، أتريـــدون أن يأتي آخر الناس

QaradawiBooks.com

وليس لهم شيء[١]؟ إذا وزعنا هذه الثروة على الجيل الحاضر؛ فمن للأجيال القادمة؟ إنَّما ننظر إلى مستقبل الأجيال.

عندنا أموال نستهلكها بإسراف وبتبذير، ولا نعرف قيمتها، ولا نحسب حساب الأجيال القادمة. عندنا أموال فوائض.

للأسف أُدخلنا في حرب صُنِعت لنا، وأنفقنا فيها العشرات والمئات من المليارات، وأصبحت كثير من بلادنا الغنية مدينة.

القوة البشرية:

عندنا ثروات مادية، وقدرات مادية، وعندنا قدرات بشرية، العرب حوالي ربع مليار، مائتين وخمسين مليون، والمسلمون حوالي مليار وربع، ألف ومائتين وخمسين أو ألف وثلاثمائة مليون في العالم. القوة البشرية ليست أمرًا هينًا. صحيح أننا لم نستفد منها، وطالما تحاول بعض البلاد أنَّها تحدد النسل.

وهناك بعض البلاد، يعني بلد واحد مثل الصين قدر المسلمين كلهم، ومع هذا يشغل هذه القوة البشرية في الإنتاج وغزا العالم. الشاعر العربي قديمًا يقول:

وإنَّما العزةُ للكاثرِ

من عنده العدد الأكثر العزة له. ويقول الآخر:

مَلَأْنَا البَرَّ حتَّى ضَاقَ عَنَّا ونحن البَحْرُ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا[٢]

(١) الخراج لأبي يوسف صـ٣٤، ٣٥، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، والأموال لأبي عبيد صـ٧٤، تحقيق محمد خليل هراس، نشر دار الفكر، بيروت، وذكره يحيى بن آدم في الخراج صـ٤١، ٤٢، نشر المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٨٤هـ.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

والله تعالى يقول: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. أصبحتم كثيرين، والامتنان بالكثير يدل على أن هذا نعمة، قال هذا في معرض الامتنان بالنعمة. هذه القوة البشرية.

القوة الروحية:

وهناك القوة الروحية، نحن وحدنا نملك أعظم رسالة في العالم، الرسالة الخالدة، الرسالة العامة، الرسالة التي مزجت المادة بالروح، الرسالة التي ربطت الأرض بالسماء، الرسالة التي وافقت بين العقل والقلب، ووازنت بين الفرد والمجتمع. ورسالة التوازن ورسالة الوسطية هي رسالة الإسلام. نحن نملك وحدنا هذه الرسالة.

ونحن وحدنا الذين نملك كلمات الله الأخيرة والهادية للبشرية، ليس هناك أي أمة على الأرض عندها كلمات الله الخالية من التحريف والتبديل، التوراة حُرِّفت، والإنجيل بُدِّل، ولكن القرآن وحده هو الكتاب المحفوظ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. نحن عندنا هذه القوة الروحية، نملكها ولا يملكها غيرنا.

الطاقات العقلية:

لا بدَّ أن نُجنِّد كلَّ الطاقات التي عندنا، عندنا الطاقات العقلية، وأبناء أمتنا ليسوا من الأغبياء، بالعكس؛ بدليل هذه العقول المهاجرة، عشرات الآلاف من أبناء العرب والمسلمين يعملون في أوروبا وأمريكا وأستراليا وتلك البلاد، وفي مواقع عظيمة، وبعضهم نوابغ وعباقرة، لم يعملوا في بلادهم؛ لأنَّ بلادهم للأسف إذا جاؤوا إليها لا تضعهم في أماكنهم المناسبة.

QaradawiBooks.com

عالِم الذرة أو عالم الكيمياء يُوضع على مكتب، أو إذا دخل المختبر لا يجد فيه الأدوات اللازمة، أو يؤخَّر ويقدَّم عليه المحسوب على فلان وقريب علان!

عندنا الطاقات العقلية، طاقات كبيرة، لا بدَّ أن نجند كل هذه الطاقات: الطاقات العقلية، والطاقات المادية، والطاقات الروحية، والطاقات العسكرية.

عندنا جيوش ولكنها ليست دائمًا في حالة الحرب، لماذا لا تُسخَّر الجيوش في خدمة الوطن؟ لماذا لا تعمل؟ في بعض الأوقات الجيش المصري تعمل مصانع وهذه الأشياء، لا بدَّ أن تعمل، لا بدَّ أن نجند كل الطاقات، تجنيد الطاقات كلِّها للعمل. هذا أمر لا بدَّ منه.

تجنيد كل الطاقات:

ولا بدَّ أن نجند كلَّ الطاقات، ونجند كل الفئات. كانت المشروعات النهضوية السابقة مشروعات للنخب، للمثقفين فقط، لم يدخل فيها الشعب، كان الشعب يتفرج، كأنَّ الأمر لا يهمه، لا بدَّ أن نُشرك الشعب، لا بدَّ أن يكون الشعب كله مع مشروع النهضة، الحكام والمحكومون. ليس هذا أمر الحكام فقط والشعب بعيد، لا، الأمر يهم الشعب، فلا بدَّ أن أشرك الشعب مع الحكام، لا بدَّ أن أشرك المثقفين والجماهير، لا بدَّ أن تدخل الجماهير في الأمر.

دور المرأة:

ولا بدَّ أن يشرك الرجل والمرأة، للأسف في كثير من البلاد الإسلامية المرأة فئة معطلة، أحد جناحي الأمة مهيض مكسور. المرأة

QaradawiBooks.com

نصف المجتمع، وأحيانًا تكون أكثر من النصف. لماذا لا تعمل المرأة؟ وتعمل ما يناسبها أيضًا، ليس معنى هذا أننا نُدخِلها الجيش، لا، يمكن أن تعمل في الشرطة أيضًا أعمالا مُعيَّنة تختص بالنساء. إنَّما هناك أشياء كثيرة يمكن أن تعمل فيها المرأة، كما كانت المرأة في عهد النبوة وفي عهد الصحابة. أسماء بنت أبي بكر ألم تقم بمهمة في الهجرة؟ ألم تذهب بالطعام وبالأخبار للنبي ﷺ في غار ثور؟ غار ثور أصعب من غار حراء، كيف كانت تذهب هذه الفتاة كل يوم إلى هذا الغار؟ طبعًا لأنَّها امرأة لا يظن أحد أنَّ لها علاقة بهذا الأمر، كانت تذهب آمنةً وتأتي. هذا شأن المرأة في عهد النبي ﷺ.

كانت أم عمارة نسيبة بنت كعب وأم سليم الرميصاء من اللائي شاركن مع النبي ﷺ في الجهاد، فشاركن في خدمة الجيش، وأحيانًا شاركن في القتال، كما في غزوة أحد، كما قال البخاري: «باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال»[1].

فلا بدَّ أن تشترك المرأة في مشروع النهضة بما يناسبها، لا تظل المرأة حبيسة كما يقول بعض الناس: إنَّ المرأة الصالحة لا تخرج من بيتها إلا مرتين: مرة إلى بيت زوجها، والأخرى إلى قبرها!

المرأة إنسان، الله تعالى يقول: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. قال: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾. يعني: المرأة من الرجل، والرجلُ من

(١) صحيح البخاري (٣٣/٤).

QaradawiBooks.com

المرأة، كلاهما يُكمِّل صاحبه. ثم قال: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

المرأة لا بدَّ أن يكون لها دورها. إذا أردنا مشروعًا لا بدَّ أن نجند كلَّ فئات الوطن أو كلَّ فئات الأمة، الحكام والجماهير، النخب المثقفة والجماهير، الرجل والمرأة، الأغنياء والفقراء، لا بدَّ أن نجند الجميع، لا نهدر فئة من الفئات.

إقامة العدالة الاجتماعية:

لا بدَّ أن يعلم الجميع أنَّ النهضة خير للجميع، هذا أمر مهمٌّ، وهذا يجعلنا نرتقي إلى أمر سادس وهو: إقامة العدالة الاجتماعية؛ بحيث يشعر الناس أن ثروة الوطن لأبنائه جميعًا، وليست لفئة واحدة منهم دون الآخرين.

لا بدَّ من عدالة في توزيع الثروة، كل إنسان يأخذ حقه، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، تزول الاحتكارات، وتزول الامتيازات، وتزول السرقات، ويعاقَب اللصوص، سواء كانوا لصوصًا كبارًا أم لصوصًا صغارًا. أحيانًا يُعاقَب اللصوص الصغار، الذي يسرق ألف أو مائة، والذي يسرق نعجة! إنَّما الذي يسرق عشرة ملايين أو مائة مليون لا أحد يقول له شيئًا! هذا خطر، الخطر على الأمم هم اللصوص الكبار، لصوص العلانية كما قال الحسن البصري، كان في درسه يومًا فسمع ضجة فقال: ما هذا؟ قالوا: ضُبط بسارق، ويأخذونه إلى الوالي. فقال: سارق السر يُذهب به إلى سارق العلانية. الذي يسرق بالسر يُذهب به إلى الذي يسرق علنًا. فكذا.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من إقامة العدالة؛ كي يشعر الإنسان أنَّ الثروة له، إنَّما إذا شعر أنَّ الثروة يتمتع بها الآخرون وأن عليه أن يكدح، وليس له نصيب في النهاية، وأنَّ هناك قوم يأخذون التمر وقوم ليس لهم إلا النوى، وقوم يأكلون اللحم وآخرون يُرمى لهم بالعظم، وأنَّ معظم الذين يعملون لا يأخذون، ومعظم الذين يأخذون لا يعملون، هنا يقول الناس: لِمَ هذه النهضة؟ كما يقول المثل: «في الحزن مدعوون، وفي الفرح منسيون»، نُنسى في الفرح، ونُذكر عند الهموم. كما يقول الشاعر العربي قديمًا:

وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةٌ أُدْعى لها وإذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدعى جُنْدَبُ[1]

حينما يشعر المواطن والإنسان في داخل هذه الأُمَّة أنَّ الثمرة ليست له، إنَّما يستمتع بها من لم يبذلوا جهدًا، لم تكدّ لهم يمين، ولم يعرق لهم جبين، يأخذونها بيضة مقشورة، وغنيمة باردة.. هنا لا يتحمس في إقامة النهضة، وفي المشاركة الإيجابية فيها، إنَّما يشترك إذا أحسَّ أنَّ الخير له في النهاية؛ ولذلك لا بدَّ من عدالة اجتماعية، لا بدَّ من عدالة في توزيع الثروة.

إذا أردنا نهضة حقيقية نجند فيها كلَّ الأمة: أغنيائها وفقرائها، حضرِها وبدوِها، مدنِها وريفِها. إنَّما أن يكون أهل المدن مستمتعين، وأهل الريف يموتون جوعًا، هذا لا يجوز! جاء الإسلام على خلاف هذا.

---

(١) الحَيس: طعام يُصنع من الدقيق والسكر، كالعصيدة ونحوه من المعجَّنات. يريد: أنَّ أخاه جُندبا له الشهيُّ من الطعام. أمَّا هو فله شدائد الأعمال. والبيت نسب لهنيء بن أحمر الكناني ولغيره. انظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٤٢٤/١)، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

الإسلام يغير المعادلة:

حينما بعث الله محمدًا كانت هناك ضرائب في بلاد الفرس والروم، تؤخذ من الفلاحين في القرى، من العمال ومن الحِرَفيين، من صغار التجار وغير هؤلاء، تؤخذ من البلاد النائية ومن القرى الكادحة؛ لتنفق على الإمبراطور وحاشيته، ومرافقيه وجيشه في المدينة والعاصمة، أو في المدن الكبرى، أمَّا القرى النائية فلا حظ لها، ولو كان لها حظ فهو الفتات، أو فتات الفتات.

جاء الإسلام وغيَّر الواقع: فالزكاة تؤخذ من أغنياء الإقليم لتُردَّ على فقرائه، ولا تُنقل من الإقليم إلا إذا استغنى فقراؤه. الضرائب كأنها كانت تؤخذ من الفقراء لتُردَّ على الأغنياء، قبل الإسلام في الدول الأخرى، الإسلام غيَّر هذا لتؤخذ من الأغنياء لترد على الفقراء.

لا بدَّ من العدالة إذا أردنا أن تكون النهضة حقيقية، إذا أردنا أن تنهض الأمة كلُّها، أن تشارك كلُّ الفئات، وتعتبر النهضةَ نهضتها والأمرَ أمرها، وليس يخصُّ أناسًا يسكنون في أبراج عاجية أو في صوامع منعزلة. هذا أيضًا أمر مهم.

نهضة أمة لا نهضة إقليم:

الأمر السابع بعد ذلك: أنَّ هذه النهضة لا يمكن أن تتم في إطار بلد واحد، ولا وطن واحد؛ بل لا بدَّ أن تتم في إطار الأُمَّة.

وأنا حينما أذكر كلمة «الأمة» لا أريد بها إلا الأمة المذكورة في القرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢، المؤمنون: ٥٢].

QaradawiBooks.com

لا يمكن أن تنهض هذه الأُمَّة ونحن مبعثرون، لا يمكن أن تنهض أبو ظبي وحدها، ولا دولة الإمارات، ولا مجلس التعاون، عشرة أو خمسة عشر مليونًا ماذا يعملون؟ بل العرب وحدهم لا يَكْفون، نحتاج إلى عدد، النهضة تحتاج إلى كُتَل كبيرة؛ الكيانات الصغيرة لا بقاء لها، لا تستطيع أن تعمل شيئًا ذا بال؛ من أجل ذلك نرى أنَّ البلاد الصناعية الكبرى: تشترك أكثر من دولة في صناعة طائرة متطورة، تشترك بلدان كبرى مثل فرنسا وإنجلترا وألمانيا وهذه البلاد الكبرى، تشترك دولتان أو ثلاثة لصناعة شيء متطور.

دول العالم تتكتل رغم الاختلافات الكثيرة بينهم:

ونحن نرى الآن أننا في عصر يتكلم بلغة التكتل، أوروبا تكتَّلت اقتصاديًّا، وعملت سوقا جمع فيما بينها، وتريد أن تتكتَّل سياسيًّا رغم ما يفرق بينها. أوروبا التي تظن أنَّها شيء واحد، هي متفرقة أجناسًا: الأرمان، والسكسون، واللاتين، والسولاف. ومتفرقة لغاتٍ وألسنةً، ومتفرقة أديانًا.

لا تظن المسيحيةَ شيئًا واحدًا، هناك الكاثوليك في فرنسا وإيطاليا، وهناك البروتستانت في إنجلترا وألمانيا أو نصف ألمانيا، وهناك الأرثوذوكس مثل الروس واليونان. وكل مذهب من هذه المذاهب يُعتبر دينًا آخر، أوروبا متفرقة ومختلفة في هذه النواحي كلها.

وهناك صراع تاريخي بين هذه الدول، من قرأ تاريخ أوروبا في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر يرى كيف كانت الحروب بين هؤلاء، حروب نابليون إلخ، وحتى الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، لم تكن أوروبا يدًا واحدة، ولا كتلة واحدة؛ ألمانيا وإيطاليا في جانب، والآخرون في أوروبا في جانب آخر. رغم هذا الصراع التاريخي

QaradawiBooks.com

نسيت أوروبا هذا كلَّه وتريد أن تتحد، لماذا؟ لأنَّها تعلم أنَّ الكيانات الصغيرة لا تستطيع أن تقدِّم شيئًا كبيرًا.

وأمريكا رغم أنَّها بِنْت أوروبا، إنَّما أصبحت كيانًا مستقلًّا، أمريكا وكندا والمكسيك عملوا تكتلًا.

لا بدَّ أن نتجاوز خلافاتنا:

العالم يتكتل، ونحن للأسف نتمزق، نزداد تمزُّقًا، نزداد تفرُّقًا. ما ذكره الأخ بشير من نداء سمو أمير البلاد لنبذ الفرقة، هذا ما ينبغي أن يقوله كل مسلم وكل عاقل، لا ينبغي أن تظل هذه الأُمَّة متفرقة، لا يمكن أن تحكمنا عقدة حرب الخليج إلى أبد الدهر، لا بدَّ أن نتجاوزها، لا بدَّ أن تصطلح هذه الأُمَّة بعضها على بعض، لا يمكن أن تعيش هذه الأُمَّة وهي مُفرَّقة إلا أن تكون تحت سلطان غيرها، لا بدَّ أن تلجأ إلى أجنبي يحميها! لم تعد مستقلة إذنْ، لا حماية للأمة إلا وحدتها.

الإنتاج العظيم وليد الكيانات الكبيرة:

ولا يمكن أن تنتج الأمة إنتاجًا عظيمًا، ما يسمونه في الاقتصاد الإنتاج الكبير أو الإنتاج العريض، لا يمكن أن يتم إلا في كيانات ضخمة.

التكنولوجيا المتطورة، لا يمكن أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة ونحن فرادى مبعثرون، أشلاء هنا وهناك، لا بدَّ أن نتكتل وأن نتوحَّد.

نبدأ من الوطن، من داخل الوطن الواحد، نُجمِّع فئاته، نزيل الأحقاد فيما بين طبقاته وبعض، نشيع الإخاء والحب بين الناس، لا نستجيب لما يُسمى الصراع الطبقي، ليس عندنا في الإسلام الصراع الطبقي، وليس عندنا طبقات أصلًا.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن يكون المجتمع في الوطن الواحد مجتمعًا متحابًّا، هناك من يريد أن يزرع الفرقة بيننا: هذا خارجي، وهذا داخلي، هذا أجنبي وهذا كذا.

ثم داخل أبناء الوطن من الكلمات التي لا أستسيغها: المواطنون، والمقيمون، يا أخي كلهم ناس.

والمواطنون تجد بينهم أشياء، هذا من قبيلة كذا، وذاك من قبيلة كذا.

لا بدَّ أن نوحِّد الناس داخل الوطن الواحد، الوطنِ الصغير، ثم الوطن الكبير: الوطن العربي، ثم الوطن الأكبر. الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، والوطن الأكبر من المحيط إلى المحيط: الوطن الإسلامي.

حمل هموم المسلمين:

هذا رصيد كبير، لا يجوز لنا أن ننسى هذا الرصيد الضخم: أمتنا الإسلامية. إننا كمسلمين لا يمكن أن نعيش بمعزل عن هموم إخواننا المسلمين، كيف لا أحزن لإخوتي في فلسطين، وإخوتي في لبنان، أو إخوتي في البوسنة، أو إخوتي في الشيشان، أو إخوتي في جنوب السودان، أو إخوتي في الصومال، أو إخوتي في إريتريا، أو إخوتي في كشمير، أو إخوتي في الفلبين، أو إخوتي في بورما، أو إخوتي المشردين هنا وهناك، أو إخوتي في الجزائر أو في تونس أو في مصر؟ لا يمكن، لا بدَّ أن نعيش بهموم الأمة، «**من لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم**»[1].

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣)، وفي الصغير (٩٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

عمل متواصل من أجل وحدة الأُمَّة:

فلا بدَّ من محاولة لتوحيد جهود هذه الأُمَّــة، إذا أردنا نهضة حقيقة فلا يمكن أن تكون النهضة في إطار وطن صغير، مستحيل؛ النهضة لا بدَّ أن تكون في إطار وطن كبير أو وطن أكبر.

نستطيع أن نكوِّن سوقًا إسلامية، لنبدأها بسوق عربية، لنبدأها حتى بسوق خليجية، في مجلس التعاون، أن يعمل عملة خليجية واحدة، كما كان المأمول في ذلك أن يزيل الحواجز وهذه الأشياء.

نحن في حاجــة إلى عمــل متواصل من أجــل التوحيــد، نحن أمة التوحيد، القرآن يُوحِّدنا: ديننا واحد، ربنا واحد، نبينا واحد، كتابنا واحد، قبلتنا واحدة، شعائرنا واحدة، شــريعتنا واحدة، لا بدَّ أن نتوحد، من أجل ذلك لا بدَّ أن تكون النهضة نهضة حقيقية، أن تكون على مستوى الأُمَّة.

لا بدَّ أن نحاول تقوية الموجود، الموجود الآن على مســتوى الأمة العربية: الجامعة العربية التي ســتحتفل عن قريب بمرور خمسين عامًا على تأسيسها، ووضْعُها كما ترون.

هناك محاولات للمصالحــة العربية، وقالوا: إنَّ المشــكلة الآن في الصــراع العربي، والصراع العربي الإســرائيلي، ونتيجــة لهذا التطاحن استطاعت إسرائيل أن تفعل ما تفعل.

لا بدَّ من مصالحة على المستوى العربي، ولا بدَّ من مصالحة على مستوى الجامعة العربية.

منظمة المؤتمر الإســلامي، وهي منظمة للأسف هشة حتى اسمها، إنَّها منظمة المؤتمر الإسلامي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ إنَّما دعا المسلمين بعد إحراق المسجد الأقصى أن يجتمعوا، واجتمعوا وأرادوا أن يكون لهم شيء دائم، مظلةٌ يجتمعون تحت رايتها، قالوا: نسميها جامعة الدول الإسلامية، كما سمينا جامعة الدول العربية، فقامت دول وقالت: لا؛ لسنا دولًا إسلامية، نحن دول علمانية. ورفضوا هذا الاسم.

لا بدَّ من منظمة تحمل اسم الإسلام. وبعد أخذ ورد، وجذب وشد، انتهوا إلى تسميتها: «منظمة المؤتمر الإسلامي»، نسبة إلى المؤتمر الذي ضمَّهم تحت رايته، ولكن أضيفت إليه هذه المنظمة لأدنى ملابسة، كما يقول النحويون.

هذه المنظمة يجب أن تقوى، يجب أن نقوِّيَها، وننفخ فيها من روحنا لتصبح شيئًا مذكورًا، لتعبر عن المسلمين.

الأُمَّة الإسلامية حقيقة لا وهم:

أنا ألَّفت كتابًا اسمه «الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم»، ذكرت فيه أنَّ الأمة الإسلامية حقيقة بالفعل، هي حقيقة بمنطق الدين؛ الدين يقول: إنَّها أمة واحدة. وهي حقيقة بمنطق التاريخ؛ لأنَّنا كنا أكثر من ثلاثة عشر قرنًا أمة واحدة، وهي حقيقة بمنطق الجغرافيا؛ لأنَّ البلاد الإسلامية متصلة بعضها ببعض، وهي حقيقة بمنطق المصلحة؛ لأن مصلحتنا أن نتكتل وأن نكون أمة. لو لم تكن لنا أمة لبحثنا لنا عن أمة، فكيف ونحن أمة بالفعل؟ وهي حقيقة بمنطق العصرِ، عصرِ التكتل.

وهي حقيقة بمنطق الآخرين من خصومِها. أعداؤُها يعاملونها على أنَّها أمة، لماذا يُضرب إخواننا في البوسنة؟ لأنَّه جزء من الأمة الإسلامية، يعتبرونها بوابة الإسلام إلى أوروبا. لماذا يُضرب الشيشان؟ لماذا يُضرب

QaradawiBooks.com

الإخوة في كشـــمير؟ الأعداء يريدون أن يخمدوا أنفس هذه الأُمَّة؛ حتى لا يكون لها ظهور فيما بعد. فلا بدَّ من أن تكون النهضة على مســـتوى الأمة، لا نستطيع أن ننهض بهذه الأُمَّة إلا على هذا الأساس.

تعديل النظام التعليمي:

ثم لا بدَّ لنا ثامنًـــا أن نُعدِّل من نظامنا التعليمـــي والتربوي، النظام التعليمي الحالي الـــذي ورثناه في كثير من البلاد وقلَّـــد بعضنا بعضًا.. ورثناه من عهد الاســـتعمار، فـــي مصر كان هناك قســـيس «دنلوب» هو المشرف على التعليم، كان مهمته من التعليم أن يُخرِّج موظفين للدولة، نحن نريد نظامًا تعليميًّا يُخرِّج المؤمن القوي، والإنســـان المُبْدِع، الذي يفكر فيحســـن التفكير، ويعمل فيحســـن العمل، لا نريد نظامًا تلقينيًّا؛ ولكن نريد أن يعلم الإنسان كيف يستنبط، كيف يفكر.

الطالب يحفظ بعض الأشياء، ويأتي الامتحان وكلُّ همه أن ينجح في الامتحان، وبعد أن يخرج من الامتحان وينتهي منه، ينسى كتبه ويمزقها، ويرميها في الأرض؛ كراهية في هـــذه الكتب! هذا ما رأيته، هذه الكتب عدوٌّ له، لا نريد هـــذا النظام التعليمي، لا نريد نظامًـــا يُلقِّن، نريد نظامًا يُعلِّم التعليم الحقيقي.

الأمم الكبـــرى الآن شـــعرت أنَّ النظام التعليمـــي عندهم متخلف، أمريكا الأمة الأولى للعالم لعدة سنوات.. كتب مفكروها ومربوها الكبار كتابًا معروفًا تُرجِم إلى العربية تحت عنوان «أُمَّة على حافة الخطر»، ثم علقوا هذا الخطر وقالوا: النظام التعليمي نظام فاسد، ويكاد يُضيِّع الأمة، لا يُخرِّج إنسانا مثقفًا ولا إنســـانًا قادرًا على الفهم، ولا إنسانًا قادرًا على الإبداع، وجـــاؤوا بأناس من اليابانييـــن وقالوا لهم: انظـــروا في نظامنا

QaradawiBooks.com

التعليمي، وقولوا لنا ماذا فيه من خلل، وماذا فيه من سلبيات، وما مقترحاتكم لعلاج هذا الأمر؟

هذا ما فعلته أمريكا، فكيف بنا نحن؟ نريد نظامًا حقيقيًّا يتمشى مع الطفل منذ الحضانة إلى الجامعة، ويُخرِّج إنسانًا يعرف كيف يُبدِع.

أحد الإخوة قال: في البلاد العربية اعتاد مدرسو اللغة العربية أن يقولوا: أعرب ما تحته خط. فواحد (مدرس أو مفتش) غيَّر العبارة وقال: أعرب ما فوق الخط. فقال: احتار الطلبة في هذا السؤال؛ ما معنى فوق الخط؟ كنا نعرف طول عمرنا ما تحته خط، إنَّما ما فوق الخط فلا نعرفه!

كتب الأستاذ صلاح منتصر أنَّه منذ عدة سنوات: بعث أحد الجامعيين يشكو إليه أنَّه لا يجد عملًا، وكان من ضمن الرسالة: وكتب كلمة «نحن»: «نحنوا»! يعني زاد عليها واو الجماعة، ثم الألف الفارقة!

كتب ذلك من عدة أيام في يومياته في «الأهرام» حول المصيبة التي حلت بنا.

إذنْ نحن في حاجة إلى تطوير النظام التعليمي التربوي، لا بدَّ أن نغيره بما يصنع أجيالا قادرة على البحث، على النظر، على الاستنتاج، على الإبداع. لسنا أغبياء ـ كما قلت ـ، لماذا يذهب أبناؤنا إلى البلاد الأخرى ويبدعون؟ لا بدَّ من تغيير النظام إلى نظام حقيقي، ولا بدَّ أن يكون هذا النظام قائمًا على تكوين المؤمن القوي؛ ذلك لأنَّ الإيمان أساسي، ونتكلم عنه فيما بعد.

حاجتنا إلى نظام إعلامي جاد:

تاسعًا: لا بدَّ من نظام إعلامي، نظام إعلامي جادٍّ يعمل على توعية الأُمَّة في مشروع النهضة، ويحاول أن يُشرِك الأمة في هذا المشروع.

QaradawiBooks.com

لا نريد أن نقلد إعلام الآخرين، نريد إعلامًا يبني ولا يهدم، يحفظ ولا يبدد، يقوي ولا يضعف، يجمع ولا يفرق.

ليس معنى هذا أننا نريد إعلامًا لا يعطي طول النهار إلا مواعظ ودروس، لا، نريد إعلامًا يستخدم الدراما، ويستخدم التمثيليات، ويستخدم الأغنية، إنَّما لا بدَّ أن يكون كل هذه مواد هادفة. لا مانع أن يكون هناك قسط للترويح والترفيه؛ لأنَّه كما قال النبي ﷺ لحنظلة؛ حينما جاء يشكو اختلاف حاله في بيته عن حاله مع النبي ﷺ، قال: «**يا حنظلة، لو دمتم على الحال التي تكونون فيها عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**»[1]. ذلك كما نقول: «ساعة للقلب، وساعة للرب»، وليس ثلاث وعشرين ساعة لقلبك، وساعة واحدة لربك! حتى الساعة الواحدة التي لربك لا تبقى خالصة لله، لا، لا بدَّ من ساعة وساعة. كما قال عليُّ بن أبي طالب: روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإنَّ القلوب إذا أكرهت عميت[2].

لا بدَّ من الترويح، ولكن في إطار خطة منظمة، تعطي كل شيء بمقدار، وتعطي لكل ذي حق حقه.

دور المسجد في نهضة الأُمَّة:

والإعلام هنا ليس التلفزيون ولا الراديو فقط، إنَّه يشمل الإعلام المرئي، والإعلام المسموع، والإعلام المقروء، وإعلام المسجد، المسجد له دور إعلامي ودور دعوي أساسي في المجتمع، فينبغي أن يدخل في أعماق الناس، لا يظل المسجد يتحدث عن الآخرة وحدها،

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، وأحمد (١٧٦٠٩)، عن حنظلة الكاتب.

(٢) إحياء علوم الدين (٣٠/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا عن أمور العبادة فقط، لا بدَّ أن يدخل في الدنيا، فليس هناك في الإسلام دنيا معزولة عن الدين، ولا دينٌ مقطوع عن الدنيا، الدنيا والآخرة معًا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. ومن أدعية النبي ﷺ: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر**»(١).

ولذلك، المسجد وعالم الدين لا بدَّ أن يدخل مع الإعلام في ترشيد الأمة لمشروع النهضة، لا بدَّ من هذا الأمر؛ لأنَّه من الأسف لا يمكن أن تتم نهضة إذا كانت أجهزتنا يناقض بعضها بعضًا، البعض يُشرِّق والآخر يُغرِّب، هذا يبني وذاك يهدم. الشاعر قديمًا قال:

متى يبلغُ البنيانُ يومًا تمامَه إذا كنتَ تبنِيهِ وغيرُكَ يَهْدِمُ(٢)؟

ويقول الآخر:

وَلَوْ أَلْفُ بَانٍ خَلْفَهُمْ هَادِمٌ كَفَى فَكَيْفَ بِبَانٍ خَلْفَهُ أَلْفُ هَادِمِ(٣)؟

وكيف في عصرنا ونحن لا نهدم بالمعول والقدوم، ولكن نهدم بالألغام، وهذا يجري في المعنويات كما يجري في الماديات، ولذلك ينبغي أن يبني الجميع جنبًا إلى جنب، وأن تسير الأجهزة والمؤسسات كلها في توعية الأمة بموقفها وواجبها، وحقيقة ما ينبغي أن تكون عليه.

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣).

(٣) من شعر عبد الله بن الريَّة المالقي. انظر: أعلام مالقة صـ٢٢٧، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

إشاعة جو الحرية والأمان:

عاشـرًا: لا بدَّ من توفير جـو الحرية والأمـان، لا يمكن أن ينهض الناس وأن يبدعوا، وأن يبتكـروا وأن يكونوا بَنَّائين ومنتجين حقيقيين.. في جو من القهر وجو من الخوف! الحرية هي التي تصنع الرجال، جوُّ الحرية وجو الأمـان، ولذلك القرآن امتـن على قبيلـة قريش بالأمن: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، وشـرُّ ما يُصـاب بـه المجتمع الجوع والخوف، ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

الأمن والحرية أن تشـعر بأنـك حر، تفعل ما تشـاء، أنت صاحب القرار، صاحـب الاختيار، لا يُفرض عليك أمرٌ تكرهه، لسـتَ مقهورًا، لستَ عبدًا وقد خلقك الله حرًّا.

مجتمع العبيد لا يُبدِع، إنَّما الذي يبدع مجتمع الأحرار.

في مثل هذه الليلة في الأسبوع الماضي كنت ضيفًا على التلفزيون، وذكرتُ فيما ذكرت قصة رواهـا الأدب العربي، قصة عنترة بن شـداد العبسي. تعرفون أنَّ عنترة كان رجلًا أسود اللون، ولا حيلة للإنسان في لونه، الإنسان لا يختار لونه، ولا يختار شـكله، فأبوه عامَله كما يعامل العبيد، ولم يعترف بأنه ابنـه، ولم يعامله معاملة الابـن، وتركه يرعى الجمال في الصحراء والبرية، في يومٍ من الأيـام أغارت إحدى القبائل على بني عبس، ودخلوا قلـب الديار، وكادوا يسـبون الحريم، وعنترة واقف يتفرج، نظر إليه أبوه وقال له: كُرّ.

قال له: يا أبـتِ إنَّ العبد لا يحسـن الكرَّ، وإنَّما يحسـن الحلاب والصَّرّ.

QaradawiBooks.com

قال: كُرّ وأنت حر. فهناك حمل سيفه ورمحه، وركب جواده، وبدأ يردُّ المغيرين في شجاعة البطل، فانسحب المغيرون من وجهه، حتى ارتدوا على أعقابهم مدحورين[1]. وغدت من ذلك اليوم أسطورة عنترة بن شداد، البطل الشاعر الفارس.

ما الذي جعل عنترة يفعل هذا؟ إنَّها الحرية. الحرية، الكرامة، شعور الإنسان بكرامته؛ لأنَّه ليس كمًّا مهملًا، إنَّه سيد في وطنه، لأنَّه ليس عبدًا لأحد. هذا الشعور هو قوة كبيرة ومكسب عظيم.

الإنسان لا يُقاد من أذنه، لا يقاد من رقبته كما تُقاد الأنعام، إنَّما يُقاد من داخله، من ضميره. حينما يشعر الإنسان أنَّه حر كريم سيد، هنالك يمكن أن يقاد.

الحرية شيء عظيم، ولذلك لا بدَّ من توفير الحرية والأمان للناس؛ حتى لا يعيشوا في جو من القهر والخوف، كما قال نزار قباني عن جماعة المباحث هؤلاء:

أنوفهم ورائي، عيونهم ورائي، آذانهم ورائي، كالقدر المحتوم.

الإنسان الذي يشعر بهذا لا يمكن أن يبدع، إنَّما يبدع الآمن المطمئن الشاعر بالحرية والسيادة.

ذكرتُ أنَّ أحد زعماء العرب ـ في فترة من فترات الحماس ـ بعث مندوبيه إلى أوروبا وأمريكا وأستراليا وبلاد المَهجر هذه؛ ليجمعوا علماء العرب والمسلمين المهاجرين من هناك، وأغروهم بأننا سنقيم مدينة

(١) انظر: الأغاني للأصبهاني (١٧٠/٨)، تحقيق إحسان عباس وآخرين، نشر دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

علمية إسلامية، نوفر فيها كل الإمكانات، وكل الأدوات، وكل ما تريدون إلخ، وفعلًا صدَّق هذا كثير من العقول المهاجرة، وجاءت إلى ذلك البلد الإفريقي البترولي، وأول ما دخلوا أخذ جوازاتهم، فشعروا كأنَّما هم أسرى حرب، كأنهم في معسكر الاعتقال، لا يستطيعون أن يتحركوا إلا بالإذن، وشعروا أنَّهم مراقَبون، فكل واحد منهم قال: أزور أهلي لكذا وكذا. وحينما يركب الطائرة يقول، كما قال الشاعر العربي قديمًا:

عدسْ ما لعبَّادٍ عليكِ إمارةٌ أمنتِ، وهذا تحملينَ طليقُ[1]

ثم يذهب ولا يعود. لا بدَّ من جو الحرية والأمان إذا أردنا نهضة مبدعة حقًّا.

ارتباط النهضة بالقيم الإيمانية:

ثم أخيرًا أيها الإخوة، لا بدَّ أن نربط هذا كله بالإيمان، أيُّ نهضة في الدنيا لا بدَّ أن تقوم على الأخلاق، مجموعة من القيم والأخلاق، فالحياة أصلًا لا يمكن أن تقوم على غير الأخلاق، حتى جماعة اللصوص لا بدَّ أن يكون بينهم قدر من الأخلاق: أن يحمل بعضهم بعضًا إذا وقع، وأن يقتسموا الأشياء بينهم بالشرف، يعني فيما بينهم على الأقل، وإلا ما استطاعوا العمل معًا!

الأمم لا يمكن أن تنهض إلا بالأخلاق، ما الذي نهض بألمانيا بعد الحرب؟ مجموعة من الأخلاق: الإرادة، والصبر والمصابرة، والإتقان والإحسان، ومحاولة أن يستعيدوا ثقل بلدهم. وكذلك اليابان بعد الحرب.

(١) البيت ليزيد بن المفرغ الحميري، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٥٢/١)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

حتى هناك بعض البلاد نهضت من قريب، الكوريون بدؤوا نهضتهم بعد الحرب العالمية الثانية، والآن اذهب إلى أوروبا وأمريكا تجد المصنوعات الكورية تغزو أسواق أوروبا وأمريكا.

لا بدَّ من أخلاقيات، ونحن المسلمين عندنا أساس الأخلاق: الإيمانُ، لا يمكن أن تنهض الأمة إلا بالأخلاق، كما قال شوقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِنَّما الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُو ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا[1]

ويقول:

وإذا أُصيبَ القومُ في أخلاقِهِمْ فأَقِمْ عليهِمْ مأتمًا وعَوِيلَا[2]

الأمم بالأخلاق، والأخلاقُ بالإيمان.

منذ سنوات كتب أحد القضاة في بريطانيا في قضية فضيحة من الفضائح المشهورة لأحد الوزراء، كتب تقريرًا في آلاف الكلمات، ختمه بهذه الكلمة: بدون قانون لا تستقر أُمَّة، وبدون أخلاق لا يسود قانون، وبدون إيمان لا تُوجد أخلاق.

لا بدَّ أن نربط هذه الأُمَّة بالإيمان؛ حتى تتكوَّن لها أخلاق حقيقية، أخلاق تنهض بها، أخلاق الصبر والمصابرة، وقوة الإرادة والعزم، والبعد عن السفاسف. ما معنى أن نرى الآن بعض الشباب الذين يدمنون المخدرات؟ شباب بلا أخلاق، بلا أساس إيماني، فوقع فريسة في أيدي هؤلاء الذين يتاجرون بالموت.

(١) مقدمة الشوقيات لمحمد حسين هيكل (١٢/١)، نشر دار العودة، بيروت.

(٢) من شعر أحمد شوقي، كما في الأعمال الشعرية الكاملة له (١٨٣/١).

QaradawiBooks.com

ما معنى أنَّ الأمة تنفق في كل عـام مليارات في التدخين؟ ما الذي يستفيده الإنسان من التدخين؟ لا يسـتفيد إلا ضرر نفسه وبدنه، يشتري ضرره بحُـرِّ ماله. لماذا لا يتخلَّـى عن هذا؟ خصوصًـا أنَّه في رمضان يستطيع أن يقعد خمس عشرة ساعة أو ما يقاربها بدون التدخين؟ لماذا لا تتعلم الأمة قوة الإرادة.

الإيمان يقوي طاقة الأمة الإنتاجية:

نريد أُمَّة ذات أخلاق عالية، الإيمان هو الذي يصنع هذه الأُمَّة، نحن نريد أن نربط الأُمَّة بالإيمان، والإيمان هو الذي يجعل الأُمَّة قادرة على مضاعفة طاقاتهـا، القرآن ضرب لنا مثلًا من ناحيـة الجهاد، من الناحية العسـكرية حينما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۞ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٤ ـ ٦٦]. يعني الإنسان في حالة الضعف تكون طاقة الواحد كاثنين، وفي حالة القوة تكون طاقة الواحد كعشرة أشخاص، حينما يقوى إيمانه وتقوى أخلاقه وتقوى إرادته يمكن أن ينتج عشرة أضعاف غيره. وما قاله القرآن في حالة الجهاد وفي الناحية العسكرية يمكن أن يُقال في الناحية الاقتصادية، والناحية العُمرانية، والناحية الإمكانية.

إذا قوَّيـتَ إيمانَ الأُمَّة يمكـن أن تنتج الأمة عشـرة أضعاف الأمم الأخرى، ولا يمكن أن نعوض ما فاتنا إلا بهذا. نحن بيننا وبين الآخرين مسافات ومسافات، حين نركب السـيارة نجدهم يركبون الطيارة، حين

QaradawiBooks.com

نركب الطيارة نجدهم يركبون الصاروخ، والحقيقة أنَّ السيارة سيارتهم، والقطار قطارهم، والطائرة طائرتهم، والصاروخ صاروخهم، نحن لم نصنع شيئًا من هذا.

صحيح أنَّ الواحد منا يمكن أن يركب أفضل السيارات، يمكن يطلب من المصنع سيارة بمواصفات خاصة، وهذه الأشياء، ولكن هل تستطيع أن تصنع منها شيئًا؟ لا تستطيع أن تصنع منها شيئًا. فبيننا وبين الأمم مسافات!

كيف نستطيع أن نصل إلى القوم، وكيف نعوض ما فات وهم أسبق منا؟ الزمن ليس جزءًا من العلاج، الزمن يزيد الفجوة، الآن نحن في عصر يسمونه عصر الثورة التكنولوجية المتطورة، عصر الكمبيوتر، نحن في عصر يسمونه عصر الثورة البيولوجية، هندسة الجينات، الإنسان يُحسِّن سلالات النبات وسلالات الحيوان، والآن يريد أن يُحسِّن سلالات الإنسان، يريد الأطفال «بالكتالوج»، يعني أنت تحتاج طفلًا أبيض أم أسود؟ عيون خضراء أم زرقاء؟ شعر أسود أم أصفر؟ هندسة الجينات.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٦

مستقبل الأُمَّة بين عوامل اليأس وبواعث الأمل[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا محمَّدًا عبدُ الله ورسوله، صلواتُ الله وسلامه عليه، وعلى آلِه وصحبِه، الَّذين آمنوا به وعَزَّروه ونصروه واتَّبعُوا النُّور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضيَ الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهدَ جهادَه إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة ـ بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم بالمشرق ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأُهنِّئكم ـ أيُّها الإخوة والأبناء ـ بهذا المؤتمر الرابع عشر لرابطتكم المباركة، الممتدَّة الأثر إنْ شاء الله، وأسأل الله تعالى الَّذي جعل يومكم خيرًا من أمسكم، وأنْ يجعل غدكم خيرًا من يومكم، وأنْ يُحسن عاقبتَنا جميعًا في الأمور كلِّها، ويجيرَنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

(١) ألقيت في المؤتمر الرابع عشر لرابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا، في ديسمبر ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

موضوعنا اليوم ـ كما طلب الإخوة الأعزَّاء ـ عن مستقبل الأُمَّة بين عوامل اليأس، وبواعث الأمل.

المقصود بالأُمَّة:

ونحن إذا قلنا: الأُمَّة. فلا نعرف لنا أمَّة إلا أُمَّة الإسلام، الَّتي شرَّفنا الله تعالى بالانتساب إليها، وكنا بها خير أُمَّة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله، وكنا في مقام الشهادة على البشريَّة، والأستاذيَّة لها، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

الاهتمام بالمستقبل:

نحن نتحدَّث عن مستقبل الأُمَّة، فلماذا الحديث عن المستقبل؟

الحديث عن المستقبل أمرٌ طبيعيٌّ، فكما أنَّ للإنسان ذاكرةً يسترجع بها الماضي، له مُخيِّلة يستشفُّ بها المستقبل، ولذلك كان في الزمن أمسٌ ويومٌ وغدٌ، وفي اللغة فعل ماضٍ وحاضر ومستقبل.

والإسلام بصفة خاصَّة يهتمُّ بالنظرة إلى المستقبل، في حين يظنُّ كثيرون أنَّه لا يُعنَى إلا بالماضي، وإذا عُنِي بشيءٍ آخر فقد يكون بالحاضر، أمَّا المستقبل فيظنون أننا نحن دعاة الإسلام أبعد شيءٍ عنه، وهذا اتِّهامٌ جائر، ولا أصل له، ولا يُبنى على أساسٍ علميٍّ صحيحٍ.

من عناية القرآن بالمستقبل:

لقد علَّم الإسلام المسلمين أنْ ينظروا إلى المستقبل، منذ أن كان المسلمون في العهد المكيِّ، وهم قلة مستضعَفَة من النَّاس، كما وصفهم

QaradawiBooks.com

القــرآن، فقــال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦].

كان القرآن يعلمهم النظرة إلى المســتقبل منذ ذلك الحين، فحينما كانوا يقومون الليــل كله أو أكثره، نزل التخفيف مــن الله تبارك وتعالى عنهم في هذا الأمــر، وجاء في تعليل ذلــك: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]. علم الله بما سيكون من أمرهم في المستقبل، فهو من الآن يُهيِّئ الأنفس لهذا المستقبل، ويشرِّع من الأحكام ما يناسبه.

وفي القرآن المكيِّ نقــرأ قولَه تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦]. وكان بعضُ الصحابة يقرأ هذه الآية، ويقــول: أيُّ جَمْعٍ؟ وأيُّ هزيمةٍ؟ وهــم في مكة، ولا حرب ولا قتال، ولا نصــر ولا هزيمة، حتَّى كان يــوم بدر، ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفــال: ٤١]. وأخذ النَّبيُّ ﷺ يرمــي بحفنة من الرمل في وجوهِ المشــركين ويقول: «**شــاهَت الوجوه**»[١]. يقول بعــض الصحابة: فعرفت تأويلها[٢]. عرف الآن حقيقتها الَّتي يؤول المعنى إليها.

ومن ذلك أنَّ المســلمين في مكة، وهم قليل من الناس، يخافون أنْ يَتخطَّفهم الآخرون، عُنــوا بالصراع العالميِّ بيــن القوَّتين الكبريين في العالم في ذلك الوقت، الفُرس والروم، حينما انتصر الفُرسُ على الروم، حزنَ المسلمون وفرح المشركون.

---

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٧)، عن سلمة بن الأكوع.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٦٩)، عن عمر بن الخطاب.

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

كان المشركون يرون أنَّ الفُرسَ أقرب إليهم من النَّصارى البيزنطيِّين، والنَّصارى أهل كتاب، فهم أقربُ إلى المسلمين، أمَّا الفرس فهم يعبدون النَّار، ويقولون بإلهين اثنين: إلهٍ للخير والنُّور، وإلهٍ للشرِّ والظُّلْمة، فهم أقرب إلى الوثنيَّة العربيَّة، ولهذا سُرَّ المشركون وقالوا للمسلمين: أصحابنا انتصروا على أصحابكم.

ودخل أبو بكر رضي الله عنه في رهانٍ معهم، وأنَّ الدائرة ستدور على هؤلاء، ونزل في ذلك أوائل سورة الروم: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ ـ ٥]. فهذا كله نظرٌ إلى المستقبل.

مستقبل الأُمَّة بين عوامل اليأس، وبواعث الأمل:

ولذلك لا نعجب أيُّها الإخوة إذا تحدَّثنا عن المستقبل، وعُنينا بمستقبل هذه الأمَّة الَّتي نحن جزء منها، ونحن بالذات يعنينا أمر أُمَّتنا، لأنَّنا نعيش بهمومها، لا نستطيع أن نعيش بمعزلٍ عن هموم هذه الأُمَّة، لا يستطيع أحدنا أنْ يعيش خالي البال، كما يفعل الكثيرون من الناس، بل نحن نعيش تكوينا مشاعرُ الأسى والحزن على ما يصيب هذه الأمَّة، وعلى ما يصير إليه أمرها، ولذلك نحن نبحث دائمًا عن مستقبل هذه الأُمَّة، وكيف يكون؟

أولًا: عوامل اليأس:

ومن أجل هذا كان حديثنا عن مستقبل أُمَّتنا بين عوامل اليأس، وبواعث الأمل، خصوصًا في هذه المرحلة الدقيقة والحرجة من تاريخ أمتنا، فقد غلبت بعض عوامل اليأس على الكثيرين، كما لاحظت ذلك

QaradawiBooks.com

في لقاءاتي بالكثيرين، وبقراءاتي لبعض ما كُتِب، أصبحت هناك موجة من موجات القنوط الَّتي تحدُث أحيانًا، والتي جرَّبتها هذه الأُمة أعقاب الكوارث الَّتي تنزل بها.

(١) نكبة الخليج وأثرها:

لقد حدثت بعض ألوان من اليأس، وتَسرَّبت إلى الأنفس، بعد ما سُمِّي بأزمة الخليج، هم يقولون: أزمة الخليج. ونحن للأسف أخصائيون في تبسيط الأمور الكبيرة، وتهوين الأمور العظيمة، فالنكبة الكبرى الَّتي حدثت في يونيو (حزيران) سنة (١٩٦٧م)، وأصبح الطريق مفتوحًا بها من إسرائيل إلى القاهرة ودمشق، سمَّوها «النكسة»!

والآن يسمُّون ما أصاب الأمَّة في الخليج «الأزمة»، كل هذا مجرَّد أزمة؟! سمُّوها كارثة، أو فاجعة، أو زلزالًا، سمُّوها ما شئتم أنْ تسمُّوها، فهي نكبة كبرى أصابت هذه الأُمَّة، في وقت كنا نظن فيه أنَّ شملها أوشك أنْ يجتمع، وأنَّها تدخل مرحلة جديدة من مراحل البناء الحضاري، ومراحل التَّحرير للأرض العربيَّة والإسلاميَّة، فإذا المتآمرون يتآمرون، ويُبيِّتون لهذه الأُمَّة ما بيَّتوا.

التآمر على الأُمَّة:

وأنا لست من أنصار التفسير التآمري للتاريخ، ولا للأحداث، بل كنت أنكر على مَنْ يفعلون ذلك، ولكن ما حدث في الآونة الأخيرة يدلُّ على أنَّ أعداءنا يمكرون بنا، ويخطِّطون لنا، ويتآمرون علينا، وأنَّهم للأسف ينجحون إلى حدٍّ كبير في مؤامراتهم، وإلا مَنْ كان يظن أنْ يحدث ما حدث؟

QaradawiBooks.com

حدث ما حدث، وجرّوا إليه مَنْ جرّوا من الناس، وأوقعوا الأمَّة في هذه الكارثة العظمى، بحيث اعتدى بعضُهـا على بعض، وقاتل بعضُها بعضًا، واستعانَ بعضها بغيرها، وهكذا، لماذا؟ لأنَّ الأُمَّة عجزت أنْ تحل مشكلاتها بنفسها.

سقوط الخلافة وغياب الوحدة:

وهذا دلَّنا على أنَّ هناك فراغًا قاتلًا، وأنَّ هناك خللًا عظيمًا في حياة الأمة، لم نجد في أُمَّتنا محكمةً تستطيع أنْ تفصل بين المختلفين في قضايا النزاع بين أقطارها، ليس عندنا مَنْ يفصل في هذا النزاع.

وإذا كان القرآن قد دلَّنا على أنَّ هناك محكمة عائليَّة تفصل في النِّزاع بين الزوجين: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [النساء: ٣٥]. فكيف بالنزاع بين أقطار الأُمَّة وأوطانها وشعوبها المختلفة؟ لا يوجد للأسف مَنْ يفصل بينها إذا تنازَعت.

بعد أنْ ذهبت الخلافة وحُطِّمت هذه القلعة التاريخيَّة، وهُتكت هذه المظلة الإسلاميَّة، لم يعد للمسلمين بديلٌ عن الخلافة الإسلاميَّة، هناك بعض الديانات الأخرى عندها على الأقل قيادة روحيَّة كما يسمونها، عندهم «بابا» مثلًا، فماذا عندنا نحن المسلمين؟ كنت أقول لبعض الإخوة مازحًا: هم عندهم بابا، ونحن ليس عندنا بابا، ولا ماما.

بعد سقوط الخلافة تمزَّقت الأُمَّة دُويلات، يُجافي بعضها بعضًا، وربما يعادي بعضها بعضًا، بل وربما يقاتل بعضها بعضًا على حدود لم نصنعها نحن، وإنَّما صُنعت لنا.

QaradawiBooks.com

وبعد أن كنَّا نظن أنَّ الأُمَّةَ مُقبلةٌ على تَوحُّد، وعلى أنْ تجمع شتاتَها، وتُحيي موَاتها، حدث ما حدث، وكانت نكبة الخليج، وتَمزَّقت الأمَّة شَرَّ مُمَزَّق.

التفرُّق والنزاع:

كنا من قبل نرى الاختلاف والتَّفرُّق بين الأنظمة الحاكمة بعضها وبعض، ولكن تظل الشعوب مؤتلفة مترابطة، حتَّى جاءت نكبة الخليج وزادت الطين بِلَّة، والداء عِلَّة، فأصبح الخلاف بين الشعوب بعضها وبعض، بل حتَّى أبناء الدعوة الإسلاميَّة من العلماء والدعاة، انقسم بعضهم على بعض، يجب أن نعترف بهذا، وكان هذا كله من عوامل اليأس.

يقول البعض: ليس في الأُمَّة خير، فعوامل التَّمزُّق فيها أكبر من عوامل التَّوحُّد، وعوامل الاستجابة للتآمر فيها أقوى من عوامل الاستجابة لأمر الله تعالى، إلى آخره. وفي مثل هذه الحالات تُكال التُّهم، ويجعل الناس من الحبَّة قُبَّة، ومن القط جملًا في هذه الأمور، وينظرون إليها بمنظار أسود قاتم.

لهذا كانت أزمة الخليج، أو فتنة الخليج، أو كارثة الخليج، أو زلزال الخليج، من أكبر عوامل اليأس الَّذي جعل الكثيرين يشعرون بأننا في حالة تراجع، بعد أنْ كنا في حالة تقدم إلى الأمام، ومواصلة للزحف إلى الأهداف الكبيرة أصبح الكثيرون يشعرون أننا في حالة تراجع.

(٢) محاربة الصحوة الإسلاميَّة:

وقد انتهز كثيرون الفرصة للتشويش على الحركة الإسلاميَّة، وعلى الصحوة الإسلاميَّة، ومحاولة ضرب الصحوة في الداخل، فالتآمر هنا

QaradawiBooks.com

وهناك على الصحوة الإسلاميَّة في كثير من البلاد الإسلاميَّة لكتم أنفاسها، حتَّى لا تستطيع أنْ تصل إلى ما تريد.

وبعد أن كنا نقول: هاهي الحركة الإسلاميَّة، انظروا إلى الصحوة الإسلاميَّة في الجزائر، وفي تركيا، وفي ماليزيا، وفي غيرها، أنَّها تفعل كذا وكذا من الإنجازات. أصبح هناك الآن محاولة لخنق هذه الصحوة الإسلاميَّة، والتآمر على ضربها.

وكثير من الاجتماعات الَّتي تُعقد بين الأنظمة هنا وهناك يكون الحديث الأول فيها: كيف نتآمر على الصَّحوة الإسلاميَّة؟ كيف تُعاق مسيرتها؟ كيف يُضرَبُ بعضُها ببعض؟ كيف يُغرَى أبناؤها بعضهم ببعض؟ هذا ما نلمسه، وما نراه، وما نقرأ عنه في كل مكان.

انتهزت القوى الَّتي تكيد للإسلام من قديم هذه الفرصة لتُخوِّف الأنظمة الحاكمة من الصحوة الإسلاميَّة وأبنائها، كأنَّ هؤلاء غولًا مخيفًا مفترسًا، وكانوا قديمًا يقولون لهم: احذروا المتشدِّدين، أو المتطرِّفين، أو الأصوليين، أو الإرهابيين من المسلمين إلى آخره.

أمَّا الآن فالنغمة الجديدة الَّتي ظهرت في أجهزة الإعلام الغربي، وفيما كتبه بعض المتخصِّصين في الشؤون الإسلاميَّة، هي أنَّهم يقولون: احذروا من الإسلام المعتدل، احذروا من الإسلاميين المعتدلين، ليس من المتشدِّدين، أو المتطرفين، لا بل من المعتدلين، فهؤلاء أشد خطرًا، وأطول عمرًا، أولئك المتطرِّفون عمرهم قصير، فقاقيع سرعان ما تنتهي، ولكنَّ هؤلاء المعتدلين هم الَّذين يبقى أثرهم، ويمتد أمرهم. شأن الغالي والمتطرف أنَّه قصير العمر «**إنَّ المُنبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ٢١٩.

QaradawiBooks.com

ولكن المعتدل هو المستمر والباقي، وقد عرف هؤلاء هذا الفرق، فقالوا: احذروا المعتدلين، واعلموا أنَّ الإسلام لا يمكن أنْ يكون معتدلًا، إنَّه يبدأ معتدلًا ثمَّ يتطرَّف، إنَّه يتمسكن حتَّى يتمكَّن. هكذا قالوا، فاحترنا مع هؤلاء، إذا تطرَّفت أو اعتدلت، فالطريق مسدودٌ عليك.

والعجب كلُّ العجب أنَّ أكثر حكامنا يصدقون هذا، فما يُقال لهم هو الحقُّ والصدق، ولذلك أصبحوا يتربصون الدوائر بالصحوة الإسلاميَّة، وهذا لا شكَّ من عوامل اليأس الَّتي شاعت، وتسربت إلى الأنفس.

(٣) انتفاش الصهيونيَّة:

وهناك من ناحية أخرى الصهيونيَّة العالميَّة الَّتي أصبحت الآن في غاية الانتفاش والانتفاخ، فلا شك أنَّها الكاسب الوحيد من وراء نكبة الخليج، فنحن خسرنا على كلِّ مستوى، خسرنا ماديًّا، وخسرنا معنويًّا، دُمِّرت مُقدراتنا في أرضنا، وعلى أرضنا، وبأموالنا، والآن نستدعيهم ليعمروها من جديد بأموالنا، مَن الَّذي استفاد من هذا كله؟

لا شكَّ أنَّها الصهيونيَّة، إنَّها إسرائيل الَّتي جلست تتفرج على كل شيء يُدمَّر أمامها، حتَّى إنَّ بلادنا الغنيَّة أصبحت تستدين، ولذلك انتفشت إسرائيل، ورُئِي أنَّ الفرصة سانحة الآن لفرض السَّلام كما يقولون.

ونحن أمَّة السَّلام، وديننا هو دين السَّلام، وربُّنا اسمُه السَّلام، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]. واسم الجنَّة دار السَّلام، ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]. وتحيَّتنا نحن المؤمنين في الدنيا السَّلام، وفي الآخرة السَّلام، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. والقرآن يقول: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

QaradawiBooks.com

ولكن أيُّ سلْم؟ هل جنحَ العدو يومًا للسلْم حتَّى نجنَح له؟ وكيف يجنَح للسلْم مَنْ اغتصب الأرض، وانتهك العرض، وسفك الدم، وفعل الأفاعيل، كيف يُعتبر هذا جانحًا للسلْم؟

غير مرخصة للطباعة

الإكراه على الاستسلام:

ومع هذا صدَّقْنا، ولكن هذا العدو المستكبر يرفض، ويملي شروطه، وما قاله يجب أنْ يُنَفَّذ، قالوا: اجتمِعوا في يوم كذا. فقال شامير: لا، بل يوم كذا. وذهبوا فاجتمعوا يومين، ثمَّ قال لهم: لا، غدًا السبت، ونحن نقدِّس السبت. فقالوا: نحن عندنا جمعة، فلنجلس. فلا صلَّوا جمعة ولا أقاموا شعيرة، فإذا كنتم لا تحترمون الجمعة، فغيركم يحترم السبت، وهكذا تفرض إسرائيل شروطها.

حاولت الدول الإسلاميَّة في مُنَظَّمة المؤتمر الإسلامي أنْ تجتمع في «داكار» من أجل قضيَّة فلسطين والمسجد الأقصى، وقد قلت في مرَّة من المرَّات: إنَّهم سمَّوا «مُنَظَّمة المؤتمر الإسلامي» بهذا الاسم؛ لأنَّهم لم يجدوا عنوانًا يدلُّ على هذا الاتِّحاد الجديد، أو الرابطة الجديدة، فحينما بادر الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ، ودعا زعماء البلاد الإسلاميَّة المختلفة، وقاموا في شكل مؤتمر يبحث قضايا المسلمين، وأرادوا أنْ يُكوِّنوا مؤسسةً جديدة تنضوي تحت لوائها الشعوب الإسلاميَّة المختلفة، فقالوا: نسمِّيها مثلًا جامعة الدول الإسلاميَّة، مثل جامعة الدول العربيَّة. فقامت بعض الدول، قامت تركيا، وإندونيسيا، ولبنان، وقامت دول شتَّى تقول: لا؛ نحن لسنا دولًا إسلاميَّة، نحن دول علمانيَّة. فاحتاروا في تسميتها، وبعد بحثٍ ولَأْيٍ قالوا نُسَمِّيها: مُنَظَّمة المؤتمر الإسلامي. فأضافوا كلمة «منظمة» إلى هذا المؤتمر الطارئ، وهي تسمية غريبة جدًّا، وهذا يدلُّنا على قيمة هذه المؤسَّسات.

QaradawiBooks.com

المهم أنَّ هذه الدول الَّتي اجتمعت في «داكار»، وأرادوا أنْ يكتبوا عبارة: الجهاد من أجل قضيَّة فلسطين والمسجد الأقصى، إذا لم تنجح جهود السلام. فرفض البعض إضافة كلمة «الجهاد»، حتَّى مجرَّد كلمة تقال في بيان لم يتفقوا عليها، وتفلسف أحدهم وقال: نحن الآن في بحثٍ عن السلام، فكيف نتكلَّم عن الجهاد؟ ورفضوا أنْ توضع كلمة الجهاد في البيان الختامي للمؤتمر.

لهذا نقول: إنَّ إسرائيل تفرض نفسها بمنطق القوة، وهو المنطق الَّذي جسَّده «مناحيم بيجن» في كتابه «التمرد»، حينما قال: أنا أحارب، إذنْ أنا موجود. هذا هو منطقُه، ولهذا فالسلم الَّذي يدعو إليه اليهود هو سلم المخادعين للخانعين، والله تعالى يقول: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥]. فالسَّلام إذا كان مع الوهن لا يكون سلامًا، وإنَّما هو استسلام، فالصهيونيَّة مُنْتَفِشة ومُنْتَفِخة هذه الأيَّام.

(٤) نشاط التنصير:

والتنصير قائمٌ على قدمٍ وساقٍ في العالم الإسلامي، منذ انعقد مؤتمر «كولورادو» هنا في أمريكا سنة (١٩٧٨م)، وحضره مائة وخمسون من المُبَشِّرين الأمريكيِّين البروتستانت، فهو لا يُمَثِّل كلَّ مُنَصِّري العالم، وإنَّما يُمَثِّل المُنصِّرين البروتستانت الأمريكيِّين.

اجتمع هؤلاء لهدفٍ مُحَدَّد، تحت عنوان بارز، هو «تنصير المسلمين في العالم»، وأنشؤوا لذلك معهدًا باسم «معهد زويمر»، وصمويل زويمر هو أحد المبشِّرين العتاة، وكان يقيم في البحرين في أوائل هذا القرن، وهو الَّذي ترأس المؤتمر التبشيري سنة (١٩٠٦م) في القاهرة، فأرادوا أنْ يُحيوا ذكراه، فأنشؤوا معهدا باسمه متخصِّصًا في تنصير المسلمين.

QaradawiBooks.com

وقُدِّمت إلى المؤتمر أربعون دراسة عن أحوال المسلمين في العالم مقارنة بأوضاع النصرانيَّة، وهي دراسة هائلة في الحقيقة، كنَّا قرأنا عنها نُتفًا، ثمَّ ترجمها أخيرًا إخواننا في المعهد العالمي للفكر الإسلامي إلى اللغة العربيَّة، في حوالي تسعمائة صفحة، تحت عنوان «خطة لغزو العالم الإسلامي»، ولا نظن أنَّ هذا عبث، لا، بل القوم يعملون، لا يعبثون ولا يلعبون.

وهم في بلادنا العربيَّة لا يطمعون أنْ يتحوَّل المسلم إلى نصراني، وإنَّما يكفيهم أنْ يشككوا في إسلامه، أنْ يصلوا به إلى مرحلة يتزعزع فيها إيمانه، وإن لم ينتقل من الإسلام إلى دين آخر.

ولكنهم في بلاد أخرى مثل نيجيريا في أفريقيا، وإندونيسيا في أسيا ينقلون المسلم فعلًا إلى النصرانية، وهذا رأيته بنفسي حينما ذهبت منذ سنوات إلى إندونيسيا، وفي الطائرة الإندونيسيَّة سألت المُضِيفة: هل أنت مسلمة؟ المفروض أنَّ تسعين في المائة من أهل إندونيسيا من المسلمين، فأنا أظنُّ أنَّ الَّذين يخدمون في الطائرة من المسلمين، فقالت: لا، لستُ مسلمة أنا كريستيان، ولكنَّ أسرتي مسلمة. معنى ذلك أنَّها ارتدَّت والعياذ بالله، وسألتُ المُضِيف الرجل: هل أنت مسلم؟ فقال: لا، ولكنَّ زوجتي مسلمة. وهذه مُصِيبة أخرى، فهذا ما يُحْدِثُه التنصير للأسف.

صحيح أنَّ المُبشِّرين والمُنصِّرين ينشرون أنَّهم لا يصلون إلى نتيجة مع المسلمين، ولكن كثيرًا ما يكون هذا من باب التخدير، من باب تنويم الفريسة، حتَّى يستطيعوا أنْ يقبضوا عليها تمامًا، ومن ناحية أخرى حتَّى يستطيعوا استدرار المعونات لتصل إليهم بعشرات الملايين، ومئات الملايين، ومن ناحية ثالثة أنَّ أحلامهم كانت أكبر من هذه النتيجة، كانوا

QaradawiBooks.com

يظنون أنَّ باستطاعتهم أنْ يُحوِّلوا إندونيسيا في خمسين سنة إلى بلد نصراني، فلم ينجحوا، ولذلك فمهما نجحوا فهو أقل ممَّا كانوا يتوقعونه.

كل هذه العوامل ـ أيُّها الإخوة ـ جعلت الكثيرين منا يشعرون باليأس أمامها، ويظنُّون أنَّ الإسلام في إدبار، وأنَّ الكفر في إقبال.

(٥) أحاديث الفتن والملاحم:

وربما أكَّدوا ذلك ببعض ما قرؤوه وفهموه على غير وجهه من الأحاديث الَّتي جاءت تتحدَّث عن آخر الزمان، الَّتي تسمَّى في كتب السُّنَّة بأحاديث الفتن، والملاحم، وأشراط الساعة، قرأ بعض الناس هذه الأحاديث وفهموا منها أنَّه لا أمل في إصلاح، وليس هناك إلا الشر والكفر، ولا أمل في إصلاح أو تغيير، وأننا نتحوَّل من حسنٍ إلى سيئٍ، ومن سيئٍ إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأشد سوءًا، حتَّى تقوم الساعة على لُكع بن لُكَع، كافر بن كافر، هكذا فهم بعض الناس هذه الأحاديث.

وكثيرًا ما نسمعهم يُرَدِّدون في ذلك حديث: «**بدأ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ غريبًا كما بدأ، فطُوبى للغُرَباء**»[(١)]. أو حديث: «**لا يأتي عليكم زمانٌ إلَّا الَّذي بعدَهُ شَرٌّ منه**»[(٢)]. إلى آخرها.

وكأنَّ النبيَّ ﷺ أراد بهذه الأحاديث أنْ يملأ قلوبَ الأُمَّة باليأس، هل هذا يُعقل؟ كيف وهو يقول في أمور الدُّنْيا: «**إذا قامت الساعةُ وفي يَدِ أحَدِكم فسيلةٌ، فإن استطاع ألَّا تقوم حتَّى يَغْرِسَها فلْيَغْرِسْها**»[(٣)]. إذا كانت

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨)، عن الزبير بن عدي.

(٣) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الساعة قائمة على الأبواب، وإسرافيل ممسكًا بالصور لينفخ فيه، وفي يدك نخلة صغيرة أو شتلة، فلا تدعها حتَّى تغرسها.

لماذا يغرسها وهو لن يأكل منها، ولا أحدٌ من بعده؟ هذا رمز ودلالة على أنَّ المسلم معطاءٌ للحياة، يعمل حتَّى آخر رمقٍ فيها، حتَّى تلفظ آخر أنفاسها، فهو يعمل وإن لم ينتفع أحد بالغرس، فالعمل عبادة، وهو مطلوب لذاته.

إذا كان هذا شأنَ العمل للدنيا، فما بالنا بأمر العمل للدين؟ هل الدين أهون عند الله من الدنيا؟ لا يُتصوَّر هذا، ولذلك فالمسلم مُطالَب أنْ يعمل، ويدعو، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقيم الحقَّ، وينصر العدل، إلى آخر رمقٍ في هذه الحياة، فما يفهمه بعض الناس خطأ من أحاديث الفتن وأشراط الساعة هو فهمٌ مردود.

هذه ـ أيُّها الإخوة ـ ملامح من عوامل اليأس الَّتي ظهرت على ساحتنا، في هذه الآونة الخطيرة الَّتي تمرُّ بها أُمَّتُنا، ولو استسلمنا لهذه العوامل لكان في ذلك القضاء علينا.

ثانيًا: من بواعث الأمل:

إنَّ شأن المؤمن أنَّه لا ييأس ولا يقنط أبدًا، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. فنحن لا نيأس ولا نقنط أبدًا، وخصوصًا أنَّ هناك بواعث أمل كثيرة.

(١) قوة الإسلام الذاتيَّة:

تبدأ بواعث الأمل من القوَّة الذاتيَّة للإسلام الَّذي أكرمنا الله تعالى به، فالإسلام يملك قوَّة ذاتيَّة لا توجد في غيره من الأديان.

QaradawiBooks.com

أ ـ الرسالة الخالدة:

نحن الأُمَّة الخاتمة، صاحبة الرسالة الخالدة، ليس هناك دين بعد الإسلام، ولا رسول بعد محمد ﷺ، ولا كتاب بعد القرآن، ولذلك فنحن أُمَّة الخلود، هذه أُمَّة باقية، وكتابها باقٍ، ولهذا تميَّز هذا الإسلام بأنَّ الله تولَّى حفظَه بنفسه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. فكتابُ هذه الأمَّة باقٍ، وكما يقول الإمام الشاطبي: وكما أنَّ القرآن محفوظٌ فالسُّنَّة محفوظة؛ لأنَّها بيان القرآن، وحفظ المُبَيَّن يقتضي حفظ بيانه[1]. لأنَّه تتمَّة له، ولازم له، فنحن عندنا الكتاب المحفوظ، والسُّنَّة المحفوظة في جملتها.

ب ـ دين الفطرة:

نحن أصحاب الدين الَّذي يملك قوة ذاتيَّة، الدين القادر على التأثير، المتجاوب مع الفطرة، فهو الدين الوحيد الَّذي يخاطب الكيان البشري كله، يخاطب عقل الإنسان، ووجدانه، وعاطفته، ليس فيه ما في الأديان الأخرى، مثل: اعتقد وأنت أعمى، أو أغلق عينيك ثمَّ اتبعني. لا؛ بل هو الدين الَّذي يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]، إلى آخره، فهذا دين العقل، والفكر، والحجَّة، والبرهان، دين الفطرة والوجدان.

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة (٣/٤) وما بعدها، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

QaradawiBooks.com

نحن نملك هذا الدين القوي، الَّذي لا علاج للبشريَّة في عصرنا ـ وبعد عصرنا ـ غيره، صحيح أنَّ البشريَّة استطاعت الآن أنْ تغزو الفضاء، وتصل إلى سطح القمر، وتجلب منه نماذج من الأتربة، وعيِّنات من الصخور، وأن ترسل مركبات فضائية إلى كواكب أخرى، ولكنها لم تستطع أنْ تسعد الإنسان على ظهر هذه الأرض، هناك خواء في الحضارة الحديثة، إنَّها حضارة ماديَّة، حضارة تعيش بجسم فيل، وبروح فأر أو نملة، حضارة خاوية من الناحية الروحيَّة، ومن الناحية الأخلاقيَّة، ولا توجد حضارة متوازنة إلَّا حضارتنا، ولا توجد رسالة متوازنة لدى أُمَّة من الأمم، إلا رسالتنا نحن المسلمين.

(٢) مقومات القوة لدى الأُمَّة:

أمتنا تملك من مقوِّمات القوة ما لا تملكه أمَّة أخرى، نحن نملك القوَّة البشريَّة، والقوة الماديَّة، والقوة الفكريَّة والروحيَّة.

أ ـ القوَّة البشريَّة:

عندنا قوة الموارد البشرية، حيث تبلغ أمتنا الآن ألفًا ومائتي مليون، صحيح أنَّ هناك حربًا في الإحصاء والتعداد تحاول دائمًا أنْ تقلل أعداد المسلمين، ولكن أحدث الأرقام تقول: إنَّ عدد المسلمين حوالي ألف ومائتي مليون، وربما يزيدون[1].

والمسلمون ـ والحمد لله ـ شعب ولُود، صحيح أنَّ هناك مؤامرات لمحاولة تحديد نسلهم، ولكن المسلمين يتجاوزون ذلك، فيتوالدون

(١) عدد المسلمين في العالم وفق إحصائيات عام ٢٠٢٠ حوالي ١,٩ مليار مسلم.

QaradawiBooks.com

ويتكاثرون، وصحيح أنَّ الكثرة ليست هي كل شيءٍ، والعبرة بالكيف وليست بالكم، ولكن الكثرة أيضًا نعمة، والله تعالى يقول في معرض الامتنان: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

والشاعر العربي يقول:

وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حصًى وَإِنَّمَا العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ[١]

ويقول الآخر:

ملأنا البرَّ حتَّى ضاق عَنَّا ونحن البَحْرُ نملؤه سَفِينَا[٢]

يفاخر بقوة العدد، فنحن عندنا القوة العددية، قوة الموارد البشرية.

ب ـ القوة الاقتصاديَّة:

ونحن عندنا ـ كذلك ـ القوة الماديَّة، فالأمَّة الإسلاميَّة تملك الكثير من مُقدَّرات العيش والحياة، من أسباب القوَّة الماديَّة، تملك الكثير من الأرض الزراعيَّة، من أخصب بلاد الله رقعة، صحيح أنَّ المسلمين لم يستغلوها، ولا زالوا يستوردون القوت، مع أنَّ أكثر بلادهم زراعيَّة، ولكن بدأ البعض يفيقون والحمد لله، فنحن نملك من السهول الزراعيَّة، والوديان، والجبال، والبحار، والبحيرات، والأنهار، وعندنا من المعادن المختلفة ما يُكوِّن قوة مادية واقتصادية هائلة، لو تكامل العالم الإسلامي لأصبح بها قوة هائلة، وعندنا الموقع الاستراتيجي بين القارات، وعندنا العمق التاريخي والحضاري، كل هذا نملكه نحن المسلمين.

(١) ديوان الأعشى الكبير صـ١٤٣.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ج ـ القوة الروحيَّة:

هذا بالإضافة إلى القوة الروحيَّة الَّتي نملكها ممثلة في رسالة الإسلام، الرسالة الوسطية، رسالة الشمول والتوازن، الَّتي تصل الأرض بالسماء، وتصل الدنيا بالآخرة، وتربط بين العقل والقلب، وتمزج بين المادة والروح، وتوازن بين الحقِّ والواجب، وبين حرية الفرد ومصلحة المجتمع، لا توجد رسالة فيها هذا التوازن المقسط، الجامع الدقيق، كما في رسالة الإسلام، نحن وحدنا الَّذين نملك هذا.

(٣) شواهد من التاريخ:

نحن المسلمين عندنا القوة الذاتيَّة في الإسلام، وفي أُمَّة الإسلام، وقد ظهرت قوة الإسلام الذاتيَّة خلال التاريخ، فقد أثبت التاريخ أنَّ الإسلام أشد ما يكون قوة، وأصلب ما يكون عودًا، حينما تنزل به المحن، وتحل بساحته المصائب، هنالك تظهر القوة الكامنة في هذا الدين، فإذا به يجمع المتفرقين، وإذا بالضعفاء يقوون، وإذا بالمشتَّت يجتمع، وإذا بالعملاق يستيقظ، وإذا بالتاريخ يستدير من جديد، ويغيِّر اتجاه الريح لصالح أُمَّة الإسلام.

حدث هذا في كثير من أدوار التاريخ الإسلامي، وابتداءً من فجر الإسلام.

أ ـ الانتصار على المرتدين:

نحن نعرف أنَّ قبائل العرب ارتدَّت بعد وفاة رسول الله ﷺ، منهم من ارتد ردة كاملةً، تركوا الإسلام وتبعوا المُتنبئين الكذَّابين، أمثال مسيلمة الكذاب، وسجَاح بنت الحارث، والأسود العنسي، وطُليحة الأسدي، كل

QaradawiBooks.com

جماعة اتَّبعوا متنبئًا من قومهم، وقال قائلهم: كذَّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر[١].

وهناك آخرون لم يرتدوا ردةً كاملة، وإنَّما قالوا: نُصلي ولا نُزكِّي! نقيم الصلاة، ولا نؤتي الزكاة! قالوا: الزكاة كانت لرسول الله، لأنَّ الله قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]. وهذا خطابٌ له، وليس لغيره. وفهموا هذا الفهم الخاطئ، ورفضوا أنْ يعطوا الزكاة لأبي بكر، وكانت فتنة كبيرة، فأبى أبو بكر إلا أنْ يقاتل الجميع، في هذا الوقت الحرج.

وقال بعض الصحابة: يا خليفة رسول الله، لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا. الزَمْ بيتَك، وأغلق بابَك، واعبد ربَّك حتَّى يأتيَك اليقين، بل ظهر شيءٌ من الضعف على عمر بن الخطاب، فقال له أبو بكر، هذا الرجل الرقيق البكَّاء: أجبَّار في الجاهليَّة، خوَّار في الإسلام يا ابنَ الخطاب؟ أأرجو نصرتك فتُجيئني بخذلانك، والله لو منعوني عناقًا ـ عنزة صغيرة ـ وفي رواية: عقالًا ـ حبل بعير ـ كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه، ما استمسك السيف بيدي[٢].

وأصرَّ هذا الرجل على أنْ يقاتل، وجهَّز أحد عشر لواءً لقتال المرتدين، ومانعي الزكاة، وانتصر الإسلام على الفريقين، وعادت كثرتهم إلى حظيرة الإسلام، بل سجَّل التاريخ أنَّ أعظم الناس بلاءً في حرب فارس والروم كانوا من الَّذين ارتدوا في أيام الردة، أرادوا أنْ يُكفِّروا عما حدث منهم، وأنْ يُعوِّضوا عما فعلوه ضد الإسلام بالحماس في حرب فارس والروم.

---

(١) قاله طلحة النمري، وقد قُتل مع مسيلمة يوم عُقْرَباء كافرًا. انظر: الكامل في التاريخ (٢١٦/٢).

(٢) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (١٦٨٣٨) للإسماعيلي. والحديث متَّفق عليه بغير هذا اللفظ، رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وانتصر الإسلام وفتح أعظم ممالك الدنيا القديمة فارس والروم، وتوالت الانتصارات حتَّى كان الإسلام يملك في نصف قرن معظم بلاد الدنيا القديمة، كانت تخرج أربعة جيوش في وقت واحد، مسلمة بن عبد الملك في سمرقند، وقتيبة بن مسلم الباهلي في الصين، ومحمد بن القاسم بن محمد على أبواب الهند، وموسى بن نصير، ومعه طارق بن زياد في الأندلس، أربعة جيوش في وقت واحد، هذا من قوة الإسلام الذاتية.

ب ـ الانتصار على الصليبيِّين:

وحدثت بعد ذلك حروب التتار، وحروب الصليبيِّين، ثماني حملات صليبيَّة قادها التعصب من أوربا إلى بلاد الشرق، بدعوى الحفاظ على قبر المسيح، والمسيح منهم براء؛ لأنَّهم ذبَّحوا حتَّى المسيحيين في طريقهم، وخرَّبوا ودمَّروا، وفعلوا الأفاعيل الَّتي تقشعر منها الأبدان، وتشيب من هولها الولدان، حتَّى وصلوا إلى بيت المقدس، فأقاموا مذبحة عظيمة، غاص الناس إلى الركب في الدماء، وظلَّ المسجد الأقصى تسعين عامًا أسيرًا في يد هؤلاء، وأقاموا ممالك وإماراتٍ في أرض فلسطين، هذا ما حدث.

ولم يكن هذا فقط، بل كان الزحفُ الصَّليبيّ من الغرب، والزحفُ التَّتريّ من الشرق، وقد أثبتت وثائق التاريخ بعد ذلك أنَّه كان هناك تحالف وتنسيق وتآمر بين الفريقين على أُمَّة الإسلام، لم يكن يتنبَّه له المؤرخون المسلمون من قبل، ولكن ظهر بعد ذلك أنَّه كان هناك تآمر خفي، وأنَّ بعض قادة التتار متزوِّج بنصرانيات، إلى آخره.

الشاهد من ذلك ـ أيها الإخوة ـ أنَّه في وقت من الأوقات ظنَّ الناس أنَّ الصليبيين قد استتبَّ لهم الأمر، وقد استقرَّت ممالكهم وإماراتهم في

QaradawiBooks.com

أرض فلسطين، أرض الشـــام، وأنَّ التتار قد غلبوا على الأُمَّة الإسلاميَّة، هذا ما حدث.

ولكن ســـرعان ما تغيَّر الأمر، فتغيَّر اتجاه الريـــح، وأظهر الله رجالًا مؤمنين، قادوا الأُمَّة الإســـلاميَّة إلى معارك النصر، أمثـــال عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الملقَّب بالشهيد، وإن لم يُستشهد، لأنَّه كان يتمنى الشهادة، الَّذي كان يُشبَّه بالخلفاء الراشدين في سيرته وعدله، وكذلك صلاح الدين الأيوبي، تلميذ نـــور الدين محمود، الَّذي فتح الله على يديه بيت المقدس، ونصره في معركة «حطين».

ج ـ الانتصار على التتار:

وانتصر المسلمون كذلك على التتار، حين استولى التتار على بغداد ســـنة (٦٥٦هـ)، وحطَّموا الخلافة الإســـلاميَّة، ودمَّروا الحضارة، وألقوا بالكتب في نهر دجلة، حتَّى اســـودَّ ماء النهر من كثرة ما سال من مداد الكتب، وذبَّحوا الناس حتَّى سالت الميازيب بالدماء من فوق الأسطح، بدل أنْ ينزل منها المطر كان تنزل منها الدماء.

وكان المثل السائر في ذلك الوقت: إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا فلا تُصدِّق. أيْ أســـطورة القوة الَّتي لا تُقهر، وعـــمَّ الرُّعب بين الناس، حتَّى ذكروا أنَّ أحد التتار وجد مجموعة من المسلمين ـ لعلَّهم أربعين ـ وقال لهم: انتظـــروا حتَّى آتي بســـكين لأذبحكم به. فوقفـــوا منتظرين مصيرهم، فقال لهم واحد منهم: أتنتظرون حتَّى يذبحكم؟! قالوا: وماذا نفعل؟ قال: انقضُّوا عليه، فإذا قتَلَنا فهو ما كان سيفعله، وإذا قتلْناه نجونا. وفعلًا حينما جاء هذا التتـــاريُّ قام هذا الرجل وانقضَّ عليه وقتله، فانظر كيف وقفوا مستســـلمين ينتظرون حتْفَهُم على يديه؟ فالأمَّة حين يسري

QaradawiBooks.com

فيها الضعف، حب الدنيا وكراهية الموت، الوهن الَّذي أخبر عنه الرسول ﷺ[1]، يكون هذا حالها، حدث هذا سنة (٦٥٦هـ).

وبعد سنتين فقط حدث شيءٌ آخر، حدثت معركة من المعارك الحاسمة في التاريخ، ففي الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ)، التقى التتار بجند المسلمين، يقودهم القائد المملوكي المُظفَّر سيف الدين قُطُز، مع الجيش المصري، وكادت الريح في أول الأمر أنْ تكون ضدَّ المسلمين، ولكنَّ الرجل صاحَ صيحته التاريخية المعروفة، حين رأى بعض الناس يتملكهم الرعب من كثرة ما سمعوا عن التتار، ألقى بخوذته على الأرض، وصاح صيحته الشهيرة: وا إسلاماه، وا إسلاماه. وما كاد يقول هذه الكلمة حتَّى تغيَّر الموقف، ثبت المتردِّد، وتشجَّع الجبان، وعاد الفارُّ، وأقبل المسلمون يقتلون ويأسرون، حتَّى كان النَّصر في معركة «عين جالوت».

انتصر الإسلام على التتار مرتين: انتصر عليهم ماديًّا في هذه المعركة، وانتصر عليهم معنويًّا فدخلوا في دين الله أفواجًا، كانوا في أول الأمر غير فاهمين للإسلام جيِّدًا، ولكنهم حسُنَ إسلامُهم، وأبلوا في الإسلام بعد ذلك بلاءً حسنًا، وحكموا الهند، ومعظم الآثار الَّتي نراها في الهند هي للحكام المسلمين المغوليين في الهند، وهذه من قوَّة الإسلام، فمن نظر إلى التاريخ القديم عرف أنَّ الإسلام أقوى ما يكون في ساعات الشَّدائد.

د ـ معارك التحرير المعاصرة:

وفي عصرنا الحالي نرى أنَّ الإسلام كان وراء معارك التَّحرير كلها، كل المعارك الَّتي تحرَّرت فيها الأُمَّة من الاستعمار كان الإسلام وراءها.

(١) سبق تخريجه صـ٨٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

صحيحٌ أنَّ الإسلام هو الَّذي زرع، والعلمانيَّة هي الَّتي حصَدَت، فقد انتصر كمال أتاتورك باسم الإسلام، لأنَّه كان يقاتل باسم الإسلام، وكان الجنود يقاتلون معه باسم الإسلام، وكان المسلمون في كل مكان يهتفون له كلما انتصر، وكانوا يسمُّونه الغازي مصطفى كمال، وكلنا نذكر قصيدة شوقي، الَّتي يخاطب فيها أتاتورك حينما انتصر في إحدى المعارك:

الله أكبرُ كمْ في الفتحِ من عَجَبِ يا خالدَ التُرك جَدِّدْ خالدَ العربِ[1]

فالإسلام هو الَّذي كان يقف وراء معارك التحرير.

وآخر هذه المعارك كانت في الجزائر، الَّذي انتصر فيها هو الإسلام، في جهاده ضد الاستعمار، ولكن الَّذي ورث الاستعمار وحصد الثمرة كانت هي الاشتراكية الماركسية الَّتي حكمت الجزائر.

الإسلام إذن هو دين القوة، وهو الَّذي يعطينا الأمل، إذا نظرنا إلى التاريخ.

(٤) شواهد من الواقع:

وإذا نظرنا إلى الواقع نجد أنَّ الأمل كبير إنْ شاء الله، وخصوصًا أنَّ الآخرين ليس عندهم شيءٌ، فنحن الوحيدون الَّذين نملك الرسالة الوحيدة لإنقاذ البشرية.

أ ـ إفلاس الآخرين:

ليس عند النصرانية ما تنقذ به البشرية، وتاريخها ظلمات بعضها فوق بعض، واليهودية طبعًا ليست دين دعوة، ولا إصلاح، ولا إنقاذ،

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

QaradawiBooks.com

والماركسية والشيوعية انهارت في ديارها الأم، والآن ينعون الاتِّحاد السوفيتي، فقد مات ولم تُشيَّع له جنازة، يقولون: جورباتشوف هو الَّذي يحمل وحده الآن جنازة الاتِّحاد السوفيتي. لم يبكِ عليه أحد دمعة، انهارت الشيوعية الَّتي كانت تريد في وقت من الأوقات أنْ تغزو العالم كلَّه.

من الَّذي يملك رسالة للمستقبل إذنْ؟ إنَّهم المسلمون فقط، نحن الَّذين نملك هذه الرسالة لإنقاذ الإنسانيَّة، ولكن بشرط أن نتقدم نحن للعمل بها، لنقدم نموذجًا للناس في بلادنا، ونقول لهم: هذا هو الإسلام. وأملُنا أنْ يحدث هذا إنْ شاء الله.

ب ـ الصحوة المعاصرة:

نحن المسلمين وحدنا الَّذين نملك رسالة الإسلام الَّتي صنعت ما صنعت، والصحوة الإسلاميَّة المعاصرة إنَّما صنعها الإسلام بعد محن متتابعة قامت ضد الحركة الإسلاميَّة، وهي الَّتي قُتِل من أبنائها مَنْ قُتِل، وقُدِّم من شهدائها مَنْ قُدِّم، ونُكِّل بمَنْ نُكِّل، وظنَّ الناس الظنون، ظنوا أنَّ بساط الإسلام قد طُوِي، وأنَّ هذه الحركة لن تقوم لها قائمة.

ولكن كانت هذه الضحايا هي الوقود الَّذي غَذَّى هذه الصحوةَ الإسلاميَّة الَّتي نراها في داخل العالم الإسلامي وخارجه، وما هذه المؤتمرات الَّتي نقيمها إلا ثمرة من ثمارها، وأثرًا من آثارها، تلك الآثار الَّتي نراها في مجال الفكر، وفي مجال العاطفة، وفي مجال السلوك، وفي مؤسَّسات شتى، فكريَّة، ودعويَّة، واقتصاديَّة في كل مكان.

QaradawiBooks.com

ج ـ الجهاد الأفغاني:

وهناك الجهاد الأفغاني الَّذي دوَّخ الروس سنوات، وكان هو الَّذي أثَّر في الاتِّحاد السوفيتي حتَّى انتهى إلى ما انتهى إليه، ويوم يؤرِّخُ المؤرِّخون المنصفون سيرون أنَّ الجهاد الأفغاني، جهاد هؤلاء المؤمنين البسطاء هو الَّذي أدَّى إلى انهيار الشيوعية في الاتِّحاد السوفيتي.

د ـ الجهاد الفلسطيني:

وهناك ثورة الجهاد الفلسطينيَّة، الَّتي يسمونها «انتفاضة»، وهي أكبر وأعمق من أنْ تكون انتفاضة، ثورة المساجد، ثورة أبناء الحجارة، ثورة الإسلام، الَّتي انطلقت من المساجد، ورياتها المصاحف، وشعارها: لا إلٰه إلا الله، والله أكبر. ونشيد أطفالها: خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود. مَنْ الَّذي صنع هذه الانتفاضة، أو هذا الجهاد؟ إنَّه الإسلام، الإسلام الَّذي صنع الجهاد الأفغاني، وصنع من قبله الجهاد الجزائري، هو الَّذي صنع الجهاد الفلسطيني، وهو نفسه الإسلام الَّذي يصنع الرجال في كل زمان ومكان.

(٥) نصوص مُبشِّرات:

نحن إذن ينبغي ألا نيأس أبدًا، فالأمل كبير في الانتصار، وعوامل اليأس لا يمكن أنْ تقاوم بواعث الأمل، وعندنا من النصوص المبشِّرات بانتصار الإسلام الكثير، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٩، الفتح: ٢٨، التوبة: ٣٣]، أي لِيُظهرَه على كلِّ الأديان، وهذه مذكورة في ثلاث آيات في القرآن الكريم، أنْ يظهر الإسلام على الدين كلِّه، وأنْ يتم الله نوره ولو كره الكافرون.

QaradawiBooks.com

والمبشِّرات عندنا كثيرة في الأحاديث النبويَّة، من ذلك قول النَّبي ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمتي على الدِّين ظاهرين لعَدُوِّهم قاهرين، لا يَضُرُّهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتَّى يأتيهم أمرُ اللهِ وهم كذلك**». قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**ببيتِ المَقْدِس وأكنافِ بيت المقدس**»[(١)].

ومن ذلك قوله ﷺ: «**لَيبْلُغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك الله بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخلهُ الله هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفرَ**»[(٢)].

ومن ذلك الحديث الَّذي رواه الإمام أحمد، عن أبي قبيل، قال: كنَّا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، فسأله سائل: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينيَّة أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق. قال: فأخرج منه كتابًا. قال: فقال عبد الله: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولًا**»، يعني قسطنطينية[(٣)]. روميَّة هي: روما، كما يقول ياقوت في معجم البلدان[(٤)]. وقسطنطينية: هي الَّتي كانت عاصمة الدولة الرومانيَّة البيزنطيَّة، وهي الآن إستانبول، كأنَّ الصحابة كانوا سمعوا من النبي ﷺ أنَّ كلتا المدينتين ستُفتح، والسؤال هنا: أي المدينتين تُفتح أولًا؟ فقال النبي ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولًا**». وهي القسطنطينيَّة.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٤.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٤٥.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٢٢.

(٤) معجم البلدان (١٠٠/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد فُتِحت في الثامن والعشرين من مايو سنة (١٤٥٣م)، فتحها ذلك الشاب العثماني الطموح، ابن الثالثة والعشرين، محمد بن مُراد، الشهير في التاريخ باسم محمد الفاتح، الَّذي شغله هذا الأمر، وكانت له نفسٌ توَّاقة، فكأنَّه قد قرأ في مستدرك الحاكم وغيره حديث النبي ﷺ: «**لتفتحن القسطنطينية، فلنعْمَ الأمير أميرها، ولنعْمَ الجيش ذلك الجيش**»[1]. فتاقت نفسُه أنْ يكون هو هذا الأمير، وأنْ يكون جيشُه هو هذا الجيش، وأعدَّ العُدَّة، وهيَّأ الخطة، وغزاها وفتحها سنة (١٤٥٣م).

إذنْ بقي أنْ تُفتح روميَّة، ومعنى هذا أنْ يعود الإسلام إلى أوربا مرة أخرى، بعد أنْ أُخرِج منها مرتين، فقد أُخرِج من الأندلس بعد أنْ أقام هناك حضارة شامخة، دامت ثمانية قرون، وأُخرِج منها مرَّة أخرى عندما طرق أبواب «فيينا» على يد العثمانيين، وسيعود الإسلام إلى أوربا مرة أخرى إنْ شاء الله، وقد قلت لإخوانكم في الجزائر يومًا: إنَّ عليكم أنْ تكملوا المشوار الَّذي بدأه طارق بن زياد، حينما انتقل بالإسلام من هذا الشاطئ إلى الشاطئ الآخر.

وأوربا في الواقع أحوجُ ما تكون إلى الإسلام، إلى ما يروي ظمأَها الرُّوحي، ويملأ فراغها العقائدي، ويصل أرضَهَا بالسماء، ودنياها بالآخرة، وعلمها بالإيمان، وماديتها بالروحية المتوازنة؛ ونحن عندنا سفينة الإنقاذ، وطوق النجاة، عندنا هذه الرسالة الَّتي أكرمنا الله تعالى بها، رسالة الإسلام، رسالة المنهج الوسط، للأمة الوسط، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وعلينا أن نقدِّمها للبشرية الحائرة.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٤٦.

QaradawiBooks.com

خاتمة:

نحن موقنون ـ أيها الإخوة ـ أنَّ مع اليوم غدًا، وأنَّ غدًا لناظره قريب، وأنَّ راية الإسلام سترتفع من جديد، وسيُعزُّ اللهُ دينه، ويُعلي كلمتَه، هذا سيكونُ إن شاء الله، إن لم يكن بنا فسيكون بغيرنا، وندعُو اللهَ أنْ يكون ذلك على أيدينا، ويُقرَّ أعيننا بانتصار الإسلام، ونرى ذلك في حياتنا ـ وقد بدت بشائره ـ إن شاء الله، فإن لم يكن بنا، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

التغلُّب على الشقاق:

السؤال الأول: هل تعتقدون أنَّه من الممكن التغلب على الخلاف الفادح بين الحركات الإسلاميَّة في الدول المختلفة في ظل كارثة الخليج، وما هو السبيل إلى ذلك؟

الجواب: يجب أولًا ـ أيها الإخوة ـ أنْ يحسن بعضنا الظن بالبعض الآخر، ليس هناك أحد خائن للإسلام في هذه القضيَّة، بل كلُّ ما في الأمر أنَّها وجهات نظر مختلفة، نتيجة التأثر بالزمان والمكان.

أنا كنت أدرِّس لطلابي في كلية الشريعة في قطر مقرَّرًا عن الاجتهاد، ومن ضمن ما قلته لهم: إنَّ المجتهد لا يجتهد في فراغ، المجتهد ابن زمانه ومكانه، وبيئته وثقافته، فالعنصر الذاتي موجود، والإنسان يتأثر بما حوله، ومَنْ حوله، ولذلك كان من الممكن أنْ تكون لابن حزم اجتهادات أخرى إن لم يعش في الأندلس، كما كانت للإمام الشافعي اجتهادات حينما كان في العراق، ثمَّ كانت له اجتهادات أخرى حينما كان في مصر، والمدرسة الحجازية في الفقه غير المدرسة العراقية، فهذه مدرسة في بيئة بسيطة، وتلك مدرسة في بيئة وارثة للحضارات، هذه غلب الأثر عليها، وتلك غلب الرأي عليها.

وهذا أمر نلمسه في الفقه المعاصر، فالإنسان الَّذي يعيش في الجزيرة العربيَّة غير الإنسان الَّذي يعيش في مصر، كل إنسان يتأثَّر بالمحيط الَّذي حوله، ولذلك الإخوة الَّذين كانوا في الخليج حينما حدث العدوان العراقي على الكويت، ورأوا بأنفسهم سفك الدماء، وهتك الأعراض،

QaradawiBooks.com

ونهب الأموال، غير الَّذين كانوا بعيدين عن هذا الأمر، ولا صلة لهم به إلا من القصص الَّتي تُسمَع وتُقَال، وقد تُقَال بشيءٍ من المبالغة، فالمصري الَّذي كان موجودًا في مصر، وسمع هذه الأمور غير الَّذين رأوا بأعينهم.

وأنا كنت في الجزائر، والإخوة في الجزائر بعيدون عن هذا الأمر، وكل ما يقال ما سمعوا منه شيئًا قط، لأنَّ الإعلام الجزائري لا يذكر شيئًا منه، ولهذا الذهن خالٍ، وهم يقولون: كيف يقول إخواننا في الخليج هذا الكلام. ومَنْ في الخليج يقولون: كيف يقول إخواننا في الجزائر هذا الكلام. كل واحد منهما يظن ظنًّا.

والواقع أنَّ كليهما متأثر بوقع الأحداث عليه في موقعه، مع وجهات نظر مختلفة، فتجد واحدًا عنده ثقة مثلًا في النظام العراقي، ويعتقد أنَّ هذا النظام سيخدم الإسلام، وأنَّه كذا، وكذا، وواحد آخر ليس عنده ثقة في حزب البعث، ولا بتلاميذ ميشيل عفلق، ولا ما يأتي عنهم، فلا يصدِّق شيئًا من هذا، ولهذا حدث الاختلاف، وتباينت الظنون.

ولهذا أقول: ينبغي أنْ يُحسن بعضنا الظنَّ بالآخر، وبدلًا من أن نعتبر أنَّ فلانًا خائن أو عميل، أو كذا، لا، هي وجهات نظر، اختلط فيها الحابل بالنابل، فأدَّت إلى هذه المواقف المختلفة، وآن لنا أن نتجاوزها، ونعمل ما يعمل غيرنا في مثل هذه الحالات، يختلفوا كما يختلفوا، لكنهم يقفوا صفًّا واحدًا في القضايا المصيريَّة.

ونحن أولى بهذا الموقف؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]. فهم يوالي بعضهم بعضًا، فإذا لم يُوالِ بعضُنا بعضًا ستحدثُ فتنة في

QaradawiBooks.com

الأرض وفسادٌ كبير؛ لأنَّه سيكون هناك تجمُّع في جانب الباطل، وتمزُّق في جانب الحقِّ، إيجابيَّة هناك، وسلبيَّة هنا، عمل هناك، وفراغ هنا، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، فلنتجاوز هذا الأمر، وليضع بعضنا يده في يد البعض الآخر، ولنقف صفًّا واحدًا من أجل الإسلام الَّذي هو أكبر من هذا كله.

تجاوز المحنة:

السؤال الثاني: نريد أن نعرف موقفَ الحركات الإسلاميَّة في التعامل مع أزمة الخليج، وخاصَّةً موقف الإخوان المسلمين؟

الجواب: أمَّا عن الإخوان فبياناتهم معروفة، ويمكن أن نترك المجال لأحد الإخوة، وليكن الدكتور عصام العريان، ليتكلَّم عن موقف الإخوان في هذه القضيَّة، فلعلَّه أحفظ منِّي لهذه المواقف، ولهذه البيانات.

لكن أقول: الجميع ينطلق من حب الخير للأمَّة الإسلاميَّة، وإن اختلفت وجهات النظر بينهم، بعض الناس ضَخَّم موضوع العدوان العراقي، وبعض الناس ضخَّم موضوع القوات الأجنبيَّة، وكلٌّ منهما شر، العدوان العراقي شر، ووجود القوة الأجنبيَّة شر، وللأسف اضطررنا أن ندفع الشَّرَّ بالشَّرِّ، أيُّ الشرَّين أكبر؟ هذا هو موضع الخلاف، وهذا هو ما تتفاوت فيه الناس.

وأنا في الحقيقة لا أريد ـ أيُّها الإخوة ـ أن نظلَّ ندور في هذه القضيَّة وحولها، كمن يدور في حلقةٍ مُفْرَغة، لا يُدْرَى أين طرفاها، أو كالثور في الطاحونة، المكان الَّذي انتهى إليه هو الَّذي بدأ منه، لا بدَّ أن نتجاوزَ هذه المحنة، ونبحثَ عن الغد، ونحن نتحدَّث اليوم عن المستقبل لأنَّنا لا ينبغي أن نظلَّ في الحاضر، أو نجتر أحزان الماضي، هذا لا ينفعنا بشيءٍ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غياب الوحدة السياسيَّة:

السؤال الثالث: فضيلة الشيخ، كلنا يعلم ما لِفتنة الخليج من سلبيَّات على الإسلام والمسلمين، فهل ترون من إيجابيَّات أو دروس تنبَّه لها بعض الناس، وكان البعض عنها غافلين، خاصَّة بين الناس داخل دول الخليج، بحكم إقامتكم هناك، وهل هناك ما يدعو إلى التفاؤل عقب هذه الفتنة؟

الجواب: لكثير من الأشياء وجه إيجابي ووجه سلبي، ووجه خير ووجه شر، وسُنَّة الله أنَّ الحياة مختلطة النفع بالضر، والخير بالشر، واللذة بالألم، ولكن أعتقد ـ كما أقول دائمًا ـ أنَّ الأزمات هي الَّتي تُظهر جوهر الإسلام، وهي الَّتي تدفع إلى الأمام دائمًا.

ونحن عرفنا الآن أنَّ هناك أشياءً كثيرة تنقصنا، فما حدث في نكبة الخليج بيَّن في الواقع أنَّ هناك خللًا في الحياة الإسلاميَّة، أنَّ الخلافة الإسلاميَّة ذهبت ولم يعد هناك شيء آخر يقوم مقامها في فضِّ النزاعات.

ولو كانت هناك خلافة راشدة لأمكن التَّغلُّب على هذه النِّزاعات، فالإسلام يجعل المسلمين أمَّة واحدة، وإن كانت ذات شعوب مختلفة، وأنا في الحقيقة أنكر دائمًا كلمة «الأمم الإسلاميَّة»، لأنَّنا شعوب إسلاميَّة لأمَّة واحدة، هذه الأمَّة يربطها الإسلام بنظام الخلافة في دار واحدة يسمِّيها دارَ الإسلام، وكل أوطان المسلمين اسمها دار الإسلام، يحكمها نظام واحد، وخليفة واحد، وليس هذا بعيد التَّحقُّق، ففي عالمنا اليوم دول فيها أكثر من ألف مليون مثل الصين وغيرها، لماذا نُصرُّ نحن على ألا تُرى بعض دولنا على خريطة العالم إلا بالمجهر؟

QaradawiBooks.com

فهذه النَّكبة بيَّنت لنا أنَّ هناك شيئًا غائبًا في حياتنا، يجب أن نسعى إليه، هذا الشيء هو وحدة المسلمين، ونظام الخلافة الإسلاميَّة، فلو كان نظام الخلافة موجودًا لما كان هناك تَقَاتُلٌ على الحدود، ولما كان هناك بلاد فقيرة، وبلاد غنية، لأنَّ الغنى سيكون للجميع في النهاية، حتَّى هنا في أمريكا توجد ولايات غنية، وولايات أقل منها غنىً، ولكن الجميع يصب في النهاية في خزانة كبرى، تفيض على الجميع بالخير.

ينبغي أن نستفيد مما جرى في نكبة الخليج بأن نعرف ما ينقصنا لنعود أُمَّة واحدة كما كنا، ونسعى لرأبِ الصَّدع، وملء الفراغ الَّذي شعرنا به في هذه النكبة حتَّى لا نعود من جديد إلى غيرنا ليحلَّ مشكلاتنا، ولا نستطيع حلَّها بأنفسنا.

وعلينا كذلك أن نتنبَّه إلى مؤامرات غيرنا، وكيد غيرنا، وكما قلت لكم: إنَّني وإن كنتُ لست من أنصار التفسير الكيدي والتآمري؛ إلا أنَّ التآمر حقيقة لا ننكرها، وقد ثبت هذا التآمر بالوقائع، فهناك من يتربَّص بالإسلام ويخاف منه، ولكن أعتقد أنَّ الله من ورائهم محيط.

كنت أقرأ منذ أيام لصحفيٍّ أمريكيٍّ من المُقرَّبين إلى إسرائيل يقول: كنا نشعر بالخوف من قُرب التوصل إلى قنبلة نووية إسلاميَّة، أمَّا الآن وبعد استقلال كازاخستان فقد أصبح هناك أكثر من ألف قنبلة نووية إسلاميَّة.

ولهذا أقول: في الأقدار أشياء لا نعرفها، صحيح أنَّ أعداءنا لن يتركوا لنا شيئًا، لكن لا ينبغي أيضًا أن نتعلل بتآمر أعدائنا وتخطيطهم، لماذا لا نخطط لأنفسنا؟ لماذا لا نضيع عليهم الفرصة؟

QaradawiBooks.com

ومِن هنا أريد من الجميع ـ من أبناء الخليج، ومن أبناء الصحوة الإسلاميَّة في كل مكان ـ أنْ يكونوا أكبر من الأزمة أو النكبة، وأن يتجاوزوا ما حدث فيها، وأن يعودوا صفًّا واحدًا، فالإسلام ينتظر الجميع، هذا هو الدرس الَّذي يجب أن نعيه.

دور العلماء:

السؤال الرابع: ما هي مسؤولية العلماء ودورهم تجاه أزمة الخليج الحالية، ودورهم في قيادة الأمة؟

الجواب: لا شك أنَّه ينبغي أنْ يكون للعلماء دور رائد، ولكن العلماء جزء من المجتمع، يجري عليهم ما يجري على سائر المجتمع، وخصوصًا أنَّ للسياسة أثرَها في هذه الناحية، لها دور في إبعاد من ترى إبعاده من العلماء، وتقريب من ترى تقريبه منهم، وإبراز بعضهم، وإخفاء البعض آخر، وهذا أمر معروف، وخصوصًا أنَّ كثيرًا من العلماء موظفون لدى الدولة.

وأنا قلت: إنَّ هذا للأسف من أسباب ضعف علماء أهل السُّنَّة، فإخواننا العلماء من الشيعة ليسوا موظفين عند الدولة، حتَّى قبل قيام جمهورية إيران الإسلاميَّة، فالعالِم الشيعي من قبل هذا لا يقبض راتبه من الدولة، وإنَّما يقبضه من الخُمْس الَّذي يبذله أبناء الشيعة تديُّنًا وتعبُّدًا، والخمس هو عشرون بالمائة (٢٠٪) من صافي الدخل، وهو يُكوِّن قوة مادية تجعل ـ ضمن ما تجعل ـ هؤلاء العلماء غير محتاجين إلى الدولة.

المشكلة أنْ يحتاج العالِم إلى الدولة من أجل قُوتِهِ، وقد كانت للحسن البصري شهرته في قول الحق، حتَّى سأل بعض أمراء بني أميَّة

QaradawiBooks.com

عن سر قوة الحسن وشجاعته، فقال لهم بعض الناس: احتاج الناسُ إلى دينه، واستغنى هو عن دنياهم. وكان قد رزقه الله ببعض المال، والمشكلة عندما يكون العالم محتاجًا إلى الحكَّام، والحكام مستغنون عن دينه، والمشكلة أيضًا أنَّ مجامع العلماء يُكوِّنها الرسميُّون في كل دولة.

ولكن هل العلماء هم كل شيء؟ من الآفات السلبية عندنا أنَّ كل واحد منا، أو كل فئة، تحاول أنْ تُلقي التَّبعة على غيرها، فيلقي جمهور الناس التَّبعة على العلماء، والعلماء يلقونها على الحكَّام، والحكَّام يلقونها على الاستعمار، والحقيقة أنَّ الكلَّ مسؤول كما قال النبيُّ ﷺ: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رَعِيَّته**»[1]. فالكلُّ مسؤول.

وأذكر أنَّ أحد الدعاة سئل يومًا: لقد صار لكم معشر العلماء أربعون عامًا وأنتم تتكلمون داعين إلى الدولة الإسلاميَّة، فماذا فعلتم؟ فكان رده ردًّا ذكيًّا حين قال له: وأنتم تستمعون منذ أربعين عامًا، فماذا فعلتم؟ لماذا تكون التَّبعة على المتكلم فقط، وليست على السامع أيضًا؟ فالمفروض أنَّ الجميع مسؤولون عمَّا يجب عمله للخروج من هذه النكبة، أو الأزمة.

العمل الواعي المستمر:

السؤال الخامس: نشكركم على ما جاء من عرضٍ لمشكلة اليأس، ولكن نريد أن نعرف: ما هو الحلُّ الَّذي يمكن أن نقول به في ظل الإمكانات المتاحة لدينا في عالمنا العربي، نرجو أنْ تضعوا هذا الحل في نقاط سهلة يمكن تطبيقها فيما بعد؟

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٤٣.

نسخة مجانية
غير مصرح للطباعة
QaradawiBooks.com

الجواب: الحلُّ ـ أيها الإخوة ـ هو في استمرار العمل، نحن لا نبدأ شيئًا جديدًا، نحن مستمرون، بدأت الحركة الإسلاميَّة ـ والحمد لله ـ منذ أكثر من ستين عامًا، وهي ماضية في طريقها.

كل ما نطلبه ألا تحطِّمنا وتنال منا عوامل التَّيئيس والتَّثبيط، وإنَّما ينبغي أن نأخذ من هذا ما يزيدنا رغبة في العمل، لأنَّنا نريد أن نقاوم هذه العوامل، ومعناه أنَّه لا بدَّ أن نضاعِفَ من نشاطنا، فالمطلوب منا زيادة العمل، كما يعمل غيرنا، وقد ذكرت لكم ما كتبه المُنَصِّرون، فهم يعملونَ فعلًا، ومَنْ يُريد أنْ يخدم الإسلام لا بدَّ له من عمل مستمر.

أذكر لكم قصة حكاها لنا أحد الإخوة، ونحن في مؤتمر الدعوة الإسلاميَّة في دار السلام في تنزانيا ـ وهو لواء على المعاش في الجيش السوداني ـ قال: ذهبنا في الخمسينيَّات إلى قرية في جنوب السودان، وكنا نركب سيارة «چب»، ولم يكن أهل القرية قد رأوا سيارة في عمرهم، فأول ما رآها النَّاس ذُعِروا، وهرعوا إلى بيوتهم خائفين، يقول: فأخذنا نُعيد الناس ونطمئنُهم، ونقول: نحن سودانيون مثلكم. وبينما نحن نتحدث معهم سمعنا ناقوسًا يدق، فقلنا: هل هنا مدرسة؟ قالوا: ليس هنا مدرسة، وليس هنا أحد يعرف القراءة والكتابة. قلنا: ما هذا الجرس؟ قالوا: هذا أبونا.

قال: فذهبنا إليه، فوجدنا رجلًا بلجيكيًّا يعمل مُبشِّرًا، وعرفنا أنَّه يطوف على بعض القُرى بدرَّاجته، وهو يجيء إلى هذه القرية مرتين كل أسبوع، ومعه حقيبتان، واحدة بها أدوية خفيفة، كالأسبرين وقطرات العيون وأمثالها؛ ليعالج بها أهل القرية، والأخرى بها حلوى؛ ليوزِّعها على أطفالهم، ثمَّ يجلس يُحدِّثهم حديثا يُبلغ فيه دعوته عن المسيح والعذراء، يفعل ذلك منذ ثلاثين سنة. قلنا للرجل: كم مرة زرت فيها بلدك؟ قال: أنا

QaradawiBooks.com

لم أزرها منذ جئت إلى هنا. قلنا: ومتى تنوي العودة إلى بلدك؟ قال: وما حاجتي إلى العودة؛ أنا رسالتي هنا، وحياتي هنا، وقبري هنا؟

هذا رجل صاحب رسالة باطلة، ومع ذلك ينقطع لها، ويُضحِّي في سبيلها، فإذا كنَّا نريد أن نخدم دينَنا علينا أن نتبتَّل له، علينا أنْ يبذل كلٌّ منا ما يستطيع، أمَّا أنْ يجلس كل واحد وينتظر غيره أنْ يعمل للإسلام ويخدمه، فهذا لا يجوز بحال، فالإسلام إن لم يكن بنا فلن يكون بغيرنا، فسنة الله أنْ ينصر الحق بأهله، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. فعلينا أن نعمل باستمرار، وأن نعمل بوعي وذكاء، وتخطيط وتعاون، وأن نتجاوز الأزمات والنكبات الَّتي مرَّت بنا، فلا ينبغي أن نجترَّ هذه الأشياء الَّتي قسَّمتنا ومزَّقتنا، فما فات مات، لنبدأ من جديد، ونعمل وننهض.

أنا كتبت كتابًا عن فقه الأولويات أسميته «أولويات الحركة الإسلاميَّة في المرحلة القادمة»، لنعرف من أين نبدأ؟ فالمفروض أن نعمل ونستمرَّ في العمل، ونعرف الأمر رقم واحد، والأمر رقم اثنين، والأمر رقم ثلاثة، فلا نُقدِّم ما حقُّه التأخير، ونؤخِّر ما حقُّه التَّقديم، لا ننشغل بالقضايا الجانبيَّة عن القضايا الأصليَّة، ولا ننشغل بالجزئيَّات عن الكليَّات، ولا ننشغل بالمعارك الهامشيَّة عن المعارك الكبرى، معارك الوجود والمصير، وعلينا أن نتسامح فيما اختلفنا فيه، ونتعاون فيما اتفقنا عليه، أعتقد أنَّ هذه هي بداية الطريق.

تكثيف العمل:

السؤال السادس: هل هناك اقتراحات عمليَّة تتعلق بالمستقبل تدعون إليها فضيلتكم، كمؤسسة أو هيئة أو مشروع معين، أو صندوق مثلًا لفتح رومية؟

الجواب: أنا قلت للإخوة في الجزائر، وأنا أحدثهم عن فتح روميَّة: إنَّ الَّذي أستشعره وأستشفُّه بخصوص فتح روميَّة المأمول أنَّه لن يكون

QaradawiBooks.com

بالسيف، وإنَّما سيكون بالفكر والدعوة، لأنَّ الناس في حاجة إلى الإسلام، هم يريدون شيئًا ينقذهم ممَّا هم فيه.

إنَّ الحضارة الغربية لم تُسعد النَّاس من شقاء، ولم تؤمِّنهم من خوف، يعيشون في عصر القلق المرضي، والاضطرابات النفسيَّة، ولذلك تجد العيادات النفسيَّة بالملايين.

وما نقرؤه الآن أو نسمع عنه من «الهيبيز» أو «الخنافس»، أو غيرهما، إنَّما يُمثلون ثورة على الحضارة الغربية المادية الآلية، الَّتي يشعر الإنسان فيها بالضياع، لأنَّه يعيش بلا هدف، لا يعرف الإجابة عن القضايا المبدئيَّة والمصيريَّة الكبرى للإنسان، عن الأسئلة الخالدة المُحيِّرة: ماذا أنا؟ ومِنْ أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟ هذه القضايا أو الأسئلة لا يجد الإنسان جوابًا عنها في الحضارة الغربيَّة، فهؤلاء «الهيبيز» وأمثالهم ثاروا على هذه الحضارة لأنَّهم أحسُّوا بالداء، ولم يعرفوا الدواء.

نحن الَّذين لدينا الدواء، وعلينا أن نتقدَّم، إذا كنَّا نريد أن نفتح رومية بالفعل فلنجتهد أن ننشر الإسلام الحقيقي، ونعرِّف الناس به، فهناك للأسف مئات الملايين من البشر لا يعرفون عن الإسلام شيئًا، وإذا سمعوا عن الإسلام فقد سمعوا عنه بصورة مشوَّهة، من رواسب ما كان يُذكر في العصور الَّتي يسمُّونها العصور الوسطى، أنَّ محمدًا كان يمسك سيفًا في ناحية، وإلى جانبه النساء في الناحية الأخرى، هذه الأكاذيب لا زال لها تأثيرها، ماذا صنعنا نحن لمقاومة هذه الأباطيل، ونشر الإسلام الصحيح؟

ومن المؤسف ألا يوجد حتَّى الآن ترجمة لمعاني القرآن يطمئن إليها أولو العلم من المسلمين، لا توجد رسائل تشرح الإسلام شرحًا حقيقيًّا بصورة كافية، باللغات العالمية الكبرى.

QaradawiBooks.com

إذا أردنا أن نفتح رومية يجب أن نعمل، لا بدَّ أنْ يرصد بعضنا نفسه لهذا الأمر، وقد ذكرت لكم قصة هذا المبشر البلجيكي الَّذي مكث ثلاثين عامًا في جنوب السودان في الأدغال، وبين البدائيين من الناس، من أجل رسالته، رغم بطلانها، فمَنْ مِنَّا ينذر نفسه ليفعل هذا من أجل الإسلام، وهو الحق؟

هناك من إخواننا فعل هذا، أخونا الدكتور عبد الرحمن السميط في لجنة مسلمي إفريقيا، وكذلك ذهب بعض الشباب إلى مثل هذه الأماكن، وأنتجوا إنتاجًا طيِّبًا، ولمسوا آثارًا ضخمة جدًّا من وجودهم بين الناس، وقالوا: لو وُجِد من يتعايش مع هؤلاء الناس سنكسب أمرين: إسلامَ الكثيرين ممن يُحسبون على الإسلام، وليس لهم من الإسلام إلا اسمه، فالواقع أنَّ التنصير لم ينجح في تنصير إلا من كانوا مسلمين بالوراثة فقط، المسلمين الجغرافيين في إفريقيا أو أسيا، ونحوها، فنحن من ناحية نصحِّح إسلام هؤلاء المسلمين، ومن ناحية أخرى نكسب مسلمين جُددًا، والإسلام دين الفطرة يستطيع الداعية بسهولة أنْ يجد أثرًا لدعوته بين الناس، فالمهم أن نصمِّم ونبدأ ونُكوِّن جمعيات مختلفة للعمل المتنوع، وقد كُوِّنتْ بالفعل بعض الجمعيات.

وأنا أكرمني الله تعالى ـ منذ أن حدث مؤتمر كلورادو عام (١٩٧٨م)، الَّذي جعل تنصير المسلمين هدفًا له ـ بأن تبنَّيْت دعوة لإنشاء مؤسسة تقاوم هذا الباطل بالفعل لا بالقول، وكانت نتيجة هذا السعي إنشاء «الهيئة الخيرية الإسلاميَّة العالمية» في الكويت، فقد كان لا بدَّ من أعمال مقابلة، تُعنى بفعل الخير الَّذي هو ركيزة أساسيَّة في رسالة المسلم، فمن أراد أنْ يفعل فعل، ومن سار على الدرب وصل إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

المبشرات بانتصار الإسلام

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٥١].

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوَّة فيكم ما شاء الله أنْ تكون، ثم يرفعها إذا شاء أنْ يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أنْ تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أنْ يرفعها، ثم تكون مُلْكًا عاضًّا، فيكون ما شاء الله أنْ يكون، ثم يرفعها إذا شاء أنْ يرفعها، ثم تكون مُلْكًا جَبْرِيَّة، فتكون ما شاء الله أنْ تكون، ثم يرفعها إذا شاء أنْ يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة**» ثم سكت. رواه أحمد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله**». متَّفق عليه.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

١٧

المُبَشِّرات بانتصار الإسلام (١)[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمَّدًا عبدُ الله ورسوله، مُعلِّم النَّاس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخلْقِ إلى الحقِّ، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعُوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لسعيد أنْ ألتقي بهذه الوجوه الفتيِّة، القويَّة الإيمان، القويَّة الثقة بالله تبارك وتعالى، المُصمِّمة على أنْ تعمل بهذا الدين، وأنْ تعمل لهذا الدين، وأنْ تدعو إلى الله على بصيرة، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

(١) ألقيت بمسجد عمر بن الخطاب، بمحافظة الزرقاء، بالمملكة الأردنيَّة، عام ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

الشعور باليأس والإحباط:

أيُّها الإخوة، حديثي إليكم عن المُبَشِّرات بانتصار الإسلام، ونحن في فترة أحوج ما نكون فيها إلى إشاعة المُبَشِّرات، فقد أصابَ النَّاسَ الإحباطُ، وأصابَهم اليأس من المستقبل، والقنوط من الغد، في هذه الفترة الحَرِجة الَّتي تكالبت على المسلمين القُوى المعادية من الداخل ومن الخارج، من الشرق ومن الغرب، من اليمين ومن اليسار.

الصحوة الإسلاميَّة الَّتي كانت ملءَ الأسماع والأبصار، وكان الجميع ينتظرون أنْ تُؤْتي أُكُلَها، وتُحَقِّق أهدافها، أصبحت تُضرَب في كلِّ مكان، وأصبح المسلمون يُسمَّون الإرهابيِّين، والمتطرفين، والأصوليِّين، وغير ذلك من الأسماء الغريبة.

من أجل هذا شعر الكثيرون باليأس والإحباط، وغدا كثير منهم يقول: لا فائدة من العمل، ما دامت الأبواب تكاد تُغْلَق في وجوهنا، والطرق مسدودةٌ علينا، وصار الكثيرون ينظرون من وراء منظار أسود قاتم إلى الحياة، وإلى الواقع، وإلى الغد، وإذا سادت هذه الروح تكون خطرًا على الأُمَّة.

إشاعة الأمل والرجاء:

ينبغي أن نُشيع روح التفاؤل، وروح التبشير، وروح الأمل والرجاء، كما قال الشاعر العربيُّ:

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بالآمالِ أَرْقُبُها ما أضيقَ العيشَ لولا فُسحة الأملِ[1]!

(١) ديوان الطغرائي صـ٣٠٦، لاميَّة العجم، تحقيق د. علي جواد الطاهر ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط٢، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

ويُعَلِّمنا القرآن أنَّ اليأس من لوازم الكفر، والقنوط من مظاهر الضلال، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

لهذا كُنَّا في حاجة إلى إشاعة جوٍّ من المُبشِّرات، وخصوصًا أنَّ من المسلمين مَنْ يُشيع جوَّ المثبِّطات والموئسات، ويفهمون بعض ما ورد في السُّنَّة النبويَّة فهمًا مغلوطًا، بعض الأحاديث الَّتي وردت في أبواب الفتن وأشراط الساعة، يفهم منها بعض الناس أنَّ الكفر في إقبال، والإسلام في إدبار، والشرَّ في ازدياد، والخير في نقصان، وأنَّنا لا نسير من سيِّئ إلا إلى أسوأ، ولا من الأسوأ إلا إلى الأشدِّ سوءًا، هذه فكرة قاتلة وهدَّامة، إذا استشرت في نفوس الأُمَّة.

التزام منهج التبشير:

لهذا يجب أن نقاوم هذه الروح اليائسة، القانطة، المثبِّطة، ونُبشِّر الناس، والنبيُّ ﷺ حينما بعث أبا موسى الأشعريَّ، ومعاذَ بن جبل إلى اليمن، أوصاهما بتلك الوصية الموجَزة الجامعة، في هذه الكلمات القليلة، قال: «**يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا**»[(١)]. وروى عنه صاحبه وخادمه أنس أنَّه قال: «**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا، ولا تُنَفِّروا**»[(٢)]. وهذا هو المنهج الذي وفَّقني الله إلى التزامه، منهج التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة، ألتزم التيسير فيما أفتي به، والتبشير فيما أدعُو إليه، فأنا أبشر ولا أنفر، هذا هو المنهج النبويُّ.

(١) سبق تخريجه صـ٣٣٥.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

المبشرات بانتصار الإسلام:

من أجل هذا، حينما رأيت هذه المُثبِّطات والموئسات شائعة في الأمَّة، رأيت أنْ أنشر هذه المُبشِّرات، بأنَّ الإسلام منتصِر، وأنَّ الغد للإسلام، وأنَّ المستقبل لهذا الدين، وهذا عليه أدلَّة ومُبشِّرات كثيرة.

هناك أنواع من المُبشِّرات، مُبشِّرات من القرآن، ومُبشِّرات من السُّنَّة والحديث النبويِّ، ومُبشِّرات من التاريخ، خصوصًا التاريخ الإسلامي، ومُبشِّرات من الواقع الذي نعيشه، ومُبشِّرات من سُنن الله في الخلْق، خمسة أنواع من المُبشِّرات، الحديث عن كلٍّ منها يطول، ولكنْ بحسبي أنْ ألقي أضواء، وأُرسل لمحاتٍ، في كلِّ ناحيَة من هذه النواحي، وفي كل مُبشِّرٍ من هذه المُبشِّرات.

(١) مبشرات من القرآن الكريم:

أول هذه المُبشِّرات هو المُبشِّرات من القرآن، والقرآن الكريم حافلٌ بالمُبشِّرات الَّتي تملؤنا ثقة ويقينًا بأنَّ النصر لنا، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. فلا بدَّ أنْ يتم نور الله، وفي الآية الأخرى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. هذا الإباء الإلٰهي هو الذي يُطمئننا أنَّ نور الله تامٌّ لا محالة، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وتأتي الآية التالية لهذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]. وتكرَّرت بحرفها في الآية التاسعة من سورة الصف، وفي سورة الفتح قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]. ومعنى ظهور الإسلام على الدين كلِّه، أي على كلِّ الأديان.

QaradawiBooks.com

صحيح أنَّ الإسلام في العصور الأولى انتصر على الوثنيَّة العربيَّة، وعلى المجوسيَّة الفارسيَّة، وعلى اليهوديَّة، وعلى النصرانيَّة في دولة الروم؛ ولكن بقيت أديان ووثنيَّات ضخمة في الأرض، في آسيا وإفريقيا، لم ينتصر عليها الإسلام، لم يظهر على كلِّ هذه الأديان، والآية تقول: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾. وهذا الوعد لا بدَّ أنْ يتحقَّق، ولهذا ننتظر أنْ يظهر الإسلام على جميع الأديان، هذا وعد الله، ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧]، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]. إنَّما يخلف الكاذب العاجز، والله لا يكذب ولا يعجز، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. وعد الله سيتحقَّق، وفي سورة النور: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]. هذا وعدٌ إلهيٌّ ننتظر أنْ يتحقق، أنْ يستخلفنا، وأنْ يمكن لنا في الأرض.

والآيات كثيرة في الوعد بالنصر: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: ٣٨]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

هذه الآيات بالدفاع، والنصر، والعزَّة، والإنجاء، والمعيَّة من الله، كلها مبشرات، مهما كان عددنا أقل، أو عدتنا أقل، يقول الله تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. فإذا كانت عدة أعدائنا أقوى، أو حصونهم أمنع، فالله تعالى يقول: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ [الحشر: ٢].

وما ذكره الله من قصص النبيِّين والمؤمنين، كلها تنتهي بأنَّ الله تعالى ينصر رسوله والذين آمنوا معه، وينجيهم من كيد الكفار، ويهلك الكفار، هذا موجود في قصة نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وإبراهيم، كلها تنتهي بأنَّ الله تعالى ينصر النبيَّ والذين آمنوا معه، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]. كل هذه القصص تملؤنا ثقة بأنَّ النَّصر لنا.

صحيح أنَّنا يمكن أن نقع في محن وزلازل، ويمكن أنْ يتأخَّر النصر، ولكنَّه آتٍ، والله تعالى يقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. يعني أنَّ المستبْطئين يقولون: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾. فيعقب القرآن: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

ويمكن أنْ يقاتلنا الأعداء، ويحاولون فتنتَنا عن ديننا، وسلخَنا من جلدنا، ولكن لن يستطيعوا ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧]. نحن في اللغة العربية نقول: إذا لتحقق الوقوع، و«إنْ» للتشكيك في الوقوع. ولذلك يقول: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾. ومعناها: لن يستطيعوا. فهم يقاتلوننا، ويحاولون أنْ يردونا عن ديننا، ولكنهم لن يستطيعوا إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

والقرآن يبشرنا ويقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. ونرى من هذه الآيات الكثير، الذين يدخلون الإسلام رغم ضعف المسلمين وسوء حالهم، والذين يكتبون في الإعجاز العلمي في القرآن، وغيرها.

هذه كلها ـ أيُّها الإخوة ـ ملامح من مُبشِّرات القرآن، فالمُبشِّرات من القرآن كثيرة، وحسبنا هذه الملامح منها.

(٢) مبشرات من الحديث النبويِّ:

ثم هناك مبشرات من الحديث النبوي، الذي طالما ظُلِم من بعض الناس، الذين لا يذكرون إلا حديث: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء**»[(١)]، أو حديث: «**لا يأتي عليكم زمان إلاَّ الذي بعده شَرٌّ منه**»[(٢)]. ونحو ذلك، وينسون المُبشِّرات، كأنَّ هذا هو كلُّ ما جاء من أحاديث.

وهذه الأحاديث ليست كما فهموها، فإذا كان الإسلام بدأ غريبًا فقد تغلَّب على هذه الغربة، وإذا عاد غريبًا فسيتغلَّب أيضًا على هذه الغُربة، هي موجات ودورات تتعاقب، يغترب مرَّة ويعود إلى الظهور مرَّة أخرى، وهكذا.

وليس معقولًا أنْ يقول الرسول ﷺ للأمة أحاديث تثبِّطها وتمنعها من العمل، وهو الذي قال: «**إذا قامت الساعةُ وفي يد أحدكم فَسِيلَةٌ، فإن استطاع ألَّا تقوم حتَّى يغرسها، فلْيَغْرِسْها**»[(٣)]. لماذا يغرسها وهي لن تثمر

(١) سبق تخريجه صـ ٤٢٧.

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٢٧.

(٣) سبق تخريجه صـ ٤٢٧.

QaradawiBooks.com

إلا بعد عدَّة سنوات، ولن يأكل منها، ولن يأكل منها أحدٌ بعده؟ ذلك ليظلَّ عاملًا، ومنتجًا، ومعطاءً حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، اعمل واغرس، ولو لآخر لحظة، ولو لم تأكل منها، ولو لم يأكل منها أحد غيرك، فهي عبادة، أنْ تظلَّ تعمر الأرض لآخر لحظة في حياتك، أو في حياتها.

فإذا كان النبي ﷺ يأمرنا بالعمل لأمـر الدنيا، فكيف لا يأمرنا بالعمل لتجديد الدين، والدعوة إليه، وإصلاح الحال، وتجديد الأمَّة، فليس معقولًا أنْ يثبِّط النبي ﷺ الأمَّة بهذه الأحاديث، وإنَّما هي أفهام مغلوطة لها.

انتشار الدعوة:

وفي الأحاديث مبشِّرات كثيرة جدًّا، منها المبشِّرات بانتشار الإسلام، أنَّ الإسلام سينتشـر في الأرض، كما في حديث تميم الداري رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لَيبلُغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسـلام، وذُلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكُفْرَ**»[1]. ليبلغنَّ هـذا الأمر: أيْ هذا الديـن. ما بلغ الليـل والنهار: أيْ حيـث وصل الليل والنهار سـيصل الإسـلام، سـيبلغ العالَم كلَّه. ولا يبقى بيت مدَر ولا وبَر: أي بيت من حجر، وبيت من شـعر، وهو كناية عن الحواضر والبـوادي، أو المدن والقرى، أي أنَّ الإسلام سيدخلها بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل.

وهذا معناه انتشار الإسلام في العالم كلِّه، هذا ما قاله النبي ﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى، ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٣، ٤]. هو لا يعلم الغيب بذاته، وإنَّمـا يعلم ما أعلمه الله به، وقال: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ**﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فمن أين

(١) سبق تخريجه صـ٢٤٥.

QaradawiBooks.com

يعلم؟ إذا أعلمه الله، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. فإذا أخبرنا أنَّ الإسلام سينتشر في العالم، ويبلغ ما بلغ الليل والنهار، فهذه حقيقة قالها مَنْ لا ينطق عن الهوى.

اتساع الدولة:

وكما علمنا الرسول ﷺ أنَّ الإسلام سينتشر، علَّمنا أنَّ الدولة الإسلاميَّة ستتسع، روى الإمام مسلم عن ثوبان، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ زَوَى لِي الأرضَ، فرأيت مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أُمَّتِي سيبلغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لِي منها**»[1]. زوى لي الأرض: أيْ جمعها وضمَّها لي. فأصبحت أمامه كالخريطة، وقال له: سيبلغُ مُلكُ أمَّتك المشارق والمغارب.

وقد ملكت الأمة الإسلاميَّة في عصور الازدهار والفتح الكثير من آسيا، ومن إفريقيا، حتى ذهبت إلى أوربا، ووصلت أسبانيا، وجنوب إيطاليا، ولكنها لم تملك المشارقَ والمغارب، ولذلك فنحن نأمل أنْ تتحقَّق هذه البشرى ونملك المشارق والمغارب، أو أنْ تتَّسع الدولة الإسلاميَّة لملك المشرق والمغرب، وهي دولة العدل والإحسان، ودولة العلم والإيمان، ودولة الحضارة والمعرفة، ودولة الحق والعدل، وهذه أيضًا بُشرى من البشائر.

فتح روميَّة:

وهناك أيضًا بُشرى ثالثة بفتح روميَّة، روى الإمام أحمد، عن أبي قبيل، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، فسأله سائل: أي المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينيَّة أو روميَّة؟ فدعا عبد الله بصندوق له حِلق.

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

قال: فأخرج منه كتابًا. قال: فقال عبد الله: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينيَّة أو روميَّة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولًا**»، يعني قسطنطينيَّة[١].

روميَّة هي: روما، كما يقول ياقوت في معجم البلدان[٢]. وقسطنطينية: هي الَّتي كانت عاصمة الدولة الرومانيَّة البيزنطيَّة، وكان يحكمها في هذا الوقت هرقل، الذي أرسل إليه النبي رسالته الشهيرة، والذي بقي إلى عهد عمر بن الخطاب حينما دخل المسلمون سوريَّا، فهجرها وهو يقول: سلام عليك يا سوريا سلامًا لا لقاء بعده[٣]. فقد انتهى دورنا نحن الرومان من هذه المنطقة، والقسطنطينية هي الآن إستانبول.

كأنَّ الصحابة كانوا سمعوا من النبي ﷺ، أنَّ كلتا المدينتين ستُفتَح، والسؤال هنا: أي المدينتين تُفتَح أولًا؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**مدينة هِرقل تُفتَح أوَّلًا**». وهي القسطنطينيَّة.

وقد فُتِحَت القسطنطينيَّة في الثامن والعشرين من مايو سنة (١٤٥٣م)، فتحها ذلك الشاب العثماني الطموح، محمد بن مُراد، الشهير في التاريخ باسم محمد الفاتح، الذي شغله هذا الأمر، وكانت له نفسٌ توَّاقة، فكأنَّه قد قرأ في مستدرك الحاكم وغيره حديث النبي ﷺ: «**لتفتحنَّ القسطنطينيَّة، فلنِعْمَ الأمير أميرها، ولنِعْم الجيش ذلك الجيش**»[٤]. فتاقت نفسُه أنْ يكون هو هذا الأمير، وأنْ يكون جيشه هو هذا الجيش، وأعدَّ العُدَّة، وهيَّأ الخطَّة، وغزاها وفتحها، وهو ابن الثالثة والعشرين من عمره، سنة (١٤٥٣م).

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٢٢.

(٢) معجم البلدان (١٠٠/٣).

(٣) المصدر السابق (٢٨٠/٣).

(٤) سبق تخريجه صـ٢٤٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفتحُ القسطنطينيَّة ملحمة تاريخيَّة، يجب على المسلمين أنْ يدرسوها، وهناك مؤسسة إعلاميَّة، اسمها «مؤسسة آلاء»، أصدرت فيلمًا كارتونيًّا اسمه «محمد الفاتح»، يحكي قصة فتح القسطنطينيَّة، وقد أرادت تركيا العلمانية أنْ تهيل التراب على هذا الفتح، فالعلمانيون لا يحبُّون هذه الذكرى، ولكن الدكتور أربكان في حزب «الرفاه»، وإخواننا الأتراك، يحتفلون في كلِّ سنة في التاسع والعشرين من شهر مايو، إحياءً لذكرى الفتح.

عودة الإسلام إلى أوربا:

إذنْ بقي أن تُفتح روميَّة، أو روما، ومعنى هذا أنْ يعود الإسلام إلى أوربا مرة أخرى، وقد طُرِد الإسلام من أوربا مرتين، دخل الإسلام أوربا من ناحية المغرب وجبل طارق إلى الأندلس أو إسبانيا، وبقي هناك ثمانية قرون، وأقام حضارة شامخة، كانت موئلًا لطلاب العلم من أوربا، ثم أُخرِج الإسلام من الأندلس ولم تبقَ باقية لهذا الدين في أوربا، هذه هي المرة الأولى.

وكانت المرة الثانية على يد العثمانيين أنفسهم، دخلوا أوربا حتى طرقوا أبواب «فيينا» أربع مرات، ثم تآمرت القوى الصليبيَّة على الدولة العثمانيَّة، الَّتي كانوا يسمونها في المدة الأخيرة الرجل المريض، وتركة الرجل المريض، ويتحدثون عمَّن يرث هذه التركة، حتى أخرجوا الإسلام من أوربا، ولم يبقَ منه إلا أشياء بسيطة، هي الَّتي تقلق الغربيين الآن، فقد كانوا يظنُّون أنَّ الإسلام انتهى من أوربا، حتى سقط الاتحاد السوفيتي وظهرت لهم ألبانيا، ومقدونيا، والبوسنة والهرسك، فالبشارة النبويَّة تقول لنا: إنَّ الإسلام سيفتح أوربا مرة أخرى.

QaradawiBooks.com

فتح الفكر والدعوة:

وأنا أقول أيُّها الإخوة: ليس من الضروري أنْ يكون الفتح القادم بالسيف، بل أنا أظن ـ والله أعلم ـ أنَّ الفتح القادم هو فتح الفكر، وفتح الدعوة، هو فتح اللسان وليس فتح السنان، فأوربا والعالم الغربي الآن أحوج ما يكون إلى الإسلام، لقد أشقتهم الحضارة المعاصرة، وليس هناك سفينة للإنقاذ، ولا طَوْق للنجاة، إلا رسالة الإسلام.

علينا نحن المسلمين أن نُحسن تقديم الإسلام، فنحن للأسف لم نُحسن تقديم الإسلام إلى اليوم، حتى إنَّه لا توجد ترجمة دقيقة بليغة بأيِّ لغة يرضى عنها المسلمون، حتى اللغة الإنجليزيَّة، هناك ترجمة يوسف علي، ولكن عليها مآخذ واعتراضات كثيرة، والإنجليزية لغة يتكلم بها مئات الملايين من المسلمين أنفسهم، فنحن مقصِّرون إلى هذا الحد.

وهذا يدلنا على أنَّه سيأتي وقت نعرف فيه قدر الدعوة إلى الإسلام، ونقوم بتوجيهها إلى الناس، ونحن عندنا الفرص الكثيرة الآن لنفعل ذلك، من خلال الدعوة بالرسائل والنشرات، والدعوة بالكتب، والدعوة عن طريق الإذاعات الموجهة، وعن طريق البث التليفزيوني المباشر، وعن طريق الصحف والمجلات، وعن طريق الشبكة العنكبوتيَّة، وغيرها، فنحن عندنا الفرص لو أحسن الاستفادة منها؛ فهذه هي البشارة بعودة الإسلام إلى أوربا، وفتح روميَّة.

الحكم الراشد:

وهناك مبشِّرات عدَّة في الأحاديث النبويَّة، من ذلك أنَّ النبي ﷺ قال: «**تكون النبوةُ فيكم ما شاء الله أنْ تكون، ثم يرفعها إذا شاء أنْ يرفعها، ثمَّ تكون خلافةٌ على منهاج النبوَّة، فتكون ما شاء الله أنْ تكون، ثمَّ يرفعها إذا**

QaradawiBooks.com

شاء الله أنْ يرفعها، ثمَّ تكون مُلْكًا عَاضًّا، فيكون ما شاء الله أنْ يكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء أنْ يرفعها، ثمَّ تكون مُلْكًا جَبْرِيَّة، فتكون ما شاء الله أنْ تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء أنْ يرفعها، ثمَّ تكون خلافة على منهاج نبوَّة». ثمَّ سكت[١].

والملك العاضُّ هو الحكم المُتَعَسِّف والمُسْتَبِدُّ، والملك الجَبْريُّ هو الحكم القَهْري المُتَجَبِّر، مثل الحكم العسكري الظالم الديكتاتوري، ونلاحظ أنَّه ﷺ سكت بعد أنْ قال في آخر الحديث: «**ثمَّ تكون خلافةٌ على منهاج نُبُوَّة**». وهذه بشارةٌ بأنه سيأتي يوم ترتفع فيه من بلاد المسلمين المظالمُ، والطغيانُ، والتحكُّمُ في رقاب الناس، وإضاعة حقوق الإنسان الَّتي تقع للأسف في معظم بلاد المسلمين، سيزول الحكم الظالم، ويأتي الحكم العادل، ويتحرَّر الناس من الطُّغاة والمستبدِّين، فهذه أيضًا بُشرى من البشائر، أنْ تأتي «**ثمَّ تكون خلافة على منهاج نبوَّة**»، وتطبِّق شرع الله، وتقيم حكم الله، وترعى حقوق الإنسان في الأرض.

الانتصار على اليهود:

ومن المبشِّرات كذلك: الانتصار على اليهود، كما في الحديث المعروف أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تقوم الساعةُ حتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتُلْه، إلَّا الغَرْقَد، فإنَّه من شجر اليهود**»[٢].

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والبزار (٢٧٩٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩٦٠) رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، عن النعمان بن بشير، وصحَّحه الحافظ العراقي في محجة القرب إلى محبة العرب صـ١٧٦، ١٧٧، نشر دار العاصمة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) سبق تخريجه صـ٩٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

صحيح أنَّ اليهود الآن هم القوة الَّتي لا تُقهر ـ كما يقولون ـ أو الشوكة الَّتي لا تُكسر، عندهم ترسانة نوويَّة، ولكن هل يدوم هذا إلى الأبد؟

لا يدوم شيءٌ إلى الأبد، وفي المثل: دوام الحال من المحال. وهناك قانون المداولة، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. فنحن عندنا البشائر بأنه سيأتي يوم ننتصر فيه على اليهود.

واليهود أنفسهم يقولون هذا، ولما ناقش بعض المسلمين «موشي ديان» وقال له: نحن عندنا بشائر بأننا سننتصر عليكم. قال: ونحن عندنا هذا أيضًا، أنَّ مُلكَنا لن يدوم، ولكن ليس جيلكم هو الذي سيحقِّق هذا الأمر.

وقد أشار الحديث إلى أنَّ الذين سيحقِّقون النصر هم الذين سيدخلون المعركة تحت شعار العبوديَّة لله، وتحت راية الإسلام، بحيث يقول الحجر والشَّجر: «**يا مسلمُ يا عبدَ الله**». لا يقول له: يا مصري، أو يا أردني، أو يا سوري، لا، بل «**يا عَبْدَ اللهِ**». ليس عبد الشهوات، ولا عبد الدينار أو الدرهم، ولا عبد المرأة، ولا عبد الكأس، ولا عبد المنصب؛ لا، بل هو عبد الله، وهو مسلم يدخل المعركة تحت راية الإسلام، فهذا الحديث أيضًا بُشرى من البشائر الَّتي ستتحقق، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].

عموم الرخاء:

ومن المبشرات كذلك أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تقوم الساعةُ حتَّى تعودَ أرضُ العرب مروجًا وأنهارًا**»[1]. يشكو العالم العربي والإسلامي الآن من

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٥٧) (٦٠)، وأحمد (٩٣٩٥)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفقر، والمرض، والجهل، والأميَّة، ولكنَّ هذا لن يدوم، سيأتي وقت يعمُّ فيه الرَّخاء، كما جاء في حديث أبي هريرة[١]، وحديث أبي موسى الأشعري[٢]، وحديث حارثة بن وهب[٣]، كلها أحاديث في الصحيحين، تُبشِّر بأنَّه سيأتي وقتٌ يعمُّ الرَّخاء، حتى يُهِمَّ الرجلَ أمرُ صدقته، مَنْ يقبل منه الصَّدقة؟ ويأتي بالقطعة من الذهب فيقول للرجل: خذ هذه صدقتي. فيقول: لو أتيتني بالأمس لقبلتها منك، أمَّا اليوم فلا أرب لي فيها. ما يعني أنَّ الرخاء عمَّ الجميع، وهذه أيضًا بُشرى من البشائر.

بقاء الطائفة المنصورة:

ومن المبشِّرات كذلك بقاء الطائفة المنصورة، كما قال النبيُّ ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتِي ظاهرينَ على الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ من خذلهم، حتَّى يأْتيَ أَمْرُ اللهِ وهم كذلك**»[٤]. وهذا مؤيِّد لقوله الله تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨١]. فهذه الطائفة باقية، وهذا الحديث رُوِي عن عدد من الصحابة، عن عمر، وعن أبي هريرة، وعن المغيرة بن شعبة، وعن عمران بن حصين، وعن جابر بن عبد الله، وغيرهم، عدد من الصحابة رووا هذا الحديث المستفيض بأنَّ هذه الطائفة باقية.

وفي حديث أبي أمامة الباهلي، الذي رواه أحمد بن حنبل، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي على الدِّين ظاهرين لعدوِّهم قاهرين لا يضرُّهم من خالفهم إلَّا ما أصابهم من لأْوَاءَ حتَّى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**».

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧) (٦١)، كلاهما في الزكاة.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤١٤)، ومسلم (١٠١٢)، كلاهما في الزكاة.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٠١١)، كلاهما في الزكاة.
(٤) رواه مسلم في الإمارة (١٩٢٠)، عن ثوبان. وقد صح عن عدد من الصحابة في الصحيحين وغيرهما بألفاظ مختلفة.

QaradawiBooks.com

قالوا: يا رسول الله، وأين هُم؟ قال: «**ببيتِ المَقْدِس وأكنافِ بيت المقدس**»[١]. واللأواء هو الأذى، والمقصود أنَّه لا يضرهم أحد ضررًا مبيدًا، أو قاتلًا، كما قال تعالى: ﴿ **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى** ﴾ [آل عمران: ١١١].

قالوا: يا رسولَ الله، وأين هُم؟ قَالَ: «**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**». وأعتقد أنَّكم في الأردن في أكناف بيت المقدس، وكل الشام في أكناف بيت المقدس، ويمكن أنْ تكون مصر في أكناف بيت المقدس، فهذه الطائفة باقية إنْ شاء الله، وهذه أيضًا بُشرى من البشائر.

تعاقب المُجَدِّدين:

ومن المبشِّرات كذلك أنَّ الله ﷻ يبعثُ لهذا الدين، ما بين كلِّ حينٍ وآخر، وما بين كلِّ قرنٍ وآخر، مَنْ يُجدِّد لهذا الدين أمره، كما في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في السُّنن والآثار، وغيرهم، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ مَنْ يُجَدِّد لها دينها**»[٢]. فهذا الدين في حركة تجديد مستمرَّة، ويمكن لهذه الأُمَّة أنْ تنام، ولكنها لا تموت، هناك باستمرار مَنْ يُوقظونها مِنَ سُبات، مَنْ يجمعونها مِنَ شَتات، فالمُجدِّدون مستمرون.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٤.

(٢) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (٢٨١/٢)، فلعلَّه سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

التجديد الجماعي:

وأنا أفهم قوله ﷺ في هذا الحديث: «**مَنْ يُجَدِّدُ لها دِينَها**». أنَّ المُجدِّد ليس بالضرورة أنْ يكون فردًا واحدًا، لأن «مَنْ» في اللغة العربية تصلح للفرد، وتصلح للجمع، وأرى أن «مَنْ» هنا للجمع أولى.

صحيح أنَّ المُجدِّد يمكن أنْ يكون فردًا، يهبه الله مواهب معيَّنة ويوقظ الأُمَّة، كما ذكروا أنَّ المجدد في السنة الأولى عمر بن عبد العزيز، وفي الثانية الإمام الشافعي، وفي الخامسة الإمام الغزالي، ولكن الجمع أولى، فيمكن أنْ يكون المجدِّد عالمًا يجدِّد من ناحية، وقائدًا يجدِّد من ناحية، وأميرًا عادلًا يجدِّد في ناحية، وفقيهًا يجدِّد في الفقه، ومفسرًا يجدِّد في التفسير، ومُحدِّثًا يجدِّد في الحديث، وجماعة تجدِّد في التربية، ويمكن أنْ تكون حركة، أو مدرسة، أو جمعية.

والقول بالجمع أولى؛ لأننا لو فسرنا الحديث بهذا التفسير سيكون سؤال المسلم: ما هو دوري في حركة التَّجديد؟ فالتَّجديد حركة وجماعة، أمَّا لو كان المجدِّد فردًا فالناس ستتعلق بالمجدِّد وتظل تنتظره ليقوم بالتجديد والإصلاح، لا، التجديد قائم بمدرسة التجديد، وحركة التجديد، وجماعة التجديد، وكل مسلم عليه أنْ يقوم بدوره في هذه الحركة.

المُبشِّرات ـ أيُّها الإخوة ـ من السنَّة كثيرة، وكثيرة جدًّا، فعلينا أن نعيَها، ونحفظَها، ونبلِّغها، ننشرها في الناس، حتى لا تشيع الموئسات الَّتي ملأت العقول، وأصابت الناس بالإحباط.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(٣) مُبَشِّرات من التاريخ الإسلامي:

هناك مُبَشِّرات من التاريخ الإسلامي خاصة، فهذا التاريخ يقول لنا حقيقتين مهمتين جدًّا:

النصر مع انقطاع الأسباب:

الحقيقة الأولى: أنَّ نصر الله يأتي أحوج ما يكون الناس إليه، حينما تُسدُّ الأبواب، وتتقطع الأسباب، ولا يبقى إلا باب السماء، هنا يأتي نصرُ الله، حين لا يكون أمامك شيءٌ، وليس لها من دون الله كاشفة.

في الهجرة النبويَّة:

وهذا رأيناه حينما هاجر النَّبيُّ ﷺ من مكة، ولم يكن معه جيش، ولا شيء، ورتَّب ما يستطيع البشر أنْ يرتبه، وخطَّط فأحسن التَّخطيط، ودبَّر فأحسن التَّدبير، حتى انتهى أمره إلى أنْ وصل إلى الغار، وجعل الغار في جهة غير جهة المدينة، جعله في الجنوب.

وبرغم ذلك وصل المشركون إلى الغار، وأبو بكر مشفق، وقلبه يرتجف، خوفًا على الدعوة ومصيرها، يقول: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقال له النبيُّ ﷺ في إيمان الواثق، وثقة المؤمن: «**يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما**»[1]. وذكر القرآن هذا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٥٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولذلك اعتبر بعض العلماء أنَّ ما قيل بوجود حمام وعنكبوت على باب الغار غير صحيح، وهي الَّتـي يكثر ذكرها في المدائح النبويَّة، كما قال البوصيري في بردته:

ظنُّوا الحَمَـامَ وظنُّوا العنكبوتَ على ... خَـيرِ البَرِّيَّـةِ لم تَنسُـجْ ولم تَحُمِ
وقَـايَـةُ اللهِ أغنَتْ عَـن مُضَـاعَفَةٍ ... مِنَ الدُّرُوعِ وعَـن عَـالٍ مِنَ الأُطُمِ[1]

قالوا: لم يكن هناك حمام، لم تـأتِ بها رواية صحيحة ولا ضعيفة. أمَّا العنكبوت فجاءت بها رواية ضعفها بعض العلماء، وحسنها بعضهم، وظاهـر القرآن مـع الذين ضعَّفوهـا، لأنَّه قـال: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾. والعنكبوت جنديٌّ مرئيٌّ، والآية تـدلُّ على أنَّه لم تكن هناك جنود مرئيَّة، المهم أنَّ نصر الله جاء أحوج ما يكون إليه.

في غزوة بدر:

وكذلك نصر الله المسلمين في بدر، وكان الرسول ﷺ قد أخذ يدعو الله بحرارة، حتى سقط الرداء من على منكبيه، كما في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لمَّـا كان يوم بدر نظر رسـول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربِّه: «**اللهمَّ أَنْجِزْ لي ما وعدتَني، اللهـمَّ آتِ ما وعدتَني، اللهـمَّ إنْ تُهْلِكْ هذه العِصابةَ من أهل الإسـلام لا تُعْبَدْ في الأرْضِ**». فما زال يهتف بربِّه مادًّا يديه، مُسْتَقْبِلَ القِبلة، حتَّى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سيُنجز لك

(١) البردة مع شرح الباجوري صـ٥١، نشر مكتبة الصفا، درب الأتراك، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ما وعدك. فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩][1]. جاءت الملائكة تُكثِّر السواد، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

في غزوة الأحزاب:

وفي غزوة الأحزاب حدث نفس الأمر، انظر إلى الوصف القرآني لما كان عليه حال المؤمنين في هذه الغزوة: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]. هنا جاء نصر الله، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]. كانوا أحوجَ شيءٍ إلى النَّصر فجاء الله به، فهذه حقيقة تاريخيَّة، عندما يكون المسلمون أشد حاجة إلى نصر الله، ولا يوجد معين من دون الله، هنا يأتي نصر الله.

قوَّة الأمَّة عند الشدائد:

الحقيقة الثانية الَّتي يدلُّ عليها التاريخ الإسلامي: أنَّ هذه الأُمَّة أشد ما تكون قوةً، وأصلب ما تكون عودًا في ساعات الشدائد، فعند الأُمَّة مخزونٌ نفسي وروحي ومعنوي لا يظهر إلا في ساعات المِحن، وهذا ما أثبتَه التاريخ.

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٦٣)، وأحمد (٢٢١)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في مواجهة المُرْتَدِّين:

في حرب الردَّة، حينما ارتدَّت قبائلُ العرب عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، واتَّبعوا المتنبئين الكذَّابين، مسيلمة الكذَّاب، وسجاح بنت الحارث، والأسود العنسي، وطُليحة الأسدي، كل قبيلة عندها واحد ادَّعى أنَّه نبيٌّ! فقال قائلهم: لكذَّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مُضَر[١]. فاتَّبع بعض العرب هؤلاء الكذَّابين، وبعض العرب منعوا الزكاة، قالوا: نصلِّي ولا نزكِّي.

ارتدَّت الجزيرة العربيَّة ما عدا مكَّة والمدينة والطائف، كلُّهم ارتدوا والعياذ بالله، حتَّى قال بعض الصحابة لسيِّدنا أبي بكر: يا خليفةَ رسولِ الله، لا طاقة لك بحرب العرب جميعهم، الزمْ بيتَك، وأغلقْ بابك، واعبُدْ ربَّكَ حتَّى يأتيَكَ اليقين. ولكن الله تعالى هيَّأ لهذا الدين هذا الرجل؛ أبا بكر، البكَّاء، الخاشع، الرقيق القلب، ينقلب إلى أسدٍ هصور، وجبلٍ أشم، ويقول كلمته التاريخيَّة: والله لو منعوني عِقَالًا (حبل بعير) كانوا يُؤدُّونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[٢].

وفعلًا جهَّز أبو بكر أحد عشر جيشًا، وبعثها في القبائل، عليها قادة من الصحابة، خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وفلان، وفلان، ونصرهم الله جميعًا، وعاد المرتدون إلى حظيرة الإسلام، وكانوا من أعظم الناس بلاءً في حربِ فارس والروم، كان الذين يتقدَّمون الصفوف هم الذين سبق أن ارتدوا، يكفِّرون عن خطيئتهم في الردَّة، فانتصر الإسلام في حرب الردَّة على هول ما فيها.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٣٣.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٢١.

QaradawiBooks.com

في مواجهة الصليبيِّين:

ومعروف في التاريخ الحروب الصليبيَّة، جاءت تسع حملات صليبيَّة إلى البلاد الشامية والمصرية، باسم قبر المسيح، ورفعوا الصليب وجاؤوا بقضَّهم، وقضيضهم، وثالوثهم، وصليبهم، وخرَّبوا الديار في طريقهم ـ حتى بعض بلاد المسيحيَّة ـ وطغَوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، ودخلوا بيت المقدس، وغاصَ الناس في الدماء إلى الركب، قتلوا عشرات الآلاف من البشر، وبقي المسجد الأقصى أسيرًا في أيديهم تسعين سنة، وبقيت الممالك والإمارات الَّتي أقاموها في فلسطين وبلاد الشام مائتَيْ سنة، قرنين كاملين من الزمان، بتعاون بعض الأمراء الخونة في المنطقة.

حتى هيَّا الله رجالًا لهذا الدين، لم يكونوا من العرب، وإنَّما من أجناس أخرى، عماد الدين زنكي التركي، الذي بدأ الحملة على الصليبيِّين، وابنه نور الدين محمود الشهيد، الذي كان يُشبَّه بالخلفاء الراشدين، في عدله، وزهده، وشجاعته، وحسن سيرته.

كان رجلًا فذًّا من رجالات الإسلام العظام، حتى إنَّهم رووا عنه أنَّه روى عن بعض شيوخه حديثًا مسلسلًا بالابتسام، ومعنى مسلسل بالابتسام: أنَّ النبيَّ ﷺ يبتسم في حديثه، فالصحابي الذي يروي عنه الحديث يبتسم، والتابعي الذي يروي عن الصحابي يبتسم، وهكذا تابع التابعي، إلى نهاية السند. فلما أخذ نور الدين محمود يروي الحديث المسلسل بالابتسام قال له شيخه: ابتسم. حتى تكتمل الصورة وتتم رواية الحديث، فحاول أنْ يبتسم فلم يستطع، فقال له: ابتسم. قال: كيف أبتسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر[1]؟ وكان الصليبيُّون يحاصرون مدينة دمياط في مصر؛ هذا نور الدين محمود.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم جاء تلميذه صلاح الدين الأيوبي الذي كتب الله على يديه النصر، وكانت معركة «حطين»، وكان فتح بيت المقدس، هيَّأ الله للإسلام هؤلاء الرجال، فحينما يريد الله يأتي النصر، وفي الأُمَّة مخزونٌ عظيم، ولكنها تحتاج إلى القيادة، حينما يوجد أمثال صلاح الدين يحدث ما حدث، فهذا من مبشرات التاريخ.

في مواجهة التتار:

ومن مبشِّرات التاريخ أيضًا: انتصار المسلمين على التتار، فقد جاء التتار من الشرق، كما جاء الصَّليبيُّون من الغرب، وسقطت أمامهم المالك، مملكة تتلوها مملكة، أو ولاية تتلوها ولاية، فقد جاؤوا أيضًا في غفلة من الزمن، وتتابع من المحن، وضعف من المسلمين وتفرُّق، وهذه هي الفرصة السانحة لينقض أعداء المسلمين عليهم، ووصلوا إلى بغداد عاصمة الدولة العباسيَّة، وبواسطة الخونة من بعض الوزراء الذين سهَّلوا لهم الأمور دخلوا بغداد، وأراقوا فيها الدماء، وخرَّبوا فيها كلَّ شيءٍ، وألقوا بالكتب في نهر دجلة حتى اسودَّ ماء النهر بالمداد، من كثرة ما أراقوا فيها من كتب.

وكان المثل السائد في ذلك الوقت إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا فلا تصدق. فهي أسطورة القوَّة الَّتي لا تُقهر، وفعلًا كان التتاري ـ كما يقول ابن الأثير ـ يقول للرجل من المسلمين: انتظر هنا حتى آتي بالسكين لأذبحك، فيظل واقفًا منتظرًا من الذل والرعب الذي أصاب الناس[1].

(١) الكامل في التاريخ (٤٤٩/١٠).

QaradawiBooks.com

ويشاء الله أن تسقط بغداد سنة (٦٥٦هـ)، على يد التتار، ثم يشاء الله أنْ ينتصر الإسلام على التتار في موقعة حاسمة من مواقع التاريخ، في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ)، أي بعد سنتين فقط من سقوط بغداد، في بلدة اسمها «عين جالوت»، جاء فيها القائد المملوكي المظفَّر سيف الدين قُطُز، بجنود مصر، وكان رجلًا صالحًا، وعبَّأ الشعبَ معه سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام، جاؤوا إلى هذا المكان، يوم الخامس والعشرين من رمضان، وكان يوم جمعة، فأراد بعض قوَّاده أنْ يبدؤوا المعركة من الضحى، فقال لهم: انتظروا حتى تفيء الظلال، وتهبَّ الرياح، ويُصلِّي المسلمون الجُمَعَ في المساجد، ويدعو لنا الخطباء بالنصر، فلعلَّ فيهم بعض الصالحين، الذين يؤمنون على هذا الدعاء فيستجيب الله تعالى لهم.

وفعلًا بعد أنْ فاءت الظلال، وبعد الظهر بدأت المعركة، وفي أول المعركة انكشف المسلمون أمام التتار، فرُّوا من أمامهم، فخلع الخوذة النحاسيَّة الَّتي يلبسها، وألقى بها في الأرض، وصاح صيحتَه التاريخيَّة الشهيرة: وا إسلاماه، وا إسلاماه، وا إسلاماه. يعني: الإسلام في خطر. فسمع الناس هذه الصيحة، فإذا بالفارِّ يعود، والمُحْجِم يُقْدِم، والجبان يتشجَّع، والمتردِّد يثبت، وبدأ المسلمون يغيرون على التتار، ويقتلون ويأسرون، فما جاء آخر النهار إلا وقد كسب المسلمون المعركة، وكانت معركة من معارك التاريخ الحاسمة.

ثم يشاء الله أنْ ينتصر الإسلام على التتار انتصارًا معنويًّا آخر، وهو أنَّ التتار ـ بأنفسهم واختيارهم ـ دخلوا الإسلام طائعين، وهم أصحاب الجيوش والقوة العسكريَّة، وكان منهم الملوك العظام، الذين رأينا آثارهم حين زرنا «سمرقند» من سنتين، مثل «تيمور لنك» وغيره، أقاموا

QaradawiBooks.com

المساجد والمآثر العظيمة، ومنهم الذين حكموا الهند، فهذا أيضًا من مبشرات التاريخ الَّتي صنعها الإسلام.

في مواجهة الاستعمار:

ولو نظرنا إلى التاريخ الحديث لوجدنا أنَّ الذين قاوموا الاستعمار الغربي في الأوطان الإسلاميَّة المختلفة كانوا هم الزعماء الإسلاميين، لأنَّهم قادوا الأُمَّة باسم الإسلام، حتى إن كمال أتاتورك انتصر بقوة الإسلام، كان المسلمون في تركيا ـ وخارج تركيا ـ يسمونه الغازي مصطفى كمال، أي المجاهد، حتى قال فيه شوقي بعد أن انتصر في إحدى المعارك:

الله أكبرُ كمْ في الفتحِ من عجبِ ... يا خالدَ التُّرْكِ جَدِّدْ خالدَ العربِ[1]

كانوا يعتبرونه مثل خالد بن الوليد عند العرب، وما كانوا يعرفون ما يُبيِّتُه للإسلام، حتى انكشف أمره، وأنَّه لا يُضْمر للإسلام إلا شرًّا، بدا ذلك في إلغاء الخلافة، وإدخال القوانين الأجنبيَّة، وإلغاء اللغة العربيَّة، والكتابة بالحروف العربيَّة، ورفع الأذان بالعربيَّة، إلى آخره، ولذلك نظم شوقي قصيدته الشهيرة في نعي الخلافة، وقال فيها:

عَادَتْ أغاني العُرْسِ رجْعَ نُواحِ ... ونُعِيتِ بين مَعَالِمِ الأَفْرَاحِ
كُفِّنتِ في يومِ الزِّفافِ بثَوْبِهِ ... ودُفِنْتِ عندَ تَبَلُّجِ الْإِصْبَاحِ
ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ ... وبكتْ عليك ممالكٌ ونَوَاحِ
الهندُ والِهةٌ ومصرُ حَزِينَةٌ ... تبكي عليكِ بمَدْمَعٍ سَحَّاحِ[2]

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).
(٢) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٥/١، ١٠٦).

QaradawiBooks.com

يخاطب الخلافة الَّتي تحوَّل عُرسها إلى مأتم.

والشاهد من ذلك أنَّ الذين قاوموا الاستعمار كان يفعلون ذلك باسم الإسلام، وبقوة الإسلام، كما تجلَّى هذا في معركة الجزائر، فالَّذين حاربوا الاستعمار حاربوه بدوافع دينيَّة، لأنَّ الحرب ـ كما كانت تقول إذاعة فرنسا ـ بين الفرنسيِّين والمسلمين.

وآخر هذه المعارك كان في حرب العاشر من رمضان سنة (١٣٩٣هـ)، الَّتي يسمونها حرب السادس من أكتوبر سنة (١٩٧٣م)، مع أنَّها حرب العاشر من رمضان، لأنَّ نفحات رمضان هبَّت على الجنود المصريين في ذلك الوقت، هذه الحرب كتب الغربيون عنها وقالوا: إنَّ العرب لا ينقصهم إلا مَنْ يُخاطبُهم باسم الله، فيُحرِّك عزائمهم، ويستثير قُواهم، أو إنهم في حاجة إلى صلاح الدين من جديد. وهذا هو الذي يخشونه، أنْ يظهر صلاح الدين من جديد، فهذه أيضًا من مُبشِّرات التاريخ.

(٤) مُبَشِّرات من الواقع:

وإذا نظرنا إلى الواقع الذي نعيشُه نجد فيه كثيرًا من المبشِّرات، صحيح أنَّ فيه كثيرًا من نقاط الضعف، من النقاط السوداء، ولكن نحن نتحدث عن المبشرات، فيجب أن نبرز هذا الجانب في الواقع.

مقوِّمات الأُمَّة:

هذه الأُمَّة تملك مقوِّمات لا تملكها أُمَّة أخرى، تملك الأُمَّة الإسلاميَّة القوة العدديَّة، فالمسلمون الآن حوالي مليار وثلث مليار، والغربيُّون يحاولون دائمًا التقليل من أعداد المسلمين، ولكن أحدث الإحصاءات تقول: إنَّ المسلمين لا يقلون عن ألف وثلاثمائة مليون. ولا شكَّ أنَّ العدد

QaradawiBooks.com

قـوَّة، والله تعالى يقول في معـرض الامتنـان والإنعام: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. والشاعر العربي يقول:

وَلَسْـتَ بالأكثـر مِنْهُـمُ حصًى وإنَّـمـا الـعِـزّةُ لِـلْـكَـاثِـرِ[1]

صحيح أنَّ بعض الناس الآن يُشـيعون أنَّ الزيادة العددية مشـكلة، وهي كذلك في الحقيقة لأننا لم نحسـن توظيفها، فلو أحسـنَّا توظيف العدد كما أحسنه الصينيُّون لما كانت هناك مشكلة، عدد الصينيين تقريبًا مثل عدد المسـلمين في العالـم، حوالي ألف وثلاثمائـة مليون أيضًا، اسـتطاعوا توظيف هذا العدد، لم يجعلوه مشـكلة، بل ملـؤوا العالم بمنتجاتهم، وغزوا الأسواق بمصنوعاتهم.

وعندنا كذلك القوة الماديَّة، نحن نملك هذه السهول، وهذه الجبال، وهذه البحار، وهذه البحيـرات، وهذه الأنهار، وهذه الشـواطئ، وهذه المعادن، حتـى إنَّ معظم مخزون العالم من النفـط موجود في الأرض الإسلاميَّة، ومن الطريف أنِّي سمعت من الأسـتاذ أنور إبراهيم ـ الذي كان نائبًا لرئيس حكومة ماليزيا ـ أنَّ وزير خارجية تايلند قال له متعجبًا: لماذا لا يظهر النفط إلا في بلاد المسـلمين؟! فنحن عندنا القوة الماديَّة الكبيرة.

وعندنا أيضًا القوة الحضاريَّة، نحن لسـنا أمة قريبة الجذور، ابتدأت منذ مائة أو مائتي سـنة، مثل الولايات المتحدة الأمريكيَّة، لا، بل نحن أُمَّة عميقـة الجذور، ورثت الحضارات، الحضـارة الفرعونيَّة في مصر، والحضارة الفينيقيَّة في لبنان وسوريا والشام وشمال أفريقيا، والحضارة الفارسيَّة في إيران، والحضارة الآشوريَّة والبابليَّة والكلدانيَّة في العراق،

(١) ديوان الأعشى الكبير صـ١٤٣.

QaradawiBooks.com

نحن أُمَّة وارثة للحضارات، لها جذور تاريخيَّة عميقة، ليست سطحيَّة، ولا قريبة الجذور، هذه أيضًا قوة وطاقة لا تملكها أمة أخرى.

عندنا كذلك الرسالة الكبرى، الرسالة الروحيَّة الوسطيَّة، الرسالة الَّتي تجمع بين الدين والدنيا، تمزج بين الروح والمادة، توفِّق بين الدنيا والآخرة، بين الفرد والمجتمع، تصل الأرض بالسماء، تصل الخلق بالخالق، هذه الرسالة هي رسالةُ الإسلام، وهذه هي بعض المبشرات من الواقع.

(٥) مُبَشِّرات من السنن:

وهناك مُبَشِّرات أخرى مستمدَّة من سنن الله في الخَلق وفي الاجتماع الإنساني، وهي سنن وقوانين ثابتة تجري على الآخرين، كما جرت على الأوَّلين، وتجري على المسلمين كما تجري على المشركين، لا تتخلف ولا تتبدل، كما قال سبحانه: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر: ٤٣].

وقد علمنا التاريخ أنَّ الحضارة دورات، وأنَّ الدهر قلَّب، ودوام الحال من المحال، وهذه هي سُنَّة التداول الكونيَّة الثابتة، التي قرَّرها القرآن الكريم حين قال: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقد كانت شعلة الحضارة في القديم لدى الشرق، أيام الحضارات الفرعونيَّة والفينيقيَّة، والبابليَّة، والفارسيَّة، ثم انتقلت الشعلة إلى الغرب أيام حضارة اليونان والرومان، ثم عادت إلى الشرق أيام الحضارة العربية الإسلاميَّة، فلما ركد المسلمون وتخلفوا حين أساؤوا فهم دينهم وتطبيقه، هرولت الحضارة إلى الغرب، الذي يقود العالم اليوم، وسنَّة الله تعالى، ومنطق التاريخ، أنَّ الدورة الحضاريَّة القادمة لنا نحن المسلمين، وَفْق

QaradawiBooks.com

قانون «البقـــاء للأصلح» وليس للأقوى، فإنَّ «البقـــاء للأقوى» هو قانون الغابة، أمَّا البقاء للأصلح، فهو قانون الإنسان.

وقد كان الاتحاد الســـوفيتي قوة ضخمة، ويملك ترســـانة هائلة من الأسلحة النووية والتدميرية، وجيوشا جرَّارة مدرَّبة مستعدَّة، ومع هذا لم تُغْنِ عنه هذه القوة العسكرية شـــيئًا، وانهار هذا البناء الكبير؛ لأنَّه أُسِّس على شفا جرف هار، فانهار بأصحابه، والله لا يهدي القوم الظالمين.

إنَّ بقاء الأمم الكبيرة لا يدوم بقوة الســـلاح وحدها، فلا بدَّ من قوة معنويَّة وراء القـــوة الماديَّة، والقوة المعنويَّة لا تعنـــي الدين وحده، كما يتصوَّر الكثيرون، الديـــن والإيمان في المقدمة، ولكـــن القوة المعنوية تشـــمل الأخلاق، والفكر، والمعرفـــة، والمعاني الإنســـانية، وهذه كلها ضرورية للبقاء والتفوق، مع ضرورة القوة العسكرية، والقوة الاقتصادية.

أيها الإخـــوة، إننا لدينا ـ نحن المســـلمين ـ من المبشـــرات الدينيِّة والدنيويَّة ما يملؤنا ثقةً بالمستقبل، ويقينًا بغدٍ أفضل، ولا يعني ذلك أن ننام على آذاننـــا، ونتَّكل على هذه البشـــائر، بل يجـــب أنْ تحفِّزنا هذه المبشِّرات إلى العمل، والعمل الدؤوب، المبني على العلم والتَّخطيط، حتى نحوِّل الأحلام إلـــى حقائق، والأمل إلى واقع مشـــهود، ومن جدَّ وجد، ومن زرع حصد، ومن سار على الدرب وصل، فسنَّة التداول تعمل مع سُـــنَّة التَّغيير، فإذا غيّرنا ما بأنفسنا غيّر الله ما بنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

لقد أرشد القرآن إلى أنَّ نصر الله لا يكون ولا يتم إلا بالمؤمنين، كما أنَّه لا يكون إلا للمؤمنين. كما قال تعالى يخاطب رســـوله الكريم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفـــال: ٦٢]. فلا نتوقَّـــع أنْ تنـــزل ملائكة

QaradawiBooks.com

السماء الَّتي نزلت في بدر، أو في الأحزاب، أو في حنين، على قوم فرغت قلوبهم من الإيمان، أو خلت حياتهم من أخلاق الإيمان، وأعمال المؤمنين، فالله تعالى يقول في بدر: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

إنَّ الرسالات لا تنتصر وحدها، إنَّما تنتصر بأهلها، والحقُّ لا يعلو وحده، إنَّما يعلو وَفْق سنن الله بدعاته ورجاله الذين جمعوا بين العلم، والعمل، والإخلاص، كما قال الشاعر:

وشِيمَةُ السَّيْفِ أنْ يُزْهى بجَوْهَرِه ... وليس يعملُ إلَّا في يدَيْ بَطَلِ[1]

إنَّ المبشِّرات بانتصار الإسلام يجب أن تمنحنا وقودًا متجدِّدًا، لمزيدٍ من العطاء والعمل الذي تحتاج إليه أُمَّتنا على كلِّ صعيد، ولا تطمع الأُمَّة أنْ يمدَّها الله بنصره، على ما بها من سيِّئ الخصال، وسيِّئ الفعال، بل لا بدَّ للأمَّة أنْ تغيِّر ما بأنفسها حتى يغيِّر الله ما بها.

أسأل الله تعالى أنْ يفقِّهنا في ديننا، وأنْ يفقِّهنا في دنيانا، وأنْ ينير بصائرنا، وأنْ يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأنْ يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأنْ يُحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) ديوان الطغرائي صـ٣٠٧.

QaradawiBooks.com

١٨

المُبَشِّرات بانتصار الإسلام (٢)[١]

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتـمُّ الصالحات، الَّذي هدانـا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليمه على مُعَلِّم النَّاس الخير وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، ومخرج النَّاس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، سـيِّدِنا وإمامنا وأسـوتنا وحبيبنا محمَّد بن عبـد الله، وعلى آله وصحبه الَّذين آمنوا بـه وعزّروه ونصروه واتَّبعوا النُّور الَّذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أحيِّيكـم به أيُّها الإخوة والأخوات في هـذه المدينة الطَّيِّبة، وفي هذا المؤتمر الشَّعبيِّ تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحقُّ أنَّني سـعيدٌ كل السعادة، ومسرور كلَّ السُّـرور، ومزهوٌّ كلَّ الزَّهْو، أن ألتقي معكم اليوم وفي هذا المؤتمر الشعبي، وفي رحاب هذه الجامعة الجديدة القديمة، وفي بلد عرف الجهاد البطوليَّ الحقيقيَّ الَّذي

(١) ألقيت في الجامعة الأسمريَّة بزليطن، ليبيا، بتاريخ ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

تمثَّل في عمر المختار وإخوانه الَّذين قاوموا الاستعمار الإيطاليَّ المُتَجَبِّر في الأرض، أنا في غاية السرور أن ألتقي بكم في هذا المؤتمر لأشارككم، وأُحيِّيكم، وأبارككم، وكم كنت أتمنَّى أنْ يُسعفني الوقت لأجلس معكم وأستمع إليكم وأناقشكم وأشاغبكم في هذا المؤتمر، كما كنت أشاغب شيوخي وأساتذتي قديمًا في المعهد الديني، ولكنِّي مضطرٌّ أنْ أجلس معكم لفترة من الزَّمن ثُمَّ أُوَدِّعكم داعيًا لكم أنْ تُوَفَّقوا في مَساركم، وأنْ يُسَدِّدَ الله خُطاكم في طريقكم، وأنْ يُنير بصائركم لتتعاونوا على البرِّ والتقوى وتتواصَوْا بالحقِّ والصبر، وتَصِلوا بالشورى الحقيقيَّة إلى ما تصبُون إليه، وإلى ما تصبو إليه أمَّتُكم معكم.

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعل يومكم خيرًا من أمسكم، وأن يجعل غدكم خيرًا من يومكم، وأن يُحسن عاقبتَكم في الأمور كلِّها، وأن يخرج أمَّتنا ممَّا هي فيه، وأن يكشف الغُمَّة عن هذه الأمَّة، وأن يجعل لها من عُسْرها يُسْرًا، ومن ضيقها فَرَجًا، ومن مأزقها مَخْرجًا، وأن ينصرها على عدوِّ الله وعدوها، ونحن نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

أيّها الإخوة، الحقيقة أنَّني احترت فيمَ أتحدَّث إليكم، ذلك أنَّ الإخوة لم يُحَدِّدوا لي موضوعًا مُعَيَّنًا للحديث فيه، ولو أنَّهم فعلوا لأراحوني، ولكنهم تركوني فأصبحت محتارًا فيمَ أحدِّثكم به، ولكن خطر لي أنْ أحدِّثكم في هذه المرحلة من الزمن عن المُبَشِّرات، فإنَّ الأمَّة قد خيَّم عليها اليأس، وخيَّم عليها الاستسلام للأعداء، وتريد أنْ تُسلِّم لأعدائها وأنْ تحني لهم الرؤوس وتطأطئ لهم الظهور، ولذلك نحن في حاجة إلى المُبَشِّرات لنطرد اليأس من النفوس، والقنوط من القلوب، ولتعلم الأمَّة أنَّ دوام الحال من المُحال، وأنَّ بعد الظلام فجرًا،

QaradawiBooks.com

وبعد العُسْـــر يُسْـــرًا، ولهذا آثرتُ أنْ أُحَدِّثكم عن المُبَشِّـــرات بانتصار الإسلام، وأنا من دعاة التيسير والتبشير، التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة، وأخذت هذا المنهج من رســـول الله ﷺ، الَّذي روى عنه خادمه أنس رضي الله عنه قوله: «**يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا**»[1]، وحينما أرسل معاذ بن جبل وأبا موســـى الأشـــعريَّ إلى اليمن أوصاهما بهذه الوصيَّة الجامعة، قال: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرَا، وبَشِّرَا ولا تُنفِّرا، وتَطَاوَعا ولا تختلفا**»[2].

وجريًا على هذا المنهج أتبنَّى التبشير دائمًا في الدعوة، والتيسير أبدًا فـــي الفتوى، ونحـــن في حاجـــة إلى أن نســـتحضر المبشّـــرات وليس «المُيَئِّســـات» ولا «المثبّطات»، وكثير من الدّعاة والوعّاظ والمذكّرين إذا تحدّثوا يكادون يُغلقون الأبـــواب في وجوه الأمَّة، لا يذكرون إلَّا عوامل الإحبـــاط، ودواعي اليأس، ولكنِّـــي حريصٌ دائمًا علـــى أنْ أذكر وأذكِّر بدواعي الأمل وبواعث الرجاء في الغد وفي الانتصار إنْ شاء الله.

عندنا مُبَشِّرات خمسة أيُّها الإخوة والأخوات.

ـ مُبَشِّرات من القرآن الكريم.

ـ ومُبَشِّرات من الحديث الشريف.

ـ ومُبَشِّرات من الحاضر.

ـ ومُبَشِّرات من الواقع الماثل.

ـ ومُبَشِّرات من سُنن الله تعالى في خلقه.

خمسة أنواع من المُبَشِّرات سأشير إلى كلٍّ منها بما يُلقي الضوء عليها.

(١) سبق تخريجه صـ٤٦١.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٣٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأوَّل المُبشِّرات من كتاب الله، من القرآن الكريم.

فعندنا نحن المسلمين ما يملؤنا ثقةً وأملًا بنصر الله تعالى، وأنَّه لا يتخلَّى عنَّا أبدًا، وأنَّ هذا الإسلام سيظهر على الأديان كلِّها، يقول الله تبارك وتعالى في آياتٍ ثلاث من كتابه الكريم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]، ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: ٢٨]، فلا بدَّ أن يظهر الإسلام على الأديان كلِّها، وقد ظهر الإسلام بعد عصر الرسول والصحابة في القرن الأوَّل، ظهر الإسلام على اليهوديَّة، وعلى المجوسيَّة، وانتصر أيضًا على المسيحيَّة إلى حدٍّ كبير، وانتصر على بعض الوثنيَّات، ولكن بقيت أديان كثيرة لم يظهر عليها الإسلام، ووعد الله هنا أنَّ الإسلام سيظهر ويعلو وينتصر على الدِّين كُلِّه، على كلِّ دِين، ومعنى هذا أنَّ هذا سيتمُّ في المستقبل، سيظهر الإسلام على الدِّين كله، كما قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فعندنا من القرآن الكريم ما يُبَشِّرنا، وما يُطمئننا، ويملأ قلوبنا رجاءً أنَّ الإسلام سيظهر على كلِّ الأديان، وكلَّ ما في الأمر أن نُؤَهِّل نحن أنفسنا لذلك، بمعنى ألَّا ننام على آذاننا ونقول: ربُّنا سينصرنا، انْصُر اللهَ يَنْصُرْك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. النصر في القرآن للمؤمنين، كما أنَّ النصر بالمؤمنين، يقول الله تعالى لرسوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. فلا بدَّ أن نكون نحن أداةَ النصر ووسيلةَ النصر.

عندنا من القرآن الكريم آيات كثيرة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢]. هم يريدون أنْ يُطْفئوا نور

QaradawiBooks.com

الله، يريدون أن يُطْفئوا نور الشمس بأفواههم، الشمس، وليس شمعة تُنْفَخ فيها فتنطفئ، كذلك نور الإسلام لا يمكن أن يُطْفَأ بنفخة من الأفواه، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾. هم يريدون، والله يريد، وما يريده الله هو الَّذي سينفذ. ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾، والإباء الإلهيُّ هو الَّذي يُطَمْئِننا، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. فهذا هو المُبَشِّر الأوَّل، مُبَشِّر من آيات القرآن الكريم.

إنَّ الصَّراع مهما دار بين الحقِّ والباطل فإنَّ الحقَّ سيظهر في النهاية، وستعلو كلمته في العاقبة، العبرة بالخواتم، والعبرة بالعواقب، دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. قد تتلبَّد السماء بالغيوم، وقد تتوارد المشكلات والمتاعب والمصاعب، وهذا ربَّما أخَّر النصر، ولكنَّ النصر آتٍ لا ريب فيه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤]. و«البأساء» البؤس في الأموال، و«الضَّرَّاء» الجراحات في الأبدان، و«الزلزلة» الخوف في النفوس، ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾. يستبطئون النصر، ويُعقِّب الله تعالى على ذلك فيقول: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]. هذه بشارة القرآن الكريم، سننتصر على الظلمة والجبَّارين المستكبرين في الأرض بغير الحقِّ، ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

يروي سيِّدُنا جابر عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله ليُملي للظالم**». أي: يُمهله، ولذلك نقول في الأمثال: يُمهل ولا يُهمل. ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

QaradawiBooks.com

«**إنَّ الله ليملي للظالم حتَّى إذا أخـذه لم يفلته**»، ثمَّ تلا قولَ الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][(١)].

كما أخذ عادًا وثمود وفرعون وقـارون وهامان، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]. فهذا هو المُبشِّر الأوَّل من القرآن الكريم.

وعندنا المبشِّـر الثاني من الحديث النَّبويِّ الشريف، وأقول لكم: إنَّه للأسـف أنَّ كثيرًا من الخطبـاء والوعَّاظ إذا ذكروا أحاديـث الفتن وآخر الزَّمان، دائمًا ما يركِّزون على أنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وأنَّه لا يأتي عليكم زمان إلَّا الَّذي بعده شـرٌّ منـه، وأنّ الكفر في إقبال، والإسلام في إدبار، وغير ذلك، بحيث إنَّ من يسمع هذه الأحاديث يُخَيَّل إليه أنَّه لا أمل في إصلاحٍ ولا أملَ في تغييـر، ولا أملَ في الوقوف أمام القوى الطَّاغية المُتَجَبِّرة، وهذا للأسف فهمٌ سقيمٌ للأحاديث النبويَّة.

هناك أحاديث كثيرة تُبَشِّر، ولكنَّ هؤلاء يُغَيِّبونها عن الوعي الإسلامي وعن الضمير الإسلامي، فالرسـول ﷺ قال: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ** ـ أمر هذا الدين ـ **ما بلغ الليلُ والنهار، ولا يبقى بيتُ مَدَرٍ أو وَبَر** ـ بيت من الحجر أو بيت من الشعر، بمعنى بيت في حَضَر أو في بادية ـ **إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّينَ بعِزِّ عزيزٍ، أو بذلِّ ذليل، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسـلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر**»[(٢)]، سينتشر الإسلام كما ينتشر الليل والنهار، يعني أنَّه سيملأ الكرة الأرضيَّة مشرقَها ومغربَها، وشمالَها وجنوبَها، هذا من حيث انتشار الدين.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.
(٢) سبق تخريجه صـ٢٤٥.

QaradawiBooks.com

ومن حيث قوَّة الدولة، يقول النبيُّ ﷺ في حديث مسلم: «**إنَّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنَّ أمَّتي سيبلغ مُلْكَها ما زُوِيَ لي منها**»[١]، اتِّساع للدين واتِّساع للدولة، والمسلمون في العصور الأولى ملكوا معظم الدُّنْيا القديمة، ووصلت جيوشهم إلى الصين وإلى سمرقند، وإلى الأندلس، وإلى الهند، وكلِّ هذه البلاد، ولكنَّهم لم يملكوا مشارقها ومغاربها، وهذا الحديث يُبَشِّرنا بأنَّ مُلك الأمَّة سيتَّسع هذا الاتِّساع. ويقول النبيُّ ﷺ: «**لا تقوم الساعةُ حتَّى تعود أرضُ العرب مُروجًا وأنهارًا**»[٢]، ومعنى هذا اتِّساع الحالة الاقتصاديَّة والرخاء الاقتصادي، وأنّ أرض العرب ستعود مُروجًا وأنهارًا. ويقول النبيُّ عليه الصلاة والسلام أيضًا: «**ليأتينَّ على النَّاس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثُمَّ لا يجد أحدًا يأخذها منه**»[٣]، والمعنى: أنَّ النَّاس سيُغنيهم الله، فما عادوا يجدون مَن يُعطونه الصَّدقة، وهذا هو الرخاء الاقتصادي، والأحاديث في هذا الجانب كثيرة، وهي أحاديث متَّفق عليها بين البخاري ومسلم.

ويقول النبيُّ ﷺ أيضًا في حديثٍ عن ابن عمر[٤]، وعن أبي هريرة[٥] في البخاري ومسلم: «**لا تقوم الساعةُ حتَّى تُقاتلوا اليهود**»، وفي حديثٍ آخر: «**لا تقوم الساعة حتَّى يُقاتل المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون حتَّى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجرُ أو الشجر: يا مسلمُ، يا عبدَ الله، هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقتله**»، الانتصار على

(١) سبق تخريجه صـ٤٦٧.
(٢) سبق تخريجه صـ٤٧٢.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤١٤)، ومسلم (١٠١٢)، كلاهما في الزكاة، عن أبي موسى.
(٤) سبق تخريجه صـ٣٢.
(٥) سبق تخريجه صـ٩٨.

QaradawiBooks.com

اليهود، اليهود الآن الَّذين يُذِلُّوننا بترسانتهم العسكريَّة والنوويَّة، والَّذين يملكون من الأسلحة ما لا يملك العرب، (٣٠٠) مليونٍ من العرب جميعًا لا يملكون ما تملك إسرائيل وحدها، ومع ذلك سينتصر المسلمون عليهم، وسيكون كلُّ شيءٍ مع المسلمين، حتَّى الحجر والشجر سينطق ويقول: «**يا عبد الله ـ أو يا مسلم ـ هذا يهوديٌّ ورائي فتعالَ فاقتله**». فهل ينطق الحجر والشجر بلسان المقال أو بلسان الحال؟ العرب يقولون: لسان الحال أفصحُ من لسان المقال. بمعنى أنَّ كلَّ شيء قد يدلُّ على اليهود، كأنَّه يتكلَّم، ومن الممكن أن يتكلَّم، فنحن لا نستبعد على قدرة الله شيئًا، آية من آيات الله تبارك وتعالى.

فحينما يكون النصر لك، يكون كلُّ شيءٍ معك، وحينما يكون الخذلان نصيبَك يكون كلُّ شيء ضدَّك، حتَّى الأسلحة الَّتي معك لا تغني شيئًا، يتركها صاحبها ويفرُّ وهو يقول: الفرارَ الفرارَ. لأنَّ السلاح لا يُقاتل وحده، وأبو الطيِّب المتنبِّي يقول:

وما تنفعُ الخيلُ الكِرَامُ ولا القَنَا إذا لم يكن فوق الكِرَامِ كِرَامُ[1]؟

يعني خيلًا بدون خيَّال، فرسًا بدون فارس، ماذا تستطيع أن تفعل؟ والطغرائيُّ يقول:

وَشِيمَةُ السَّيْفِ أَنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ ولَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا في يَدَيْ بَطَلِ[2]

وعندما يأتي النصر فإنَّ كلَّ شيء سيأتي معك، حتَّى الحجر والشجر والأرض تحارب معك، فهذه كلُّها مبشِّرات أخبرنا بها رسولُ الله ﷺ، فلذلك لا ينبغي أن نُرَكِّز على الأحاديث الَّتي تُثبِّط

(١) ديوان المتنبي صـ٣٩٠.

(٢) ديوان الطغرائي صـ٣٠٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

النَّاس وتُلقي اليأس في القلوب، ذلك أنَّ لدينا أحاديثَ كثيرةً لا يتَّسع الوقت أنْ أُحَدِّثكم عنها، والَّتي منها قوله ﷺ: «**إنَّ الله يبعثُ إلى هذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يُجَدِّد لها دِينَها**»[١]. الأمَّة في حالة تجديد للدين باستمرار.

ثمَّ عندنا المُبشِّر الثالث وهو التاريخ، والتاريخ هو ذاكرة الأمَّة، وهو مخزن العِبَر، فالتاريخ يُحَدِّثنا أنَّ هذه الأمَّة فيها مخزون من الخير، ومخزون من الهمم، ومخزون من القوَّة لا تُستثار ولا تظهر إلَّا في حالة الشدائد، عندما تحيط بها المحن والكروب، وعندما تَدلَهِمُّ من حولها المصائب والخطوب، عندها يظهر مَعْدِن هذه الأمَّة، كأصفى ما تكون هذه الأمَّة جوهرًا، وأصلب ما تكون عودًا، وأشدِّ ما تكون قوَّة، في المحن الَّتي تنزل بها في التاريخ.

عرفنا هذا منذ حروب الردَّة الَّتي حدَثت بعد وفاة الرسول ﷺ، حيث ارتدَّت معظمُ قبائل العرب، وتبعوا الأنبياء الكَذَبَة: مُسَيْلِمة، وسَجَاح بنت الحارث، والأسود العَنْسي، وطُلَيْحة الأسديَّ، وهم يعلمون أنَّهم كذَّابون وقالوا: «كذَّاب رَبِيعة أحبُّ إلينا من صادق مُضَر»[٢]. ومعنى قولهم أنَّ نبيًّا من بلادنا ومن قومنا أفضلُ من صادِق قُرَيْش. وتبعوا هؤلاء الأنبياء الكَذَبَة، وانضمَّ إليهم الَّذين منعوا الزكاة، وقالوا: نُصلِّي ولا نُزكِّي. فهيَّأ الله رجلًا هو بطبيعته رجلٌ رقيقٌ خاشعٌ وهو سيِّدنا أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، فهذا الرجل، وقف وقفة الأسد الهَصور، وقفة الجبل الأشمِّ، فأبى إلَّا أن يُقاتل هؤلاء، حتَّى إنَّ سيِّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: كيف تقاتلُ

(١) سبق تخريجه صـ ٤٧٤.

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٣٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتلَ النَّاس حتَّى يقولوا: لا إلٰه إلا الله. فمن قال: لا إلٰه إلَّا الله؛ عصم مِنِّي ماله ونَفْسَه، إلَّا بحقِّه وحسابه على الله**»؟ فقال: والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عِقَالًا كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم على منعه[1]. وناقشه عمر بن الخطَّاب في بعض الأشياء، ثُمَّ قال: فعرفتُ أنَّ اللهَ شرح صدر أبي بكر، فعرفتُ أنَّه الحقُّ، وانضمَّ معه، وكذلك الصحابة، وجهَّز أبو بكر أحد عشر جيشًا لقتال المُرْتَدِّين وقتال مانعي الزكاة[2].

الدولة الإسلاميَّة كانت أوَّل دولة في التَّاريخ تُقاتل من أجل حقوق الفقراء، ونصر اللهُ أبا بكر ومن معه من الصَّحابة على المُرْتَدِّين رغم كثرتهم، والعجيب أنَّ هؤلاء المُرْتَدِّين بعد أن انتصر عليهم الصحابة شعروا بغلطتهم، وشعروا بإساءتهم، فأرادوا أن يُكَفِّروا عن هذا الماضي الرديء، فكانوا من أشجع الناس، ومن أكثر النَّاس إقدامًا في حروب فارس والروم، وأصبح الَّذين ارتدُّوا في عهد أبي بكر في مُقَدِّمة الفاتحين، وكان كلُّ واحد منهم يحاول التكفير عن سيِّئاته الماضية، وهكذا انتصر الإسلام على هؤلاء المُرْتَدِّين، ومرَّت هذه المحنة بسلام، وبدأ المسلمون يفتحون ممالك كسرى وقيصر، وينفقون كنوزهما في سبيل الله، كما بشَّرهم رسولُهم ﷺ.

يُحَدِّثنا التاريخ أيضًا أنَّ هناك مِحَنًا أصابت المسلمين في تاريخهم لو أنَّها أصابت غير الإسلام لقضت عليه تمامًا، وهي مِحْنة الحروب الصَّليبيَّة، وبهذه المناسبة فإنَّ الَّذين أسْمَوْها الحروب الصليبيَّة هم الغربيُّون أنفسهم، بينما كان مؤرِّخو الإسلام والعرب يُسَمُّونها حروب

(١) سبق تخريجه صـ١٢١.

(٢) انظر: البداية والنهاية (٤٤٥/٩) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

الفرنجة. إنَّ الغربيِّين الأوربيِّين هم الَّذين غزونا، وهم كانوا يعتبرونه غزوًا استعماريًّا، والغربيُّون هم الَّذين أسْمَوْها حروبًا صليبيَّة، يريدون أن يُضْفوا عليها الطابع الديني، والحروب الصليبيَّة انتصر أصحابها على المسلمين في أوَّل الأمر، شنُّوا تسع حملات صليبيَّة، انتصروا وأقاموا ممالك وإمارات في فلسطين، وعاونهم الأمراء الخَوَنة، تعاونوا معهم ضدَّ إخوانهم، والتاريخ يُعيد نفسه، فالخَوَنة في كلِّ مكان، والضّعفاء والمستسلمون، وطالِبو الدُّنيا، وعبيد الدُّنيا، وعَبَدَة الكرسيِّ، وعَبَدَة الحكم، كل هؤلاء هم الَّذين يتعاونون مع الأعداء ضدَّ إخوانهم، هم الَّذين يتعاونون مع الأعداء ليبقوا على كراسيِّهم ولو ذهب الإسلام والمسلمون، هؤلاء تعاونوا مع الصليبيِّين، وأقام الصليبيُّون إماراتٍ وممالكَ في أرض فلسطين، واستمرُّوا أكثر من مائتي سنة، ودخلوا المسجد الأقصى الَّذي ظلَّ أسيرًا في أيديهم (٩٠) سنة، ثمَّ هيَّأ الله رجالًا لهذا الدين، لم يكونوا من العرب، بل عرَّبهم الإسلام، كان منهم الأتراك، مثل: عماد الدِّين زِنْكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيُّوبي الكرديّ، هؤلاء حاولوا أن يُجَمِّعوا القوى الإسلاميَّة خصوصًا في الشام ومصر، وكان ما كان، هيَّأ الله لصلاح الدِّين أن يُحَقِّق النصر الأوَّل على الصليبيِّين في معركة حِطِّين، ثُمَّ في فتح بيت المقدس، ثُمَّ هيَّأ الله من بعده أيضًا من انتصروا على الفرنسيِّين وعلى ملك فرنسا «لويس التاسع» وأسروه في دار ابن لقمان بالمنصورة المدينة المصرية، واندحر الصليبيُّون في النهاية، ولم تَبْقَ لهم من باقية، لم يبق شخص واحد في ديار العرب والمسلمين، وفي أواخر عهد الصليبيِّين بدأ زحفٌ آخر لهم من الغرب، بينما شنَّ التَّتار زحفًا مماثلًا من الشرق، وكانت قوَّة جديدة تملك الفروسيَّة، وتملك دمًا جديدًا، ولم تكن تعرف الحضارة ولا المدنيَّة،

QaradawiBooks.com

ولكنَّها كانت تعرف القتال والفروسيَّة، فانتهزوا الغفلة والتمزُّق في بلاد المسلمين، وبدؤوا يزحفون عليها ويأكلونها بلدًا بلدًا، وهكذا.

والأمَّة إذا كانت مُمَزَّقة فمن الممكن أن تضيع قطعةً قطعة، كلُّ واحدٍ يدافع عن نفسه في المكان الصغير الَّذي هو فيه، ولا يبحث عن بقيَّة الأمَّة، وهذا ما فعله التَّتار، فسقطت الممالك الإسلاميَّة واحدة بعد أخرى، وهكذا إلى أن وصلوا إلى عاصمة الخلافة الإسلاميَّة بغداد في سنة (٦٥٦) هجريَّة (١٢٥٨) ميلاديَّة، ودخلوا إليها وفعلوا الأفاعيل، حتَّى قال المُؤرِّخ المسلم ابن الأثير في كتابه «الكامل» وهو يحكي عن مآسي هذا اليوم وعن الدّماء الَّتي سالت فقال: «ليت أمِّي لم تلدني ولم أَرَ هذا اليوم»[1]. وقال: إنَّ مثل هذا اليوم لم يوجد مثله في التاريخ. وقد استمرَّ التَّتار لعدَّة أشهر وهم يذبحون ويريقون الدماء، حتَّى قيل: إنَّهم ذبحوا ألفي ألف ـ أي: مليونين ـ وذُبِح عددٌ كبير كهذا في تلك الفترة، كان عددًا مهولًا جدًّا، ولو كان الأمر بالقنابل كما نعرفها الآن، يمكن أن نقول: إنَّ ذلك كان مُمكنًا، أمَّا بالذبح فلكم أن تتخيَّلوا كم بَقُوا يُذَبِّحون من البشر، والمؤكَّد أنَّهم كانوا يعملون ليلًا ونهارًا في الذَّبح، وكان المسلمون للأسف مستسلمين، حتَّى قيل: إنَّ شخصًا من التتار وجد جماعة مختبئين فوق سطح منزل، فقال لهم: انتظروا حتَّى آتي بالسَّيْف لأذبحكم، فانتظروا. وكان المثل السَّائد في ذلك الوقت: «إذا قيل لك إنَّ التتار قد انهزموا فلا تُصَدِّق»، وأنتم تعرفون ما يُشاع اليومَ عن القوّة الَّتي لا تُقْهَر ويقولون: «إنّ الصهيونيَّة هي القوَّة الَّتي لا تقهر والشوكة الَّتي لا تُكسر»، وكانوا يشيعون مثل هذا القول أيَّام التتار، الَّذين كانوا يقولون عنهم بأنَّهم لا يُهزمون.

(١) الكامل في التاريخ (٣٣٣/١٠).

QaradawiBooks.com

وأيضًا كان نهرُ دجلة قد امتلأ بالسَّواد بسبب ما أُلقي فيه من كتب، اسودَّ النهرُ ممَّا أُلْقِيَ فيه من مِداد، واحمرَّت الطرقات من الدماء، واستسلم النَّاس للأسف، ولكن أيُّها الإخوة وفي غضون سنتين استردَّ الإسلام سُمْعته وعافيته، فوقعت معركة من مواقع التاريخ الحاسمة بعد سنتين، أي في سنة (٦٥٨) هجرية (١٢٦٠) ميلادية، وفي شهر رمضان، في الخامس والعشرين منه، وقعت معركة «عَيْن جالوت» الَّتي نصر الله فيها الإسلام والمسلمين، وقادها الرجل الصالح القائد المملوكيُّ المُظَفَّر: سيف الدِّين قُطُز. انتصر المسلمون في معركة عين جالوت، انتصر الإسلام على التَّتار عسكريًّا، ثمَّ انتصر عليهم مرَّة أخرى معنويًّا فدخلوا في الإسلام مختارين، وكانوا هم الَّذين اختاروا الدخول في الإسلام، ولأوَّل مرَّة يُسجِّل التاريخ دخول الغالب في دين المغلوب، وكان إسلامهم في أوَّل الأمر رديئًا، ثمَّ حَسُنَ إسلامهم، فأقاموا دولًا في آسيا للإسلام.

هكذا انتصر الإسلام بعد أنْ ظنَّ النَّاس به الظنون، وظنُّوا أنَّ شمس الإسلام قد غَرُبت، وأنَّ بِساط الإسلام قد طُوِيَ إلى الأبد، ولكنَّ الله هيَّأ رجالًا ينصرون هذا الدِّين، والتاريخ حافل بالمواقع، وطبعًا حروب الاستعمار الحديث الَّذي احتلَّ بلادَ المسلمين، حيث احتلَّ الاستعمار الحديث كافَّة بلاد المسلمين تقريبًا ما عدا السعوديَّة واليمن، وكنتم أنتم هنا في ليبيا قد عانيتم من الاستعمار الإيطاليِّ، ونحن في مصر عانينا من الاستعمار الإنجليزي، وكذلك كافَّة بلاد المسلمين عانت من هذا الاستعمار، من إندونيسيا إلى المغرب، وهكذا أصبحت أرض الإسلام نهبًا، ثمَّ هيَّأ الله رجال المقاومة في كلِّ بلدٍ إسلاميٍّ، لم يستسلم المسلمون وقاوموا، وكانت آخر هذه المقاومات الثورة الجزائريَّة الَّتي حرَّرت البلاد من الاستعمار الفرنسي الَّذي كان قد بقي فيها (١٣٠) عامًا،

QaradawiBooks.com

والَّذي اعتبر تلك الأرض أرضًا فرنسيَّة، وأراد أنْ يُلغي هُويَّتَها، وأنْ يلغي الدين الإسلامي والهُويَّة الإسلاميَّة، غير أنَّ رجالًا أبطالًا قاوموا، وممَّن قاموا ليُعيدوا للأمَّة هُويَّتها في تلك البلاد الإسلاميَّة الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البَشِير الإبراهيمي وغيرهما من أشقَّائهما، وهم الَّذين أشاعوا في الشعب ونشروا هذا النشيد:

شَعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِم وإلى العروبةِ يَنْتَسِبْ
من قال حاد عنَ اصْلِهِ أو قال ماتَ فقَدْ كَذَبْ[1]

وكانت هنا في ليبيا ثورةُ البطل عمر المختار، وفي كلِّ بلدٍ إسلاميٍّ كانت هناك ثورةٌ ضدّ الاستعمار، حتَّى استطاع النَّاس أن يتحرَّروا من الاستعمار.

ثمَّ ابتُلِينا باستعمار آخر وهو شرُّ أنواع الاستعمار، الاستعمار الاستيطاني الإحلالي العنصري الوحشيُّ، وهو الاستعمار الصهيوني، فهذا استعمارٌ جديدٌ ينبغي للأمَّة، كل الأمَّة أنْ تقاومه.

أقول أيُّها الإخوة: إنَّ التاريخ، وخصوصًا الإسلامي، حافل بالوقائع المُبَشِّرة الَّتي تُبَيِّن لنا أنَّ هذه الأمَّة لا يمكن أن تنحني، ولا يمكن أنْ تخضع خضوعًا مطلقًا لأيِّ عدوٍّ مهما كان، من الممكن أنَّها تهدأ، ولكنَّه الهدوء الَّذي يسبق العاصفة، ومن الممكن أن تمرَّ عليها فتراتٌ يظنُّ فيها النَّاس أنَّها قد انتهت، غير أنَّها سرعان ما تظهر الشعلة فيها وبأيدي أبنائها من جديد، ويظهر فيها الجهاد من جديد، لأنَّ الجهاد فُرض على هذه الأمَّة، وأمَّة فيها القرآن الكريم، أمَّة يذكِّرها القرآن صباحًا ومساءً، أمَّة أمامها سيرة رسول الله ﷺ، أمَّة أمامها أبطالٌ، من خالد بن الوليد

(١) آثار ابن باديس (٣٣٤/٤).

QaradawiBooks.com

وطارق بن زياد إلى عمر المختار وعزِّ الدِّين القسَّام، أمَّة مثل هذه الأمَّة لا يمكن أن تموت، ممكن أن تنام، ولكنَّها لا يمكن أن تموت، تنام ثمَّ تستيقظ، تغفو ثمَّ تصحو، وهذا هو المُبَشِّر الثَّالث.

المُبَشِّـــر الرابع هو الواقع الماثل أمامنا، الواقع الَّذي نُشـــاهده رغم ما فيه من نقـــاطٍ مظلمة، ورغـــم ما فيه من مـــآسٍ، ورغـــم ما فيه من انحرافات، ورغم ما فيه من خيانات، فإنَّ هذا الواقع يُبشِّرنا.

الصحوة الإسلاميَّة الَّتي انبثقت من ضمير الأمَّة، مَن الَّذي صنع هذه الصحوة؟ الأمَّة بطبيعتها هي الَّتي صنعتها، فهـــذه الأمَّة لا تموت أبدًا، ولذلك فهي تُفَجِّـــر بين الحين والحين طاقات جديـــدة، وهذه الصحوة ظهرت في بـــلاد العرب وفـــي بلاد المســـلمين، وخارج بـــلاد العرب والمسلمين، صحوة الشباب الإسلامي في كلِّ مكان، والإسلام كان هو الدَّافع الأقوى لهذه الصحوة.

وما يجري في أرض فلسطين حيث المقاومة الإسلاميَّة والوطنيَّة يقودُها شـــباب مكافح بالحجر والطُّوب، هؤلاء هم الَّذين يقفـــون اليوم ضدَّ القوَّة العاتية، قوَّة الصِّهيونيَّة المسنودة بأمريكا وقوَّتها، المسنودة بالمال الأمريكي، والســـلاح الأمريكي و«الفيتـــو» الأمريكيِّ، هـــؤلاء الإخـــوة يُحاربون ولم يستسلموا، يُقنبلون أنفسهم، الواحد منهم يجعل من نفسه قنبلة بشريَّة، ويضع رأسه على كفِّه، ويرمي بنفسه في ســـبيل الله ليقتل هؤلاء الأعداء، وهذا هو الَّذي حيَّر «إسرائيل»، وحيَّر من وراء «إسرائيل»، وهم يريدون وبكلِّ وسيلة أن يوقفوا الانتفاضـــة والعمليَّات الاستشـــهاديَّة؛ لأنَّها هـــي الَّتي تزعزعهم وتدخل الرُّعب في قلوبهم، هذه العمليَّات الاستشـــهاديَّة هي الَّتي جعلتهم لا يَهْنؤون بنوم، ولا يهنؤون بالحياة، وهذا كلُّه من أثر الصحوة الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

الإسلام مستمرٌّ في تحريك هذه الأمَّة، وما دامت الأمَّة فيها الإسلام ستظلُّ تُفْرِز رجالًا وحركات تقاوم الأعداء، وهذا ممَّا يُبَشِّرنا بأنَّ الإسلام لا يزال بخير، يمكن إذا نظر النَّاس إلى الحكام والقيادات السياسيَّة ربَّما أصابهم اليأس وربَّما أصابهم الغمُّ، وربَّما أصابهم القنوط من هذه القيادات، وهذه الأنظمة الَّتي اتَّخذت الكرسي ربًّا لها، فاتّخذها الكرسي عبيدًا، والَّتي من أجل كراسيِّها حاولت أنْ تسترضي الغرب، وأنْ تسترضي الأمريكيِّين، وتسير في ركاب الظالمين والمستكبرين، ربَّما لو نظرنا إلى هؤلاء أصابنا اليأس والغثيان، ولكن إذا نظرنا إلى الشعوب، إلى الجماهير، إلى أبناء هذه الأمَّة، إلى الشُّبَّان والشَّابَّات، نجد أنَّ الأمَّة لا تزال بخير، وأنَّ الخير لا يزال في هذه الأمَّة إلى يوم القيامة، والله تعالى يقول: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، وهي باقية إلى قيام الساعة، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩] فلا يمكن أن تجتمع الأمَّة على ضلالة، سيبقى هناك من يقول «لا»، وسيظلُّ هناك من يقاوم هذا الباطل، وهذا هو الَّذي يُطَمْئِنُنا، ولعلَّ اليأس من العرب هو الَّذي جعل معمر القذافي ينسحب من الجامعة العربيَّة، وهو جزء أصيل من هذه الجامعة، إنَّما اليأس و«القَرَف» من هؤلاء السَّاسة والحُكَّام هو الَّذي جعله يتَّخذ مثل هذا الموقف.

أنا أقول أيُّها الإخوة: الشعوب الإسلاميَّة لا تزال بخير، لا يزال في أعماق هذه الأمَّة قوَّة وكنوز تحتاج إلى من يستثيرها، من يبحث عنها، ومن يُفَجِّرها، وإذا وُجِد من يُفَجِّر هذه الطاقات سنجد الأمَّة تستجيب له، من يقودها بالمصحف، ومن يقودها بنداء الله أكبر، من يقودها بالإيمان، عندها ستنقاد الأمَّة وراءه، وهذا ما يخافه أعداء الإسلام، أن يظهر صلاح

QaradawiBooks.com

الدِّين من جديد، صلاح الدين هو رمز للقائد الَّذي يُحَرِّك الكوامن في هذه الأمَّة، ويستثير الدفائن في داخل هذه الأمَّة.

الواقع المعاصر رغم ما فيه من نقاط ضعف، ومن نقاطٍ مُظلمة، فهناك أيضًا نقاط مضيئة، وفيه مُبَشِّرات كثيرة، وأنا لا أيئس أبدًا من هذه الأمَّة، لأنَّها أمَّة الخلود، ليس هناك أمَّة بعدها، وهذا الدِّين هو الخاتم، خُتمت الرسالة بمُحَمَّد ﷺ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فلا نبيَّ بعد محمد، ولا شريعة بعد الإسلام، ولا كتاب بعد القرآن، ولا أمَّة بعد هذه الأمَّة، ولذلك من المستحيل أنْ تموت هذه الأمَّة، ستظلُّ هذه الأمَّة لتبقى حارسةً لهذه الرسالة الخالدة، وهذا هو المُبَشِّر الرابع.

أمَّا المُبَشِّر الخامس، فهو مُبَشِّر من سنن الله، فنحن نعلم أنَّ الله تبارك وتعالى أقام هذا الكون على سُنَن، وعلى قوانين ثابتة، فهذا الكون تحكمه قوانين إلهيَّة لا تتبدَّل ولا تتحوَّل ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. ومن يقف ضدَّ هذه السُّنن تدوسه، ومن لم يراعِ هذه السُّنن لن ترعاه، وكان الصحابة رضي الله عنهم خالفوا هذه السُّنن في عهد رسول الله ﷺ في غزوة أُحُد عندما تركوا ظهرهم مكشوفًا للعدوِّ استغلَّ هذه الفرصة وأعمل سيفه في ظهورهم خالدُ بن الوليد وفرسانه، ومن أجل ذلك استحقُّوا أن يُقْتَل منهم سبعون رجلًا، وجاء القرآن ليقول لهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ١٦٥]. من أين أتتنا هذه المصيبة؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. فلا بدَّ أن يرعى النَّاس سنن الله، وسنن الله أنّ من زَرَعَ حَصَد، مسلمًا كان أو كافرًا، بَرًّا كان أو فاجرًا، تزرع تحصد، إذا زرعت بذرة طيِّبة تحصد ثَمَرَة طيّبة، وإذا زرعت بذرةً فاسدةً تحصد ثمرة فاسدة، فالثمرة من جنس البذرة، إنْ تَسْعَ في تسميد هذه الثمرة ورعايتها

QaradawiBooks.com

وسقايتها فإنّها تُؤْتي على قدر ما تؤتيها، وفي مصر نقول: «أعْطِ الأرضَ تُعْطِكَ»، وهذه سنَّة من سنن الله، وإذا أهملت فإنَّك لا تأخذ.

إنَّ سنن الله ﷻ تُبَشِّرنا، فهناك سنن النصر حيث ينصر الله المؤمنين ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ [الحشر: ٢]. ولكن بشرط أن نأخذ بأسباب النصر، لا نجلس نائمين على آذاننا ونقول: «ربُّنا ينصرنا» لا، فالَّذين كانوا يقولون: «ربَّنا انصرنا» كانوا يقولون ذلك وهم في الميدان: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. يجاهد ويطلب النصر، أمَّا أنْ تجلس قاعدًا وتطلب النصر فهذا لا يجوز، يجب أنْ تسعى لتهيئة الأسباب ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. لا بدَّ أن يكون هناك إعداد، والمعركة لها أخلاقيَّات ذكرها القرآن الكريم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، اثبتوا واذكروا الله في هذا الموقف، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤٦]. ولذلك شرع الإسلام الصلاة في أثناء الحرب، وهي قائمة، ومن طاعة الله أن نُؤَدِّي فرائضنا حتَّى والحرب قائمة، ممكن أن تُصَلِّي ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]، يمكنك الصلاة وأنت راكب الدبابة أو راكب الطائرة، بتيمم أو بوضوء على ما تستطيع، للقبلة ولغير القبلة، وبالركوع والسجود أو بالإيماء، وفي حالة أن تكون على الأرض صلِّ جماعة وراء إمام واحد، والقرآن ذكر صلاة أسْمَاها الفقهاء «صلاة الخوف» يتبادل فيها المُصلُّون المواقع، جزء يُصَلِّي، وآخر يحرس، ثمَّ يتبادلون المواقع، حتَّى تبقى صلاة الجماعة خلف الإمام ﴿وَإِذَا كُنتَ

QaradawiBooks.com

فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [النساء: ١٠٢]. ليت المسلمين فقهوا هذه الآية، ﴿ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾. اليوم غفلت الأمَّة عن أسلحتها وأمتعتها، وتركت نفسها حتَّى فُوجئنا بأنَّ المسلمين في حالة تخلُّف، والغرب في حالة تقدُّم، المسلمون في ضعفٍ وخصومُهم في قوَّة، وكان ما كان.

لا بدَّ أن نأخذ بأسباب النصر، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وحدة الأمَّة، توحيد قوى الأمَّة المختلفة، لا بدَّ أن نُجمِّع قوى الأمَّة، فأعداء الأمَّة يريدون أن يُفرِّقوها ليسودوا عليها، بأسباب مختلفة، فإذا كان هناك بلد فيه أعراق يثيرون النزعة العرقيَّة فيه؛ عرب وبربر، وعرب وأكراد، وإذا كانت هناك مذاهب مختلفة يعملون على إثارتها؛ سُنَّة وشِيعة، وإذا كان هناك من غير المسلمين يثيرونها بين المسلمين وغيرهم، وإذا لم يكن هذا ولا هذا، يثيرونها بين يَمِينيِّين ويساريِّين، أو تقدُّميِّين ورجعيِّين، أو قوميِّين وإسلاميِّين، وهم يعملون دائمًا على تفريق الأمَّة، والأمَّة لا بدَّ أن تعي هذا، وتستيقظ لهذا، وتحاول أن تُجمِّع القوَّة، وخصوصًا في حالات الخطر، عندما نواجه عدوًّا شرسًا يريد أن يُمَزِّقنا شَرَّ ممزَّق، فلا بدَّ أن نجمع قوانا، والشاعر أحمد شوقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في قصيدة مخاطبًا الحمام:

فَإِنْ يَكُ الجِنْسُ يا ابنَ الطَّلْحِ فَرَّقَنا ... إنَّ المصائب يَجْمَعْنَ المُصَابِينَا[1]

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٤/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ونحن في حالة مصيبة، والمصيبة تُجَمِّع ولا تُفَرِّق، نريد أن نُجمِّع قُوى الأمَّة كلها، وهذه سنن من سنن الله، والمُتَفَرِّقون لا يمكن أن ينتصروا، بل لا بدَّ أن يجتمعوا، فالله يقول لنا في سننه: إنَّ المسلمين على ما بهم بدؤوا يستيقظون إن شاء الله.

هناك سنَّة من سنن القرآن اسمها «سُنَّة التداول» والَّتي يقول الله ﷻ فيها: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، يومٌ لك ويومٌ عليك، لا يمكن أن يدوم الزمن على حالٍ واحدة، ولذلك يقول الناس: «دوام الحال من المُحال»، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾. وإذا نظرنا في سنَّة المداولة نجد المفروض أنَّ الحضارة ينبغي أن تعود للشرق وللإسلام، وهناك الكثير من الأدلَّة المُبشِّرة بأنَّ الإسلام سينتصر، ومن هذه الأدلَّة: دليلٌ أطلقوا عليه الدليل الحسابي، بمعنى أنَّنا إذا نظرنا إلى التاريخ سنجد أنَّ قيادة العالم في وقتٍ من الأوقات كانت شرقيَّة أيَّام الحضارات القديمة، الحضارات: الفرعونيَّة، والفينيقيَّة، والآشوريَّة، والبابليَّة، والكِلْدانيَّة، والفارسيَّة، إلخ، كان الشَّرق هو قائد العالم، ثُمَّ انتقلت الشُّعلة أو عجلة القيادة إلى الغرب أيَّام الحضارات: اليونانيَّة والرومانيَّة، أيّام فلسفة اليونان وتشريعات الرومان، إلخ، ثمَّ عادت الشعلة أو عجلة القيادة إلى الشرق مرَّة أخرى أيَّام الحضارة العربيَّة والإسلاميَّة وازدهارها، عندما كنَّا نحن العالم الأوَّل والأمَّة الأولى حوالي عشرة قرون ونحن سادة العالم، ومعلِّمو العالم، ثمَّ نمنا واستيقظ غيرنا، تخلَّفنا وتقدَّم غيرنا، غِبْنا وحَضَر غيرنا، فانتقلت عجلة القيادة إلى غيرنا، إلى الحضارة الغربيَّة مرَّة أخرى، وهذه الحضارة الغربيَّة لم تقُم بحقِّ القيادة كما ينبغي، أفلست في الجانب الروحي والجانب الأخلاقي، استخدمت المعايير المزدوجة، ولم تتَّبع الحقَّ ولا العدل، فطغت في البلاد وأكثرت فيها الفساد.

QaradawiBooks.com

فمن عَدْل الله تعالى ومن سُنَنه أنْ تنتقل عجلة القيادة مرَّة أخرى إلى الشَّرق، ونحن ننتظر وراثة الحضارة الغربيَّة، فالزمن لنا وليس علينا، ولكن علينا أنْ نعمل ونضاعف العمل، علينا أنْ نعِي، العقول يجب أن تُفَكِّر، والعزائم يجب أن تشتدَّ، والقوَّة يجب أنْ تتجمَّع، والأمَّة كلُّها يجب أنْ تكون في حالة وعي وفي حالة استنفار لمقاومة هذه الهجمة الجديدة الَّتي تريد استئصال الإسلام واقتلاعه من جذوره.

في مقابلتي مع الرئيس معمر القذافي قال لي: إنَّ الحروب السابقة كان لها أهداف استعماريَّة معيَّنة: الاستيلاء على النفط، الاستيلاء على الجانب الاقتصادي، إلخ، بينما هذه الحرب القائمة الآن ليس كما يُدَّعَى بأنَّ هدفها القضاء على الإرهاب، بل هي تقصد القضاء على الإسلام نفسه، هي تريد القضاء على الفرائض والعبادات، والعقائد والشعائر والشرائع. وهذا صحيح، فهؤلاء يريدون أن يقضوا على الإسلام، لأنَّ الإسلام مُنَغِّص لهم، وهو يفرز لهم بين الحين والحين من يُنَغِّص عليهم حياتهم، ومن هنا هم يريدون أن يتخلَّصوا من الإسلام ويستريحوا من هذا الدِّين المُتْعب لهم تحت اسم ما يقولون: إنَّه الحرب على الإرهاب، على الرغم من أنَّهم يُساندون أخطر إرهاب في العالم وأظلمه، وهو الإرهاب الصهيوني، فهذا الإرهاب بالنسبة لهم مباح ومستحبٌّ، بل إنَّهم يعتبرون أنَّ دعم هذا الإرهاب واجب، بينما الَّذي يُدافع عن نفسه، ويدافع عن أرضه، وعرضه، ومقدَّساته، فهذا بالنسبة لهم هو الإرهاب، الفلسطينيُّون المستضعفون في الأرض الَّذين يدافعون عن بيوتهم الَّتي تُهدّم، ويدافعون عن الدماء الَّتي تُسفك، وعن الأعراض الَّتي تُهتك، وعن المقدَّسات الَّتي تُداس، فهؤلاء في نظر الغرب إرهابيُّون، هذه ليست حربًا على الإرهاب بل هي حرب على الإسلام.

QaradawiBooks.com

الرئيس الأمريكيُّ جورج بوش في أوائل بدء هذه المعركة قال كلمة ظهرت كفلتة لسان منه، قال: «إنَّنا أمام حرب أو حملة صليبيَّة جديدة»، ولفت المستشارون حوله نظره إلى أنَّ هذه الكلمة خطيرة ستؤلِّب عليهم المسلمين، فخرجوا بقولهم: إنَّ الكلمة «كانت غلطة». بينما مثل هذه الغلطات تُعَبِّر عن مكنون الصدور، وعلماء النفس يقولون: إنَّ مثل هذه الأخطاء تُبَيِّن ما يختلج في النَّفْس. وسيِّدنا عليٌّ رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه يقول: «غشُّ القلوب يظهر على صفحاتِ الوجوه وفلتاتِ الألسن»[١]. فالأشياء الَّتي يُكِنُّها الإنسان من غِشٍّ وخداعٍ لا بدَّ أن تظهر كما يقول الشاعر:

ومَهْمَا تَكُنْ عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإنْ خالها تَخْفَى على النَّاس تُعْلَمِ[٢]

ويقول شاعر آخر:

ثَوْب الرياء يشِفّ عمَّا تحته فإن اكتسيتَ به فإنَّك عاري[٣]

فهذا الرِّياء وهذا الغشُّ، ظهر على فلتات الألسن، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]. ونحن عرفناهم في لحن القول، إنَّها حرب صليبيَّة جديدة، ولكن المشكلة أنَّ هذه الحرب الصليبيَّة يستعان عليها بالمسلمين أنفسهم، المسلمون يحاربون المسلمين، وهذا للأسف ما يقع الآن، ولذلك علينا أن نَوَجِّه الأمَّة، وأن نوعِّي الأمَّة، وأن نصرخ بأعلى صوتنا بأنَّ هذه حرب

(١) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي (٢٦٧/٧).

(٢) ديوان زهير صـ٧٠، شرح حمدو طماس، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

(٣) ديوان أبي الحسن علي بن محمد التّهاميّ صـ٣١١، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن الربيع، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٢م.

QaradawiBooks.com

تستهدف الإســـلام، وهي تريد القضاء على الإسلام، تريد أنْ تطفئ نور الله، ولكن يأبى الله إلَّا أن يُتِمَّ نوره.

أيَّها الإخوة، صحيح أنَّ أعداءنا أقوياء، ولكن الله أقوى منهم، أعداؤنا مسلحون بالأسلحة الحديثة والمتطورة، ونحن لا نملك إلَّا أسلحة نشتريها منهم للأســـف، ولكنَّ الله ﷻ عنده من الأسلحة ومن الجند ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. ما يمكن أن يسند ظهرنا ويشدَّ أزرنا، في غزوة بدر نزلـــت الملائكـــة ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]. وفي غزوة الخندق كذلك نزلت الملائكة بعد أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظنّ المؤمنـــون بالله الظنون: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]. وكذلك في غزوة حُنين، وهذه الملائكة الَّتي نزلت في بدرٍ والخندق وحُنَيْن يمكن أن تنزل لنصرنا ومســـاندتنا، وكلُّ ما في الأمر علينا أن نُقَوِّي إيماننـــا؛ لأنَّ هذه الملائكة لا تتنزَّل من فراغ، ولا تتنزَّل على فارغين، إنَّما تتنزَّل على مؤمنين ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]. فلا بـــدَّ أن يوجد الَّذين آمنوا أولًا حتَّى يستحقُّوا نزول الملائكة عليهم.

إنَّنا رغم ما تتلبَّد به السماء من غيوم، ورغم النُّذُر الكثيرة من حولنا، فإنَّنا نعتقد بأنَّ هناك مبشـــرات كثيرة تملؤنا أملًا، وتملؤنا رجاءً وثقة بأنَّ النصر للمؤمنين، وأنَّ المستقبل لهذا الدين، وأنَّ الغد لهذه الأمَّة ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

أقول قولي هذا وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

١٩

التبشير والمبشرات(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، وقائد الخَلْق إلى الحق، ومُخرج الناس من الظُّلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات ـ بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم في المشرق العربي ـ تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت هذه المحاضرة بمسجد القدس، بمدينة «كيب تاون»، ضمن زيارة إلى جنوب أفريقيا، بدعوة من مجلس القضاء الإسلامي هناك، في أبريل ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

فإني أشعر بالسعادة والسرور كلما التقيت بإخوتي وأخواتي في جنوب أفريقيا، هذا البلد الذي طالما تُقت إلى زيارته من قديم، حتى هيَّأ الله لي هذه الزيارة، وكل شيء عند الله بأجل مسمًّى، وكل شيء عنده بمقدار.

قضية القدس وفلسطين:

بالأمس التقيت بالإخوة في مسجد «السلام»، واليوم ألتقي بهم في مسجد «القدس»، وما أحبَّ إليَّ من أن أكون في مسجد «القدس»، القدس التي تتعرض في هذه الأيام لخطر شديد، وتواجه عدوًّا طاغيًا، مستكبرًا في الأرض بغير الحق، بل متألهًا في الأرض، مسنودًا بأكبر قوة عالمية: القوة العسكرية، والقوة الاقتصادية، والقوة العلمية والتكنولوجية، قوة أمريكا!

القدس مُعرضة للخطر، والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وجعله نهاية الإسراء وبداية المعراج، هذا المسجد أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشدُّ الرِّحال إلا إليها بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، هذا المسجد الأقصى معرض أيها الإخوة والأخوات لخطر الهدم، لأن يهدم المسجد الأقصى؛ ليُبنَى على أنقاضه الهيكل الثالث المزعوم عند اليهود.

ولذلك نحن كلما وجدنا فرصة للتذكير بحق المسجد الأقصى على الأمة، وبحق القدس الشريف على الأمة، وبحق هذه الأرض: أرض النبوات والمقدَّسات والبركات، كما قال الله تعالى عن سيدنا إبراهيم: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]. هذه الأرض التي بارك الله فيها للعالمين هي أرض فلسطين.

QaradawiBooks.com

هذه الأرض أيها الإخوة دُنِّسَت، هذه الأرض أرض المقدسات دنَّسها اليهود الصهاينة، الذين لم يُبالوا بحرمة لأحد، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]، ولا يرعون لأحد عهدًا ولا حُرمة، كيف وهم لم يرعوا حق الله تعالى وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. ولوَّثوا سيرة الأنبياء في توراتهم المُحرَّفة!

هؤلاء اليهود يتعرضون اليوم للمسلمين، وقد وجدوا الأمة غافلة نائمة مخدَّرةً، لا تقوم بحق مقدَّساتها وحرماتها، طالما وسعت هذه الأُمَّة اليهود، حين طُرِدَ اليهود من أنحاء العالم، ومن أوروبا، فلم يجدوا كهفًا يأوون إليه، ولم يجدوا صدرًا يحنو عليهم إلا صدور المسلمين، إلا بلاد المسلمين، هي التي وسعت اليهود حينما طردتهم أوروبا، ثمَّ قلبوا ظهر المِجَنّ كما يقول العرب، غدروا بالمسلمين الذين عطفوا عليهم، والذين آووهم في ديارهم، وأقاموا هذه الدُّوَيلة على أنقاض دولة فلسطين، طردوا الناس من ديارهم وحلُّوا محلهم! هذا ما صنعه اليهود.

الاستعمار الاستيطاني:

هناك استعمار استيطاني مثل الاستعمار الأبيض، الذي عنده التمييز العنصري، هذا الاستعمار الاستيطاني يأتي من خارج البلاد ليستعمر بلدًا ويستوطنها، ويجعلها وطنًا له، وهو غريب عنها، هذا من شرِّ أنواع الاستعمار.

الاستعمار الإحلالي:

ولكن هناك استعمار شرٌّ من هذا الاستعمار الاستيطاني، اسمه الاستعمار الإحلالي، لا يكتفي بأن يستوطن البلد؛ بل يحلُّ محل أهلها،

QaradawiBooks.com

فيطرد أهلها منها ويحلُّ محلهم، وهذه هي المصيبة الكبرى، أنتم هنا في جنوب أفريقيا ابتُليتم بالاستعمار الاستيطاني العنصري، الذي يميز بين الناس بالبشرة: هذا أبيض، وهذا أسود، وهذا مُلَوَّن! والإنسان هو الإنسان أيًّا كانت بشرته: بيضاء، سوداء، حمراء: هو بشر! هؤلاء ميَّزوا بين الناس واستوطنوا بلاد غيرهم، ولكنهم عاشوا مع أهلها، لم يطردوا أهلها من ديارهم، صحيح أنَّهم استأثروا بالخيرات، واستأثروا بكل شيء!

أمس ونحن ذاهبون إلى رأس الرجاء الصالح قالوا: هذه المناطق كلها، كل هذه الشواطئ على المحيط الهندي أو المحيط الأطلسي: ما كان لأحد أن يأتي إليها ويستمتع بالجلوس عليها؛ إلا البيض وحدهم. فهذا استعمار مذموم بغيض، ولكن شر أنواع الاستعمار في الدنيا هو الاستعمار الاستيطاني الإحلالي، الذي يطرد أهل البلاد، ويخرجهم من ديارهم، وبأي أسلوب يخرجهم؟! يخرجهم بالمجازر والمذابح البشرية، بشق بطون الحوامل وإخراج الأجنَّة من بطون أمهاتها، هكذا فعلوا في دير ياسين، وفي غيرها من المذابح والمجازر، هؤلاء الصهاينة يشقون بطن الحامل، ويخرجون الجنين وهو في ستة أشهر أو سبعة أشهر، ويتضاحكون وهم يشقون بطن المرأة ثمَّ يذبحون الجنين!

هذا استعمار لعين والعياذ بالله، ولذلك لا يمكن أن يُمكِّن الله لهؤلاء في الأرض أبدًا، ونحن لهم بالمرصاد، وما دام في هذه الأُمَّة عِرْق ينبض، وما دام فيها عين تَطْرِف، وما دام فيها نَفَس يتردد، وما دام فيها دمٌ يجري في العروق، فلا بدَّ أن تقاوم لتسترد أرضها، وتسترد عرضها، وتسترد مقدساتها، كلنا ـ رجالا ونساء، وشيوخًا وشبابًا ـ سنقوم بالدفاع عن القدس.

QaradawiBooks.com

أنا أُحيي هذا البلد، وأحيي أهل هذا المسجد خاصة: مسجد القدس، وأحيي الإخوة والأخوات الحاضرين في هذا المسجد، وأرجو أن نستعد جميعًا لمعركة آتية لا ريب فيهـا لحماية القدس، يجب أن نكون جميعًا متهيئين للدفاع عن القدس، وعن أقصانا إن شاء الله.

مكانة المرأة ودورها:

ومما سرَّني ـ أيها الإخوة والأخوات ـ في هذا المسجد أنِّي وجدت المرأة المسـلمة هنا حاضرة بوضوح وبكثافة، وهذا ـ والحمد لله ـ مما يدلُّ على أن هذا البلد على وعي طيب بحقيقة الإسـلام، لا يمكن أيها الإخوة أن يطير المجتمع بجناح واحد، ولا أن يتنفس برئة واحدة، وقد جعل الله له رئتين، الله تبارك وتعالى كلَّف الرجل كما كلَّف المرأة، أول تكليف إلٰهي كان للرجل والمرأة معًا، حينما أسكن الله آدم الجنة وأسكن معه زوجه قال له: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

أول صوت ارتفع بتأييد الإسلام:

وحينما جاء الإسـلام كان أول صوت ارتفع بتأييد دعوة محمد ﷺ، وإعلان الوقوف إلى جانبه لم يكُن صوت رجل؛ بل كان صوت امرأة، إنَّه صوت خديجة رضي الله عنها، التي قالت له عندما عاد من غار حراء يرجف فؤاده: والله لا يخزيـك الله أبدًا، إنك لتصـل الرَّحِم، وتحمل الكَلَّ، وتُكسـب المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الدهر[1]. ولم تكتفِ بذلك، بل ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان ممن قرأ كُتب النصرانية

(١) سبق تخريجه صـ٢٥١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وغيرها، فطمأنه على أنَّه النبي المبعوث لهذه الأُمَّة، وظلت طوال حياتها سندًا له، كانت تسنده في الدَّاخل، وكان عمه أبو طالب يسنده في الخارج، ويوم ماتت خديجة سمَّى النبي ﷺ العام الذي ماتت فيه «عام الحزن»، ليس يومًا أو أسبوعًا أو شهرًا بل عام الحزن فقدَ فيه خديجة رضي الله عنها، فأول صوت ارتفع بتأييد الدعوة الإسلامية كان صوت امرأة.

أول دم أُريق من أجل الإسلام:

وأول دم أُريق من أجل الإسلام لم يكن دم رجل، إنَّ أول شهيد في الإسلام لم يكن رجلًا، بل كانت امرأة؛ هي سمية أم عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما، وهذه الأسرة كلها عُذِّبت في سبيل الله، من أجل الإسلام، ولم يكن لها من يسندها في قريش، ولذلك كانوا يستضعفونها، فعُذِّب عمَّار، وعُذِّب أبوه ياسر، وعُذِّبت أمه سمية، ومرَّ عليهم النبي ﷺ وهم يُعذَّبون، فلم يملك أن يصنع لهم شيئًا، وقال لهم: «**صبرًا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنة، صبرًا آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة**»[1]. ورمى أبو جهل لعنه الله سمية بالحربة في مكان عفتها؛ فاستشهدت في سبيل الله، كان أول شهيد من أجل الإسلام امرأة.

على المرأة المسلمة أن تحمل الراية:

ولذلك يسرنا أن تتقدم المرأة لتحمل الرَّاية، وتأخذ بنصيبها في نُصرة الإسلام، وفي نهضة الأمة، وفي تعليم نصف الأمة على الأقل! ربما كانت بعض النساء قادرات على أن تُحاضر الرجال، وهكذا رأينا امرأة مثل الحاجة زينب الغزالي في مصر، والدكتورة سعاد الفاتح في السودان، وغيرهما من

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحَّحه. ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

النساء القادرات، اللواتي كن يحاضرن الرجال، فنحن نريد هنا في جنوب أفريقيا: أن تتقدم بعض الأخوات المتميزات في العلم وفي الأدب، لمحاضرة الرجال، نريد أن نجنِّد كل القوى من أجل خدمة الإسلام.

وأنا سعيد أن أرى المرأة هنا أكثر عددًا ممن رأيتهنَّ بالأمس، وجدنا بالأمس في مسجد «السَّلام» عددًا قليلًا من الأخوات، وقلت: نريد أن نرى في مثل هذه الأماكن عددًا أكثر. والحمد لله الحضور في هذا اليوم وفي هذا المكان أكثر، ولعلنا في المحاضرة القادمة نكون أكثر وأكثر، وفي ذلك خير إن شاء الله.

منهج الوسطية:

أيها الإخوة والأخوات، الذين قرؤوا بعض كتبي منكم يعلمون أنِّي أتبنى منهجًا في الإفتاء والتفقيه والدعوة سميته «منهج الوسطية»، وهو منهج مأخوذ من القرآن الكريم من قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ومن قوله تعالى أيضًا: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩]. لا طغيان في الميزان، ولا إخسار في الميزان، فالوسط هو الاعتدال.

(١) التيسير في الفتوى:

هذا المنهج يقوم على عناصر عدة ذكرتها في كتاب لي، ثلاثين عنصرًا من العناصر، من أهم هذه العناصر ما علَّمَناه رسول الله ﷺ في أحد أحاديثه الصِّحاح المتَّفق عليها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفروا**»[1]. ولهذا كان

(١) سبق تخريجه صـ٥١٠.

QaradawiBooks.com

منهجي هو التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة، إذا كان بعض الناس يُشدِّدون في الفتاوى، ويُعسِّرون على عباد الله، ويضيِّقون ما وسَّع الله، فأنا أتبنى التيسير، لو كان هناك قولان في قضية متكافئان متقابلان: أحدهما أحوط، والآخر أيسر؛ فبأي القولين أفتي الناس؟ إذا كنت أفتي عموم الناس بأي القولين أفتي؟ أنا أفتي بالأيسر وليس بالأحوط.

سألني بعضهم: ما دليلك في ذلك؟ قلت دليلي: أنَّ النبي ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا[1]. فهذا منهجي في الفتوى، وليس كلامي في هذا الآن، ربما نجعل لهذا حديثًا آخر.

(٢) التبشير في الدعوة:

وإنَّما حديثي الآن عن الجزء الثاني، وهو التبشير في الدعوة لا التنفير، «**بشروا ولا تنفِّروا**»، هناك أناس ينفِّرون من الإسلام، يخوِّفون الناس من الله، لا يحبِّبون الله إلى الناس، وإنَّما يخوِّفونهم منه، دائمًا يحدثون الناس عن عذاب القبر وأهوال القيامة، حتى إنَّني كنت مرة في المسجد وأرسلت إليَّ إحدى الأخوات من شرفة المسجد ورقة تقول لي: نرجو أن تحدثنا عن عذاب القبر. فقلت لها ليس في كتاب الله سورة تسمى «سورة عذاب القبر». بعض الناس يتحدث عن هذه الأشياء حديثًا يُخِيف، حتى إنَّ أحد الآباء قال لي: إنَّ ابنتي تصحو من الليل منزعجة، وتُصدر أصواتًا وأشياء، وعرفت السبب بعد ذلك، أنَّها سمعت شريطًا عن عذاب القبر، وأنَّ في القبر حيات كالأفيال، وعقارب كالبغال تلدغ الإنسان، ولا يوجد أحاديث صحاح من هذا النوع.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

هل يوجد أحد ألعن من فرعون؟ لا يوجد، الله تعالى يقول عن فرعون وقومه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. يعرضون على النَّار غُدوًا وعشيًا، فالمسلم مهما كان عاصيًا لا يمكن أن يبلغ مبلغ فرعون، فهؤلاء المنفرون لا أتبنى طريقتهم، إنَّما أتبنى طريقة التبشير.

وليس معنى التبشير أنك لا تذكر النَّار أبدًا، أو تذكر الوعد بدون الوعيد، أو تذكر الترغيب بدون الترهيب، لا، ولكن انظر إلى القرآن ماذا يقول؟ ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. فجعل المغفرة والرَّحمة من أسمائه، وجعل العذاب من أفعاله، فلم يقل: وأنِّي أنا المُعذِّب. لا، ليس من صفته أنَّه يعذب، إنَّما صفته أنَّه الغفور الرحيم، فنحن نتبنى التبشير.

كثرة المُحبطات:

ومن المبشرات المهمة أيها الإخوة: أنَّ أمتنا في حاجة إلى أن تشعر بالتفاؤل دائمًا، الأمة عندها محبطات كثيرة جدًّا تجعلها تقول: لا فائدة، لا فائدة في أي شيء، لا فائدة في الحُكَّام، ولا فائدة في الشعوب، ولا فائدة في العلماء، ولا فائدة في المفكرين، ولا فائدة في الدُّعاة، ولا فائدة في الرجال، ولا فائدة في النساء، المصائب على الأمة قادمة حتمًا، ولا يستطيع أحد ردها!

وهذه المحبطات لا ينبغي أن تشيع في الأمة أبدًا؛ لأنَّ هذا اليأس إذا شاع في الأُمَّة لا يمكن أن يُرجى من ورائه خير، ربما أدَّى كلام بعض الدُّعاة إلى هذه النتيجة، أنْ يُقال: العدو غالب غالب، واليهود سيهدمون المسجد الأقصى، والنصارى سيكسبون كلَّ شيء، والأمريكان

QaradawiBooks.com

هم المهيمنون أبدًا! لا أيها الإخوة، لا بدَّ أن نشعر أننا أقوياء دائمًا، هذا شيء مهم جدًّا.

ولعلَّ بعض الإخوة لاحظوا في الأيام الماضية التي تحدثت فيها أنِّي أحب دائمًا أن تشعر الأمة بالقوة، وأنا أقول: إنَّ هذه الأُمَّة منصورة، وفيها الطائفة المنصورة، وتملك القرآن العظيم، وتملك وسائل لا يملكها أحد غيرها.

مبشرات بانتصار الإسلام:

ولذلك أنا أريد أن أحدثكم عن أحد جوانب هذا التبشير، وهو جانب التبشير بانتصار الإسلام، أنَّ الإسلام لا بدَّ أن ينتصر، لا بدَّ أن نؤمن بهذه الحقيقة، أنَّ انتصار الإسلام قادمٌ لا ريب فيه، الإسلام سينتصر، هذه حقيقة لا بدَّ أن نؤمن بها، كما نؤمن بطلوع النهار، وإقبال الليل، وبزوغ الفجر: نؤمن بهذه الحقيقة، أنَّ هذا الدين منصورٌ إن شاء الله، وعندنا مبشرات بهذا النصر.

(١) مبشرات من القرآن:

المبشر الأول بانتصار الإسلام، نستمده من مصدرنا الأول للتشريع والتوجيه والدعوة، وهو القرآن الكريم، من كتاب الله ﷻ، إذا قرأنا القرآن أيقنا بأنَّ النصر محقق لهذا الدين، اقرأ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. أعداء الإسلام يريدون أن يُطفئوا نور الله ـ ليس نور الشمس ـ بأفواههم، كأنه مصباح من الزيت تنفخه فينطفئ، لا، نور الله لا يمكن أن تُطفئه بنفخة من فمك، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾. انظر إلى كلمة ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾، أنت تريد، والله ﷻ يأبى، فمن يستطيع أن ينفذ أنت أم الله؟!

QaradawiBooks.com

إذا كان البشر يريدون أن يُطفئوا نور الله؛ فإن الله يأبى، فهل إباء الله هو الذي ينتصر أم ما تُريده البشرية؟ الإباء الإلٰهي هو الذي ينتصر، لا بدَّ أن يصل إلى النهاية، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وإن كان هذا رغمًا عنهم، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]. صحيح أنَّهم لن يدَّخروا وسعًا، ولن يتركوا وسيلة يقدرون عليها إلا واستعملوها ليضلوكم ويردوكم عن دينكم.

ولكن مما يملؤنا بالأمل قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾. وكلمة «إِنْ» كما يعلم إخواننا الذين تعلموا في الأزهر، وتعلَّموا أيضًا في ندوة العلماء وفي الجامعات الإسلامية، يعلمون أنَّ كلمة «إِنْ» في اللغة العربية تفيد التشكيك وكلمة «إذا» تفيد التحقيق، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ١ ـ ٣]. نصر الله سيجيء حتمًا، نصر الله واقع لا محالة؛ لكن انتظر الوقت، ولو قال: (إن جاء نصر الله). فإنه يكون تشكيكًا في وقوعه، ولهذا قال: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾. ولن يستطيعوا أن يردُّونا عن ديننا أبدًا إن شاء الله، فهذه من المبشرات.

ثمَّ يقول الله تعالى في الآية التالية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]. الجزء الأول من الآية ذكر في ثلاث آيات: هذه الآية بكاملها وردت في سورة التوبة، وفي سورة الصف، أمَّا في سورة الفتح فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]. فنحن عندنا ثلاث آيات تفيد بأنَّ الله تعالى أرسل الله رسوله نبيه محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليظهر الإسلام على الدين كله، أي: على كل الأديان.

QaradawiBooks.com

وطبعًا الحمد لله، لقد انتصر الإسلام في القرون الأولى، انتصر على الوثنية العربية، ومُحيت الأوثان من جزيرة العرب، وانتصر على اليهودية التي كانت في جزيرة العرب في ذلك الوقت في المدينة وما حولها، انتصر على يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ويهود خيبر، انتصر عليهم.

وانتصر الإسلام كذلك على المجوسية، على دولة الفرس إحدى الدولتين الكبيرتين في العالم قديمًا، مثل الروس والأمريكان في عصرنا، دولة الفرس مثل دولة الروس، والدولة البيزنطية مثل أمريكا الآن، قضى الإسلام على دولة الفرس تمامًا.

وناوش الدولة الرومانية التي كانت تمثل النصرانية في الأرض، دخل معها معارك حاسمة انتصر في معظمها، وقص أجنحتها؛ فأخرجها من سوريا وبلاد الشام، وأخرجها من مصر وبلاد شمال إفريقيا، وحصرها في أوروبا، بل تابعها في أوروبا، ودخل إليها من إسبانيا: من الأندلس، ووصل إلى جنوب فرنسا وجنوب إيطاليا، دخل وهددها من هذه النواحي كلها، كما دخل عليها مرة أخرى من ناحية القسطنطينية، من ناحية الشرق، من دول البلقان.

ومع هذا لم يظهر الإسلام على كل الأديان حتى الآن؛ بقيت بقية قوية من النصرانية في بلاد الغرب والفاتيكان وهذه الأماكن، وبقيت وثنيات كبرى في العالم مثل الهندوسية، والوثنيات الإفريقية، والوثنيات الآسيوية، فإذنْ بقي أن يتحقق قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾. يُظهر الإسلام على الأديان كلها، نحن عندنا ثلاث آيات: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾. فنحن ننتظر وعد الله الذي بشَّرنا به؛ بأنَّ الإسلام سيظهر على كل الأديان.

وأنا أقول: إنَّ الحقائق الواقعية على الأرض تقول: إنَّ البشرية في أمس الحاجة إلى الإسلام، ولن يُطفئ حريقها، ولن يروي ظمأها؛ إلا

QaradawiBooks.com

الإسلام. الإسلام هو الرسالة التي تحقق آمال البشر في كل ما يحتاج إليه البشر: في الناحية المادية، والناحية الروحية.

ذكرتُ قبل ذلك أنَّ أحد اللوردات البريطانيين اسمه «اللورد هدلي»، أسلم في الثلث الأول من القرن العشرين؛ لإعجابه بالإسلام، وألَّف كتابًا سمَّاه «إيقاظ الغرب للإسلام»، وذكر في هذا الكتاب: أنَّه وجد الإسلام الدين الوحيد الذي يصل الإنسان بربه باستمرار، يجعل الإنسان دائمًا على موعد مع الله!

فالإنسان يكون نائمًا بالليل، وعندما ينشق الفجر ويسفر عن ضيائه: يستيقظ من نومه ليلتقي مع ربه ويصلي له، وفي النهار يكون في عمله منشغلًا بدنياه فتأتي صلاة الظهر فتنتشله من لُجَّة الحياة والغرق في الأرقام والحسابات، وتوقفه بين يدي الله، وهكذا خمس مرات في كل يوم.

ثمَّ يقول: ولكنِّي وجدتُ الإنسان في المسيحية يعبد ربه ساعة في يوم الأحد من كلِّ أسبوع، عندما يذهب إلى الكنيسة، وهذا هو القدر المطلوب منه في عبادته لربه، وفي بقية أيام الأسبوع لا يطلب منه شيئًا تجاه ربه ومعبوده!

فأنا أقول: الحاجة البشرية إلى الإسلام تقتضي بأنَّ هذه الآية ستتحقق إن شاء الله، وسيتحقق قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]. فهذه مبشرات من قلب القرآن الكريم، وهو المبشر الأول.

QaradawiBooks.com

(٢) مبشرات من السُّنَّة:

والمصدر الثاني الذي نستمد منه البشرى بانتصار هذا الدين هو السُّنَّة النبويَّة، فكما أننا نستمد الفتوى والتشريع من السُّنَّة نستمدُّ منها أيضًا البُشرى بانتصار هذا الدين.

للأسف كثير من الناس لا تسمع منهم إلَّا الأحاديث المحبطة، مثل حديث: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**»[١]، وحديث: «**لا يأتي عليكم زمان؛ إلا والذي بعده شرٌّ منه**»[٢]، وغيرها من أحاديث الفتن وأشراط الساعة.

وهذه الأحاديث ليس مقصود منها تثبيط الناس، فلا يمكن أنْ يُثبِّط الرسول ﷺ الناس عن العمل للإسلام، كيف وهو ﷺ يقول: «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة** ـ وهي التي نسميها في مصر: شتلة صغيرة ـ **فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها؛ فليغرسها**»[٣]. الساعة تقوم فلماذا يغرسها؟ المقصود: أن يعمل الإنسان إلى آخر نَفَس في الحياة، وإذا كان هذا في أمر الدنيا؛ فهل أمر الدين أهون من أمر الدنيا؟ ولذلك هناك سوء فهم للسُّنَّة النبويَّة.

القراءة الصحيحة للسُّنَّة النبويَّة:

والذي يقرأ السُّنَّة النبويَّة قراءة صحيحة؛ يجد فيها أحاديث كثيرة مبشرة بانتشار الإسلام في الأرض، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره من حديث تميم الدَّاري: «**ليبلغن هذا الأمر** ـ يعني أمر هذا

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٤٥)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٢٧.

(٣) سبق تخريجه صـ ٤٢٧.

QaradawiBooks.com

الدين ـ **ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت مدر أو وبر** ـ بيت مدر: يعني حجر، ووبر: يعني شعر خيام، يعني في الحضر أو البادية ـ **إلا أدخله الله هذا الدين بعزِّ عزيز، أو بذُلِّ ذليل، عزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذلًّا يذُلُّ الله به الكفر**»[١]. حيث طلع النهار، وحيث أدبر الليل سيكون الإسلام، يعني أنَّه سينتشر في الكرة الأرضية كلها، فهذه بشرى بانتصار الدين.

وهناك بشرى أخرى باتساع الملك، بعزِّ الدولة، يقول فيها النبي ﷺ فيما رواه مسلم من حديث ثوبان: «**زُويت لي الأرض؛ فأُريت مشارقها ومغاربها، وإنَّ مُلك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها**»[٢]. زُويت لي الأرض: أي جُمعت لي الأرض أمامي، كأنَّ الكرة الأرضية أصبحت خريطة، هنا مكان كذا، وهنا مكان كذا، هنا رأس الرجاء الصالح، وهنا طوكيو، وهنا الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية، وهنا أستراليا وأفريقيا وآسيا، وهكذا كأنها خريطة أمامه، «**زويت لي الأرض؛ فأُريت مشارقها ومغاربها، وإنَّ مُلك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها**». فليس انتشار الدين فقط، وإنَّما اتساع الدولة أيضًا، فتكون دولة الإسلام تشمل المشارق والمغارب.

صحيح أنَّ دولة الإسلام انتشرت حتى وصلت إلى الصين شرقًا، ووصلت إلى الأندلس غربًا، ولكن ليس كل المشارق والمغارب، فهذا الحديث يدلُّ على أنَّ الإسلام سيصل إلى المشارق والمغارب.

وجاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان عبد الله أحد كُتَّاب الصحابة، سيدنا أبو هريرة أحفظ الصحابة؛ ولكنَّه كان يحفظ ولا يكتب؛ لأنَّه ما كان يستطيع أن يكتب، ولذلك قال: ما كان أحد أكثر

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤٥.

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٦٧.

QaradawiBooks.com

مني حديثًا إلا عبد الله بن عمرو؛ فإنَّه كان يكتب ولا أكتب[١]. فكانت عند عبد الله بن عمرو صحيفة تُسمَّى «الصادقة»، فجاءه رجل وقال له: أخبرني أيُّ المدينتين تفتح أولًا، روميَّةُ أم قسطنطينية؟ بما عندك من العلم: أي المدينتين سيدخلها الإسلام ويفتحها أولًا روميَّة أم قسطنطينية؟ روميَّة هي روما عاصمة إيطاليا، وقسطنطينية مكانها الآن إسطنبول، وكان عبد الله رضي الله عنه عنده صندوق له حلقتان، ففتح الصندوق وأخرج منه كتابًا، وقرأ عليه: سُئِلَ رسول الله ﷺ هذا السؤال ـ كأن عندهم عِلْم من قبل أنَّ الإسلام سيفتح ويدخل المدينتين، ولكن أيُّهما يُفتح أولًا ـ فقالوا له: أي المدينتين تُفتح أولًا: رومِيَّة أم قُسطنطينية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هِرَقل تُفتحُ أولًا**»[٢].

مدينة هرقل هي القُسطنطينية؛ لأنَّها كانت عاصمة الدولة الرومانية البيزنطية؛ التي فرَّ إليها هرقل حينما دخل المسلمون سوريا بعد معركة اليرموك؛ بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، فرَّ منها وهو يقول: سلام عليك يا سوريا، سلامٌ عليك يا سوريا، سلامًا لا لقاء بعده[٣]. فقد دخل الإسلام، وإذا دخل الإسلام في بلد تمَكَّن منه، ولا يمكن أن يخرج منه؛ إلا ما حدث في الأندلس!

فمدينة هرقل تفتحُ أولًا، وهذا ما دعا المسلمين من أيام الصحابة لمحاولة فتح مدينة هرقل، ما دام أنَّها ستفتح قبل البلاد الأخرى؛ فليسارعوا لفتح أول مدينة، وحاولوا فتحها منذ عهد معاوية وكان ابنه

(١) رواه البخاري في العلم (١١٣).
(٢) سبق تخريجه صـ٢٢٢.
(٣) ثم قال: ويحك أرضًا ما أنفعك أرضًا، ما أنفعك لعدوك، لكثرة ما فيك من العشب والخصب. انظر: معجم البلدان (٢٨٠/٣).

QaradawiBooks.com

يزيد بن معاوية على رأس أحد جيوش الفتح الإسلامي؛ لكنهم لم يستطيعوا أن يفتحوا القسطنطينية، ومات سيدنا أبو أيوب الأنصاري على أسوار القسطنطينية، دُفن على أبوابها خارج الأسوار، وبعد ذلك لمَّا فتحها المسلمون عرفوا قبره وبنوا عليه مسجدًا هناك يُزار، والمنطقة تسمى الآن أيوب، مَنْ يزور منكم إسطنبول يزور منطقة أيوب، وجامع سيدنا أبي أيوب.

لم يستطع المسلمون في الزمن الأول أن يفتحوا القسطنطينية؛ لأنَّها كانت محصنة تحصينًا شديدًا، ولكن فتًى من بني عثمان كان في التاسعة عشرة من عمره تولى المُلك بعد أبيه وهو شاب، وكان قد قرأ في كتب السُّنَّة الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه: «**لتُفتحنَّ القسطنطينية؛ فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش**»[1]. فتاقت نفسه أن يكون هو هذا الأمير، وبدأ يحضر ويعدُّ العدة لفتح القسطنطينية، وفتحها فعلًا، وهذه قصة ينبغي أن تُقرأ في التاريخ فهي قصة لها روعة، فتح القسطنطينية وهو ابن الثالثة والعشرين.

ومن يزُرْ منكم إسطنبول يجدْ هناك جامعًا كبيرًا يسمى «جامع الفاتح»، لأنَّ هذا الشاب محمد بن مراد، المشهور في التاريخ بمحمد الفاتح فتح القسطنطينية التي استعصت على الناس من قديم، وأصبح اسمها إسلامبول أو إسطنبول، وصارت عاصمة الخلافة الإسلامية عدة قرون، ودخل الإسلام أوروبا، خرج من الأندلس ولكنَّه دخل أوروبا من ناحية أخرى، وهكذا الإسلام دائمًا؛ إذا غابت شمسه في بلد تشرق في بلد آخر، هذا هو الإسلام العظيم.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٤١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كنتُ أقول للإخوة في الجزائر منذُ سنين: الآن فُتحت القسطنطينية، وقد بقي الشق الآخر من الحديث، أن تُفتح روميَّة، فالمدار على رومية، وأنا أقول هنا أيضًا أيها الإخوة والأخوات: ليس من المهم ولا من الضروري أن يكون الفتح بالسيف، عندنا أصل في الإسلام أنَّ الفتح قد يكون بالسيف، وقد يكون بالدعوة، والقرآن أنزل سورة الفتح في أي مناسبة؟ في صلح الحديبية، ولما دخل المسلمون مع قريش في صلح مدته عشر سنوات: بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، دخل عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وفلان وفلان، وقد سمَّى القرآن ذلك فتحًا مبينًا، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. حتى إنَّ بعض الصحابة سأل النبي ﷺ: أفَتح هو يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**نعم هو فتح**»[(١)]. لم يتصوَّروا فتحًا بدون حرب، كيف يُفْتَحُ لنا ولم نقاتل؟ هو فتح من الله، فهناك فتح سلمي.

وربما نفتح روميَّة ونفتح أوروبا كلها مرة أخرى بالدَّعوة، بالفكر السليم، بنشر العقيدة الصحيحة، بإشاعة الأخلاق الفاضلة، إذا هيَّأ الله لنا دُعاة صادقين، يستطيعون أن يخاطبوا العالم بلسانهم، وعندنا الآن وسائل كثيرة للاتصال مع الآخرين؛ بواسطة الرسائل والفضائيات والإنترنت، أو بواسطة ما خلق الله لنا من أشياء لم تكن عند الأقدمين، نستطيع أن ننشر الإسلام بها، فهذه أيضًا إحدى المبشرات.

وهناك أحاديث كثيرة يضيق الوقت عن سردها، ولكن أحببت أن أقول لكم: إنَّ السُّنَّة النبويَّة فيها كثير من الأحاديث تبشر بأنَّ النصر

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الجهاد (٢٣٥٩)، وابن أبي شيبة في المغازي (٣٨٤/٧)، والطبراني (٤٤٥/١٩)، والحاكم في قسم الفيء (١٤٣/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٥٨٧)، عن مجمع بن جارية.

QaradawiBooks.com

قادم، أن دين الإسلام سينتشر في العالم، وأن دولة الإسلام ستتسع في العالم، وأنَّ المسلمين سيكونون هم القوة الأولى في العالم إن شاء الله.

غير مرخصة للطباعة

(٣) مبشرات من التاريخ:

المبشر الثالث أيها الإخوة نستمده من تاريخنا الإسلامي، فإذا قرأنا هذا التاريخ امتلأنا ثقة لا يتطرق إليها شك بأننا منصورون، وأنَّ هذه الأُمَّة قد أصيبت بشدائد وأزمات ومِحن على مختلف الأعصار والأزمان، ولكنها خرجت منها بحمد الله قوية منصورة، وخرج أعداؤها مدحورين مهزومين مخذولين.

حروب الردة:

وكان هذا ابتداء من عصر الصحابة، أصيب المسلمون منذُ وفاة رسول الله ﷺ بأول محنة، وهي محنة كانت كافية لاجتثاث الإسلام من جذوره، محنة الرِّدة، ارتدَّ أكثر قبائل العرب بعد موت رسول الله ﷺ، وامتنع آخرون عن الزكاة، قالوا: نصلي ولا نزكي، كنا ندفع الزكاة لمحمد، ومحمد قد مات؛ فلا ندفع لغيره!

وتبع آخرون الأنبياء الكَذَبة: مسيلِمة في بني حنيفة، الذي اشتهر بأنَّه مسيلِمة الكذَّاب، وسجَاح بنت الحارث، التي تزوجت مسيلِمة وتحالفا على الباطل، والأسود العنسي في اليمن، وطليحة الأسدي، هؤلاء تبعهم قومهم وهم يعلمون أنَّهم كذَّابون، ولكنهم قالوا عصبية: كذّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر[1]. نبي كذَّاب من قومنا أحسن من صادق من قبيلة أخرى!

(١) تاريخ الطبري (٢٨٦/٣).

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

واجه الإسلام هؤلاء المرتدين صراحة، وكذلك الممتنعين عن الزكاة، ووقف سيدنا أبو بكر وقد وجد الصحابة متخاذلين، قال له من قال: يا خليفة رسول الله، الزم بيتك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا. وقالوا: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هؤلاء، فقال له: يا ابن الخطاب أجبَّارٌ في الجاهلية خوَّارٌ في الإسلام، والله لو لم يبقَ إلا أنا لقاتلتهم وحدي[١]. يقول عمر: فوالله ما رأيت إلا أنَّ الله شرح صدر أبي بكر للقتال؛ فعرفت أنَّه الحق، فوقفت معه[٢].

وكذلك وقف الصحابة جميعًا مع أبي بكر، وجهَّزوا أحد عشر جيشًا من الصحابة، من أهل المدينة وحدهم؛ لقتال المرتدين ومانعي الزكاة، وكانت الدولة الإسلامية أول دولة في التاريخ تشن الحرب وتجيش الجيوش من أجل حقوق الفقراء، قبل أن يُوجد ما يُسمَّى الشيوعية والاشتراكية وهذه المذاهب، كانت الدولة الإسلامية هي التي حاربت من أجل حقوق الفقراء، وحاربت أيضًا من أجل الدفاع عن العقيدة، وكانت النتيجة أن انتصر الإسلام، وعاد هؤلاء إلى حظيرة الإسلام.

وقال المؤرخون: إنَّ الذين عادوا من المرتدين إلى الإسلام وهم أكثر قبائل العرب: كانوا أكثر الناس حماسًا في حروب فارس والروم. لأنَّهم كانوا يكفِّرون عن خطاياهم، وعما فعلوه في فجر الإسلام، فكانوا أحرص الناس على الجهاد والإقبال على الشهادة في سبيل الله، وانتصر الإسلام على هذه الفتنة الكبرى، فهذا مصدر من مصادر استبشارنا بانتصار الإسلام.

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤٧٦/٢، ٤٧٧).

(٢) سبق تخريجه صـ١٢١.

QaradawiBooks.com

الحروب الصليبية:

وفي تاريخ الإسلام حدثت أشياء كثيرة أخطرها الحروب الصليبية، نحن المسلمين نسميها حروب الفرنجة، أي جماعة الإفرنج الأوروبيين، الذين جاؤوا من أوروبا من أجل استعمار بلادنا، نحن كنا نراها استعمارًا، أمَّا هم فسموها حروبًا صليبية من أجل أن يضفوا عليها الشعار الديني، يريدون استنقاذ قبر المسيح من المسلمين! وهل أساء المسلمون إلى قبر المسيح؟! المسلمون هم الذين حموا قبر المسيح؛ وإن كانوا يعتقدون أنَّه لم يمت، وحموا المقدسات المسيحية، وعاش المسلمون مع المسيحيين إخوانًا، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، حتى جاءت هذه الحروب الصليبية.

وقد جاءت في وقت ضعف من المسلمين وتخاذل وتفرق، وكانت فرصة لهؤلاء أن يستولوا على بلاد المسلمين. وإنَّما يتمكن أعداء الإسلام من المسلمين ومن بلادهم؛ عندما يضعف المسلمون ويتخاذلون، ويتفرَّقون ويُعادي بعضهم بعضًا، ولذلك أقام أعداء الإسلام ممالكهم على ساحل فلسطين، وأقاموا إمارات، وعقدوا معاهدات مع بعض الخونة والمنافقين، ممن يدَّعون الإسلام، وعاشوا أكثر من قرنين من الزمان، حتى هيَّأ الله رجالًا كما حدثتكم بالأمس لم يكونوا من العرب، هم الذين أنقذوا بلاد العرب!

ولكن بلاد العرب هذه بالنسبة للمسلمين ليس اسمها بلاد العرب، نحن عندنا في الفقه الإسلامي شيء اسمه «دار الإسلام»، كل بلد يقوم فيه الإسلام، وترتفع فيه المآذن، ويشهد المؤذن أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، الله أكبر الله أكبر، هذه البلاد اسمها «دار الإسلام»،

QaradawiBooks.com

على كلِّ مسلم أن يدافع عن هذه الدَّار، وأن يحميها، وأن يبذل دمه وماله، ونفسه وأهله؛ من أجل إنقاذها.

ولذلك جاء هؤلاء ـ وهم من غير جنس العرب ـ يدافعون عن بلاد العرب؛ لأنَّها من دار الإسلام، وخصوصًا أنَّها الدار المباركة، التي بارك الله فيها للعالمين، دار الإسراء والمعراج، والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، فجاء عماد الدين زنكي التركي، وابنه نور الدين محمود الشهيد الذي كان يُشبَّه بالخلفاء الرَّاشدين.

دائمًا الناس يذكرون صلاح الدين الأيوبي، وينسون أستاذه نور الدين محمود، وأنا معجب جدًّا بنور الدين محمود الذي يجهله الناس، والغربيون يكرهونه جدًّا، ولذلك حاولوا أن يخمدوا ذكره، وينشروا ذكر صلاح الدين، وهم معًا على الخير إن شاء الله، ولكن نريد أن نعطي لكل ذي حق حقَّه، نور الدين محمود كان يُشبَّه بالخلفاء الراشدين في عدله وزهده وسيرته، وحسن شجاعته لا يُقَارن فيها، وعاش كلَّ حياته يتوق إلى الشهادة في أرض الجهاد.

ومما يُؤثر عنه أنَّه كان يروي حديثًا مسلسلًا بالابتسام، الذين درسوا مصطلح الحديث وعلوم الحديث يعرفون حديثًا اسمه «الحديث المسلسل»، وهو أن يصور فيه الرواة القول والفعل، كأن يقبض الرسول يده عند ذكر الحديث، فمن يروي هذا الحديث يقبض يده كما فعل النبي ﷺ، وهكذا يفعل كل الرواة، ذكر النبي ﷺ حديثًا فابتسم فيه، فابتسم الصحابي وهو يروي هذا الحديث، وكذلك ابتسم التابعي عند روايته له، وكذلك ابتسم تابعي التابعي، ومَنْ بعده فعل ذلك، وهكذا حتى وصل الحديث إلى شيخ نور الدين محمود، فقال له: ابتسم حتى

QaradawiBooks.com

تكمل الرواية. فلم يبتسم، وقال كيف لي أن أبتسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر[١]؟ وكان الصليبيون يحاصرون بلدًا إسلاميًّا فلم يستطع الرجل أن يبتسم!

بعث نور الدين محمود في الأمة هذه الروح، وورثها منه صلاح الدين الأيوبي ووحَّد مصر وسورية، والاتحاد دائمًا هو مبدأ النصر، وبعث صلاح الدين إلى مصر، وورث صلاح الدين نور الدين محمود، وانتصر صلاح الدين في معركتين كُبْرَيين: «معركة حِطِّين»، و«معركة فتح بيت المقدس»، والمعروف أنَّ «معركة حطين» هي المعركة الكُبرى، كانت أول نصر يحققه المسلمون على هؤلاء الصليبين، الذين جاؤوا بقضهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، ومُلوكهم وقُسُسِهم، وأحبارهم ورهبانهم، جاؤوا من كل أنحاء أوروبا: كاثوليك وبروتستانت، وفرنسيون وبريطانيون، وريتشارد قلب الأسد وفلان وفلان، جاء هؤلاء جميعًا فكانت معركة حطين، وحطين قرية صغيرة قامت عندها هذه المعركة التاريخية الحاسمة الشهيرة.

في هذه المعركة كان صلاح الدين يمر على الخيام؛ فإذا وجد فيها من يقرأ القرآن، ومن يقوم الليل، ومن يدعو الله، يقول: من هنا سننتصر. وإذا مر على خيمة ووجد كلَّ من فيها نائمين يقول: أخشَى أن تأتي الهزيمة من هاهُنا. وكمل النصر لصلاح الدين في حطين، وفي فتح بيت المقدس، وحينما دعا إلى فتح بيت المقدس جاء المسلمون من كل مكان، جاء العلماء والزُّهاد والصُّلَحاء، والأولياء والتجَّار، وكل من يريد الجنة جاء ليشارك في فتح بيت المقدس.

(١) سبق تخريجه صـ٤٧.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإننا لنرجو إن شاء الله عندما ينادي المنادي: وا قدساه، وا قدساه، وا قدســاه، وا أقصاه، وا أقصاه، وا أقصاه! أن يهب الرجال منا والشــباب، والشــيوخ والعلماء، وكل القادرين ليذهبوا إلى هذه الأرض، وقد قلت: إنِّي أتمنى لو كنت أستطيع أن أذهب إلى هناك، أو يجرُّوني على كرسي متحرك، لأشارك في الجهاد بشــيء، ثم تأتيني طلقة تفصل هذا الرأس عن هذا الجسد؛ لأختم حياتي بنيل الشهادة في سبيل الله تعالى.

هجمات التتار على العالم الإسلامي:

تاريخنا حافل أيها الإخوة بهــذا النوع من المبشــرات، انتصرنا على الصليبيين، وانتصرنا على التتار، هؤلاء جاؤوا من الغرب، وهؤلاء جاؤوا من الشــرق، وكان المؤرخون قديمًا يظنون أنَّه لا صلة بينهم، ثمَّ تبين أن هناك صلة وتصاهــرًا وأمــورًا خفية عن المســلمين، جاء التتــار فهزموا المسلمين بلدًا بلدًا، مشكلتنا حينما نتمزق: ينفرد بنا العدو جهة جهة، حتى نسقط، فسقطت الإمارات والممالك واحدة بعد واحدة، حتى وصل التتار إلى بغداد، وقتلوا من أهلها ألفي ألف، وأقل الروايات تقول: ألف ألف[1]. أي مليون، والمليون في ذلك الوقت شــيء هائل، وبأي شــيء يُقتلون؟ يُقتلون بالسيف والسكاكين، يعني كم ظلوا يذبحون الناس، ظلوا يذبحون حتى سالت الدماء من الميازيب: المواسير التي على السطوح كانت تسيل دماء، وأخذوا الكتــب ورموها في نهر دجلة حتى اســود من المداد، فهم جماعة لا يعرفون العلم ولا الثقافة؛ فرموا بهذه الكتب في النهر.

كان هذا في سنة (٦٥٦هـ). لا أدري كم تكون بالميلادي، ولكن بعد سنتين فقط انتصر الإســلام لنفســه، وقامت معركة من معارك الإسلام

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٦١/١٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحاسمة، اسمها «معركة عين جالوت»، في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ). قام بها الجيش المصري ووراءه العلماء؛ من أمثال سلطان العلماء: عز الدين بن عبد السلام: بائع الملوك، جاؤوا وقادهم المظفر سيف الدين قطز المملوكي، الصالح المجاهد الشجاع، وقد أشرت إليكم عن هذا بالأمس.

أنا أقول: إنَّ التاريخ كله يدلنا على أننا أمة النصر، رأينا ذلك في التاريخ القديم، ونرى ذلك في التاريخ الحديث، حيث استعمر الغرب بلاد المسلمين، كل البلاد الإسلامية احتُلَّت، ما عدا اليمن، والحجاز، والمملكة العربية السعودية، أمَّا سائر البلاد فاحتلت، فمن الذي حرَّك الأمة لتستردَّ أوطانها من المستعمرين، وتقاتلهم بما لديها من قوة قليلة؟ إنَّ الذي فعل ذلك هو الإسلام، شهد بذلك «برنارد لويس» هذا المؤرخ الأمريكي الصهيوني اليهودي المعروف: أنَّ الحركات الإسلامية وعلماء المسلمين هم الذين حرَّكوا العالم الإسلامي؛ ليسترد أوطانه من الاستعمار، هذا هو المبشر الثالث وهو من التاريخ الإسلامي، الذي يمدنا بالقوة وبالثقة: أننا منصورون إن شاء الله.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة

٢٠

المستقبل للإسلام[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمتــه تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانــا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشــهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبدُ الله ورسوله، مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشــريَّة إلى الرُّشــد، وقائد الخلْــقِ إلى الحقِّ، صلوات الله وســلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الَّذيــن آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة الأحبة ـ بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم في المشرق العربي ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت بعد صلاة الجمعة بمســجد ولد الحمراء، بالدار البيضاء، على هامش المشاركة في ندوة التطبيقات الإسلامية المعاصرة، التي دعت إليها الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في الاقتصاد الإسلامي، بالمغرب، بتاريخ ٨ مايو ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

حملات مضادَّة:

في أوائل القرن العشرين قامت حملة تبشيريَّة تنصيريَّة في البلاد الإسلاميَّة، وكانت على أشدِّها في مصر، في بلد الأزهر الشريف، ولكن حصيلة هذه الحملة التي أُنفق عليها الألوف ومئات الألوف لم تكن شيئًا يُذكَر.

كانوا يأتون إلى الناس ويُحدِّثونهم عن المسيح، وعن العذراء، وعن كذا، وعن كذا، وعوامُّ الناس في القرى والمُدُن المختلفة يُنصتون، ويظنُّ المتحدِّث أنَّ الناس قد استجابوا له، ثم في أواخر الجلسة يقول أحد الجالسين، أو أحد المارين: وحِّدوا الله. فيقول الناس: لا إلٰه إلا الله. ويقول: صلُّوا على النبيِّ. فيقول الناس: ﷺ. فيقول المُبَشِّر: ضاع جهدنا إذنْ مع هؤلاء القوم.

وكتب رئيس الحملة التبشيريَّة تقريرًا مُطوَّلًا مُفصَّلًا، قال فيه هذه الجُمَل المُهِمَّة: سيظلُّ الإسلام في مصر صخرة عاتية تتحطَّم عليها محاولات التبشير المسيحيِّ، ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: المصحف الشريف، والأزهر وعلماؤه، واجتماع الجمعة الأسبوعيِّ، ومؤتمر الحج السنويِّ[1].

ما دام القرآن يُتلى على الناس صباح مساء، وما دام هناك علماء يُعلمون الناس، وما دام الناس يجتمعون في المسجد كلَّ يوم جمعة، وما دام الناس يذهبون إلى الحج طائعين لله، ويعودون تائبين؛ ما دامت هذه الأربعة موجودة فَستبوء محاولات التبشير بالفشل.

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب للدكتور مانع حماد الجهني (٦٧٩/٢)، نشر دار الندوة العالمية للطباعة، الرياض، ط٣، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

الداعية الرشيد:

اجتماع الجمعة الأسبوعي أمرٌ مهم في الحياة الإسلاميَّة، مهمة هذا الاجتماع أنْ يجمع الأُمَّة من شتات، وأنْ يُحييها من موات، وأنْ يُوقظها من سبات، ولكن هذا كله مرده إلى الداعية الَّذي يرتقي المنبر.

هناك داعية يرتقي المنبر، فيُعطي سلاحًا لأولئك الَّذين يقولون: الدين أفيون الشعوب. لأنَّه يُنوِّم الناس ويُخدِّرهم، يتكلَّم بالأحاديث الموضوعة، والحكايات الغريبة، والمنامات التي لا أصل لها، يُعيِّش الناس في الخرافات والأوهام، لا في حقائق الإسلام.

ونحن في حاجة إلى الداعية الَّذي يربط الناس بأصول الإسلام الصحيحة، بمصادره من القرآن والسُّنَّة من ناحية، ويربطهم بالحياة، بالوقع المعيش من ناحية أخرى، ينظر إلى الأصول الإسلاميَّة بعين، وإلى العصر وتيَّاراته ومشكلاته بعينٍ أخرى.

هذا هو الداعية، أو الخطيب، الَّذي يوقِظ ولا ينيم، ويُحيي ولا يميت، ويبْني ولا يهدم، ويجمع ولا يُفرِّق، هذا ما نحتاجه دائمًا، نحتاج إلى الدعاة الصادقين الواعين، الَّذين يجمعون ولا يُفَرِّقون، ويبنون ولا يهدمون.

نحتاج إلى العلماء والدُّعاة الَّذين ينهجون منهج الوسطيَّة، منهج الاعتدال في فهم الإسلام، وفي تطبيقه، وفي ربط الناس بالعصر وبالواقع، وهذا ما نحتاج إليه.

تقارب لا ذوبان:

نحن نعيش في عصر تقارب وتقارب، حتَّى قال بعض الأدباء: العالَم قريتنا الكبرى. وقد علَّقت على ذلك فقلت: لا، بل أصبح العالَم قريةً

QaradawiBooks.com

صغـرى؛ لأنَّ القرية الكبرى لا يعلـم النَّاس في شـرقها ما يحدث في غربها، أمَّا نحن فنعلم ما يحدث فـي العالم بعد دقائق من حدوثه، وقد نتابع الحدث وهو يجري أحيانًا، نتابعه على التلفاز، في التوِّ وفي الحال، لقد تقارب العالَم، ولا يسعنا أن نعيش وحدنا.

ولكن هذا التقـارب لا يجعلنـا أبـدًا نفقد هُويتنـا، ونفقـد ذاتيَّتنا وشخصيَّتنا، ونذوب في الآخرين، لا، نحن لنا ديننا، ولهم دينُهم، لنا قيَمنا ولهم قيمهم، لنـا عقيدتُنا ولهم عقائدهم، لنا شـريعتنا ولهم قوانينهم، لنا نظامنا الاقتصادي ولهم نظمهم، فلا بدَّ أن نتمسَّك بهويتنا، لا نتنازل عنها.

الانتساب إلى الإسلام:

يجب أن نعلن هذه الحقيقة، أننا مسـلمون، ولن نفرط في الإسلام، لن نبيـع ديننا بملك المشـرق والمغرب، بملء الأرض ذهبًا، سـنبقى متمسكين يديننا، حريصين عليه، مستميتين في سبيله، مباهين بالانتماء إليـه، والله تعالى يقـول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

كنت في وقـت من الأوقات أتسـاءل: ما قيمـة أنْ يقول: ﴿إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؟ ربما كانت كلمة، ولكن المعنى أنَّـه يقولها معتزًّا، مغاليًا، مباهيًا، ﴿إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، أنا لا أنتسب إلى الشرق، ولا إلى الغرب، أنتسب إلى الإسـلام، والإسـلام وحده، يعتزُّ بهذا الانتساب، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم، وتابعوهم بإحسان، يقول أحدهم:

أبـي الإسْـلامُ لا أَبَ لِي سِـوَاهُ إذا افتَخَـرُوا بقيـسٍ أَو تَميمِ[1]

(١) من شعر نهار بن توسـعة اليشـكري، كما في الكامل في الأدب (١٣٣/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

سئل سلمان الفارسي يومًا: ابن مَنْ أنت؟ وكأنَّ السائلَ يُريد أنْ يُحرجه، أنَّه لا ينتسب إلى قبيلة من قبائل العرب، وكان سلمان يستطيع أنْ يقول: أنا ابن المدنيَّة الفارسيَّة، وكِسرى أنوشروان، وكذا، وكذا. ولكنَّه قال: أنا ابن الإسلام[1].

الاعتزاز بالإسلام:

يجب أن نعتز بهذا الدين، فنحن خير أُمَّة أُخرِجت للناس، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. نحن الأمة الوسط، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

نعتز بهذا الدين؛ لأنَّه الَّذي يقدم العلاج للأُمَّة الإسلاميَّة، وللبشريَّة كلها، فالبشريَّة الآن تشكو من حضارة الغرب التي سادت العالم، بماديَّتها المجْحفة، وإباحيتها المسرفة، وما فيها من قِيم جرَّدت الإنسان من خصائص إنسانيَّته.

صحيح أنَّ في الحضارة الغربية جوانب إيجابية لا نشك فيها، ولكن فيها أشياء خطرة على الإنسان فردًا، وعلى الإنسان أسرة، وعلى الإنسان مجتمعًا.

أُمَّتنا غنيَّة عن الاستيراد:

ونحن عندنا ما يُغنينا عن أن نستورد من عند غيرنا، فلا يجوز للإنسان أنْ يستورد سلعة يصنعها في بلده، سلعة البلد أوْلى، لا يجوز للإنسان أنْ يتسوَّل وهو غنيٌّ، فتسوُّل الأغنياء جريمة نكراء، تُعاقب عليه القوانين، وتُنكره الأخلاق، أنت غني، فلماذا تمدُّ يدك إلى الغير، وتسأله وتتسوَّل منه؟

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٤/١)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

نحن أغنياء، أغنياء بتراثنا، أغنياء بشريعتنا، أغنياء بأنظمتنا، كلُّ ما نحتاجه أن نَنْبش في هذا التراث الفقهيِّ، والحضاريِّ، والفكري، والدَّعويِّ، فسنجد فيه كنوزًا عظيمة، أعظم من كنوز قارون، وأعظم من كنوز الدُّنْيا كلِّها.

كنَّا في وقت من الأوقات نجهل تراثنا، ونجهل ما عندنا، وكنا مبهورين بحضارة الغرب، وقال مَنْ قال فينا: لا بدَّ أن نأخذ بالحضارة الغربيَّة، خيرها وشرِّها، وحلوها ومُرِّها، ما يُحَب منها وما يُكرَه، وما يُحمد منها وما يُعاب. كانت حضارتنا مجهولة، وكان تراثنا مخبوءًا، وكانت شريعتنا غير مفهومة.

نماء الاقتصاد الإسلامي:

أمَّا الآن ـ والحمد لله ـ فالمكتبة الإسلاميَّة غنيَّة بالدراسات، انظروا مثلًا إلى قضية الاقتصاد الإسلامي، الَّذي انعقدت له ندوة «التطبيقات الإسلاميَّة المعاصرة»، هذه الأيَّام، والتي دعت إليها «الجمعيَّة المغربيَّة للدراسات والبحوث في الاقتصاد الإسلامي»، هذه الناحية الاقتصاديَّة لم تكن فيها بحوث تُذكر.

أنا أذكر من أربعين سنة حينما بدأت أبحث في الزكاة، كنت أبحث في المكتبة عن الاقتصاد الإسلامي، أقرأ كتب الاقتصاد السياسي فلا أجد أيَّ إشارة إلى الاقتصاد الإسلامي، يوجد في الاقتصاد الاشتراكي، والاقتصاد الرأسمالي، أمَّا الاقتصاد الإسلامي فليس له وجود، لا يعرفه الاقتصاديون، هناك كتابات قليلة كتبها بعض الرُّوَّاد في هذا الجانب.

ولكن انظروا الآن تجدوا عشرات الأطروحات، ومئات الأطروحات، رسائل ماجستير ودكتوراه في العالم الإسلامي، في كليَّات الاقتصاد،

QaradawiBooks.com

وكليَّات التجارة، وكليَّات الإدارة، وكليَّات الحقوق، وكليَّات الشريعة، بل حتَّى في أوربا وأمريكا هناك من يتحدَّث عن الاقتصاد الإسلامي.

وفي بداية سنة (١٩٧٦م) انعقد المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي في مكة المُكرَّمة، ودُعِي إليه علماء من أنحاء العالم، وقدَّم أخونا العالم البحَّاثة الدكتور محمد نجاة الله الصِدِّيقي قائمة ببليوجرافية عن الأبحاث التي نُشرت في ذلك الوقت عن الاقتصاد الإسلامي، باللغة العربية، واللغة الأردية، واللغة الإنجليزيَّة، فكانت مئات الدراسات والبحوث.

والآن تضاعفت هذه البحوث والدراسات، وأصبح هناك في بعض الكليات أقسام للاقتصاد الإسلامي، وأُنشئت مراكز لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، ومجلات تتحدَّث عن الاقتصاد الإسلامي، ومتخصِّصون في الاقتصاد الإسلامي، وعُقِدت مؤتمرات، وأُقيمت ندوات في مختلف البلاد الإسلاميَّة.

وأكثر من ذلك: قامت البنوك الإسلاميَّة في العالم الإسلامي، وزاد عددها على المائة، وهي تتَّسع في كل يوم، فممَّا يُجسِّد الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة في عالم الاقتصاد والمال أمران أساسيَّان:

قيام البنوك الإسلاميَّة:

الأمر الأول: ظهور البنوك الإسلاميَّة في عدد من البلدان الإسلاميَّة، فبعد أنْ كانوا يقولون: مستحيل أنْ يقوم بنك بغير فائدة، لا تحلموا يا دعاة الإسلام بهذا الأمر، فالاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفوائد الربويَّة عصب البنوك؛ فكيف يمكن أنْ تقيموا بنوكًا بغير فائدة؟

بعد أنْ كانوا يقولون هذا، ردَّ عليهم الباحثون الإسلاميون، وردّوا عليهم نظريًّا في أول الأمر، بأنَّ هذا ممكن، ثم ردّوا عليهم عمليًّا بقيام

QaradawiBooks.com

البنوك الإسلاميَّة، وقام أول بنك إسلاميٍّ في إمارة دُبيّ، هو بنك دُبيٍّ الإسلاميٍّ، ثم قام بنك التمويل الكويتيٍّ، وبنوك فيصل الإسلاميَّة في مصر والسودان، وبنوك البركة، والبنك الأردنيٍّ الإسلاميّ، وبنك البحرين الإسلاميٍّ، ومصرف قطر الإسلاميٍّ، واتَّسعت المصارف.

كان هذا أول أمر في الاستجابة للتحدِّي، قامت البنوك الإسلاميَّة، وأحيت المعاملات الإسلاميَّة، التي نسيها الناس وكانت مهجورة، مثل بيع السلم، وبيع المرابحة، والمشاركة، والمضاربة، والمصارفة، والاستصناع، وغير ذلك، ما كان الناس يسمعون عن هذه المعاملات، حتَّى أصبحت معاملات جارية، علمًا وعملًا، هذا هو الأمر الأول.

قيام مُؤَسَّسات الزكاة:

الأمر الثاني: إحياء فريضة الزكاة على المستوى الجماعي، حيث كان الاستعمار قد فرض البنوك بعُجَرِها وبُجَرِها وما فيها من الفوائد الرِّبويَّة، وعطَّل فريضة الزكاة فيما عطَّل، فحينما دخل الاستعمار بلاد المسلمين ألغى الشريعة الإسلاميَّة، وأحلَّ محلَّها القوانين الوضعيَّة، والأنظمة الغربيَّة، وكان ممَّا ألغاه فريضة الزكاة على المستوى الجماعي، واستبدَل بها الضرائب، ونُسِيت الزكاة تمامًا.

والآن بدأ إحياء الزكاة، نشأ في أكثر من بلد إسلامي بيتُ الزَّكاة، أو صندوق الزكاة، أو مؤسَّسة الزكاة، سَمِّها ما تُسمِّيها، هذا هو الأمر الثاني الَّذي يجسِّد مظاهر الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، في عالم الاقتصاد والمال.

هذا كلُّه يدلنا على أنَّ الأُمَّة بدأت تستعيد ذاتيَّتها، وتسترد هُويتها، وتعرف مَنْ هي.

QaradawiBooks.com

دعوة للالتحاق بالركب:

ونحن نأمل في هـذا المغرب الإسـلاميِّ، العريق في إسـلامه، المتشبِّث بدينه، الَّذي لا يتنازل عن عقيدته ولا عن شريعته ـ أنْ تقوم في هذا البلد الإسلاميِّ العريق بنوك إسلاميَّة، فليس المغرب أقل من مصر، ولا من قطر، ولا من الكويت، بل حتَّى تونس نفسها يوجد فيها بنك إسـلاميٌّ، فالمغربُ أوْلى بأنْ ينشئ البنك الإسلاميَّ، كما ينشئ مؤسسة الزكاة.

الصحوة الإسلاميَّة:

يا أيُّها الإخوة، أحبُّ أنْ أقول لكم: إنَّ الإسلام تعلو كلمته، وترتفع رايته، وتمتدُّ دعوته، وينتشر نوره في أنحاء الأرض، في كلِّ مكان ذهبت إليه مُشرِّقًا ومُغَرِّبًا أجد الصحوة الإسـلاميَّة، في الشمال والجنوب، في داخل العالـم العربي، وفي داخل العالم الإسـلامي، وفي خارج العالم الإسلامي، حيث توجد الأقليَّات الإسـلاميَّة، في الشرق الأقصى، وفي أوربـا، وفي أمريكا الشـماليَّة والجنوبيَّة ـ وجدت الصحوة الإسـلاميَّة هناك، وهذا يدلُّنا على أنَّ الإسلام بخير.

وهذه الصحوة الإسلاميَّة هي صحوة عقول وأفكار، وصحوة قلوب ومشاعر، وصحوة إرادات وعزائم، وصحوة عمل وسلوك، وصحوة دعوة وجهاد، هي صحوةُ غَيْرةٍ على الإسلام.

والصحوة الإسلاميَّة مستمرَّة في طريقها، ولا يستطيع أحد أنْ يوقف سَيْرَها، هل يسـتطيع أحد أنْ يوقف أنوار الفجر، أو طلوع الشمس، أو يناطح المريخ، أو يقاوم التاريخ؟ هيهات، هيهات، الإسـلام مسـتمر، وسيظلُّ مستمرًّا.

QaradawiBooks.com

من مبشرات الإسلام:

ونحن عندنا بشائر عديدة ومتنوعة تؤكد على أنَّ الإسلام مستمر، وأنَّ المستقبل له إن شاء الله، بشائر من القرآن الكريم، وبشائر من السُّنَّة النبويَّة، وبشائر من التاريخ الحافل، وبشائر من الواقع الماثل، وبشائر من سنن الله ﷻ.

(١) بشائر من القرآن:

يكفي أنَّ عندنا من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

(٢) بشائر من السُّنَّة:

ويكفي أنَّ عندنا من السُّنَّة النبويَّة أننا سننتصر على اليهود، كما جاء في الحديث المعروف أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تقوم الساعةُ حتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتَّى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلمُ يا عبدَ الله هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقتلْه، إلَّا الغرقد، فإنَّه من شجر اليهود**»[(١)].

الصهيونية العالمية الآن تستمتع بقوتها وترسانتها النووية، وتعتز بذلك، وتركل حقوق العرب والفلسطينيين بأقدامها، وتبتلع القدس الشريف، وتُهدِّد المسجد الأقصى بالانهيار، فالحفريَّات قائمة تحت المسجد الأقصى على قدم وساق.

---

(١) سبق تخريجه صـ٩٨.

QaradawiBooks.com

هذه قضية ينبغي أنْ ينشغل بها المسلمون، مسجدنا الأقصى مهدد بالانهيار، ونعتقد أنَّ إسرائيل تعرف: متى سينهار المسجد؟ وهي محدِّدةٌ لذلك وقتًا عندها، يكون العالم مشغولًا في مصيبة أو في خطبٍ جسيم، وتفعل ما تفعل.

ولا عجب أنْ يحدث هذا ما دام المسلمون مشغولين بقضاياهم الصغيرة عن القضايا الكبيرة، بالجزئيَّات عن الكليَّات، بالفروع عن الأصول، بالمختلَف فيه عن المتَّفق عليه، قضايا الوجود والمصير لا بدَّ أن نهتم بها.

انتشار الدعوة:

نحن نعتقد أنَّ عندنا الكثير من المبشِّرات من كتاب الله تعالى، ومن سُنَّة رسول الله ﷺ، في أنَّ المستقبل للإسلام، وأنَّه سينتشر في العالم، ويظهر على الدين كلِّه.

من ذلك ما رواه تميم الداري رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَيَبْلُغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله الله هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكُفْرَ**»[1].

«**ليبلغنَّ هذا الأمر**»: أيْ هذا الدِّين. «**ما بلغ الليلُ والنهار**»: أيْ حيث وصل الليل والنهار سيصل الإسلام. «**ولا يبقى بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ**»: أي بيت من حجر، وبيت من شعر. وهو كناية عن الحواضر والبوادي، أو المدن والقرى، أي إنَّ الإسلام سيدخلها، سيبلغ العالم كلَّه، بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليل، هذا من ناحية الدعوة.

(١) سبق تخريجه صـ٢٤٥.

QaradawiBooks.com

اتِّساع الدولة:

أمَّا من ناحية الدولة فقد قال النبيُّ ﷺ، فيما رواه مسلم: «**إنَّ الله زوى لي الأرض** ـ أي جمَعَها وضمَّها ـ **فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أُمَّتي سيبلغ مُلْكها ما زُوِي لي منها**»[1]. سيمتدُّ إلى المشارق والمغارب، هذه كلُّها مُبَشِّرات.

(٣) بشائر من التاريخ:

وعندنا من التاريخ الحافل ما يبشِّرنا، أنَّ الإسلام أشد ما يكون قوةً، وأصلب ما يكون عودًا، وأعظم ما يكون صمودًا، وأصفى ما يكون جوهرًا، حينما تُحيط به الشدائد، وتنزل به الخطوب، هنا يظهر المعدن النفيس الأصيل للأمة الإسلاميَّة.

حدث هذا منذ فجر التاريخ، من عهد حروب الردة، وحروب الصليبيِّين، وحروب التتار، وحروب الاستعمار الحديث، كل هذه الحروب أثبتت صلابة الأُمَّة، وأنَّها أُمَّة لا يمكن أنْ تذوب، ولا يمكن أنْ تضيع أبدًا، الأُمَّة تقاوم، وستظل تقاوم، التاريخ يحدثنا عن هذا، وهذا درس لا ينبغي أنْ يُنسى.

(٤) بشائر من الواقع:

وهناك مبشرات في الواقع الماثل، ما يؤكِّد على أنَّ الإسلام بخير، وتكفي هذه الصحوة الإسلاميَّة بمظاهرها وآثارها الممتدة في الآفاق، والتي أشرنا إليها.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٦٧.

QaradawiBooks.com

أ ـ القوَّة البشريَّة:

كما أنَّ الأُمَّة تملك من مقوِّمات القيادة والسّيادة ما يجعلها في المقدمة، لا في ذيل القافلة، فالأمَّة تملك من القوَّة البشريَّة مليارًا وثلث المليار من البشر، والله تعالى يقول في معرض الامتنان والإنعام: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

والشاعر العربي يقول:

وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حصًى وإنّمَا العِزّةُ لِلْكَاثِرِ[١]

ويقول الآخر:

مَلَأْنَا البرَّ حتَّى ضاق عَنَّا ونحن البحرُ نملؤه سَفِينَا[٢]

هذه هي القوَّة البشريَّة.

صحيح أنَّنا نعتبرها الآن مشكلة، لكن لماذا نعتبرها كذلك؟ لو أحسنت الأُمَّة توظيف هذه القوَّة تستطيع أنْ تفعل بها الكثير، لو تمكَّنَّا أن نُحرِّك هذه القوَّة بالمُحرِّكات الحقيقية، نُحرِّكها بالإيمان، بالإسلام، نصنع بها المستحيلات، ونتخطَّى بها العقبات، فنحن عندنا هذه القوَّة البشريَّة.

ب ـ القوَّة المادِّيَّة:

وعندنا كذلك القوَّة الماديِّة، نحن نملك هذه السهول، وهذه الجبال، وهذه البحار، وهذه البحيرات، وهذه الأنهار، وهذه الشواطئ، وهذه

(١) ديوان الأعشى الكبير صـ١٤٣.
(٢) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المعادن، حتَّى إنَّ معظم مخزون العالم من النفط موجود في الأرض الإسلاميَّة، ومن الطريف أنِّي سمعت من الأستاذ أنور إبراهيم ـ الَّذي كان نائبًا لرئيس حكومة ماليزيا ـ أن وزير خارجية تايلند قال له متعجبا: لماذا لا يظهر النفط إلا في بلاد المسلمين؟! فنحن عندنا القوَّة الماديَّة الكبيرة.

ج ـ القوَّة الحضاريَّة:

وعندنا أيضًا القوَّة الحضاريَّة، نحن لسنا أمة قريبة الجذور، ابتدأت منذ مائة أو مائتي سنة، مثل الولايات المتحدة الأمريكيَّة، لا، بل نحن أُمَّة عميقة الجذور، ورثت الحضارات، الحضارة الفرعونية في مصر، والحضارة الفينيقيَّة في لبنان وسوريا والشام وشمال أفريقيا، والحضارة الفارسيَّة في إيران، والحضارة الآشوريَّة والبابليَّة والكلدانيَّة في العراق، نحن أُمَّة وارثة للحضارات، لها عمق تاريخيّ، ليست سطحيَّة، ولا قريبة الجذور، هذه أيضًا قوة وطاقة لا تملكها أُمَّة أخرى.

د ـ القوَّة الروحيَّة:

وعندنا أيضًا القوَّة الروحيَّة، نحن وحدنا الَّذين نملك رسالةَ الإنقاذ للعالم، رسالة الإسلام، رسالة التوازن، نحن وحدَنا الَّذين نملك الوثيقةَ الإلهيَّة التي لم يعترها تحريف ولا تبديل، التوراة حُرِّفت وبُدِّلت، والإنجيلُ الأصلي لم يعد موجودًا، وإنَّما كتابات كتبها بعض تلاميذ المسيح، أو تلاميذ تلاميذه، وأصولها باللغة التي كتبت بها ليست موجودة، نحن عندنا الوثيقة الإلهيَّة السماويَّة التي تحمل كلمات الله تعالى الأخيرة لهداية البشريَّة، عندنا القرآن الكريم الَّذي تَولَّى الله حفظَه بنفسه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

QaradawiBooks.com

والسُّـنَّة النبويَّة فـي مجملها محفوظـة كذلك، كما قـال الإمام الشاطبي: وكما أنَّ القرآن محفوظ فالسُّنَّة محفوظة؛ لأنَّها بيان القرآن، وحفظ المُبَيَّـن يقتضي حفظ بيانه[١]. فحفـظ الله للقرآن يتضمَّن حفظ السُّـنَّة في الجُملـة، ولذلك هيَّأ الله للسُّـنَّة مَنْ يجمعهـا، ويضبطها، ويفرزها، ويطرح الزيف والباطل عنها، كما قال النبيُّ ﷺ: «**يحملُ هذا العلم مـن كلِّ خَلَفٍ عدوله، ينفـون عنه تأويـل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين**»[٢].

عندنا نحن المسـلمين هذه القـوَّة الروحيَّة، الرسـالة التي لا إنقاذ للعالم إلا بها، الرسالة التي تستطيع أنْ تعطي الإنسان الآخرة ولا تحرمه من الدنيا، وأنْ تعطيه الإيمان ولا تسـلبه العلـم، وأنْ تأمره بالواجب وتعطيه الحـقَّ، وأنْ تصله بالسـماء ولا تنتزعه مـن الأرض، هذه هي رسالتنا إلى العالم.

ونحن لا نستطيع أن نقدِّم هذه الرسالة إلى العالم إلا إذا كنا مُثُلًا حيَّة لتطبيقها، ولذلـك لا بدَّ أن نطبِّقها في بلادنا قبـل أن ندعو إليها غيرنا، وإلا قال الناس:

---

(١) راجع: الموافقات (٣/٤) وما بعدها.

(٢) رواه ابن وضاح في البـدع (١)، والبيهقي في الشـهادات (٢٠٩/١٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨). عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم في مفتاح دار السعادة وقوَّاه لتعدد طرقه (١٦٣/١، ١٦٤)، نشـر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلَّامة ابن الوزير الذي اسـتظهر صحته أو حُسْـنه، لكثرة طرقـه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسـك به. انظر: الروض الباسـم في الذب عن سنة أبي القاسم (٢١/١ ـ ٢٣)، نشـر دار المعرفة، بيروت. وانظر: كلامنا عن هـذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة صـ٣٦ ـ ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

يا أيُّهـا الرجـلُ المُعلِّـمُ غيرَه هـلَّا لنَفْسِـكَ كان ذا التعليـمُ!
تَصِفُ الدواءَ لذي السِّقَامِ وذي الضَّنَى كَيْمَا يَصِـحَّ به وأنت سـقيمُ[1]

يا أيُّها الإخوة، نحن عندنا هذه المقومات، وهي مبشرات من الواقع.

(٥) بشائر من السنن:

ثم هناك مبشر أخير من سـنن الله ﷻ، من نظر إلى السنن وجد أنَّ السـنن معنـا، والله تعالـى يقـول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. سُـنَّة من السنن، أنَّه لا يوجد شـيءٌ دائم في هذه الحياة، فدوام الحال من المحال، والدهر قُلَّـب، يومٌ لك ويومٌ عليك، كنا نحن السادة طوال قرون عدة.

لقد كنا العالم الأول، والأمة الأولـى، وهم يقولون عنا الآن: العالم الثالث. ولو كان هناك عالم رابع لنُسبت بعض بلادنا إليه، أصبحنا بلادًا متخلفة، ويتلطفون في تسميتنا فيقولون: البلاد النامية. والواقع أننا ـ كما يقول بعض الإخوة ـ بلاد نائمة، ولسنا بلادًا نامية.

هكذا أصبحنا، ولكن هذا ليس قدرًا علينا، لا بدَّ أن نخرج من سجن التخلف، وديننا يأمرنا بهذا، ويسـاعدنا على هذا، نحـن أقمنا حضارة عالمية، تعلَّم العالَم منها، وتعلَّمت أوربا منها، وتعلَّم الغرب منها.

يوم كنَّا مسلمين حقًّا أقمنا حضارة العلم والإيمان، وأقمنا دولةَ العدل والإحسان، فلا بدَّ أن نسـتعيد مكانتنا في التاريخ، ولن يكون ذلك بأن ننسلخ من ديننا، وأن نخرج عن طبيعتنا، وأن نُقلِّد غيرنا تقليد القرود، أو نحاكيهم محاكاة الببغاوات.

---

(١) هو المتوكل الليثي، انظر: الحماسة للبحتري صـ٢٤٧.

QaradawiBooks.com

إحسان الفهم والتطبيق:

يجب علينا أن نتمسَّك بشخصيتنا، ونعودَ إلى إسلامنا لنأخذ منه مصادر قوتنا، ومصادر تشريعنا، ومصادر توجيهنا، على أن نُحسن الفهم له، ونُحسن التطبيق له.

نحن في حاجة إلى مَن يُحسنون فهم الإسلام، ومَن يُقدِّمون الإسلام تقديمًا يليق بهذا الدين العظيم، بعيدًا عن تشنُّج المُتَشَنِّجين، وتَسيُّب المُتَسَيِّبين، فنحن نعاني من أولئك الَّذين يريدون أنْ يُحرِّموا كلَّ شيءٍ على الناس، ومن آخرين يريدون أنْ يُحلِّوا كلَّ شيءٍ للناس، وبين هؤلاء وهؤلاء المنهج الوسط، الوسطيَّة الإسلاميَّة التي ندعُو إليها، في الفهم والتَّطبيق، في الإيمان والسلوك، في الدعوة والجهاد.

الحاجة إلى الرجال:

إنَّ الله أكرمنا بهذا الدين العظيم، ولكن هذا الدين يحتاج إلى رجال عظماء، قال أحد الأجانب يومًا وقد درس الإسلام: ما أعظمه من دينٍ لو كان له رجال. وهذا صحيح، فكم مِن المليار وثلث المليار من المسلمين مَنْ نعتبره من رجال الإسلام، من جنود الإسلام، جنَّد نفسه، وعقله، وفكره، وجهده، وماله، لخدمة الإسلام، ولنصرة الإسلام؟

لقد وجدت اليهوديَّة رجالًا نذروا أنفسهم لها، وقالوا: لا بدَّ أن نقيم دولة بعد خمسين سنة. قال ذلك «هرتزل»، ومَنْ معه، وأقاموا دولتهم بعد خمسين سنة.

ووجدت النصرانيَّة رجالًا لها، ينشرون النصرانيَّة في العالم، هناك أربعة ملايين وسبعمائة وخمسون ألفًا يعملون لحساب الكنيسة في العالم.

كل دين وجَدَ له رجالًا يعملون له، حتَّى الشيوعيَّة، المبدأ الإلحادي

QaradawiBooks.com

الَّذي يقول: لا إلٰه والحياة مادة، ليس صوابًا أنَّ الله هو الَّذي خلق الإنسان، بل الصواب أنَّ الإنسان هو الَّذي خلق الله. هؤلاء وجدوا من يستعذب العذاب في سبيل هذا المبدأ الباطل، فأين نحن المسلمين من هؤلاء؟

لا بدَّ أنْ يكون لنا وجود، لا بدَّ أنْ يكون للإسلام رجال يتبنَّونه، ويدعون إليه، ويؤمنون به عقيدةً ومنهاجًا للحياة، لا بدَّ من هذا الجيل، بهذا ينتصر الإسلام، فالإسلام لا ينتصر بذاته، وإنَّما ينتصرُ بأهله ورجاله، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. فالنَّصر للمؤمنين، والنَّصر بالمؤمنين، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

فيا أيُّها الإخوة، ثقوا أنَّ النصر لنا إن شاء الله، وأنَّ المستقبل لهذا الدين، وأنَّ الله تعالى يأبى إلا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون، وأنَّ الماكرين يمكرون، ولكن مكر الله أعظم من مكرهم، ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيۡدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧]، ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجعلنا من جنود الإسلام، أنْ يُجنِّدنا لهذا الدين، وأن يجعلنا من دعاة هذا الدين، وأن يُحيينا على هذا الدين، ويميتنا على هذا الدين، وأنْ يجعل كلمته هي العليا، ويجعل كلمة أعدائه هي السفلى، وأن يُعِزَّنا بالإسلام، ويُعِزَّ بنا الإسلام.

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة ـ وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

٢١

مستقبل العالم العربي في ضوء الواقع[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على رسل الله جميعًا، وعلى خاتمهم المُجتبى محمد بن عبد الله، الَّذي أرسله الله رحمةً للعالمين، وحُجَّة على النَّاس أجمعين، فهو البشير النذير، والسِّراج المنير، والرحمة المُهداة، والنِّعمة المُسْدَاة، عليه صلواتُ الله وسلامه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعَزَّروه ونصروه، واتَّبَعوا النُّور الَّذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دَعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات، في هذه الأمسية الطيِّبة ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت في الندوة الدورية لصالون إحسان عبد القدوس الثقافي، في نقابة الصحافيين بالقاهرة، بُعيد الاعتداء الصهيوني على لبنان، في سبتمبر عام ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

وإنَّها لفرصة طيِّبة أنْ ألتقي بكم في هذه الدار، الَّتي تعوَّدنا أن نلتقي فيها في كل عام، مع هذه النخبة من حملة الأقلام، ورجال الإعلام، والأمناء على الكلمة من الصحافيين، والإعلاميين، ولكنِّي في العام الماضي ـ لظروف صحيَّة ألمَّت بي ـ لم أستطع أنْ ألتقي بكم، فلمَّا حانت الفرصة في هذه الأيام، رغم ما عندي من وعكات ومشاغل، لم أرضَ إلا أنْ أستجيب لدعوات الأخوين الكريمين: محمَّد عبد القدُّوس، وصلاح عبد المقصود، لألتقي بكم؛ لنتشاكى، ونتدارس، ونتباحث معًا، في هموم أُمَّتنا ومشكلاتها، وكيف نتغلَّب عليها، وكيف نخرج من هذا الواقع المُرِّ الأليم إلى مستقبل أفضل وأمثل.

إحسان عبد القدُّوس:

وقد شاء القدر أن نلتقي هذه الليلة بمناسبة افتتاح صالون الأستاذ إحسان عبد القدوس رَحِمَهُ اللَّهُ، الَّذي عرفناه منذ شبابنا في غير الناحية القصصيَّة كاتبًا سياسيًّا حُرًّا، تبنَّى قضايا وطنيَّة ذات أهميَّة، مثل قضيَّة الأسلحة الفاسدة، وقضايا أخرى كثيرة، حتَّى إنَّه هاجم ـ في فترة من الفترات ـ رجال الثورة، وكتب عن الجمعيَّة السريَّة الَّتي تحكم مصر في هذه الأيام، فعاش الرجل حرًّا، ومات حرًّا، نسأل الله تبارك وتعالى أنْ يغفر له ويرحمه، ويسكنه الجنَّة، ويبارك في أبنائه وخلفه.

نجيب محفوظ:

وفي هذا اليوم أيضا ودَّعت مصر أديبَها الكبير، النابغة الموهوب، نجيب محفوظ، ومهما اختلفنا مع نجيب محفوظ في الناحية الدِّينيَّة، كما في رواية «أولاد حارتنا»، أو في الناحية السياسيَّة، كما في موقفه من

QaradawiBooks.com

«كامب ديفيد»، وعمليَّة السلام؛ فلا نستطيع إلا أن نُقدِّر أنَّه كان موهبة عربيَّة بارعة، أثبتت وجودها، حتَّى اعترف له العالم، واعترفت له نوبل، فنحن نعتز به ونفخر، باعتباره موهبة فنيَّة أدبيَّة مصريَّة عربيَّة، ونتمنى من الأجيال القادمة من أبنائنا أنْ تستفيد من إيجابيَّات نجيب محفوظ، وأنْ تسير في هذا الطريق، وأن تجعل إبداعاتها خالصة لله تعالى، ولهذه الأُمَّة، ولهذا الوطن الكبير، الوطن العربيِّ، والوطن الإسلاميِّ من المحيط إلى المحيط.

موضوع المحاضرة:

حديثنا ـ أيُّها الإخوة ـ عن واقع الأُمَّة، وكيف ننظر إلى مستقبلها؟ أو واقع العالم العربي كما أراد الإخوة المنظِّمون، وأنا مسرور بذكر العالم العربي، أو الوطن العربي، أو الأُمَّة العربيَّة، أو الأُمَّة الإسلاميَّة، في عنوان هذه المحاضرة؛ لأننا نعيش في وقت يُراد فيه إلغاء هذا العنوان، ليحلَّ محله الشرق الأوسط الكبير، أو الشرق الأوسط الجديد، ونحن مُصرُّون على أن نبقى عالمًا عربيًّا، ووطنًا عربيًّا، وأمَّة عربيَّة، وعالمًا إسلاميًّا، ووطنا إسلاميًّا، وأُمَّة إسلاميَّة، لا مجرَّد شرق أوسط كبير ولا جديد، هذه قضيَّة أحببت أنْ أشير إليها.

نظرة الإسلام إلى المستقبل:

وأمَّا قضيَّة النظرة المستقبليَّة للأمَّة العربيَّة والعالم العربي، فربما يظن بعض النَّاس أنَّ التَّفكير الإسلامي يرفض النظرة المستقبليَّة، وأن هذه النظرة هي من إنجازات هذا العصر، ومن مستوردات العالم الغربي، وأنا أقول: هذا ليس صحيحًا؛ فالنظرة المستقبليَّة في الواقع نظرة إسلاميَّة، نظرة قرآنيَّة، نظرة مُحمَّديَّة.

QaradawiBooks.com

القرآن والمستقبل:

القرآن يُعلِّم الأُمَّة أنْ تنظر إلى المستقبل، وألا تعيش في الماضي فقط، ولا تعيش في الحاضر وحده، ولكن تستلهم الماضي، وتعايش الحاضر، وتستشرف المستقبل، هذا شأن الأُمَّة.

نجد في سور القرآن المكيَّة حديثًا عن المستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٢ ـ ٥]. فالإسلام يُعلِّق على الحرب الَّتي دارت بين الفرس والروم، في فجر الإسلام، والمسلمون مستضعَفُون في الأرض، يخافون أن يتخطَّفهم الناس، ولكنهم مع هذا مهمومون بما يجري في العالم الكبير من حولهم، من الصِّراع بين المعسكرين الكبيرين؛ معسكر الفرس، ومعسكر الروم؛ وهما أشبه حاليًّا بالمعسكر الروسي، والمعسكر الغربي الَّذي تقوده أمريكا، فقد كانت القوَّتان اللتان تتزعمان العالم في ذلك الوقت هما الفرس في الشرق، والروم في الغرب، وحدثت بينهما حرب، انتصرت فيها الفرس ـ أولا ـ على الروم، وحزن لذلك المسلمون؛ لأنَّ الروم نصارى أهل كتاب، وهم أقرب إليهم، وفرح المشركون الوثنيُّون بانتصار الفرس؛ لأنَّهم مجوس يعبدون النار، ويقولون بالثنويَّة، بإلهين اثنين؛ إلٰه للخير والنور، وإله للشرِّ والظُّلمة، وتجادَلُوا فيما بينهما: لِمَنْ يكون المستقبل؟ فقال المسلمون: المستقبل للروم. وقال المشركون: المستقبل للفرس. فنزل القرآن يفصل بينهما، ويقول: لا تنظروا إلى الواقع فقط، ولكن انظروا إلى المستقبل، فالمستقبل للروم: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾. فالقرآن يعلِّق المسلمين بالمستقبل.

QaradawiBooks.com

وجاء في سورة القمر قوله تعالى: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦]. وحرف السين في اللغة العربيَّة ـ كما يقول اللغويون ـ يفيد الاستقبال، وكان سيدنا عمر يقول حينما قرأ الآية: قلت في نفسي: أيُّ جمع، وأيُّ هزيمة؟ حتَّى قرأها النبيُّ ﷺ وهو يواجه المشركين يوم بدر، وقال: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾. يقول عمر: فعرفت لماذا نزلت هذه الآية[1]. نزلت لتُعِدَّ الذهنيَّة المسلمة، والنفسيَّة المسلمة، ليومٍ آتٍ لا ريب فيه.

وفي سورة المزمل، وهي سورة مكيَّة، كان المسلمون يقومون الليل ـ نصفه، أو أكثر من نصفه ـ ويعتبرون ذلك واجبًا عليهم، فخفَّف الله عنهم، لماذا؟ لأنَّ المستقبل سيكلفهم بأعباءٍ ثقيلة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ ﴾ [المزمل: ٢٠]. سيكون هناك أناسٌ يذهبون في أنحاء الأرض لتتاجر، وأناس يقاتلون في سبيل الله، وأناس مرضى، فخفَّف الله عنهم.

وهذا كله يُعلِّق المسلمين بالمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [فُصِّلت: ٥٣].

السُّنَّة والمستقبل:

ومن يقرأ السيرة النبويَّة يجد النَّبيَّ ﷺ يُخطِّط للمستقبل، ومن ذلك الهجرة النبويَّة، لماذا اختار النَّبيُّ ﷺ الهجرة إلى يثرب؟ لم يرضَ أنْ

(١) رواه الطبري في تفسيره (٦٠٢/٢٢)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

QaradawiBooks.com

يذهب ـ كما ذهب أصحابه ـ إلى بلاد الحبشة؛ لأنَّ هذا ضد التَّخطيط النبويِّ، فالحبشة لا تصلح مَهْجرًا للنبيِّ وأصحابه، لكنها تصلح مَهْجرًا لبعض الصحابة، إنَّما يجب أنْ يكون المَهْجر في بلدٍ عربيٍّ؛ لأنَّ لسان هذه الرسالة عربيٌّ، ونبيُّها عربيٌّ، وقرآنها عربيٌّ، فلا بدَّ أن يكون المهْجر عربيًّا، فلمَّا جاء الأوس والخزرج وبايعوه على أنْ ينصروه ويحموه، ممَّا يحمون منه أنفسَهم وذراريهم وأهليهم، قرَّر النَّبيُّ الهجرة إلى المدينة، ورتَّب هذا الأمر، وخطَّط له، لا أريد أنْ أطيل في هذا الأمر، فالشواهد عليه عديدة، ولكن أقول: إنَّ النظرة المستقبليَّة نظرة إسلاميَّة.

التعلُّق بالماضي وحده:

صحيح أنَّ عندنا أناسًا ـ حتَّى من أصحاب الفكر الدينيِّ ـ يعيشون في الماضي وحده، مُغلِقين على أنفسهم، متقوقعين، لا يرون الحاضر، يعيشون بين الكتب الصفراء، لا يعرفون ما يمور به الحاضر من تيَّارات ومشكلات، ولا ينظرون إلى المستقبل، وما ينتظر الأُمَّة فيه، هؤلاء لا يُمثِّلون الإسلامَ الحقيقيَّ.

لا ينبغي للناس أنْ يعيشوا في ماضيهم وحده، ويرضون به، يتغنون بأمجاده، ويبكون على أطلاله، هذه كل حياته! لا؛ نحن نريد أنْ تأخذ من الماضي المجيد قُوَّة، تأخذ الزاد من أمجاد الأمة، ومعارك الأُمَّة، وحضارة الأُمَّة، تأخذ منها روح القُوَّة، وقُوَّة الروح، ولكن لا تنكفئ على هذا الماضي.

كما نريد أنْ تعيش في الحاضر، ولكن لا تعِش فيه وحده، كما قال الشاعر:

ما مضى فات والمُؤمَّلُ غيبٌ ولك الساعةُ الَّتي أنتَ فيها[1]

(١) من شعر إبراهيم بن عثمان الغزي. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٥٠٦/٤)، نشر الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

QaradawiBooks.com

لا؛ بل خذ من الساعة الَّتي أنتَ فيها، وانظر إلى الغد، ماذا تنتظر في الغد؟ وماذا ينتظرك في الغد؟ هذه هي النظرة الإسلاميَّة.

التعلُّل بالقدر والتوكل:

يظن بعض الناس أنَّ النظرة المستقبليَّة تتعارض مع الإيمان بالقدر، ويقولون: إذا كان ما قدَّر الله سيقع، فلماذا نُتعب أنفسنا؟ ويتغنون بما قال الشاعر:

دَعِ المَقَادِيرَ تَـجْرِي فـي أَعِنَّتِها ... ولا تَبِيتَـنَّ إلَّا خَالِـيَ الْبَـالِ
مَا بَيْـنَ غَمْضَةِ عَيْـنٍ وانتباهَتِها ... يُغَيِّرُ اللهُ مـن حالٍ إلـى حالِ[1]

وبما قاله الشاعر الآخر:

هي المَقَادِيرُ تـجـري في أعنَّتها ... فاصبرْ فليس لها صبرٌ على حالِ
يومًا تَرِيشُ خَسِيسَ الحالِ تَرْفَعُه ... إلى السـماءِ ويومًا تَخْفِضُ العالي[2]

كما يظن بعض الناس أنَّ النظرة المستقبليَّة تتعارض مع التوكل على الله، وذلك لأنَّهم يفهمون التوكُّل بمعنى التَّواكل، وترك الأسباب.

العناية بالإحصاء:

لا؛ الإسلام ينظر إلى المسـتقبل، ويُعِدُّ العُدَّة له، ولننظر: ماذا فعل الرسـول ﷺ أوَّل ما هاجـر إلى المدينـة؟ روى البخاري ومسـلم عن

(١) البيتان لأبي إسـحاق إبراهيم بن عثمان الغزي، كما في المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (٧٥٢/١٧)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) عزاه ابن أيدمر المستعصمي إلى الوزير أبي إسماعيل الحسن بن علي الطغرائي. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٤٤١/٧).

QaradawiBooks.com

حذيفة بن اليمان، أنَّ النبي ﷺ قال لهم: «**أَحْصُوا لي** ـ وفي رواية: **اكتبوا لي ـ عددَ مَنْ يلفظ بالإسلام**». فأُحصوا له فكانوا ألفًا وخمسمائة رجل[1]. فهو إحصاء مكتوب مُدوَّن، ونحن نعلم أنَّ الإحصاء من علامات الرُّقي الحضاري للأمم الناهضة، أنَّها تبني حياتَها وخططَها وبرامجَها على أساس الأرقام والإحصاءَات، فالأرقام تتكلم، والإحصاءات ـ لا الخيالات ـ هي الَّتي تنطق.

العناية بالتخطيط:

وإذا كان التَّخطيط من أهم عناصر النظرة المستقبليَّة، فقد علَّمنا القرآن التَّخطيط، حينما ذكر لنا في قصة يوسف عليه السلام، خطته الخمس عشرية، خطة لخمسة عشر عامًا، كُلِّف بها سيدنا يوسف عندما أرسل إليه ملك مصر في ذلك الوقت، يستفتيه في رؤْياه: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦].

ففسَّرها له، ولم يكتفِ بتفسيرها، بل وضع الخُطط والتَّدابير لإنقاذ البلاد والعباد من سوء ما يحل بهما في المستقبل: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ ـ ٤٩].

فهذه خطة في الاقتصاد الزراعي، ولم تكن المجاعة في مصر وحدَها، بل كانت في مصر وما حولها، حتَّى إنَّ أهلَ فلسطين والشام كانوا يأتون إلى مصر يطلبون المؤنة، فقوله: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾.

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إشـــارة إلى موالاة الإنتاج وزيادته، فلا بدَّ أنْ تَجْهدوا في هذه الســـنين جَهْدًا غير عادي، حتَّى تزيدوا من الإنتاج وتُضَاعفوه ما اســـتطعتم، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، لا يكفي أن نزيد الإنتاج ثم نأكله، لا، بل نزيـــد في الإنتـــاج ونقلِّل في الاســـتهلاك، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، وما لا نأكلـــه لا بدَّ أن ندَّخـــره ونُحَصِّنه بأســـلوب آمن، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾، كما خلقه الله.

وهنا تأتي الإشارة القرآنية المهمة إلى التفكير المستقبلي: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾، التحكـــم فـــي الاستهلاك، فهذه الســـنون الســـبع فاتحة أفواهها لتلتهم كل ما أنتجتم، لكنها لا تجد إلا ما تقدموه لهنَّ، ممَّا خصصتموه للاستهلاك، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾، أي ما تدَّخـــروه من البذور لتزرعـــوه، فلا يجوز أنْ ينتهي القحط ويأتي الغيث ثم لا تجدوا بذورًا.

وهكذا نتعلَّم من القرآن والسُّـــنَّة النظرة المستقبليَّة، فليست هذه النظرة جديدةً على الإسلام، ولا على المسلمين، ونحن نستفيد ـ بالطبع ـ ممَّا عند الغربيين، فقد طوَّروا هذه الأمور، وأصبحت هناك دراسات وعلوم مستقبليَّة، نريد أن نستفيد منها في النظرة إلى مستقبل عالمنا العربي ومشكلاته.

مشكلات العالم العربي:

ولكي نتحدث عن مســـتقبل العالم العربي، لا بـــدَّ أن نتحدث عن حاضر العالم العربي، وواقع العالم العربي، والحقيقة أنَّ الحاضر مُؤْلم، والواقع مُرٌّ، كلنا نشـــكو من حاضرنا، وما زرت بلـــدًا عربيًّا إلا وجدت الناس يشـــكون من نـــواحٍ شـــتى، الناحيـــة الاقتصاديَّة، والسياســـيَّة، والأخلاقيَّة، وغيرها من النواحي، فقد عمَّ الفساد وانتشر، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ

QaradawiBooks.com

﴿فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، ولذلك كثرت الشكوى، فالواقع في الحقيقة سيئ.

ونحن إذا نظرنا إلى هموم الوطن العربي ومشكلاته، نجد مشكلات عديدة:

(١) التخلف:

منها مشكلة التخلف، وأبرز ما تتمثل فيه: الجهل، والفقر، والمرض.

(٢) الاستبداد:

ومنها مشكلة الاستبداد، فالعالم العربي ـ إلا من رحم ربي ـ تحكمه أنظمة تكبت حريَّاته، وتكتم أنفاسَه، تصوروا حينما حدثت الحرب على العراق، قامت في البلاد الَّتي تحالفت مع أمريكا مسيرات مليونيَّة، ودخلت بريطانيا الحرب فقامت فيها مسيرة لأكثر من مليون، ودخلت إيطاليا الحرب فقامت في روما مسيرة قدَّرها بعضهم بثلاثة ملايين، ودخلت إسبانيا الحرب فقامت في مدريد مسيرة لأكثر من مليون، فالشعوب في كثير من بلاد العالم قادرة على أنْ تُعبِّر عن نفسها، إلا شعوب البلاد العربيَّة، ما استطاع بلد واحد منها أنْ يخرج في مسيرة مليونيَّة، أو نصف مليونيَّة، أو ربع مليونيَّة، أو عُشْر مليونيَّة، فنحن ناس طيبون ومطيعون، نُؤْمر فنطيع، ويقال لنا فنسمع، إنَّها مشكلة الاستبداد السياسي في العالم العربي.

(٣) الظلم الاجتماعي:

ومنها أيضًا مشكلة التَّظالم الاجتماعي، ففي العالم العربي مظالم اجتماعيَّة كبيرة جدًّا، هناك مَنْ يملك القناطير المقنطَرة، ومَنْ لا يملك

QaradawiBooks.com

شـــيئًا، مَنْ يلعب بالملايين، ومَنْ لا يجد الملاليم، هناك مَنْ يعيش في قصر مُنيـــف، ترمح فيها الخيول ـ كما يقولون ـ ولا يوجد مَنْ يســـكنه، ومَنْ يعيش هو وزوجته وأولاده، وربما أمه وأبوه، في حجرة أو حجرتين في بدروم. هناك مَنْ يضع يده على بطنه يشكو عضَّة الجوع، ومَنْ يضع يده على بطنه يشكو زحمة التخمة. هناك اللصوص الكبار الذين يبتلعون الملايين، ويســـرقون البنوك، وينهبون أموال الدولـــة، ويهربون بها إلى الخارج في أحيان كثيـــرة، ولا تنالهم يد القانون، هـــذا كله موجود في بلادنا العربيَّة كلها.

وهذه المظالم الاجتماعية لا يرضاها الله، قال النبيُّ ﷺ: «**ما آمَنَ بي مَنْ باتَ شبعانَ وجارُه جائعٌ إلى جنبه وهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**»[(١)]. وقال: «**أيُّما أهلَ عَرْصَةٍ بات فيهم امرؤ جائع، فقد بَرِئَتْ منهم ذِمَّةُ الله، وذمَّة رسوله، وذمَّةُ المسلمين**»[(٢)]. وما أكثر الجائعين في ديارنا، فهذه المظالم الاجتماعية مما نشكو منه.

(٤) التبعيَّة:

ومنها أيضًا مشكلة التبعيَّة للعالم الغربيِّ، للقوى الغربيَّة، للاستعمار القديم والاســـتعمار الجديد، ما زلنا نشـــكو من هـــذه التبعيَّة، بصورة

(١) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسَّـــن إســـناده المنذري فـــي الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وابن حجر في القول المسدَّد (٢١/١)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرِّجوه: إســـناده ضعيف. وأبو يعلـــى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢)، وذكره ضمن عدة أحاديث، وقال: هذه الأحاديث الستة طلبتها وخرجتها في موضعها من هذا الكتاب، احتسابًا لما فيه الناس من الضيق، والله يكشفها، وإن لم يكن من شرط هذا الكتاب. وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي تركوه، وأصبغ بن زيد الجهني فيه لين. عن ابن عمر. والعرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. لسان العرب مادة (ع. ر. ص).

QaradawiBooks.com

وبأخرى، ما زال الآخرون يسيطرون علينا، ويسيِّرون مقدَّراتنا، وفق مطالبهم، وأهوائهم، ورغباتهم، أمريكا تريد فتنفِّذ، وتأمر فتُطاع، كأنه لا وجود لنا، تريد أنْ تُغيِّر حياتنا كلها، فالتعليم يجب أنْ يتغيَّر، والدين يجب أنْ يتغيَّر، ونحن نقول: يجب تغيير حياتنا أيضًا؛ ولكن ليس كما تريدها أمريكا، وسنتكلم عن هذا بعد قليل. فأمريكا تريد أنْ تحقِّق أهدافها هي، لا أهدافنا نحن، ما زلنا أتباعًا، ما زلنا لا نستطيع أن نقول: لا. بملء فينا، كما قيل: يُعجبني من الرجل إذا سِيم الخسف أنْ يقول بملء فيه: لا[1]. إذا أُرغم على الذل والهوان يرفض ويقول: لا. يصرخ بها بملء فيه، وليس بصوت خافت، ونحن نريد لأمتنا أنْ تقول: لا. بملء فيها.

هذه التَّبعيَّة بأنواعها: التَّبعيَّة الاقتصاديَّة، والتَّبعيَّة السياسيَّة، والتَّبعيَّة الحضاريَّة، والتَّبعيَّة الثقافيَّة؛ ما زلنا نشكُو منها، ما زلنا في أكثر من بلد تتحكم فينا أمريكا كما تشاء، فنحن في زمن الاستعمار الجديد، الَّذي يأتي بأسماء شتَّى، ومنها العَوْلمة ـ وهي في حقيقتها الأمرَكة ـ هذه التَّبعيَّة من المشكلات الَّتي يجب أنْ يتخلص منها عالمنا العربي، فنحن نرفض هذا الاستعمار بكل تدخُّلاته، العسكريَّة، والسياسيَّة، والاقتصاديَّة، وغيرها في ديارنا، ونريد أن نعيش أحرارًا، كما قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص رضي الله عنهما: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[2]؟ ولدتنا أمهاتنا أحرارًا؛ فلماذا يستعبدنا هؤلاء؟

---

(١) رواه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٠١/٥) من قول زياد بن أبيه، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) فتوح مصر لابن عبد الحكم صـ١٨٣، تحقيق محمد الحجيري، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

(٥) الفساد:

ومنها أيضًا مشكلة الفساد والتَّسيُّب، كالذي نشكو منه هنا في مصر، فما أقرأه في الصحف المعارِضة، والصحف القوميَّة، من ألوانٍ شتَّى من الفساد، والمشكلة في كثرة اللصوص الكبار، فاللصوص الصغار في السجون، واللصوص الكبار يسرحون ويمرحون.

في عهد الحسن البصري ـ وكان عهدًا زاهرًا ـ وكان في المسجد، فسمع ضجَّة في الخارج، فقال: ما هذه الضجَّة؟ فقالوا له: سارق أمسكوا به، ليأخذوه إلى الشرطة. فقال: يذهبون بالسارق الصغير إلى السارق الكبير. كما يقول المثل: حاميها حراميها. وهذه هي المشكلة، كما قال الشاعر العربي:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب[1]؟

هذه هي المصيبة الكبرى، حينما يتغلغل الفساد، ويتفاقم، ويتكاثر، وتقول: لعل الغد يكون أحسن من اليوم. فإذا الحال يزداد سوءًا، ننتقل من سيئ إلى أسوأ، ومن الأسوأ إلى الأشد سوءًا، وهكذا.

هذا هو الواقع في أمَّتنا، ولا يمكن أنْ تبني الأُمَّة مجْدًا، أو تؤسِّس نهضةً حقيقيَّة، إذا ظلَّ هذا الفساد مستشريًا، وظلَّ الناس يسكتون عليه، ويغضُّون العيون عنه، ويقولون: هذا يسانده فلان، وهذا يحميه فلان. لا؛ بل لا بدَّ أنْ تكون للشعوب كلمة، فالفساد من مشكلاتنا في العالم العربي.

(١) ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى ولم ينسبه (٥٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

(٦) التَّمزُّق:

ومنها أيضًا مشكلة التَّمزُّق والتَّفرُّق، أنَّ الأُمَّة لم تجتمع على كلمة واحدة، لم يجتمع العالم العربي على كلمة، اجتمع هنا في القاهرة وزراء خارجية الدول العربيَّة، فأحدهم يقول: لقد ماتت عمليَّة السلام. وآخر يقول: لم تمت عمليَّة السلام. ليسوا متفقين على رؤية واحدة، أو على قرار واحد.

وقد حمدنا الله حين التقوا في لبنان، وأجمعوا على أنْ يكونوا على رأيٍ واحد، أو قولٍ واحد، أنَّهم يؤيدون لبنان، ويؤيدون النقاط السبعة الَّتي قال بها رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيورة، قلنا: الحمد لله. لكن هذا فقط ليس هو المطلوب.

وهم يريدون أنْ يفرقوا الأُمَّة بأسباب شتى، ففي مصر يثيرون الطائفيَّة الدينيَّة، فيقولون: مسلمون وأقباط. وفي العراق يثيرون الطائفية المذهبيَّة، فيقولون: سنة وشيعة. أو الطائفية العرقِية، فيقولون: عرب وأكراد. وفي المغرب يقولون: عرب وبربر، أو عرب وأمازيغ. وأحيانًا يثيرونها قضيَّة أيدلوجيَّة، فيقولون: الراديكاليُّون الرجعيُّون والليبراليُّون، أو الثوريُّون وغير الثوريِّين، أو اليمينيُّون واليساريُّون. فهم يعملون على تفريق هذه الأُمَّة بأسباب شتَّى، وهذا دأبهم من قديم، فقد حفظنا قديمًا أنَّ شعار الاستعمار: فرِّقْ تَسُدْ.

(٧) المشروع الصهيونيِّ:

ثم هناك مشكلة كبرى يعاني منها عالمنا العربيُّ، وهي مشكلة المشروع الصهيونيِّ، وتأخيري لذكرها لا يعني أنَّها مشكلة هيِّنة، وأنَّها تأتي في ذيل المشكلات، لا؛ فقد أخَّرتها لأهميتها، فالمشروع الصهيوني يهدف إلى تمزيق هذه الأُمَّة، وزرع فيها بالقوة جسمًا غريبًا، بالحديد

QaradawiBooks.com

والنار، وقد رفضته الأُمَّة في أوَّل الأمر، ولكن استطاعت الصهيونية الماكرة، المُؤيَّدَة بالغرب، أنْ ترسخ وجوده.

كانت إسرائيل في البداية مُؤيَّدَة بالانتداب البريطانيِّ، فبريطانيا هي الَّتي أعطت وعدًا لبلفور سنة (١٩١٧م)، وعلَّق عليه مَنْ علَّق قائلًا: إنَّ مَنْ لا يملك وعدَ مَنْ لا يستحق. وكما قال الحاج أمين الحسيني: إنَّ فلسطين ليست بلدًا بغير شعب، حتَّى تستقبل شعبًا بغير بلدٍ.

ولكن الاستعمار البريطاني الَّذي كان منتدَبًا على فلسطين لمدَّة ثلاثين عامًا أراد أنْ يحقِّق وعده، وأنْ يُهيِّئ كل الأسباب لإقامة دولة صهيون، وفي ثلاثين عامًا هيَّأ الأسباب، وفتَّح الأبواب، وعمل كل ما يستطيع لتمكين اليهود من الهجرات الجماعيَّة، من أوربا، وروسيا، وأمريكا، من الشرق ومن الغرب، وأمدَّهم بالسلاح، وأمدَّهم بكل أسباب القوة، ومنع الفلسطينيِّين من أنْ يحملوا أيَّ سلاح، فثار الفلسطينيُّون، وعملوا ما عملوا، وأضربوا إضرابًا كاد يُفشِل المشروع الصهيوني، لولا أنْ تدخَّل الزعماء العرب، وقالوا للإخوة الفلسطينيِّين: فُضُّوا إضرابَكم، وفُضُّوا عصيانَكم، فنحن قد وُعِدنا وعدًا صادقًا من صديقتنا بريطانيا العُظمى أنَّها ستَحُلُّ مشكلتكم. وفُضَّ الإضراب، وكان ما كان.

المشروع الصهيوني هو أخطر ما يكون، هو خطرٌ عسكريٌّ، وخطرٌ سياسيٌّ، وخطرٌ اقتصاديٌّ، وخطرٌ ثقافيٌّ، وخطرٌ اجتماعيٌّ، وخطرٌ دينيٌّ، فهو خطرٌ على كل المستويات.

وبعد أنْ ظلَّت الدراسات تتحدث عن الخطر الصهيونيِّ، جاء من جاء وتغيَّرت السياسة العربيَّة تغيُّرًا جذريًّا جوهريًّا، مائة وثمانون درجة (١٨٠٪) كما يقولون بلغة الهندسة، وبعد أن كنا نقول: إسرائيل باطل قام

QaradawiBooks.com

على باطل، فإسرائيل مغتصبة، أخذت فلسطين، وشرَّدت أهلها بالحديد والنار، فلا بقاء لها في ديارنا، وأنَّها يجب أنْ تزول. وظللنا نقول هذا إلى سنة (١٩٦٧م)، ثم تغيَّر الهدف العربي من إزالة الوجود المغتصِب الظالم، إلى إزالة آثار العدوان، أصبحت هذه هي السياسة العربيَّة بعد ٥ يونيو (حزيران) (١٩٦٧م)، كأنَّ عدوان (١٩٦٧م) قد أضفى الشَّرعيَّة القانونيَّة على عدوان (١٩٤٨م)، وعلى عدوان (١٩٥٦م)، وما سبقهما من عدوان! اكتسب العدو هذه الشَّرعيَّة، فأصبحنا لا نتحدَّث عن العدوان الأصليِّ الَّذي اغتصب فلسطين، وابتلعها بغير حق، وأصبحنا نتحدث فقط في إزالة آثار العدوان، عدوان يونيو (١٩٦٧م)!

ويا ليت الأمر وقف عند هذا؛ فكلما تنازلنا زادوا في الاغتصاب، وزادوا في الظلم، وزادوا في النَّهب، ليتنا نحصل حتَّى الآن على ما كنَّا عليه في (١٩٦٧م)، فلا يكاد إخواننا في فلسطين يُعطَون شيئًا، فما يُسمَّى الدولة الفلسطينيَّة، أو خارطة الطريق، أو اتفاقية أسلو، أو مدريد، لو حللتها لا تجد من ورائها سوى عُشر الأرض الفلسطينيَّة الحقيقيَّة، وليس يُعطَى هذا العُشر، فهم لا يملكون المياه في باطنه، ولا يملكون أجواءه، ولا يملكون المعابر، ولا يستطيعون الاتصال بين بعضهم البعض؛ فأيُّ دولة هذه؟! فالمشروع الصهيونيُّ هو أخطر مشكلات هذه الأُمَّة.

مقومات العالَم العربيِّ:

تلك هي المشكلات الكبرى في واقع الأُمَّة، فكيف نعالج هذه المشكلات؟ كيف نخرج من هذا الواقع الأليم المرير إلى مستقبل مشرق، بعض الإشراق؟ هل عندنا من عوامل الأمل، وبواعث الرجاء، ونقاط القوة، ما يُمكِّننا من أن نُغيِّر هذا الواقع؟

QaradawiBooks.com

وأقول: إننا عندنا والله من هذه كلّها، ولكننا لا نُوظِّف ما عندنا من قُوًى وإمكانات، أذكر من نقاط القوة الَّتي يملكها وطننا العربيُّ ما نستطيع به التَّغلُّب على هذا الواقع.

(١) الموارد البشريَّة:

نحن عندنا القوة البشريَّة، الموارد البشريَّة، عندنا ثلث مليار من البشر في العالم العربيِّ ـ فضلًا عن رصيدنا الهائل في العالم الإسلامي ـ من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي.

ومعظم هذه القوة البشريَّة من الشباب، فليس عندنا في العالم العربي من المُسنِّين ما عند الأوربيين، هناك حوالي (٧٦٪) من أبناء الجزائر من الشباب، أصبح الشباب هم القوة الأولى في المجتمع الجزائري، بعد أن فقدت الجزائر مليونًا ونصف مليون ـ أو أكثر ـ من أبنائها في حرب الاستعمار، ونسبة الشباب في معظم البلاد العربيَّة ما بين (٦٠٪) و(٧٠٪)، عندنا شباب صاعد واعد، ولكنَّه مُعطَّل للأسف، فعندنا قوة بشريَّة كبيرة لا نستفيد منها.

وبعض الناس يقول مسْتَخِفًّا: وماذا تعني القوَّة البشريَّة؟! وأنَّ العدد في الليمون كما يقولون. لا؛ بل القوة البشريَّة نعمة كبيرة، والله تعالى يقول: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. والشاعر العربي يقول:

وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمُ حصًى ... وإنّمَا العِزّةُ لِلْكَاثِرِ[1]

(١) ديوان الأعشى الكبير صـ١٤٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويقول الآخر:

ملأنا البرَّ حتَّى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا[1]

يفاخر بقوة العدد، ونحن عندنا القوة العددية، القوة البشرية.

(٢) الموارد الاقتصاديَّة:

وعندنا كذلك القوة الاقتصاديَّة، أو المورد الاقتصادي، عندنا موارد هائلة، فلو تكامل العالم العربيُّ بما يملك من سهول زراعيَّة، ومواد معدنيَّة، عندنا عدد من البلاد النفطيَّة، وعندنا في بلاد شتَّى الفوسفات، والحديد، والمنجنيز، وغيرها، وعندنا الجبال، وعندنا الثروة المائيَّة، من البحار، البحر الأحمر، والبحر الأبيض، وبحر العرب، وبحر عمان، والخليج العربي، والمحيط الأطلسي، وعندنا الأنهار، وعندنا الثروة الحيوانيَّة، في السودان والصُّومال وغيرهما مئات الملايين من الرؤوس الحيوانيَّة، عندنا ثروات ماديَّة كبيرة في عالمنا العربي.

(٣) العُمْق الحضاري:

وعندنا كذلك العُمْق الحضاري والتاريخي، فلسنا أمَّة عمرها مائتا سنة مثل أمريكا، نحن أمَّة تضرب بعمق في أغوار التاريخ، فنحن في مصر أصحاب الحضارة الفرعونيَّة، حضارة السبع آلاف سنة، وفي العراق الحضارة الآشوريَّة والبابليَّة والكلدانيَّة، وفي بلاد الشام الحضارة الفينيقيَّة، وفي بلاد المغرب الحضارة القرطاجيَّة.

وكما نشأت كل حضارات العالم في بلادنا، نشأت كذلك كل الديانات في بلادنا، هبط الوحي فيها على موسى، وعيسى، ومحمد؛

(١) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١.

QaradawiBooks.com

وأنزلت التوراة، والإنجيل، والقرآن؛ وقامت اليهوديَّة، والمسيحيَّة، والإسلام، فنحن نملك عراقة حضاريَّة، وعراقة تاريخيَّة لا يملكها غيرنا.

(٤) الرسالة الخاتمة:

نحن أيضًا ورثة النُّبوَّات، ورثة الرسالات السماويَّة، وآخرها الرسالة الخاتمة، رسالة القرآن، رسالة محمَّد ﷺ، وهي الرسالة الوسطيَّة المتوازنة، الَّتي تمزج بين المادة والروح، وتوازن بين العقل والقلب، وتصلُ الأرضَ بالسماء، والمخلوق بالخالق، وتُؤلِّف بين الفرد والمجتمع، وتؤاخي بين الطبقات بعضها وبعض، بين النزعة القوميَّة والنزعة الإنسانيَّة، نحن نملك هذه الرسالة العظيمة.

واقع العالم العربي بالنسبة إلى مقوماته:

العالم العربي ـ إذنْ ـ عنده من القوى العديدة، والإمكانات الهائلة، ما يمكن أنْ يجعله في المقدِّمة، على رأس القافلة، وليس في ذيلها، ولكننا ـ للأسف ـ لم نستفد من هذه القوى والإمكانات، لم نُوظِّف نقاط القوَّة هذه كما ينبغي.

(١) مجال الموارد البشريَّة:

نحن ـ بالنسبة للموارد البشريَّة ـ نعتبر كثرة النَّسل مشكلة، ولا نفكر إلا في تحديد النسل، كأنَّ الأولاد بلوى يجب التخلُّص منها، مع أنَّ عدد الصينيِّين ألف ومائتا مليونٍ من البشر، ومن أكثر الأمم إنتاجًا، ويُصدِّرون لنا ولغيرنا من إنتاجهم، حتَّى المأكولات والمشروبات، مع أننا بلاد زراعيَّة، لماذا لم يعتبروا كثرة الأعداد مشكلة، ووظَّفوها في هذا الإنتاج العريض؟ لماذا لم نوظِّف الشباب كما فعلوا؟

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

لقد جعلتنا مشكلة التخلف والأميَّة غير مستفيدين من القوة البشريَّة، فأصبحنا قوة بشريَّة معطَّلة، عندنا حوالي (٧٠٪) من الشباب في أوطاننا، ولكن ماذا يعمل هؤلاء الشباب؟ يتخرَّج هؤلاء الشباب ولا يجدون عملًا.

(١) هجرة النوابغ:

حتى النوابغ من أبنائنا، تركوا بلادَهم، وهرولوا إلى بلاد الغرب، هذه العقول المهاجرة، هذا النَّزيف البشريّ، عشرات الألوف من النَّوابغ، كثيرٌ منهم أرسلتهم جهات مختلفة إلى بلاد الغرب، حكومات بلادهم، وعائلاتهم، ثم استمرؤوا العيش في تلك البلاد؛ لأنَّ بلادهم لم تُحْسن أنْ تُوظِّفهم، وتجنِّدهم، فوجدوا العيش الرَّغيد، ووجدوا الحريَّة هناك، ولم يجدوها هنا، فأخذتهم أمريكا وأوربا نوابغ جاهزة، في كل الاختصاصات، في الفيزياء، والكيمياء، والفلك، والهندسة النَّووية، وفي كلِّ العلوم والاختصاصات، فحرمت منهم أوطانهم، واستفادت منهم تلك البلاد، هذه بلوى كبرى، لماذا هذا أيُّها الإخوة؟ لأنَّ بلادنا طاردة، وليست جاذبة، تلك البلاد تجذب، ونحن نطرد، لا نرحِّب بالنوابغ، ولا نستثمر الكفاءات، هذا ما رأيناه للأسف الشديد.

أراد أحد حُكَّام العرب، في طفرة من طفرات الحماس، أن يُنشئ مدينة علميَّة، ويأتي بالعقول المهاجرة من العرب والمسلمين إلى هذه المدينة، وبعث دعاته ومندوبيه إلى أوربا، وأمريكا، واليابان وغيرها؛ ليُقنعوا هذه العقول بالعودة، وأعطوهم من الوعود بتوفير كل الأسباب العلميَّة والماديَّة للاستفادة منهم، فتحمَّس كثير منهم وعادوا إلى هذا البلد العربيِّ، فما أنْ وصلوا مطارها أخذوا جوازات سفرهم، فأصبحوا مُقيَّدين، لا يستطيعون أن يتحرَّكوا، أصبحوا في سجن كبير، فإذا أراد

QaradawiBooks.com

أحدهم أن يتنقل يقولون: لا بدَّ من أنْ تأخذ إذنًا من الضابط الفلاني، ولا بدَّ من كذا. فوجدوا أنَّهم لم يعودوا أحرارًا، لقد كانوا أحرارًا فصاروا مسجونين، حتَّى إذا جاءتهم الفرصة واستلموا جوازاتهم ركبوا الطائرة، وقالوا ما قال الشاعر العربيُّ القديم:

عَدَس؛ ما لِعبَّاد عليك إمارةٌ أمنتِ وهذا تحملين طليق[1]

ركب الرجل دابَّته ـ بعد أن أُفرج عنه ـ وقال لها: تجاوزت الخوف والقيد وصرتِ حرَّة. هكذا عندنا قوة بشريَّة غير مُستغلَّة.

كنت في المغرب الأسبوع الماضي، وألقيت محاضرات حضرها أعداد هائلة، وقلت لهم: إننا يجب أن نغيِّر من تفكيرنا، من وعينا، من حكمنا على الأشياء؛ فحينما نقول مثلًا: إنَّ الخمر من الكبائر، والزنى من الكبائر. فهذا صحيح؛ ولكن هناك كبائر كثيرة أخرى يجب أن نضيفها إلى هذه الكبائر، فنقول: التَّخلُّف من الكبائر، والأُمِّيَّة من الكبائر، وتزوير الانتخابات من الكبائر، وكَبْتُ حريَّة الأمة من الكبائر، والمحسوبيَّة من الكبائر، ونهب المال العام من أكبر الكبائر. يجب توعية الموارد البشريَّة بهذا كله، لكي تعمل، وتخدم الأمة، وتتعبَّد لله بخدمة أوطانها.

(٢) المجال الاقتصادي:

ونحن ـ بالنسبة للموارد الاقتصاديَّة ـ عندنا ثروة حيوانيَّة هائلة، ومع ذلك نستورد اللحوم، وعندنا سهول زراعيَّة، وفي السودان وحدها مائتا مليون فدان، منها ثمانون مليونًا صالحة للزراعة في الحال، يُسمُّونه «سلة

(١) البيت لابن مُفَرِّغ الحِمْيَري. انظر: البغال للجاحظ صـ٥٩، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

غلال العالم العربي»، لو تكامل العربي، فنأخذ من هذا رأس المال، ونأخذ من هذا الخبرة الفنيَّة، ونأخذ من هذا اليد العاملة.

نحن نستطيع أن ننتج إنتاجًا كبيرًا، ولكننا بتخاذلنا وتفكُّكنا لم نستطع، فمن مقاييس الأمم نوع إنتاجها، وحجم إنتاجها، ماذا تنتج من المزروعات؟ وماذا تنتج من المصنوعات الثقيلة، والمتوسطة، والبسيطة، فأين إنتاج الأُمَّة؟ الأُمَّة تستهلك، ولا تكاد تنتج، تستورد ولا تكاد تُصدِّر، تقلد ولا تكاد تبتكر، أهدرت قوى الإبداع في الأُمَّة، وعُطِّلت، وأميتت.

أين البحوث العلميَّة، والاقتصاديَّة؟ حينما يريدون أنْ يقيسوا رُقيَّ الأمم في عصرنا يستعملون لغة الإحصاء والأرقام، ولو كان عندي وقت لأتيت لكم بهذه الإحصاءات لأقارن بين العالم العربي وإسرائيل مثلًا، لنعرف كم تنتج إسرائيل؛ وكم ننتج؟ كم تخرج من البحوث العلميَّة؛ وكم نخرج؟ كم عندها من مراكز الأبحاث؛ وكم عندنا؟

يقال: إنَّ دخْلَ العالم العربي ـ بما فيه من بلاد نفطيَّة ـ لا يعادل دخْلَ إسبانيا. ولا نقول: دخْلَ بريطانيا، ولا فرنسا، ولا إيطاليا، ولا ألمانيا. فدخل هؤلاء متقدِّم كثيرًا؛ لأنَّ العالم العربي لا يكاد ينتج، بل أكثر ما يقومون به بناء الأبراج، والعمارات، ثم بعد مدة تخلو هذه المباني، ولا تجد مَنْ يسكنها، لماذا لا تنتج الأُمَّة؟

أنا كثيرًا ما أقول، ولا أملُّ من هذا القول: إنَّ الأُمَّة الزراعيَّة لا تنتج من المزروعات ما يكفيها، فنستورد أكثر من نصف الأقوات، نستورد القمح والأرز، وهنا في الحقيقة نذكر للملكة العربيَّة السعودية أنَّها اكتفت من الحبوب والخضراوات، وكانوا يقولون لها: إنك ترتكبين خطأ كبيرًا؛ كيف تنفقين على أردب القمح خمسين دولارًا، وأنت تستطيعين

QaradawiBooks.com

أنْ تشتريه بعشرين دولارًا؟ لكنهم بعد مدة صاروا ينفقون عليه عشرة دولارات، ولهذا يجب أنْ تنظر أمتنا إلى المستقبل، بحيث تكون أقواتها بين أيديها، إنهم الآن لو كفُّوا عنا أيديهم، أو تأخَّرت الباخرة المُحمَّلة بالقوت نموت جوعًا، أقواتنا في أيدي غيرنا.

وأقول دائمًا أيضًا: أمَّة سورة «الحديد» لم تتعلَّم صناعة الحديد، وفيها يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

ففي قوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. إشارةٌ إلى الصناعات الحربيَّة، وفي قوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾. إشارة إلى الصناعات المدنيَّة، ونحن لم ننجح في الصناعات الحربيَّة، ولا في الصناعات المدنيَّة، نحن في هذا المجال نستورد من غيرنا، كما يقول بعض الأدباء: نستورد من الإبرة إلى الصاروخ. هذه هي أمتنا للأسف.

في أوائل ثورة يوليو حاولوا أنْ ينتجوا صواريخ «الظافر، والقاهر، والرائد»، وبعد ذلك ماتت هذه المصانع، وحدثنا أخونا الدكتور سيد دسوقي عن الألاعيب والمؤامرات الَّتي كانت في ذلك الزمن، وكانت هناك هيئة اسمها «الهيئة العربيَّة للتصنيع»، بتعاون بين مصر، وقطر، والسعودية، والإمارات، حاولوا أنْ يتكاملوا، ويتكاتفوا، ويتكافلوا في العالم العربي وينتجوا إنتاجًا مشتركًا، ثم لمَّا جاءت «كامب ديفيد» تعطَّلت الهيئة.

كنا نريد أن نكون قوة كبيرة تنافس غيرها، فالواحد بمفرده لا يستطيع، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، واليد وحدها لا تُصفِّق،

QaradawiBooks.com

والمصريون يقولون: «إيد على إيد تكيد». وهذا دليل على أهمية التعاون وأثره، «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشُدُّ بعضُه بعضًا**»[1].

لكننا في عصر التكنولوجيا المتطورة، عصر الثورات العلميَّة، الثورة البيولوجيَّة، والثورة الإلكترونيَّة، والثورة التكنولوجيَّة، والثورة الفضائيَّة، والثورة المعلوماتيَّة، والثورة الاتصاليَّة، نريد أن ندخل هذا العصر فرادى مبعثرين، كل بلد يريد أنْ يدخلها بمفرده، مع أنَّ في الدول الصناعية الكبيرة تتعاون دولتان أو ثلاثة في إنشاء طائرة متطورة، وأحيانًا تكون هناك دولة لا تكاد تُرى على الخريطة إلا بالمجهر، وتريد أنْ تكون بمفردها إمبراطوريَّة، وهذا لا يمكن؛ فنحن في عصر الإنتاج الكبير، ولا يمكن أن ينافس الإنتاج الصغير الإنتاج الكبير، هذه قاعدة اقتصاديَّة مقرَّرة، قرَّرها الاقتصاديُّون نظريًّا، وطبَّقها الواقع عمليًّا، فكيف نستطيع وحدنا أن نُنشئ حضارة زراعيَّة صناعيَّة متكاملة؟

إنَّ الأمة تتحدَّث عن التنمية صباحًا ومساءً، وتملأ بها الصُّحف، في أعمدة الكتاب، وتحقيقات الصحافيين، ولكنْ هل نمونا حقًّا؟ لا؛ بل لا زلنا متخلفين؛ لأننا كلما تقدَّمنا خطوة تقدَّم الآخرون خطوات، إنَّ المسافة بيننا وبين القوم بعيدة جدًّا.

والغريب أنَّ مُضِيّ الزمن لا يُقرِّبُ المسافة، بل كلما مضى الزمن اتَّسعت الهُوَّة، وتعمَّقت الفجوة العلميَّة بيننا وبينهم؛ لأننا نسير بسرعة الجمل وهم يسيرون بسرعة الصاروخ، فإذا ركبنا سيارة ركبوا هم الطائرة، وإذا ركبنا طائرة ركبوا هم الصاروخ، والواقع أنَّ السيَّارة والطائرة الَّتي

(١) سبق تخريجه صـ١٤٥.

QaradawiBooks.com

نركبها هي مـــن صُنعهم، فنحن نعتمد على الصناعـــات التَّجميعيَّة، ولم نصنِّع ـ حتَّى الآن ـ مُحرِّكًا (موتورا) في بلادنا العربيَّة.

لماذا كل هذا؟ لأننا نريد أن نعمل فـــرادى، لا بدَّ أنْ يتكامل العالم العربي، ويعلم أنَّه لا قوَّة له إلا بأن يتوحَّد، ومن مظاهر التوحُّد ما يتجلَّى في الجانـــب الاقتصاديِّ، الزراعيِّ، والصناعـــيِّ، والتنمويِّ، إذا أردنا أن نُنمِّي الأُمَّة تنمية حقيقيَّة، ونخرجها من عالم التَّخلُّف لا بدَّ من التَّوحُّد، لا بدَّ من التكامل، كل بلادنا العربيَّة تُنسب إلى ما يُسمَّى العالم الثالث، أي عالم المتخلِّفين، ولكنهم تلطفوا معنا وسمونا البلاد النامية، لكن هل نحن بلاد نامية؟ لا، بل نحن ـ كما قال بعض الظرفاء ـ بلاد نائمة، ولسنا بلادًا نامية. هذا هو واقعنا الاقتصادي المؤلم.

(٣) حضارة الأُمَّة ورسالتها:

ونحن ـ بالنســـبة لتاريخنا وعمقنا الحضاري ـ لم نستفد منه، وكان يجب أن نعيش مع الأمم الغابرة في حضارتها وتميُّزها، لنستلهمَ القوَّة، ونجنِّد الأمة.

والرســـالة الروحيَّة الَّتي تملكها هذه الأُمَّة لم تســـتفد منها أيضًا، ونحن ـ أيها الإخوة ـ لا يمكن أن نســـابق العالم، ونتبوَّأ مكانتنا تحت الشـــمس، ونثبت وجودنا، أننا أمة ذات تاريـــخ، وذات حضارة، وذات رســـالة، أننا أمة عريقة؛ إلا إذا اســـتمددنا من تاريخنا، ومن رســـالتنا السماويَّة، وخصوصًا رسالة الإسلام.

دور الإيمان:

لا بدَّ أن نســـتمدَّ الإيمان من رسالة الإســـلام؛ فلا يمكن أن نسابق

QaradawiBooks.com

الآخرين أو نلحق بهم؛ إلا إذا جنَّدنا الأمة لتعمل من أجل رسالة كبيرة، من أجل هدف عظيم، لنجعل منها أمَّة عملاقة، تصنع المعجزات، وتتخطَّى المستحيلات.

أمَّا إذا ظلت الأُمَّة على ما هي عليه فلن تستطيع ذلك، فبالإيمان وحده تستطيع الأُمَّة أنْ تفعل الكثير، فهو أهم ما تحتاج إليه الأُمَّة في مرحلتها القادمة، مرحلة التغيير والإصلاح، فإذا كنا نتحدَّث عن المستقبل، فلا يمكن للأُمَّة أنْ تتغيَّر إلا إذا غيَّرت ما بأنفسها.

ضرورة الإصلاح والتغيير:

وإذا ظلَّ الحال على ما هو عليه، القديم على قِدمه، وليس في الإمكان أبدع ممَّا كان، وما ترك الأول للآخر شيئًا، وأنَّه ليس هناك فائدة؛ فلا يمكن أنْ تتغيَّر الأُمَّة، لا بدَّ من تغيير هذا الفكر، والكفِّ عن ترديد هذه الأقوال، لا بدَّ أن نُغيِّر الأفكار، لا بدَّ أن نُغيِّر الأنفس، لا بدَّ أن نُغيِّر الإرادات، لا بدَّ أن نصنع أمَّة جديدة، ولا يصنع هذا إلا الإيمان.

نحن نريد إصلاح الأُمَّة، نريد إصلاح كلِّ شيءٍ فيها، التَّعليم، والاقتصاد، والسياسة، والأسرة، والفرد، والدستور، إلى آخره، وأساس الإصلاح في هذا كلِّه هو الحرية، ففي ظلال الحريَّة نصنع الإيمان، وفي ظلال الإيمان نصنع الإنسان، ومن خلال الإنسان تنهض الأوطان.

الحرية قبل الشريعة:

وأنا كثيرًا ما قلت في برنامج الشريعة والحياة: إنَّ توفير الحريَّة مُقَدَّمٌ عندي على تطبيق الشريعة الإسلاميَّة. وغضب مني بعض الإسلاميِّين لهذا القول، فقلت: أنا أُصرُّ عليه؛ لأنَّنا لا نستطيع أن نقيم إسلامًا

QaradawiBooks.com

صحيحًا؛ إلا إذا وفَّرنا الحُريَّة للناس، فأنا أريد للناس أنْ يختاروا الإسلام اختيارًا حُرًّا، ولا يُفرَض عليهم فرضًا، لا أريد أنْ أسوق الناس بالعصا، لا أريد أن أقهر الناس على الإسلام، وإنَّما أريد أنْ يقول الناس مختارين: نحن نريد الإسلام، نخن لا نجد حلًّا لنا، ولا لمشكلاتنا؛ إلا في الإسلام.

نريد أنْ يدرس الناس الإسلام، ويعرفوه على بصيرة واقتناع، لا نريد الإسلام التلقينيَّ التقليديَّ، لا؛ بل نريد إسلام التَّجديد، الَّذي يُفتح فيه باب الاجتهاد لأهله، وفي محلِّه، ونرى فيه مشكلاتنا على ضوء الواقع، ننظر إلى الواقع بعين، وإلى التراث بعين، ونجمع بين الأصالة والمعاصَرة، أو بين السلفيَّة والتَّجديد، هذا ما نريده أيها الإخوة، نريد في ظل الحريَّة أنْ يختار الناس الإسلام.

والحرية هي الَّتي تصنع الرجال، أمَّا الاستبداد فهو الَّذي يصنع العبيد، العبيد هم الذين يُساقون بالعصا، هم الذين يُساقون بالسياط، أمَّا الأحرار فهم الذين يستطيعون أنْ يقولوا بملء أفواههم: لا.

يجب أن نجاهد في سبيل الحريَّة، الشعب يطلب الحريَّة، ولكنَّه غير مُستَعدٍّ أنْ يُضحِّي في سبيلها، وإنْ كان هناك من يُضحِّي، بعض الصحافيين يؤْخَذون ويُضْرَبون ويُسجَنون، وهذا ثمن الحريَّة، الحريَّة تؤْخذ ولا تُوهب، لا بدَّ أن نطلب الحرية، ولا أقول: هذا في مصر وحدها. بل في كل البلاد.

ويجب أنْ يعلم حُكَّامنا أنَّ توفير الحريَّة هو الَّذي يصنع المواطن الحُرَّ، فلا يمكن أنْ يكون المواطن الحر في بلد يسودُه الاستبداد والاستعباد، وأمَّة من العبيد لا تستطيع أنْ تنهض، فالأُمَّة الَّتي تعيش

QaradawiBooks.com

تحت نِير الاستعباد ستظل عالةً على غيرها، عالة على اقتصاد الغير، وعالةً على سياسات الغير، وهذه لا يمكن أنْ تكون أمَّة، ستظل تعيش على الديون، ثم تظل تُسدِّد ـ لا الديون نفسها ـ بل في خدمة الديون، في فوائدها، وأقساطها، وتسدِّد الديون بديونٍ أخرى، وكما قال الشاعر:

إذا ما قضيْتَ الدَّيْنَ بالدَّيْنِ لم يكن قضاءً ولكن كان غُرْمًا على غُرْمِ[1]

نريد الحريَّة للأمَّة، ففي ظلالها ينمُو الإيمان، ينمُو اليقين، يحبُّ الناس الله ورسولَه، يحبُّون الدين، يحبُّون العبادة، ويحبُّون الخير، ويحبون بعضهم بعضًا.

كلمة الختام:

إنَّ أمَّتنا ـ أيُّها الإخوة ـ تملك من مقوِّمات النهوض، ومن نقاط القوة، ما يجعلها قادرة على أنْ تبني نفسَها من جديد، وأنْ تكونَ في رأس القافلة، ولكنها لا توظِّف هذا كله، ولا يمكن لها ذلك إلا إذا وفَّرنا لها حريَّتها، وعزمنا على أن نغيِّر ما بأنفسنا، فالقرآن كرَّر وأرسى قاعدة إلهيَّة، وسُنَّة اجتماعيَّة، لا تتخلخل ولا تتبدَّل، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]. فلا بدَّ أن نتغيَّر، ولكننا لا نتغيَّر كما تريد أمريكا، وإنَّما نُغيِّر أنفسنا بأنفسنا لأنفسنا، لا نتغيَّر لنحقِّق أهداف الآخرين، ولا بأيدي الآخرين، لا؛ بل نُغيِّر بأيدينا، ونُغيِّر بأفكارنا، ونُغيِّر بإرادتنا، ونُغيِّر لتحقيق أهدافنا نحن، هذا

(١) من شعر ثعلبة بن عُمَيْر الحنفي، كما في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري (٣٢٥/٤)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

ما لا بدَّ منه، فبدون هذا التَّغيير، وهذا الإصلاح الحقيقي الشامل، الَّذي يشمل الحياة كلها، سياسيَّة، واقتصاديَّة، واجتماعيَّة، وأخلاقيَّة، وثقافيَّة، ودينيَّة ـ لن تتقدَّم الأُمَّة، وسيكون المستقبل مظلمًا والعياذ بالله.

بشائر الأمل:

ولكنَّ أملنا كبير في هذه الأُمَّة، أنَّها قادرة على أنْ تُغيِّر ما بأنفسها، والشكوى من الخلل والاضطراب، والشكوى من الاستبداد والفساد، والشكوى من الضعف والهوان، الشكوى من هذا كله دليل على أنَّ الأُمَّة بدأت تغلي، وهذا الغليان لا بدَّ أنْ يؤدِّي إلى انفجار في وقت ما، فلا بدَّ أنْ تتغيَّر الأمة، تتغيَّر من داخلها لا من خارجها، ومن باطنها لا من ظاهرها، من أنفسها لا من آذانها، فالبهائم هي الَّتي تُقاد من آذانها، أمَّا الإنسان فيُقاد من رأسه، يقادُ من ضميره، يقادُ من قلبه.

وإذا كان الماركسيُّون في وقت من الأوقات قالوا: غيِّرْ الاقتصاد، أو علاقات الإنتاج؛ يتغيَّر التاريخ. فنحن نقول: غيِّرْ نفسك؛ يتغيَّر التاريخ، أو على حدِّ التعبير القرآني: غيِّرْ ما بنفسك؛ يتغيَّر التاريخ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أسأل الله تعالى أنْ يفقِّهنا في ديننا، وأنْ يفقِّهنا في دنيانا، وأنْ ينيرَ بصائرَنا، وأنْ يجعلَ يومَنا خيرًا من أمسنا، وأنْ يجعلَ غدَنا خيرًا من يومنا، وأنْ يُحْسِنَ عاقبتَنا في الأمور كُلِّها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي على أسئلة المحاضرة

في قضيَّة الجهاد المعاصر:

السؤال الأول: فضيلة الداعية الكبير؛ يُجمع الفقهاء على أنَّ إعلان الجهاد والدعوة إليه منوطٌ بوليِّ الأمر، وفي واقعنا المعاصر عندما يصبح ولاة الأمر من مُنظِّري المغامرة، ومن دعاة الانبطاح، ما هو موقفنا، ونحن مفروض علينا فقط أن نشاهد المجازر على شاشات الفضائيَّات، ونحن جالسون في بيوتنا بلا حوْل ولا قوَّة؟ وكيف يوازن الفكر الإسلامي في رأيكم بين ضرورات عدم الخروج على الحاكم، ومستلزمات الواقع الَّذي يلزمنا بالجهاد، هل يمكن اختزال مفهوم الجهاد في التبرع بالمال؟

الجواب: قسَّم الفقهاء الجهاد إلى قسمين: هناك ما يسمُّونه جهاد الطلب، وهناك جهاد آخر اسمه جهاد الدفع.

جهاد الطلب:

جهاد الطلب هو غزو الأعداء في بلادهم، ما يسمُّونه الآن: الحرب الوقائيَّة، والحرب الاستباقيَّة، كانت بين المسلمين وأعدائهم علاقات متوترة، فإما أنْ يغزو المسلمين، أو أنْ يغزوهم المسلمون، وهذا النوع من الجهاد يعتبره الفقهاء فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الآخرين، وهو لا يجوز إلا بإذن وليِّ الأمر، وترتيب وليِّ الأمر، فهذا جهاد اختياري، فوليُّ الأمر هو الَّذي يقول: عندنا قوة لغزو الأعداء، أو لا.

QaradawiBooks.com

جهاد الدفع:

وجهاد الدفع هو أنْ يدخل الأعداء بلاد المسلمين، فهنا يجب على أهل البلد جميعًا أنْ يدفعوا الغُزاة، لا ينتظروا وليَّ الأمر، هم ينظِّمون أنفسهم ويقاومون الأعداء، حتَّى قال الفقهاء في هذا النوع من الجهاد الَّذي يعتبرونه فرضَ عين: تخرج المرأة بغير إذن زوجها، والولد بغير إذن أبيه، والخادم بغير إذن سيِّده، والمرؤوس بغير إذن رئيسه. لأنَّ حقَّ الجماعة فوق حقوق الأفراد، فإذا ضاعت الجماعة ضاع الأفراد، فمن أجل هذا يخرج الجميع للجهاد، وليس لأحد أنْ يمنع أحدًا غيره من الخروج، كلٌّ يفعل ما يقدر عليه، فإذا قدر أهل البلد على أنْ يردُّوا هذا العدوَّ الغازي، فَبِها ونِعْمَت، وإلَّا فيجب على جيرانهم أنْ يعاونوهم، الأدنى فالأبعد، حتَّى يشمل الأُمَّة جميعًا.

وجوب الجهاد في فلسطين:

ونحن منذ فترة نقول: إنَّ الجهاد لتحرير أرض فلسطين، وتحرير المسجد الأقصى، أصبح فرض عين على الأمة كلها؛ لأنَّ الفلسطينيِّين لا يستطيعون وحدَهم الانتصار على إسرائيل، خصوصًا أنَّ إسرائيل ليست وحدها، وإنَّما يؤيِّدها ويدعمها كل يهود العالم، إلا فئة قليلة ترى أنَّ إسرائيل شرٌّ على اليهود، وسينتهي بالنقمة عليهم، ويكفي أنَّ أمريكا تؤيِّد إسرائيل وتدعمها، فلولا المال الأمريكيُّ، ولولا السلاح الأمريكيُّ، ولولا النفوذ الأمريكيُّ، والفيتو الأمريكيُّ، الَّذي يقف بالمرصاد لأيِّ إدانة لإسرائيل؛ ما استطاعت إسرائيل أنْ تصول وتجول وتعربد وتقتل وتغتصب، ولذلك نقول: إنَّ الجهاد الآن فرض على المسلمين جميعًا.

QaradawiBooks.com

وقوف الأنظمة ضد الجهاد:

ولكن إذا وقفت الحكومات ضد هذا الجهاد، فما عساك تفعل؟ جاء إليَّ شاب من عائلة كبيرة في قطر، من أصهار الأسرة الحاكمة، وأقربائها، وقال لي: أنا جمعت ثلاثين شابًّا، وتدرَّبت تدريبًا جيِّدًا، ونريد أن نذهب إلى فلسطين، وأريد أنْ أعلنَ الجهاد، وأنْ أذهب ـ راكبًا فارسًا، حاملًا للبندقيَّة، بصحبة ثلاثين شابًّا ـ إلى فلسطين.

فقلت له: جزاك الله خيرًا يا بُنيَّ، هذه روحٌ طيِّبة، ولك أجرها، ولكن مَنْ يُمكنك من هذا؟ قال: أنا كلَّمت المسؤولين هنا. وقالوا: يمكن. فقلت له: حتَّى لو قبل المسؤولون في قطر منك هذا؛ كيف تدخل السعوديَّة، وكيف تخرج منها، وكيف تدخل الأردن، وكيف تخرج منها؛ كيف تقتحم هذا كله وتخرج منه سالمًا؟ قال: سأحاول. وفعلًا حاول، وذهب إلى منطقة على حدود قطر، اسمها سلوى، وهناك قالوا له: يا ابني هذه منطقة حدوديَّة، أنت تحلم، أين تذهب وتجيء؟! فرجع من حيث أتى.

اصطحاب نيَّة الجهاد:

إذنْ ماذا على الإنسان أنْ يفعل في هذه الحالة؟ الإنسانُ المسلمُ الَّذي يتحرَّق شوقًا إلى الجهاد؟ وأنا وجدت ـ والله ـ في كل البلاد العربيَّة، وكل البلاد الإسلاميَّة، من إندونيسيا إلى ماليزيا إلى باكستان، إلى الجزائر والمغرب، كل البلاد في أفريقيا وآسيا وغيرهما، الشباب المؤمن يتحرَّق شوقًا إلى الجهاد والشهادة في سبيل الله، ولكن دول الطوق تحمي إسرائيل، لا تُمكِّن أحدًا من مثل هذا، لهم سياستهم؛ فماذا نفعل؟ هل نصطدم بالحُكَّام ونُحاربهم؟ ليس لهذا نتيجة إلا مزيدًا من

QaradawiBooks.com

ضحايا البشر، وقد جرَّب الكثيرون قتال الحكومات؛ فماذا جنوا؟ انتهوا إلى أنَّه لا فائدة من هذا الصِّدام.

ونحن نقول هنا: على الشاب المتحمِّس للجهاد والمقاومة أنْ يصطحَب نيَّة الجهاد في سبيل الله، هذه النيَّة تجعله كأنَّما يجاهد؛ لأنَّ نيَّة الفرد أحيانًا خير من عمله، وفي الحديث الصحيح الَّذي رواه الإمام مسلم يقول: «**مَنْ سأل اللهَ الشهادةَ بصدق، بلَّغه الله منازلَ الشهداء، وإنْ ماتَ على فراشه**»[1]. هذا أمر.

المقاومة الفكريَّة:

وأمر آخر: هناك أنواع من المقاومة، فليست كل المقاومة عسكريَّة، هناك مقاومة سياسيَّة، وهناك مقاومة فكريَّة، فعلى إخواننا الصحفيين والكتاب أنْ يقاوموا بالقلم، بتوعية الأمة، وإعدادها، وتهيئتها، وإحيائها روحيًّا وفكريًّا، فكما أنَّ هناك مَنْ يريد أنْ يميت الأُمَّة، هناك مَنْ يريد أنْ يُحيي الأُمَّة، فعلى أصحاب الأقلام المؤْتَمنين أنْ يُحيوا روح الأُمَّة، هذا نوع من المقاومة.

المقاومة الاقتصاديَّة:

وهناك المقاومة الاقتصاديَّة، وهذه المقاومة ذات وجهين

مقاطعة العدو:

الوجه الأول: هو المقاطعة الاقتصاديَّة، أن نقاطع البضائع الإسرائيليَّة والأمريكيَّة، كثيرًا ما يتحمَّس الناس لهذه القضيَّة، وبعد قليل ـ كعادتنا ـ يصيبهم الفتور شيئًا فشيئًا، وعلينا دائمًا أن نوقظ قضيَّة المقاطعة، نشعل

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٩)، وأبو داود في الصلاة (١٥٢٠)، عن سهل بن حنيف.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الجمرة؛ حتَّى لا تتحوَّل إلى رماد، والناس عندهم الاستعداد، فهذه قضيَّة في ملك الإنسان، فلا يجبرك أحد على أنْ تشتري منتَجًا إسرائيليًّا أو أمريكيًّا، وكان المصريون بعد «كامب ديفيد» يرفضون شراء بضائع إسرائيليَّة، وظلوا كذلك، حتَّى احتال بعض الناس فأدخلوا البضائع الإسرائيليَّة تحت أسماء بلدان أخرى، قبرص وغيرها، وكان المصريون لا يذهبون إلى إسرائيل، يأتي السيُّاح من هناك، ولا يذهب سيُّاح إلى هناك، ولكن في الفترة الأخيرة ـ للأسف ـ علمت أنَّ هناك بعض الأفراد ـ تحت ضغط الفقر والبطالة ـ يذهبون إلى هناك للعمل، وبعضهم تزوَّج من إسرائيليَّات، سمعت أنَّ عددهم خمسة عشر ألفًا، فهذه المقاطعة مطلوبة، المقاطعة الاقتصاديَّة، والمقاطعة السياحيَّة، والمقاطعة الثقافيَّة، فلا نستورد أفلامهم، ولا نشاهد سينماتهم.

المقاومة بالمال:

والوجه الآخر من المقاومة الاقتصاديَّة: هو أن نُعطي المالَ لإخواننا المجاهدين، وخصوصًا إخواننا الفلسطينيين؛ فهم يحتاجون إلى الدرهم، والدينار، والجنيه، والقرش، والفلس؛ لأنَّهم لا يجدون القوت، مُحاصَرون، مُحَارَبون، لا يستطيعون دفع الرواتب، حتَّى أموالهم الَّتي يحصلونها من الجمارك يُصادرونها، ولذلك ما ندفعه لإخواننا حق لهم؛ وأنا أستنكف أن أسمِّيه تبرُّعات، فهو نوع من الفرائض الَّتي يتطلَّبها واجب الوقت، ونحن مُطالَبون بالجهاد بالمال، كما يقول الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]. فهم يُجاهدون بأنفسهم، فلنجاهد نحن بالمال، بما نستطيع، هم يبذلون الأرواح؛ أفلا نبذل نحن القليل من المال؟

QaradawiBooks.com

وقد قلت: إنَّه يجوز دفع الزكاة لهم؛ لأكثر من وجه، ويجوز تعجيل الزكاة لهم، والأموال الحرام الَّتي يريد أنْ يتوب منها صاحبها، والتي فيها شبهة، ولا يريد أنْ يأكل الحرام، فهي حرامٌ عليه حلال لهؤلاء.

المقاومة بالدعاء:

وأقل ما يمكن أن ندعوَ الله لهم أنْ ينصرهم، ويسدِّد رميتهم، ويقوِّي شـــوكتهم، ويجمع كلمتهم، ويأخذ أعداءَهم أخذًا أليمًا شـــديدًا، وينزلَ عليهم بأسَـــه الَّذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، ندعو لهم في صلواتنا، وخَلواتنا، والأئمة يدعون لهم في المساجد.

أنا شـــهدت في هذه الزيارة إلى مصر أربع صلوات جمعة؛ فلم أجد أحدًا يتكلم ـ لا في الخطبة الأولى، ولا الثانية ـ عن قضيَّة فلسطين، أو قضيَّة لبنان!

يجب على الأقل يا أخي أنْ تذكِّر الناس بذلك، حتَّى يشعروا أننا أمَّة واحدة، كيف نقول: أننا أمَّة العرب، ثم لا نتحدث عنهم، ولا حتَّى ندعو لهم؟!

هناك قنوت يســـمِّيه العلماء «قنوت النوازل»، قالـــوا: عندما تنزل بالمسلمين نازلة شديدة، كارثة، أو مجاعة، أو زلزال، أو مداهمة عدوٍّ لديارهم؛ فعلى المسلمين أنْ يقنتوا في الصَّلوات، وخصوصًا الصَّلوات الجهريَّة، بعد القيام مـــن الركوع الأخير في الصـــلاة، فيدعوا الله أنْ يكشـــف كربَهم، ويرفع غمَّتهم، وينصرهم. هذه كلها أســـلحة، فمن لا يملك سلاح المقاومة المباشرة، يملك من هذه الأسلحة ما يملك، ويؤدي واجبه.

QaradawiBooks.com

صمت الأنظمة عن جرائم العدو الصهيوني:

السؤال الثاني: ما تعليق فضيلتكم على اختطاف العدو الصهيوني لعدد من وزراء السلطة الفلسطينيَّة، وعشرات النُوَّاب من المجلس التَّشريعي، وعلى رأسهم الدكتور عزيز الدويك رئيس المجلس؟

الجواب: ماذا أقول؟! نحن عندنا حكمة تقول: إذا كان الكلام من فضة، فالصمت من ذهب. فهؤلاء الحكَّام يعملون بهذه الحكمة، أنْ يسكتوا، وهذا السكوت في الحقيقة مرفوض، فكما يقال: الساكت عن الحقِّ شيطانٌ أخرس. فإذا كان المتكلِّم بالباطل شيطانًا ناطقًا، فإنَّ الساكت عن الحقِّ شيطان أخرس.

كنا قديمًا نحتجُّ، وندين، ونرسل إلى العالم رسائل شكوى، ولكننا أحيانًا لا نجد الشكوى، والشجب، والاستنكار، والاحتجاج، والصراخ؛ وإذا احتججنا أحيانا نحتجُّ بصوت خافت، لا يكاد يُسمَع، فنحن ناس مؤدَّبون، لا نرفع صوتنا على من هو أكبر منا، والماء ينزل إلى أسفل، ولا يصعد إلى أعلى، والعين لا ترتفع عن الحاجب، هذا هو الحال للأسف، والصوت الخافت يُنيم اليقظان، والصراخ يوقظ النائم، فإذا احتججنا يجب أن نصرخ، ولو بالكلام، ولكن حتَّى الكلام لم نعد نسمعه للأسف.

التصدُّق بثمن العقيقة:

السؤال الثالث: هل يجوز لنا أن نتبرَّع بثمن العقيقة لإخواننا في حماس؟

الجواب: نعم يجوز؛ فالأصل في العقيقة أنْ تُذبَح بين أهلها؛ ولكن إذا استطعنا أن نذبحها في فلسطين، ندفع إليهم ثمنها، ونُبيِّن لهم أنْ

QaradawiBooks.com

يذبحوا خروفًا أو خروفين عن ابن أو بنت مثلًا، ويوزِّعوها هناك، فنكون قد أدَّينا الشعيرة، وجاهدنا بأموالنا، ونحن في حالة ضرورة.

السُّنَّة والشيعة بين التقارب والاختراق:

السؤال الرابع: شيخنا الجليل؛ تابعنا دوركم الهام أثناء العدوان الصهيونيِّ على لبنان، واستمعنا لفتواكم الشجاعة بضرورة دعم المقاومة اللبنانيَّة، والتي جاءت متفقة مع نبض الشارعين العربيِّ والإسلاميِّ، ولكننا فوجئنا بموقف لبعض المشايخ والدعاة يهاجمون حزبَ الله، ويهاجمون نُصرته، والدعاء له، بحجَّة أنَّه من الشيعة الضالَّة؛ فهل نطمح أنْ تصدروا قريبًا كتابًا عن حقيقة الشيعة المعاصرين، ومستقبل الخلاف بين أهل السُّنَّة والشيعة؟

الجواب: أنا أصدرت رسالة بعنوان «مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلاميَّة»، وذكرت فيها عشرة مبادئ، أو عشر قواعد، للحوار والتقريب؛ لأن هذا الأمر ينبغي أنْ يقوم على المصارَحة حقيقةً.

وأنا منذ حوالي ثماني سنوات زرت إيران، أيام الرئيس خاتمي، الَّذي استقبلني استقبالًا حافلًا، كما استقبلني المسؤولون، وآيات الله العظمى هناك استقبالًا حافلًا وهائلًا، ولكنِّي قلت لهم: إذا أردنا أنْ يكون هناك تقارب حقيقي فعلًا، فلا بدَّ من أمور:

منها أن نمتنع عن الأشياء المثيرة، منها أنْ تكفُّوا عن الكلام بأنَّ القرآن ناقص، فهم يعتقدون بأنَّ المصحف الَّذي بين أيدينا كلام الله، وهم يفسّرونه، ويحتجّون به في الفقه والعقائد وغيره، ولكنهم يقولون: إنَّ المصحف الموجود ليس هو كل القرآن. وكلامهم عن القرآن غير مقبول، وبعضهم يرفض هذا الكلام، وبعضهم يعتبره عقيدة مقررة، فنحن نقول لهم: لا بدَّ من السكوت عن القرآن.

QaradawiBooks.com

كما يجب السكوت عن أئمة السُّنَّة، البخاري، ومسلم، وأبي حنيفة، ومالك، وابن حنبل، وأمثالهم.

وأهم من ذلك أن نسكت عن سبِّ الصحابة؛ فهم يتقرَّبون إلى الله بسبِّ الصحابة ولعنهم؛ ولا يمكن أن نلتقي معًا، ونحن نقول: أبو بكر، وعمر، وعائشة، وطلحة، والزبير، رضي الله عنهم. وهم يقولون: لعنهم الله. فهذا لا يمكن، ثم إنَّ المسلم ليس سبَّابًا. ولذلك حينما سئل عمر بن عبد العزيز عمَّا جرى في الفتنة، قال: تلك دماء طهَّر الله منها أيدينا، فلا نُلطِّخ بها ألسنتنا[1].

وسئل الإمام أحمد عن هذا فقال ما قاله الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

ولمَّا أخذ بعض الشيعة يقولون للشيخ محمد الغزالي: إنَّ سيدنا عليًّا كان أحقَّ بالخلافة من أبي بكر وعمر. قال لهم: لقد مات أبو بكر، وعمر، وعليٌّ رضي الله عنهم، وبات ما تقولون تاريخًا، وأصبح الخواجات هم من يحكموننا. الاستعمار هو من يحكمنا مباشرة أو من وراء ستار، فمسألة سبِّ الصحابة ولعنهم لا يمكن معها التقارب.

وقلت لهم أيضًا: لا ينبغي أنْ يبشِّر أحدُنا بمذهبه في البلاد الخالصة للمذهب الآخر، فلا ينبغي أن أذهب للتبشير بالمذهب السنِّي في «قُمّ»، ولا يجوز أنْ يبشِّروا بالمذهب الشيعي في مصر، أو السودان، أو الجزائر، فهي بلاد سُنِّيَّة خالِصة، ثم ماذا تكسبون؟ فردًا أو اثنين، أو عشرة أو عشرين، أو مائة أو مائتين، أو حتَّى ألفًا أو ألفين! ولكنك بذلك ستخلق توترًا ضدَّ المذهب، ستجد البلد كله يعاديك، فالتقارب ليس معناه أنْ

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٤/٩).

QaradawiBooks.com

تُحوِّل السُّنِّي إلى شيعي، أو الشيعي إلى سُنِّيٍّ، وإنَّما نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويسامح بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، كما هي القاعدة الذهبيَّة.

سمع هذا الكلام الشيخ آية الله التَّسخيري، فقال لي: صدقت والله؛ ونحن كان بيننا وبين ثورة الإنقاذ في السودان مَودَّة، وصلة حميمة، وفتحنا لنا مكتبًا هناك، ورحَّبت الحكومة بهذا، ثم جاء مدير المكتب ونشر رسالة على لسان شخص تونسي، كان سنيًّا ثم تشيَّع، وكتب رسالة سمَّاها «ثمَّ اهتديت»، أنَّه كان ضالًّا بالتمسك بالمذهب السنِّي، ثم اهتدى إلى الحق عندما اعتنق المذهب الشيعي، ووزَّع منها عدة آلاف، فلما شعرت الحكومة السودانيَّة أغلقت المكتب، وطردت المدير. فهذه القضيَّة خطيرة.

وأنا كنت أعلم أنَّ مصر سنيَّة خالصة، وهم حاولوا من قديم نشر المذهب الشيعي، مع أن أول مَنْ قام بالتقريب شيوخ الأزهر، فأنشؤوا دار التقريب هنا في الزمالك، مثل الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ محمد المدني، حتَّى الشيخ حسن البنا أيَّدهم في هذا، وظلت سبع عشرة سنة، وأصدروا «رسالة التقريب» في قلب مصر.

كما استقبل الإخوان في المركز العام تقي الدين القُمِّي أمير مركز التقريب، واستقبلوا نواب صفوي زعيم «فدائيان إسلام»، وأنا كنتُ معه في جامعة القاهرة، قبل حل الإخوان سنة (١٩٥٤م)، كان الإخوان في جامعة القاهرة يحتفلون به، فتعاملنا معهم معاملة طيبة.

ولكنهم حاولوا من ذلك الوقت أنْ يخترقوا مصر، ويدخلوا فيها التَّشيُّع، على أساس أنَّ مصر تحب آل البيت، وفيها مقام الحسين،

QaradawiBooks.com

والسيدة زينب، والسيدة رقية، والسيد البدوي، وكل المسلمين يحبون آل البيت، ولكن هذا الحب شيءٌ، والتَّشيُّع شيءٌ، ثم إنهم رأوا أنَّ التَّصوَّف قنطرة إلى التَّشيُّع، ولكنهم فشلوا في ذلك سنين طويلة.

والآن عرفت أيها الإخوة أنَّهم في السنوات الأخيرة اخترقوا مصر، وأنا منذ سنتين ألَّفت كتابًا اسمه «تاريخنا المفترى عليه»، أثبتُّ فيه أنَّ الإسلام كان أساس الحياة الإسلاميَّة خلال ثلاثة عشر قرنًا، قبل أنْ يدخل الاستعمار بلاد المسلمين، فكان القضاء إسلاميًّا، يحتكم الناس في المحاكم بشريعة الإسلام، وكان الإفتاء إسلاميًّا، إذا حلَّت بالناس مشكلة يستفتون العلماء، فيفتونهم بالإسلام، وكان التعليم إسلاميًّا، يشرف العلماء على المدارس، وكانت الأوقاف، والحياة الاجتماعيَّة إسلاميَّة، وإنَّما تركَّز الانحراف في قصور الحكام، وهذه القصور ليست لها سيطرة على المجتمع، ولا على التَّعليم، ولا على الإعلام.

ولكنِّي وجدت من يرد على كتابي هذا، فمن عدة أشهر جاءني أحد الإخوة، وقال لي: هل رأيتَ هذا الكتاب؟ فقلت: ما هو؟ فإذا بي أقرأ كتاب «القرضاوي وكيل الله أم وكيل بني أميَّة؟»، فقلت: هذا يرد على كتابي «تاريخنا المفترى عليه»، وظننت أنَّ كاتبه من إيران، أو العراق، أو لبنان، فإذا بي أجد في آخر الكتاب: مصر، المنصورة، والبريد الإلكتروني كذا، والتليفون كذا!

شيعي! في مصر! وفي المنصورة! إلى حد أنْ يرد على يوسف القرضاوي؟! فقلت لسكرتيري: اتصل، واسأل لنا عن هذه المصيبة، فاتصل، وقال له الإخوة: نعم، هذا الشخص تشيَّع، وأصبح يتردَّد ما بين مصر وطهران، بين الحين والآخر.

QaradawiBooks.com

ومن هنا أقول، أيها الإخوة: أنا أدعو إلى التقريب بين المذاهب، وأؤيِّد حزب الله في مقاومته؛ ولكنِّي لا أقبل أبدًا أنْ يكون هذا سببًا في اختراق البلاد السُّنِّيَّة؛ لأن هذا ـ إذا حدث ـ ستحصل من ورائه فتنة وحريق يأكل الأخضرَ واليابس، المصريون سُنَّة، ولم يعرفوا التعصب في الخلافات، أنْ يكون هذا حنفي، وهذا مالكي، وهذا شافعي، وهذا حنبلي، كلها مذاهب سُنِّيَّة.

أمَّا الخلاف الَّذي يحصل الآن في العراق، بين السُّنَّة والشيعة، وما يُخلِّف من مذابح ومجازر يوميًّا، يمكن أنْ يحصل هنا لو استمر هذا الاختراق، وحدث نوع من التبشير بالمذهب الشيعي، واستجاب له بعض الناس، فيقف الآخرون ضدهم، وتكون فتن ومجازر لا تنتهي.

ولهذا أقول: يجب أن نكون على يقظة، فنتعاون مع إخوتنا، وندعو إلى التقارب بين المذاهب، ولا نستجيب لوساوس الأمريكان والصهاينة، وغيرهم، وإذا كان للشيعة مواقف إيجابيَّة في المقاومة والجهاد فنحن نرحِّب بها، ونؤيدهم، ونشدُّ أزرهم، وندعو لهم بالنصر؛ لأني لا يمكن أنْ أدعو على أحد يُحارب إسرائيل، بل إنَّه لو جاء خواجة من بريطانيا، أو إسبانيا، أو إيطاليا، ليُحارب إسرائيل، فسنؤيِّده؛ لأنَّ عدوَّ عدوي صديقي.

هذا ما أحببت أنْ أقوله؛ لأنَّ الأمر يحتاج إلى مصارحة، حتَّى لا نعيش في عماء، أو في غباء، عن هذه القضايا الكبيرة.

حسن نصر الله:

السؤال الخامس: ألا تعتقد أنَّ السيد حسن نصر الله ـ أمين عام حزب الله اللبناني ـ يختلف عن الشيعة المتعصبين، ويتميَّز عنهم؟

QaradawiBooks.com

الجواب: السيد حسن نصر الله لا يختلف عن الشيعة المتعصبين، فهو شيعي، ومتعصب، ومتمسك، أردت بذلك أنْ أقول الحقيقة، فالرجل متمسِّك بشيعيَّته، وبمبادئه، وبكل شعاراتهم وطقوسهم، يا عليُّ، ويا حسين، ويا كذا، ولا نستطيع أن ننكر هذا، وإن كان أحسن من غيره كثيرًا، أحسن من القاعدين، والمتخلِّفين، والذين لا يريدون أنْ يقولوا كلمة حق، فهذا شيء آخر يجب الاعتراف به.

توحُّد الأُمَّة ضد عدوها:

السؤال السادس: إيران الإسلاميَّة تترجم اليوم الحديث الشريف: «**المؤمنُ القويُّ خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف**»[1]. أليس حَرِيٌّ بالأمة العربيَّة الوقوف في خندق واحد ضد إسرائيل وأمريكا؟

الجواب: هذا هو الواجب حقيقة، نحن ندعو إلى أنْ يقف السنَّة والشيعة جبهة واحدة، فنحن عدونا واحد، وأنا كثيرًا ما قلت: هذه الأُمَّة ربُّها واحد، ورسولُها واحد، وكتابها واحد، وقبلتها واحدة، ومصيرها واحد، ومصالحها واحدة، ربُّها واحد، وأعداؤها مشتركون؛ فيجب أن نقف كلنا صفًّا واحدًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ولكن أعداءنا يريدون أنْ يفرِّقوا فيما بيننا، مَنْ ذا الَّذي لا يؤيِّد إيران في موقفها النووي؟ نحن نشدُّ على أيدي إيران في هذا الأمر؛ لأنَّه موقف قويٌّ وشجاع، وتحدَّت أمريكا، والرئيس نجادي قال بالأمس لبوش: تعال إلى مناظرة علنيَّة، بيني وبينك، ليس فيها أيَّة قيود. فنحن نؤيِّد

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

موقف القوَّة، ونحب روح التَّحدِّي لأعدائنا، وموقفنا من التحفظ ورفض اختراق المذهب الشيعي للجدار السنِّي شيء، وتأييدنا لموقف القوة، والمقاومة، والتحدِّي للقوة الاستعمارية العالمية شيء آخر.

الأزمة الطائفيَّة في العراق:

السؤال السابع: كيف يرى فضيلتكم السبيل إلى الخروج من الأزمة في العراق الآن، ما الحلول الَّتي ترونها؟

الجواب: نحن في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين نحاول محاولات من عدَّة أشهر، ولا زلنا نحاول أن نجمع المراجع الدينيَّة الكبرى، السنيَّة والشيعيَّة.

وأنا ناديت المراجع الشيعيَّة الكبرى مرارًا في برنامجي «الشريعة والحياة»، بقناة الجزيرة، أنَّه عندما تحدث المجازر الهائلة عند أهل السنَّة، وتُقتحم المساجد، ويُختطَف الأئمةُ، وتُحرَّق المساجد، ويُخطف ناس من بيوتهم ويُقتلون، ثم يُلقون في الخرائب، أو في الطرقات: لماذا لا نسمع منكم فتوى صريحة حاسمة تُحرِّم هذا الأمور وتمنعها؟ فلم أسمع مجيبًا!

ودعوناهم من قبل للاجتماع، فأرسل السيستاني مندوبه، وأرسل المرجع الشيعي الفلاني مندوبه، وأرسل فلان مندوبه، فقلت لهم: أنا لا أجتمع بالمندوبين، أنا أريد أنْ أجتمع بكم أنتم الكبار، فإما أن نجتمع بكم أو لا يمكن الاتفاق.

ونحن نحاول أنْ يحدث هذا، ولا زال عندنا أمل في أنْ يؤثِّر العقلاء على المتحمسين، وعلى المتهوِّرين، ونحاول أن نؤثِّر على إيران؛ لأنَّه لا زال إخواننا في العراق يقولون: إنَّ إيران هي القوَّة المؤثرة الأولى

QaradawiBooks.com

والكبرى في العراق. كما قال أخونا طارق الهاشمي في الحزب الإسلامي، وأخونا الشيخ حارث الضاري، وأخونا عبد الغفور السامرائي رئيس الأوقاف الإسلاميَّة، وعددٌ منهم، قالوا لنا: إنَّ إيران لو تدخَّلت بالقوَّة تستطيع أنْ توقف هذه المجازر. فنحن نحاول، وعلينا أن نسعى، وليس علينا إدراك النجاح.

دور العلماء في دارفور:

السؤال الثامن: فضيلة الشيخ؛ لماذا صمتُّم، ولماذا صمت العالم العربي والإسلامي، عمَّا يجري في السودان عمومًا، وفي إقليم دارفور خصوصًا، حتَّى أصبح السودان كأنه كلأ مباح للغير؟

الجواب: مَنْ قال: إننا صمتنا؟! نحن أول وفد ذهب إلى دارفور، وفد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، برئاسة رئيس الاتحاد، وعضوية الأمين العام، وأمين الصندوق، واثنين آخرين من المكتب التنفيذي، ذهبنا إلى الخرطوم، والتقينا بالفئات المختلفة، واستمعنا إليهم، وذهبنا إلى دارفور، والتقينا بالفئات المختلفة، وزرنا المخيمات والمعسكرات هناك، وقدَّمنا تقريرًا عن هذا الأمر، وقدمنا رؤيتنا.

وشارك أخونا الدكتور محمد سليم العوَّا ـ الأمين العام ـ بحلقة في برنامج «بلا حدود»، بقناة الجزيرة، حول هذا الأمر.

ونحن في كل بياناتنا الَّتي يصدرها الاتحاد ـ وآخرها في إستانبول، منذ شهر تقريبًا، في اجتماع الجمعية العامة لاتحاد العلماء، تكلمنا عن قضيَّة دارفور، وواجب الأمة نحو دارفور، وأنكرنا التدخُّل الأمريكي، والتدخُّل الغربي في دارفور، فنحن قلنا كلمتنا في دارفور، ولم نصمت، والحمد لله.

QaradawiBooks.com

مستقبل الصحوة:

السؤال التاسع: ما رؤيتكم لمستقبل الحركات الإسلاميَّة في ظل المشروع الصهيوني الأمريكي المعروف بالشرق الأوسط الجديد؟

الجواب: الحركات الإسلاميَّة في الواقع تتقوَّى، وتتأكَّد، وتتأسَّس يومًا بعد يوم، رأينا هذا في أكثر من بلد، رأيتُ هذا في اليمن، ورأيتُ هذا في ماليزيا، ورأينا هذا فلسطين، ورأينا هذا في الانتخابات في مصر.

وأنا جئت إلى هنا من المغرب، واستقبالات الناس هناك ما رأيت مثلها، الآلاف المؤلَّفة، يحجزون أوسعَ القاعات، تسع القاعة ألفين وخمسمائة، ومَنْ في الخارج أكثر ممَّن في القاعة، قلت لهم: هذا استفتاء، وليس تكريمًا لشخص القرضاوي، هذا استفتاء على الإسلام، إنَّ هذه الأُمَّة مؤمنة، وبصيرة، ووسطيَّة، فاجتماعها تكريم للمنهج الَّذي أدعُو إليه، وهو منهج الوسطيَّة والتوازن والاعتدال.

لهذا نقول: الأُمَّة بخير، هي مع دينها، وهي مع أوطانها، لن تبيع دينَها، ولن تبيع أوطانَها؛ ولكن المشكلة هي مشكلة الأنظمة، ماذا نفعل معها؟ كان الفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقول: لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوتها للسلطان؛ لأنَّ الله يُصلح بصلاحه خلقًا كثيرًا[1]. فادعوا معنا للسلاطين أنْ يُصلحهم الله، أو يأخذَهم.

---

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية صـ١٢٩، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

مشروعية المظاهرات:

السؤال العاشر: هل من تأصيلٍ شرعيٍّ للمظاهرات، والاعتصامات الاحتجاجيَّة؟

الجواب: التظاهر هو تعبير عن الإنكار، ونحن مأمورون أن ننكر المنكر، وأنا ـ كما قلت ـ لا أعتبر المنكر فقط شرب الخمر، والزنى، وترك الصلاة؛ وإنَّما أقول: كبت الحريَّات منكرٌ، والتَّخلف منكر، والأميَّة منكر، وتزييف الانتخابات منكر، وقهر الأُمَّة وسَوْقُها بالعصا منكر، كل هذه منكرات؛ فكيف أنكرها؟

هناك الإنكار باليد، بأنْ أحملَ السلاح، وهذا لا نُقرُّه.

وهناك الإنكار باللسان، وهو من عمل الصحفيين، والإعلاميين، وأهل الفكر، وأصحاب الأقلام.

وهناك الإنكار بالتظاهر، أنْ يخرج الناس في مظاهرة سلميَّة، فهذا إعلان عن الإنكار، وقد أصبح هذا الأمر عُرفًا عالميًّا، تعارف العالم بأنَّ هذه المسيرات تُعبِّر عن الإنكار على شيء، وأنَّ وراءها رفضًا لأمر ما؛ فالتظاهر تعبير على الإنكار، وهو من حقِّ النَّاس، بشرط أنْ يكون سلميًّا، ولا يُستَغل، ولذلك يجب الحذر من المخرِّبين، فإذا تظاهر الناس لرفض شيء ما سلميًّا؛ فمن حقهم أنْ يفعلوا ذلك.

حُسْن تطبيق الشريعة:

السؤال الحادي عشر: كيف تردُّون على شبهات عدم جدوى تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في البلدان العربيَّة، كحلٍّ ناجع للمشكلات، وذلك بالاحتجاج بفشل نماذج إسلاميَّة في أفغانستان والسودان مثلًا؟

QaradawiBooks.com

الجواب: أولًا: إذا كان الشيء واجبًا فليس للإنسان خيار، ولسنا نحن من أوجب الاحتكام إلى الشريعة، وإنَّما أنزلها الله تعالى لتحكم الناس، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]. ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. فلا بدَّ أنْ يحكم بالشريعة كل الشريعة؛ لأنَّ الشريعة متكاملة، لا يصح أنْ تأخذ منها جزءًا وتترك الباقي.

ولكن للأسف نجد بعض الناس حينما تُذكر الشريعة يتصوَّر أنَّها تطبيق الحدود، أنَّها مجرد قطع يد السارق، وجلد شارب الخمر، والقصاص من القاتل، ونحو ذلك!

ومفهوم الشريعة أوسع من الحدود، الشريعة هي العدل، هي الحريَّة، هي الشورى، هي نصرة الحقِّ، أنْ تكون مع الضعيف ضد القوي، هي أنْ تغني الناس من فقر، أنْ تطعمهم من جوع، وتؤمِّنهم من خوْف، أنْ تُعلِّم الجاهل، وأن تُشغِّل العاطل، أنْ تداوي المريض، كل هذا من الشريعة، الشريعة معناها إقامة حياة طيِّبة للناس، حياة حرَّة آمنة مطمئنة، أنْ أكون جالسًا في بيتي آمنًا من أنْ يدخلَ عليَّ كلاب الصيد، أو زوَّار الفجر، أو زوَّار نصف الليل، فيقتادوني إلى جحيم الدنيا، فهذه هي الشريعة، وهي أمر لا خيار لنا فيه.

ومأساة الشريعة ـ أيها الإخوة ـ أنَّها لا تُطبَّق كما ينبغي، وتطبيقات الشريعة ـ للأسف ـ كلها سيِّئة، هل تطبيق الشريعة في أفغانستان هو الوجه الأمثل لها؟ هذا غير صحيح، وكذلك إخوتنا في عدد من ولايات نيجيريا، كل همِّهم قطع يد السارق؛ وقبل أنْ تقطع يده شغِّلْهُ؛ فلعله يسرق من حاجة.

يجب ـ أولًا ـ قبل أنْ أقطع أيدي السارقين أنْ أُعلِّمهم حقيقة

QaradawiBooks.com

الإسلام، وكان سيدنا عمر يقول: لا حدَّ إلا على مَنْ علمه[١]. فيجب أنْ يعلم أنَّ السرقة حرام، وأنَّ عقوبتها القطع. وكذلك لا قطع من حاجة، ولذلك لم يقطع سيدنا عمر يدًا في عام المجاعة[٢]. لأنَّ المجاعة مظنَّة الشبهة، إلى غير ذلك من الشروط.

ومن هنا نقول: لكي نطبق الشريعة نحن في حاجة إلى تجديد في الدين، واجتهاد فيه، ولكن على أنْ يكون هذا الاجتهاد صادرًا من أهله، وفي محلِّه، فليس كل من لبس عِمامة يكون من أهل الاجتهاد، وليس كل من قرأ عدة كتب يكون من أهل الاجتهاد، كما يحدث من بعض الشباب، ويريدون أنْ يفتوا في أعوص المسائل، كما قال بعضهم: إنَّه يفتي في المسألة الَّتي لو عُرضت على عمر لجمع لها أهل بدر[٣]. عمر أهل للاجتهاد لكنَّه لا يتجرأ عليه، أمَّا هؤلاء، إذا قلت لأحدهم: قال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل. يقول: هم رجال ونحن رجال! فنحن نريد اجتهادًا حقيقيًّا، لا اجتهادًا مزيَّفًا.

وإذا عُرضت الشريعة عرضًا قائمًا على الاجتهاد الحقيقي ستحلُّ المشاكل حقيقةً، ستملأ القلوب بالإيمان، وستعطي الإنسان قوَّة هادية إلى الحق، وقوَّة حافزة على الخير، وقوَّة رادعة عن الشر، ستسود الأخلاق الكريمة، هذه هي الشريعة.

إنَّ الشريعة ليست مجرَّد شكليَّات، الشريعة معناها أنْ تنفخ في روح الأمة، بماذا انتصر صلاح الدين؟ انتصر بإصراره على أنْ ينفخ في

(١) رواه عبد الرزاق في الحدود (١٣٦٤٥).

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١٧/٣).

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١٠/٣٨، ٤١١)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

الشعب روح الإيمان، فصنع شـعبًا مؤمنًا وقف ضد الصليبيين، هذا كله مما نقصده بتطبيق الشريعة.

غير مرخصة للطباعة

البيع بالتقسيط:

السؤال الثاني عشر: عندي مبلغ من المال، وأنا أتاجر به في الأجهزة الكهربائيَّة بالتقسيط، وصيغة هذه التجارة هي: لو طلب أحد مني جهازًا، أذهب معه بالنقود، وأشتريه له، ثم أقسطه عليه بزيادة ٢٠٪ لمدة سنة، أو بزيادة ٢٥٪ لو زاد القسـط عن سـنة، أو بزيادة ٣٠٪ لو زاد القسط عن سنتين؛ فما الحكم في ذلك؟

الجواب: إذا الاتفاق على ذلك من أول الأمر فلا حرج منه، فلو قال من أول الأمر: هذا الجهاز نقـدًا بمبلغ كذا، ومؤجَّل لمدة سـنة بكذا، ومؤجَّل لمدة سنتين بكذا. لا حرج في ذلك.

دور الشباب في النهضة:

السؤال الثالث عشر: ما هو دور الشباب ـ كما يراه فضيلة الشيخ ـ في صناعة مستقبل أفضل لأمته؟

الجواب: دور الشباب دور أساسـيٌّ، فلا بدَّ أنْ يأخذ الشباب نصيبَه من قيادة النهضة، فالنهضات دائمًا تحتاج إلى العزائم القويَّة، والأجسام القويَّة، والأرواح القويَّة، وهذا كله متوفِّر عند الشباب.

يستطيع الشـباب أنْ يفعلَ الكثير إذا ملك المُؤهِّلات، بأن يحاول أنْ يُكوِّن نفسه تكوينًا ثقافيًّا، ويتعاون مع غيره، يعمل مجموعة ويقوم بخدمة الأمة بقدر ما يسـتطيع، أنا أعجبني من بعض الشـباب أنَّه عمل جمعيَّة شعارها «زدني»، إشـارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

QaradawiBooks.com

فهم يريدون أنْ يزدادوا علمًا، ويزدادوا إيمانًا، ويزدادوا عملًا، ويزدادوا حركة، لخدمة المجتمع؛ وجماعة أخرى تعمل في جانب الخير، يعلِّمون الشباب الكمبيوتر، فالشباب يستطيع أنْ يقوم بأشياء كثيرة.

ونحن في بلدنا نحتاج إلى همَّة الشباب، فلا زالت الأميَّة في بلادنا، وهي وصمة عار في جبين الأُمَّة، أنْ يظلَّ أكثر من ٤٠٪ في بلادنا الإسلاميَّة أميِّين، فهذا عار، وشنار، ومنكر، فالشباب هم الذين يستطيعون التغلُّب على هذا بالتعاون، وخصوصًا لو جاؤوا في الإجازات الصيفيَّة، وقالت جماعة: علينا أن نقوم بدور تنظيف الشارع الفلاني. وقالت أخرى: علينا أن نقوم بغرس الأشجار. وقالت أخرى: سنقوم بتقوية الطلاب الذين عندهم دور ثاني في التعليم. وقالت أخرى: سنعلِّم الشباب الحاسوب أو الكمبيوتر.

يستطيع الشباب أنْ يقوموا بدورهم، إذا أرادوا وصمَّموا، وتجمَّعوا على هذا الدور، جمعيَّات جمعيَّات، ويسجِّلوها إن استطاعوا، بعيدًا عن السياسة، وإن كان رجال الأمن للأسف يتوجَّسون من كل تجمُّع، ونريدهم أنْ يعلموا أننا نريد أن نخدم بلادنا وأوطاننا، فإذا فعلنا ذلك يكون من ورائه الخير، ولكن المهم أنْ يتوفر الرأي الصواب، ثم الإرادة والعزيمة، كما قال الشاعر العربي:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمةٍ فإنَّ فساد الرأي أنْ تَتَرَدَّدا
وإنْ كنتَ ذا عزْمٍ فأنفذه عاجلًا فإنَّ فسادَ العزم أنْ يتقيَّدا[1]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) هو من قول محمد بن يزداد وزير الخليفة المأمون، كما في ربيع الأبرار للزمخشري (٤٥٥/٣).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢٢

المسلمون في عالم اليوم[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا مُحَمَّدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يومِ الدِّين.

خير ما أحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

واقع المسلمين:

فلا بدَّ لنا أن نعيش مع واقع هذه الأُمَّة، فقد قُدِّر لنا أن نحمل همومها، وما أكثرها، وأن نعايش مشكلاتِها، وما أعظمَها، كنت أودُّ أنْ أطرح موضوعًا من الموضوعات الفكرية والنظرية، في العقيدة أو

(١) ألقيت في المركز الإسلامي للدعوة والإرشاد، بدولة قطر، عام ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

الشريعة أو الأخلاق، ولكنَّ الواقع المؤلم الَّذي تتقطع القلوب دونه زفرات، وتذرف العيون عليه عبرات، يأبى إلا أنْ يجعلنا نعيش معه، فلا نستطيع أن نُغفِل الواقع الَّذي تعيشه أُمَّتنا من المحيط إلى المحيط، من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، ولهذا كان موضوعنا «المسلمون في عالم اليوم».

ونعني بالمسلمين أهل القِبلة جميعًا، كلَّ من شهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فحينما نتحدث عن مآسي الأُمَّة لا نستطيع أن نتحدَّث عن المسلمين الملتزمين فقط، بل نتحدث عن المسلم، مطيعًا كان أو عاصيًا، ملتزمًا كان أو منفلتًا، بحَسْبنا أنَّه من أُمَّة مُحَمَّد ﷺ، من أُمَّة الإجابة، فنحن نتحدَّث عن المسلمين من هذا الأفق الواسع، وبهذا المعنى الرحْب.

وعالم اليوم هو العالم الَّذي نعيش فيه في عصرنا، في هذا القرن، حيث أصبح المسلمون وراء القافلة، بعد أنْ كانوا في طليعتها، نتحدث عن واقع المسلمين، وعن المآسي التي تحيط بهم من كل جانب، والمسلمون في عالم اليوم مُسْتَضْعَفون، ومُمَزَّقون، ومُتَخَلِّفون، وأعداؤهم بهم يتربَّصون.

طَوْر القيادة والريادة:

ولا شكَّ أنَّ المسلمين في عالم اليوم غير المسلمين في عالم الأمس، يوم كان لهم تاريخ يُذكَر، يوم تبوؤا مكانتهم تحت الشمس، يوم بلغ مجدهم السياسي ما بلغ، أنْ كانوا هم الأُمَّة الأولى في الأرض، وأنْ قال أحد خلفائهم للسحابة في السماء: شرِّقي أو غرِّبي فسيأتيني خراجُك إلى بيت مال المسلمين[1].

(١) انظر: صبح الأعشى (٣/٢٨٥).

QaradawiBooks.com

ويوم بلغت قوَّتهم العسكريَّة أنْ قال أحد خلفائهم يومًا لملك الروم، وقد بلغه أنَّ مسلمًا هناك قد وقع في الأسْر فأُذِلَّ وأُهين: إذا بلغك كتابي هذا فخلِّ سبيله، وإلا غزوتك بجنودٍ أولُها عندك وآخرُها عندي[١]. هكذا كان مجد المسلمين، وكانت قوَّتهم.

ويوم أن بلغ الرخاء الاقتصادي أنْ قال والي عمر بن عبد العزيز على الصَّداقات في إفريقيـة ـ وكان يُقصَد بها في ذلك الوقت تونس وما حولها ـ جمـع أموالًا مـن الصَّدقات، وبحث عـن فقراء حتى يوصلهـا إليهم، فلـم يجد فقيرًا، فأرسـل إلى الخليفة في دمشـق، عمر بن عبد العزيز، يسـتفتيه: ماذا يفعل في هذا المال الَّذي تجمَّع عنـده، ولم يجد من أهل الفقر والمسـكنة مَنْ يعطيه؟ فأرسـل إليه خامس الراشـدين عمر بـن عبد العزيز يقول له: اشْـترِ بهـا رقابًا فأعتقها[٢]. أي أنَّ المسـلمين بعد أنْ حرَّروا الناس من الفقر، بدؤوا يوجهون حصيلة الزكاة إلـى تحرير الناس من الرقِّ. هكذا كان موقع أُمَّتنا الإسلاميَّة.

أُمَّة الحضارة:

كانت أُمَّتنا الإسلاميَّة هي أُمَّة الحضارة، وكانت حضارتها الإسلاميَّة هي الحضـارة الأولى، بل كانت هي الحضـارة الوحيدة، لم تكن هناك حضارة غيرها، كان المسلمون هم قادة الحضارة، ومعلمي البشرية، إلى جامعاتهم يَفِـدُ الطلاب من أوربا إلـى الأندلس، وإلـى صقليَّة، وإلى غيرهما.

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم صـ١٤٨.

(٢) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحَكَم صـ٦٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المنهج التجريبي:

كان المسلمون هم الَّذين علَّموا أوربَّا المنهج التَّجريبيِّ، وهذا ما اعترف به مؤرِّخو العلم من الغربيِّين أنفسهم، قالوا: إنَّ «فرنسيس بيكون»، وسَميَّه «روجر بيكون»، ليسا هما اللذان اخترعا المنهج الاستقرائي التجريبي، بل اقتبساه من الحضارة الإسلاميَّة.

اعترف بذلك «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانيَّة»، واعترف بذلك «غوستاف لوبون» في كتابه الشهير «تاريخ حضارة العرب»، واعترف بذلك «جورج سارتون» في كتابه «تاريخ العلم»، واعترف بذلك «درايبر» في كتابه «تاريخ النزاع بين العلم والدين»، اعترف بذلك المنصفون من الغربيِّين أنفسهم، بأنَّ المسلمين هم الَّذين علَّموا الغرب، وعلَّموا أوربَّا هذا المنهج الاستقرائي التَّجريبي.

نقد وإبداع:

والمسلمون هم الَّذين نقدوا منطق «أرسطو»، نقدوه من الناحية النظريَّة، مثل ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد كتب كتابين ـ كبيرًا وصغيرًا ـ في نقد المنطق الصُّوري، القياسي، الأرسطي، قبل «إستيوارت مل»، و«هيوم»، وغيرهما.

كما أنَّهم من الناحية العملية طبَّقوا المنهج التجريبي، في الطب، والهندسة، والفيزياء، والكيمياء، وغيرها من العلوم، فلم يكن المسلمون مجرَّد نَقَلة، ولا مجرَّد مترجمين لفلسفة الإغريق اليونانيين، كما زعم زاعمون، بل نقلوا هذه الفلسفة، ونقدوها، وهذَّبوها، وأضافوا إليها، وأخذوا منها وتركوا.

QaradawiBooks.com

بل إنَّهم ـ مع ذلك ـ اخترعوا علومًا لم تكن للإغريق على بال، مثل علم الجبر والمُقابلة، الَّذي اخترعه «الخوارزميُّ»، فقد اخترع علمَ الجبر ليحل به مسائل في علم المواريث والوصايا.

اتصال الدين بالعلم:

ومَنْ قرأ كتابه في الجبر، وجد أنَّ أول رسالة فيه تتضمَّن مسائل في الوصايا والمواريث، ولذلك إخواننا الَّذين نشروها من أهل العلم الطبيعي والرياضي، لم يعلقوا على الجزء الأول من الرسالة بكلمة واحدة، لأنَّهم لا يفهمون في الفقه شيئًا، فقد كانت ميزة حضارتنا أنَّه لم يكن فيها انفصال بين علم الدين وعلم الدنيا، فالخوارزمي فقيه، وعالم رياضيَّات في الوقت نفسه.

وكذلك كان الفخر الرازي، فهو مفسرٌ، ومتكلمٌ، وأصوليٌ، وفقيهٌ شافعيٌّ، وكان في الوقت نفسه من أمهر الأطباء وأشهرهم.

وكما كان القاضي ابن رشد الحفيد، فهو فقيهٌ مالكيٌّ، صاحب الكتاب الفريد البديع، في الفقه المقارن «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، وهو في الوقت نفسه أعظم شُرَّاح أرسطو، وعن طريقه انتقلت فلسفة أرسطو إلى الأوربيِّين، وهو صاحب الفلسفة الشهيرة في كتابيه: «فصل المقال»، و«الكشف عن مناهج الأدلَّة»، وهو الَّذي ردَّ على الإمام الغزالي بكتابه «تهافت التهافت»، وهو في الوقت نفسه طبيبٌ من أعظم الأطباء، صاحب كتاب «الكُليَّات» في الطب، الَّذي تتلمذ عليه الأوربيون عدَّة قرون، هكذا كان علماؤنا.

QaradawiBooks.com

المراجع العالميَّة:

وكانت كتبنا العلمية نحن المسلمين هي المراجع العالميَّة، في علم الطب وُجِد مثل كتاب «الكُلِّيَّات» لابن رشد، و«القانون» لابن سينا، و«الحاوي» لأبي بكر الرازي، و«التصريف لمن عجز عن التأليف» لأبي القاسم الزهراوي، كل هذه الكتب كانت هي مراجع العالم في الطب في ذلك الوقت، وكذلك في كل العلوم.

لغة العلم:

وكانت اللغة العربيَّة هي لغة العلم، كُتبَت بها كل العلوم، ونحن الآن نعجز عن أن نُعلِّم بها الطب، والهندسة، والفيزياء، والكيمياء، وغيرها من العلوم، ونقول: اللغة لا تسعفنا! فنضيف عجزنا إلى اللغة، ونُحمِّلُه عليها، وهو ما عبَّر عنه حافظ إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يتحدَّث على لسان اللغة العربيَّة، فقال:

وَسِعتُ كتابَ الله لفظًا وغايةً ... وما ضِقتُ عن آيٍ به وعِظاتِ
فكيف أَضيقُ اليومَ عن وصفِ آلةٍ ... وتنسيقِ أسماءٍ لمُختَرَعاتِ؟!
أنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُّرُّ كامِنٌ ... فهل سأَلوا الغَوّاصَ عن صَدَفاتي[1]

فهو عجزُنا نحن، لا عجز اللغة العربيَّة نفسها.

من مظاهر حضارتنا:

كنا نحن أصحاب الحضارة الرائدة والقائدة، بل الحضارة الوحيدة في العالم، كنَّا نحن الَّذين نمثِّل الحضارة بكل مظاهرها، يقول

(١) ديوان حافظ إبراهيم صـ٢٥٤، تصحيح أحمد أمين بك وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٤٨م.

QaradawiBooks.com

المؤرخون: كان في قرطبة ستمائة حمام، في حين كانت أوربا لا تعرف هذه الحمَّامات.

وكان الرهبان يعلمون الناس أنَّ النظافة تبعد الإنسان عن الله، وتُقرِّبه من الشيطان، وأنَّ الإنسان كلما كان أوغل في القذارة، وأبعد عن النظافة، كان أقرب إلى الله، وإلى الطاعة! حتى قال بعضهم: يرحم الله القديس فلانًا؛ لقد عاش طول عمره، ولم يقترف إثم غسل الرجلين! وقال آخر: وا أسفاه، لقد كان مَنْ قبلنا يعيش عمره لا يَبلُّ أطرافَه بالماء، ولكننا وا حسرتاه أصبحنا في زمنٍ يدخل فيه الناس الحمَّامات[1]! وإنَّما دخلوا الحمامات تشبُّهًا بالمسلمين، واقتداءً بهم، هكذا كنَّا.

هذا طور من أطوار التاريخ كنا فيه العالم الأول، والأُمَّة الأولى، كنَّا القادة والرَّادَة والسَّادَة في هذا العالم، كنَّا كما أراد الله لنا الأُمَّة الوسط، خير أُمَّة أخرجت للناس، هذا هو وضع أُمَّتنا المنطقيُّ والطبيعيُّ، الرِّيادة والشهادة على البشريَّة، مقامها مقام الأستاذيَّة، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

طور الاستعمار والتحرير:

هكذا كنَّا، ثم دار الزمن دورته، وتَغيَّر الحال، نمنا واستيقظ الآخرون، وتَعثَّرنا ونهض الآخرون، وتأخَّرنا وتَقدَّم الآخرون، الَّذين أخذوا عنَّا واقتبسوا منا سبقونا، وغططنا نحن في سبات عميق، تراجعنا، وتراجعنا وتراجعنا.

(١) ذكر ذلك العلاَّمة أبو الحسن الندوي في كتابه القيم: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ١٥١.

نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

حدثت عصور التخلف والانحطاط للأُمَّة الإسلاميَّة، إلى أنْ جاء هذا العصر، عصر الاستعمار الَّذي أصيبت به الأمَّة الإسلاميَّة، ابتليت بلاد المسلمين بالاستعمار، وما زالت تكافح حتى تحررت من هذا الاستعمار.

الإسلام يزرع وغيره يحصد:

ويجب أنْ يعلم الجميع أنَّ الإسلام كان هو القوَّة المحرِّكة الأولى وراء معارك التحرير كلها، صحيح أنَّ الإسلام هو الَّذي زرع، ولكن العلمانية هي التي حصدت، هذا ما حدث للأسف، في معظم البلاد كان الإسلام يزرع، وغيره يحصد، تُحرَّك الشعوب وتُوجَّه باسم الإسلام، وبقوَّة الإيمان، ويبذلُ الناس الأنفس والنفائس، مبْتَغين رضا الله، حتى إذا انتصر القوم وجدنا الَّذين يقبضون على زمام الأمور لا يُكنُّون للإسلام خيرًا، وإنَّما يسيرون في خطِّ الغرب الاستعماري الَّذي حاربوه وقاوموه، لماذا كانت الحروب إذنْ؟

مصطفى كمال أتاتورك:

ظهر هذا في مواقع كثيرة، وأبرزها في تركيا، فأتاتورك الَّذي حارب الحلفاء ووقف المسلمون في كل مكان من ورائه، ووقف الأتراك من ورائه، يبذلون الروح وكل غالٍ ورخيص، وكان المسلمون يسمونه الغازي مصطفى كمال، وكتب أمير الشعراء أحمد شوقي قصائد يتغنَّى فيه بها، ومن ذلك قصيدته الشهيرة:

الله أكبرُ كمْ في الفتحِ من عَجبِ يا خَالدَ التُّرك جَدِّدْ خالدَ العربِ[1]

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

QaradawiBooks.com

ثم فوجئ بأنَّ خالد الترك هذا لا يُضمر للإسلام إلا شرًّا، بدا ذلك في إلغاء الخلافة، وإدخال القوانين الأجنبيَّة، وإلغاء اللغة العربيَّة، والكتابة بالحروف العربيَّة، ورفع الأذان بالعربيَّة، إلى آخره، ولذلك نظم شوقي قصيدته الشهيرة في نعي الخلافة، وقال فيها:

عادت أغاني العُرس رجعَ نُواح ... ونُعيتِ بين معالم الأفراح
كُفِّنتِ في يوم الزِّفافِ بثوبِهِ ... ودُفنتِ عند تبلُّج الإصباح
ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ ... وبكتْ عليك ممالكٌ ونواح
الهند والِهَةٌ ومصرُ حزينةٌ ... تبكي عليك بمدمعٍ سَحَّاح[1]

يخاطب الخلافة التي تَحوَّل عُرسها إلى مأتم.

لقد خرج الاستعمار ولكنَّ الَّذين ورثوا الاستعمار لم يكونوا الموالين للإسلام، ولشريعة الإسلام، ولرسالة الإسلام، ولذلك بدأ المسلمون معارك أخرى ضد المتغربين، ضد تلاميذ الاستعمار، وكانت أحيانًا أشرس من معاركهم مع الاستعمار ذاته.

طور الإحياء والتجديد:

هذا هو حال المسلمين، إلى أنْ هيَّأ الله لهذا الدِّين رجالًا يُوقِظون الأمَّة من سبات، ويحيون الأمَّة من مَوات، وهذه طبيعة في هذا الدين، فهذا الدين لا يمكن أنْ يزول، وهذه الأمَّة لا يمكن أنْ تموت، قد تمرض ولكنها لا تموت، قد تضعف ولكنها لا تزول، فما بين الحين والحين يبعث الله لهذه الأُمَّة مَنْ يجدِّد لها دينها، مَنْ يجمعها من شتات، ويحييها من مَوَات، فبفضل المجدِّدين، والعلماء الصَّادقين، والدعاة المخلصين، استيقظت الأُمَّة.

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٠٥، ١٠٦).

QaradawiBooks.com

والأُمَّة بخير، لا زال الخير فيها إلى يوم القيامة، هذه الأُمَّة لا تجتمع على ضلالة، إنْ وُجِدَ فيها من يضل، ففيها مَنْ هو مهتدٍ إلى الطريق القويم، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، «**لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي ظاهِرِينَ على الحقِّ، لا يَضُرُّهم مَن خذلهم حتى يأتي أمرُ اللهِ، وهم كذلك**»[1].

الصحوة الإسلاميَّة:

ولهذا سرعان ما استيقظت الأُمَّة، وظهر فيها هذا البعث الجديد، هذا المدُّ الإسلاميُّ، يسمِّيه بعض الناس البعثَ الإسلامي، أو الإحياءَ الإسلامي، أو التجديدَ الإسلامي، أو اليقظة الإسلاميَّة، أو الصَّحوةَ الإسلاميَّة، سمِّهِ ما شئت، فهو هذا الوعي الجديد، بعد أنْ غابت الأُمَّة عن هذا الوعي فترة من الزمن، وَعَتْ الأمَّة بذاتها، واكتشفت ذاتَها، وعرفت حقيقتَها، وعادت إلى الطريق.

مجالات الصحوة:

ظهر هذا الوعي الإسلاميُّ، أو هذه الصَّحوة الإسلاميَّة في مجالات شتَّى، فهي صحوة عقولٍ وأفكارٍ، وصحوةُ عواطفَ ومشاعر، وصحوةُ إراداتٍ وعزائم، وصحوةُ عملٍ وسلوكٍ، وصحوةُ غيْرةٍ ودعوةٍ، وصحوةُ إعدادٍ وجهادٍ، لا شك في هذا.

وظهرت الصحوة كذلك في بقاع شتى، في العالم العربيِّ، والعالم الإسلاميِّ، وخارج العالم الإسلاميِّ، في الجاليات الإسلاميَّة، أو بين

(١) سبق تخريجه صـ ٤٧٣.

QaradawiBooks.com

الأقليَّات الإسلاميَّة، وظهرت بين شرائح المجتمع، بين الرجال والنساء، بين المتعلمين وغير المتعلمين، بل ظهرت بين المتعلمين أكثر من غير المتعلمين، فالذين تعلموا في الجامعات المدنيَّة كما يسمونها، والتي كانت مناهجها مستقاةً من المناهج الوضعية الأوربيَّة، هؤلاء أنفسهم هم الَّذين حملوا الراية، حملوا الإسلام فكرةً واضحة في رؤوسهم، وعقيدةً راسخة في قلوبهم، وأخلاقًا موجِّهةً لحياتهم، هذا هو الواقع.

وقد عادت المرأة إلى الإسلام، طائعة مختارة، تلتزم الحجاب ـ وأحيانًا النقاب ـ دون أنْ يُرغِمَها على ذلك أبٌ، أو يُكْرِهَها على ذلك زوْجٌ، بل كثيرًا ما فعلت ذلك ضدَّ رغبة الأب، وضدَّ رغبة الزوْج، ضدَّ رغبة الأهل، ابتغاء مرضاة الله تعالى، إنَّها عودة إلى الإسلام.

آثار الصحوة:

هذه العودة إلى الإسلام ظهرت آثارها في الالتزام الإسلامي الَّذي ألمحنا إليه، كما ظهرت في مجال الاقتصاد الإسلامي، في بنوك إسلاميَّة، ومؤسسات استثمارية إسلاميَّة، وظهرت كذلك في الفكر الإسلامي، في انتشار الكتاب الإسلامي الَّذي أصبح هو الكتاب الأول، بل الرقم الأول في سوق التوزيع، في كلِّ معرِضٍ يُقام. وظهرت أيضًا في ميدان الجهاد، فقامت حركات إسلاميَّة تعمل على تحرير الأرض، ومقاومة العدو، بعد أنْ يئس الناس من الحركات الأخرى.

قامت حركة الجهاد الإسلامي في أفغانستان، بإمكاناتها القليلة، تقاوِم أعتى دولةٍ ملحدة في التاريخ، الدولة الثانية في العالم، تقاوِم بأسلحتها البسيطة الاتِّحاد السوفيتي، تقاوِم أكثر من مائة ألف جنديٍ،

QaradawiBooks.com

تقاوِم مئات الطائرات، وآلاف الدبَّابات، وصمد على ذلك نحو عشر سنوات، وتُرغم هذه القوى الكبرى على التراجع والاندحار، وكان الجهاد الأفغاني من أسباب انهيار الاتحاد السوفيتي، هذا ما يشهد به التاريخ في عصرنا، هذا من عمل الصحوة الإسلاميَّة.

ومن ذلك حركة الجهاد والمقاومة الإسلاميَّة التي قامت في فلسطين أمام اليهود، كان لا بدَّ أنْ تقوم حركة إسلاميَّة، فاليهود يحاربوننا بالدين؛ فلا بدَّ أن نقاومهم بالدين، إنَّهم يحاربوننا بالتوراة؛ فلنحاربهم بالقرآن، إنَّهم يقولون: اليهودية. فلنقل نحن: الإسلام. إنَّهم يقولون: التلمود. فلنقل نحن: البخاري ومسلم. إنَّهم يقولون: الهيكل. فلنقل نحن: الأقصى. فلا يُفلُّ الحديدَ إلا الحديدُ، وحديدُنا أقوى من حديدهم.

كان لا بدَّ من حركة تنْبَثق من الإسلام لتقاوم هؤلاء الَّذين يريدون إسرائيل الكبرى، من الفرات إلى النيل، هذه هي أحلامهم؛ وهكذا كان للصحوة الإسلاميَّة آثارها وثمارها في كل مكان.

التربُّص بالصحوة:

وهذه الآثار للصحوة الإسلاميَّة هي ما أقلقت القوى المعادية للإسلام، القوى المتربِّصَة بنا، القوى التي ترصد كلَّ شيءٍ في ديارنا، كما قال أحد الإخوة يومًا في محاضرة له: نحن مكشوفون لأعدائنا حتى النخاع. فهم يعرفون عنَّا الصغير والكبير، والدقيق والجليل من أمورنا، فهؤلاء عندهم من الوسائل والأساليب، الظاهرة والخفيَّة، ما يستطيعون بها أنْ يعرفوا عنَّا كل شيءٍ، في هذا العصر الَّذي يُسمُّونه عصر الثورة المعلوماتيَّة، ونحن للأسف قلَّما نعرف عن غيرنا شيئًا، بل نحن لا نعرف عن أنفسنا.

QaradawiBooks.com

أراد أحد الناس أنْ يعرف بعض الإحصاءات والمعلومات الدقيقة عن الأوضاع في بلدٍ عربيٍّ ما، فذهب إلى الجهات الرسميَّة وقال لهم: أريد معلومات وإحصاءات دقيقة عن كذا وكذا. فقالوا: ليس عندنا إلا من سنة كذا؛ أمَّا هذه المعلومات فلم تجهز عندنا بعد!

فقال له أحد الخبراء العارفين ببواطن الأمور: إذا أردت هذه المعلومات، فأنصحك أنْ تذهب إلى إحدى جهتين: إلى السفارة الأمريكيَّة، أو السفارة البريطانيَّة. وذهب الرجل وجاء بمعلوماتٍ دقيقة مُفَصَّلة عن كلِّ شيءٍ؛ فالقوم لا يلعبون، لا يعبثون، يعرفون كلَّ شيءٍ عنَّا، كل شيءٍ لا بدَّ أنْ يدرسوه.

وفي سنة من السنوات قابل أحد الإخوة رجلًا أمريكيًّا متخصصًا في دراسة الحركات الإسلاميَّة، قابله في الكويت، فقال له: دكتور فلان، ما الَّذي جاء بك إلى هنا؟ قال: جئت في مهمة علميَّة. قال له: وما هي؟ قال: جئت لأدرس الجامعات الدينيَّة، وأسباب الخلاف بينها.

وهم لا يدرسون هذا لوجه الله تعالى، بل ليوظِّفوه في تنمية هذا الخلاف، وتعميقه، وتوسيعه، وإلقاء الزيت على النار حتى تشتعل وتشتعل، هكذا يعمل هؤلاء القوم، فنحن أمام أعداء متربصين بنا، راصدين لأمرنا.

الخوف من الصحوة:

حينما رأى أعداء الإسلام هذه الصحوة جُنَّ جُنونُهم، وبدؤوا يَتخوَّفون من رجوع الإسلام من جديد، ففي حرب السادس من أكتوبر سنة (١٩٧٣م) ـ والصواب أنْ يُقال: حرب العاشر من رمضان سنة (١٣٩٣هـ) ـ كان شعار الجنود المصريين الَّذين عبروا قناة السويس،

QaradawiBooks.com

واقتحموا خطَّ بارليف، وأبطلوا أسطورة القوَّة التي لا تُقهر، قوة إسرائيل، هو شعار: الله أكبر.

حينما رأى الأعداء هذه الروح في الأُمَّة، ورأوا النَّصر الَّذي حقَّقته، جُنَّ جُنونُ الَّذين يكتبون في أوربا، والذين يرصدون أحوالَ العرب والمسلمين، وقالوا: إنَّ العرب لا يحتاجون إلا إلى مَنْ يُخاطبهم باسم الله، فإذا وُجِدَ مَنْ يُخاطبهم باسم الله كما خاطبهم صلاح الدين من قبل، فلن يقف أمامهم شيءٌ. وبدؤوا يُحذِّرون من الخطر الإسلاميِّ.

التخويف من الصحوة:

إنَّ هؤلاء الناس لا يريدون أن نعود إلى ديننا، مجرَّد العودة إلى الدين تُخيفهم، ولهذا قاموا بالتخويف من كل صيحة إسلاميَّة، من كلِّ حركة إسلاميَّة، من كل دعوة إسلاميَّة تدعو إلى تحكيم الشريعة، أو إلى اكتشاف الذات، أو العودة إلى الجذور، أو الوقوف في وجه التَّغريب، أي دعوة من هذه الدعوات يُخوِّفون منها.

يخوِّفون الحكام والقادة والمسؤولين، يقولون: احذروا، هؤلاء خطر عليكم، هؤلاء لا يريدون بكم إلا شرًّا. وأحيانًا يقولون: احذروا هؤلاء الرجعيِّين. وأحيانًا يقولون: احذروا هؤلاء الإرهابيِّين. وأحيانًا يقولون: احذروا هؤلاء المُتَطَرِّفين. وفي هذه الأيَّام يقولون: احذروا الأصوليِّين. احتاروا في هؤلاء الَّذين يحملون رسالةَ الإسلام، وأخذوا يبحثون عن أيِّ اسم يخيف الناس، الرجعيَّة حينًا، والإرهاب حينًا، والتَّطرُّف حينًا.

والعجيب أنَّهم بعد أنْ كانوا يقولون: احذروا المتطرفين. ظهرت لهم الآن نغمة أخرى في بعض أجهزة الإعلام الغربي، يقف من ورائها فريق من الخبراء، يقولون: ليس المتطرفون خطرًا، احذروا المعتدلين، احذروا

QaradawiBooks.com

الإسلام المعتدِل؛ فهو الأشــدُّ خطرًا، والأعمق أثرًا، إنَّ التَّطرُّف لا يبقى طويلًا، التَّطرُّف قصير العمــر، احذروا الاعتدال، فهــؤلاء هم الأخطر، والإســلام لا يمكن أنْ يكون معتدلًا، إنَّه يبدأ معتــدلًا ثم يتطرف بعد ذلك، إنَّ هؤلاء يتمســكنون حتى يتمكَّنوا. هكذا يقولــون، فاحترنا مع هؤلاء: نتطرف أم نعتدل، لا فائدة.

ومما ظهر لهم الآن من هــذه الأنغام، التحذير من الأصوليِّين، وهي كلمة كريهــة عند الغربيين، ولكــن ما المقصــود بالأصوليِّين؟ إذا كان المقصود العودة إلى الأصول، والعودة إلى الجذور، والتَّمسُّــك بأسس هذه الأُمَّة المستمدَّة من القرآن، ومن السنَّة؛ فكلنا أصوليُّون.

وذات مرة ســألني أحد الناس: هل أنت أُصولــيٌّ؟ قلت له: إذا كان التمسُّــك بالكتاب والسُّــنَّة هو الأصوليَّة، فأنا أصولــيٌّ، وأدعو الله أنْ يُحيِيَني أصوليًّا، ويُميتَني أصوليًّا، ويحشرني في زمرة الأصوليِّين.

استمرار الروح الصليبيَّة:

مشــكلة الغرب الآن أنَّه يعيش على الخوف من الإســلام من ناحية، وعلى الكراهية للإســلام من ناحية أخرى، بعض الناس يحملون مشــاعر الخوف، وبعضهم يحملون مشاعر الحقد والبغضاء، يحملون روحًا صليبيَّة.

وللأسف هناك من أدعياء التقدميَّة والتَّحرُّر من المسلمين مَنْ يُنكر هذه النزعة، وقال لي بعضهم: ما هذا الَّذي تقولون؛ ليس هناك صليبيَّة، ولا نزعات دينيَّــة، وإنَّما هذه الحــروب، وهــذه الصِّراعات صراعات مصالح فقط.

وهذا ليس صحيحًا؛ لأننا نرى هؤلاء دائمًا ضدَّ الإســلام، إذا وقف الإســلام في ناحية، ووقف غيره في ناحية، فهم ضدُّ الإسلام، لماذا هم

QaradawiBooks.com

مع إسرائيل دائمًا؟ لقد كشفوا النقاب عمَّا في أنفسهم، قال ذلك «كارتر»، وقال ذلك «ريجان»، وغيرهما، أنَّهم يتبعون من أحكام التوراة، أنَّهم يُنفِّذون تعاليم الدين، هكذا قال «كارتر» في مذكراته بصراحة، أنَّهم يصدرون عن تعاليم دينيَّة، يرون أنَّ التوراة أنبأت بمُلْكِ إسرائيل، ويجب أنْ يتحقَّق، فهم يصدرون عن مشاعر دينيَّة، ومن أفكار دينيَّة، فكيف يقال: إنَّ الدين بعيدٌ عن المعركة، وأنَّ الروح الصليبيَّة انتهت؟

ليت هذه الروح الصليبيَّة انتهت في ذلك الزمن القديم، ولكنها لم تنتهِ للأسف؛ فحينما دخل القائد البريطاني «اللنبي» القدسَ، سنة (١٩١٧م)، قال كلمته الشهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبيَّة. فقد ظنَّ أنَّه أحكم قبضتَه على القدس، وعلى المسجد الأقصى إلى الأبد، وأنَّ الحروب الصليبيَّة التي أخفقت قديمًا قد نجحت الآن واستردت القدس من المسلمين، ولكنَّ حلمه لم يتحقَّق، فالحروب الصليبيَّة لم تنتهِ.

البوسنة والهرسك:

لا زالت الروح الصليبية موجودة للأسف، وإلا ففسروا لي ما يحدث الآن في البوسنة والهرسك؟ هل هنا تفسير لما يحدث هناك إلا أنَّها حرب صليبيَّة ضد الإسلام والمسلمين لإفناء شعبٍ بأكمله؟ هذا الشعب الَّذي لا ذنب له إلا أنَّه مسلم، ورث الإسلام.

يقولون عنهم: إنَّهم أصوليون. أيُّ أصوليَّة هذه؟ هؤلاء مساكين، معظمهم لا يعرف «ألف، باء» الإسلام، جهَّلهم الحكم الشيوعي نحو نصف قرن، فما عرفوا عن الإسلام شيئًا، إلا قليلًا منهم، ممَّن عرف الإسلام عن طريق كتاب يُترجَم، أو عن طريق اتِّصال بالمسلمين، أو نحو ذلك، لكن أغلبهم جُهِّلوا بالإسلام، وفُرِّغوا من الإسلام، فلم تبقَ منهم

QaradawiBooks.com

إلا عاطفة إسلاميَّة، ومع هذا يقولون عنهم: إنَّهم يريدون أنْ يقيموا دولة أصوليَّة! لا والله، بل هي حرب صليبيَّة صَرَّح بها الصربيُّون المتوحِّشون بوضوح، قالوا: نحن فرسان الصليب، نحن ندفع عن أوربا خطر الإسلام.

المسلمون في عالم اليوم:

لقد أصبح المسلمون في عالم اليوم وراء القافلة البشرية، بعد أنْ كانوا في طليعتها، تحيط بهم المآسي من كلِّ جانب، ويتربَّص بهم أعداؤهم في كلِّ ناحية، حتى اجتمع عليهم الضعف، والتمزُّق، والتخلف.

أوَّلًا: ضعف المسلمين:

المسلمون في عالم اليوم للأسف مستضعفون، وكان لحمُهم من قبل مُرًّا، لا يستطيع أنْ يسيغَه أحد، كانت حصونهم منيعة، لا يستطيع أنْ يقتحمها أحد، أمَّا الآن فقد اقتُحم الحمى، لم يعد الأمر كما قال الشاعر قديمًا:

وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْني غَزَوْتهم ... فهل أنا في ذا يا لَهْمَدَانَ ظالمُ؟
متى تحملِ القلبَ الذَّكِيَّ وصارمًا ... وأنفًا حميًّا تجتنبْكَ المَرَاغِمُ[1]

ولكن ليس لنا قلوبٌ ذَكِيَّة، ولا أنوفٌ حميَّة، ولا سيوف هنديَّة ولا عربيَّة، ولذلك اقتُحمت ديارُنا وأسوارُنا، ودُخِلت علينا من أقطارها، سفكت الدماء، وانتهكت الأعراض، وهتكت المساجد، ودمَّرت المدارس والمستشفيات، ودور الكتب والآثار في البوسنة والهرسك.

(١) من شعر عمرو بن براقة الهمداني، انظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء صـ٨١، تحقيق ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

كلُّ مُقَوِّمات الحيـــاة الماديَّة والأدبيَّة والرُّوحيَّـــة، والعقليَّة، تُدمَّر على مرأًى ومَسْـــمَعٍ مـــن العالم المُتَحَضِّـــر في أوربا، قـــارة الحريَّة والمساواة والنور وحقوق الإنسان! على مرأًى ومسمَعٍ يُفعَل هذا كله، ولا مُغيث لمن يستغيث، ماذا نُسَـــمِّي هذا؟ أليست هذه هي الحرب الصليبيَّة؟

مأساة نساء البوسنة:

لم يفعل النازيُّون الَّذيـــن يقولون عنهم ما يقولـــون، ويكتبون فيهم ما يكتبـــون، مثلمـــا فعل هـــؤلاء الصرب مع المســـلمين في البوســـنة والهرسك، لم يعتقلوا النساء بالآلاف كما فعل هؤلاء الصرب.

هناك حوالي ثلاثين ألف امرأة مسلمة معتقلة، وماذا تصنع المعتقَلة أمام جنود متوحِّشين؟ يريدون أنْ يفتكوا بها، اغتصابًا لعرضها من ناحية، وانتقامًا من ناحيـــة، لأنَّ بعضهم اعترف أنَّه اغتصب امـــرأة عجوزًا في الســـتين من عمرها، وفتاة في العاشـــرة من عمرها، ما معنى هذا إلا أنَّه الحقد الصَّليبيّ.

قلت للإخوة في إحدى خطـــب الجمعة: إنَّ فتوى جاءتنا من وراء الأسوار، من أخواتنا وبناتنا المعتقلات، تستفتينا: ماذا نفعل يا علماء المسلمين فيما جرى لنا، في هذه الأجنَّة التي تتحرك في أحشائنا من هؤلاء الجنود، وهم حُرَّاس عليهن، فحتى الإجهاض لا يستطعنه، ومَنْ استطاعت الإفلات منهم يســـأل أهلها: ماذا تفعل بهذا الجنين، الَّذي يذكرها بهذا الذئب الَّذي افترسها يومًا ما، ماذا نقول نحن أهل الفتوى في هذا الأمر؟ لـــم يفعل النازيُّـــون مثل هذا قط، أليســـت هذه هي الصليبيَّة؟

QaradawiBooks.com

محاربة الوجود الإسلامي في أوربا:

هي حرب صليبيَّة للأسف على الإسلام والمسلمين، نراها في هذا البلد المسكين البوسنة والهرسك، وبجواره كوسوفو وألبانيا وغيرها، هناك للأسف حربٌ صليبيَّة على الواقع الإسلامي في أوربا.

في أوربا الغربيَّة والشرقيَّة نحو خمسة عشر مليونًا، منهم ناس من أهل البلاد الأصليُّون، مثل أهل البوسنة، وكوسوفو، وألبانيا، وبلغاريا، وهناك أناس نازحون، مثل الإخوة الَّذين يعيشون في فرنسا من أهل الجزائر، والمغرب، وتونس، والإخوة الَّذين يعيشون في ألمانيا من الأتراك، والإخوة الَّذين يعيشون في بريطانيا من الهنود، والباكستانيين، والبنغاليين، والماليزيين، ملايين من النازحين يعيشون هناك، واكتسبوا الجنسيَّة، وبعضهم لديه إقامة شرعيَّة، رسميَّة، قانونيَّة؛ ولكن العقليَّة الأوربيَّة، والرُّوح الأوربيَّة للأسف تضيق بهم ذَرْعًا، ولا تُطيق لهم بقاءً.

منع الحجاب في فرنسا:

وهذا عجيب، ألستم بلد الحُرِّيَّة؟ ألستم بلدًا علمانيًّا يُتيحُ لكلِّ ذي دين أنْ يتديَّن بدينه؟ أليس الأصل في العلمانيَّة أنْ تكون محايدة مع الدين، لا حربًا عليه؟ ولكن مع هذا خرجت فرنسا عن هذا الأصل، ووقفت ضد الفتيات المسلمات اللاتي أردن أنْ يلتزمن بالحجاب، وفرضوا عليهنَّ أنْ يخلعن الحجاب إذا أردنَ دخول المدرسة، أين العلمانيَّة إذنْ؟

لم تعد العلمانيَّة محايدة مع الدين، بل أصبحت معادية له، فالأصل في العلمانيَّة أنَّها لا تقبل الدين ولا ترفضه، لا تواليه ولا تعاديه، تقف موقفًا حياديًّا منه، فإذا كنت تسمح لبعض النساء أنْ يلبسن الملابس القصيرة والكاشفة للعورات، فلماذا تحرم الأخريات اللاتي يلبسن

QaradawiBooks.com

الحجاب أنْ يتمتَّعن بهذا الحق، وهو فرض عليها في دينها؛ كيف تفرض على إنسان أنْ يعصي ربَّه، ويترك دينه، ويدخل النار، وأنت تدَّعي أنك محايدٌ مع الدِّين؟ هكذا كان موقفهم في فرنسا مع الفتيات المحجَّبات في القصة الشهيرة التي تحدَّث عنها العالم.

الكُليَّة الأوربيَّة الإسلاميَّة:

ومن ذلك ما لمسته بنفسي الشهر الماضي، فمنذ أسابيع كنت في فرنسا، أحضر افتتاح الكليَّة الأوربيَّة للدراسات الإسلاميَّة، فالمسلمون في فرنسا، وهم أكثر من أربعة ملايين، وعندهم آلاف المساجد الصغيرة يصلون فيها، ويحتاجون إلى أئمةٍ يؤمُّون الناس، ويخطبون الجمع، ويلقون الدروس، ويفتون مَنْ يستفتي، ولذلك كانوا في حاجة إلى كليَّة تعلِّم أبناء المسلمين ـ وكذلك المسلمون في أوربا الشرقية والغربية ـ فافتتحوا هذه الكلية، وأخذوا إذنًا بافتتاحها.

ولكن بعد أن أخذوا الإذن جُنَّ جُنونُ القوم، كيف تقوم كلية للدراسات الإسلاميَّة في قلب فرنسا؟ وذهب التليفزيون، والإذاعة، والصحافة يسألونهم: ماذا تريدون من وراء هذه الكليَّة، وما هي أهدافكم، وماذا، وماذا؟

وردَّ الإخوة المسؤولون عن الكليَّة ردودًا في غاية العلميَّة والموضوعيَّة والإقناع، ولكنهم لم يُسلِّموا بما قالوا، ووقفوا ضد هذه الكليَّة، وفي حفل الافتتاح منعوا كل مَنْ يريد أنْ يذهب إلى الكليَّة، كل مَنْ ذهب إلى سفارات فرنسا في البلاد العربيَّة والإسلاميَّة، وقال: إنِّي أريد أن أحضر حفل افتتاح الكلية. قالوا له: لا؛ نحن نرحب بك بعد ذلك، ولكننا لا نرحِّب بهذه الكليَّة، ولا بافتتاحها، ولا بمن يحضر هذا الافتتاح. وحاصروها إعلاميًّا، لكي يفشل حفل الافتتاح.

QaradawiBooks.com

ولكن الافتتاح كان في غاية النجاح، والسلطات المحليَّة للمنطقة التي تبعد عن باريس بنحو ثلاثمائة كيلو كانت مؤيِّدة للمسلمين، ومتجاوبة معهم، وقالوا: إننا عايشنا هؤلاء الناس، فلم نرَ أحسن منهم خُلقًا، ولا أنظف منهم سُلوكًا، ويتعامل أولادهم مع أولادنا في المدارس، فلم يروا منهم إلا خيرًا. وحضر ثلاثة قُسُسٍ، اثنان كاثوليكيَّان، وواحد بروتستانتي، وتكلموا كلامًا جيدًا.

وتكلمتُ في هذا الافتتاح بكلمةٍ صفَّقوا لها طويلًا، وطلبوا أنْ تُنشر، وما قلت إلا الحقَّ في الواقع، قلت لهم: إنَّ الإسلام جاء ليفتح باب الحوار مع الأديان، ويقول: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. فهو يدعو إلى الحوار، وبأحسن الأساليب والوسائل.

فلو كانت هناك وسيلتان: وسيلة حسنة، ووسيلة أحسن منها؛ فإنَّ الإسلام يريد منا أن نحاور ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، فهو يكتفي في الدعوة مع الموافقين بالموعظة الحسنة، لم يقل: الموعظة التي هي أحسن. وأمَّا في الجدال مع المخالفين يشترط أنْ يكون بالتي هي أحسن، وأن نقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾، أي إنَّ الإسلام يريد أنْ يُبْرِزَ القواسم المشترَكة، نقاط الاتفاق، ولا يريد أنْ يذكر مواضع الاختلاف حينما يحاور مخالفيه.

وقلت لهم: إنَّ الحضارة الإسلاميَّة فتحت الباب، وفسحت المجال لعناصر من غير المسلمين كي يشاركوا فيها، كان هناك سريان، ويهود، ونصارى، كانت هناك أقليَّات مختلفة عاشت في كنف المسلمين،

QaradawiBooks.com

وشاركت في الحضارة الإسلاميَّة، ولم تضِقْ بهم صدرًا، فلماذا لا تُفسحوا صدوركم للمسلمين ليعيشوا وفق دينهم؟ وأيُّهما أفضل لكم: أنْ يكون المسلم متسيِّبًا، لا يرتبط بدين، ولا يخاف ربَّه، ولا يُحل حلالًا، ولا يُحرِّم حرامًا؛ أم يكون ملتزمًا، يطيع الله، ويقف عند حدوده، ويراقبه في معاملة خلقه، أيهما أفضل؟

كان هذا هو المنطق الَّذي لا يستطيع أنْ يقف ضده منصف، ولكن السلطات المختلفة للأسف تقف ضد هذا المنطق، ولا تريد للإسلام أنْ تقوم له قائمة في أوربا.

ثانيًا: تفرُّق المسلمين:

ونحن المسلمين لا نستطيع للأسف أن ندافع، فالمسلمون مستضعفون، صحيح أن عدد المسلمين ضخم، ولكن ما قيمة هذا العدد الضخم؟ ما قيمة مليار وربع المليار؛ إذا كانوا ـ كما ذكرهم الحديث ـ كثرة كغثاء السيل، نُزع من صدور عدوهم المهابة منهم، وقُذِف في قلوبهم الوهن، الَّذي فسَّره النبيُّ بحب الدنيا وكراهية الموت[1]؟ أيْ أنَّه وهنٌ نفسيٌّ، وهنٌ أخلاقيٌّ، وهنٌ معنويٌّ؛ وليس وهنًا ماديًّا، ولا عدديًّا، فالمسلمون للأسف مستضعَفون، ومُمَزَّقون، هذا العدد الضخم مُفرَّق، ولذلك لا ينصرون صديقًا، ولا يخيفون عدوًّا.

وقد خطر في بالي أنْ يكون عنوان هذه المحاضرة «الأُمَّة الإسلاميَّة في عالم اليوم»، ثم رأيت أنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة التي أرادها الله تعالى أمَّةً واحدةً غير موجودة، وإنَّما توجد شعوب متعدِّدةٌ، شعوب مختلفةٌ، يُجافي بعضها بعضًا، ويُعادي بعضها بعضًا، بل أحيانًا يُقاتل بعضها بعضًا، تستجيب

(١) سبق تخريجه صـ٨٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لمكايد أعدائها، صحيح أنَّ أعداءها يكيدون لها، ويُوسوسون لها، ويُخوِّفون بعضهم من بعض، ويُغْرون بعضهم ببعض؛ ولكن المسؤوليَّة تقع علينا، لماذا نستجيب لوساوس الشياطين؟ كما قال الله تعالى على لسان الشيطان في الآخرة: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢]. فالمسؤولية مسؤوليتنا.

الوجود الشعبي للأُمَّة:

أين الأُمَّة الإسلاميَّة؟ الأُمَّة الإسلاميَّة موجودة حقيقة في مشاعر المسلمين، ولذلك حينما تحدث مشكلة يتجاوب الناس معها.

عندما كنت في فرنسا، قال لي بعض الإخوة الَّذين يعملون في هيئات الإغاثة الإسلاميَّة: لقد رأينا عجبًا، رأينا أناسًا من المسلمين في أماكن بعيدة، بيننا وبينهم مئات الأميال ـ وربما آلاف الأميال ـ جاؤوا من أماكن شتَّى بما يستطيعون من أموال، من أنفسهم وممَّن حولهم، ليغيثوا إخوانَهم في البوسنة والهرسك، بعد أنْ حركت المشاهد الدامية في التليفزيون مشاعرهم، وبعض هؤلاء الناس لا يُصَلُّون، وبعضهم غير ملتزمين، ولكن جرحت قلوبهم، وكوت مشاعرَهم هذه المشاهد المُؤْلمة لإخوانهم المسلمين، وأخواتهم المسلمات. يقول: جاؤوا بأنفسهم، وبدؤوا هم يهتمون بالإسلام، ويسألون عن الإسلام، وعن الصلاة، وكيف نكون مسلمين حقًّا؟

فالأُمَّة موجودة في مشاعر المسلمين، ولذلك تجد الإنسان العادي الأمِّيَّ، يقول: اللهم احفظ أُمَّة محمد، يا رب انصر أُمَّة محمد. فأُمَّة محمَّد في قلب كلِّ مسلم، في شعور المسلم العاديِّ، الأمِّيِّ، الريفيِّ، القرويِّ البسيط، يوجد في ذهنه شيء اسمه أُمَّة محمد، أُمَّة الإسلام، أُمَّة الإجابة.

QaradawiBooks.com

الوجود الرسمي للأُمَّة:

ولكن أين هذه الأُمَّة على المستوى الرسمي؟ أين الجامعة العربيَّة؟ أين منظمة المؤتمر الإسلامي؟ أين هذه المؤسَّسات؟

قلت في مرة من المرات: إنَّهم سمُّوا منظمة المؤتمر الإسلامي بهذا الاسم؛ لأنَّهم لم يجدوا عنوانًا يدل على هذا الاتحاد الجديد، أو الرابطة الجديدة، فحينما بادر الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ، ودعا زعماء البلاد الإسلاميَّة المختلفة، وقاموا في شكل مؤتمر يبحث قضايا المسلمين، أرادوا أنْ يُكوِّنوا مؤسَّسة جديدة تنضوي تحت لوائها الشعوب الإسلاميَّة المختلفة، فقالوا: نسمِّيها مثلًا جامعة الدول الإسلاميَّة، مثل جامعة الدول العربيَّة. فقامت بعض الدول، قامت تركيا، وإندونيسيا، ولبنان، قامت دول شتى تقول: لا؛ نحن لسنا دولًا إسلاميَّة، نحن دول علمانيَّة. فاحتاروا في تسميتها، وبعد بحثٍ ولأيٍ قالوا نسمِّيها: منظمة المؤتمر الإسلامي. فأضافوا كلمة «منظمة» إلى هذا المؤتمر الطارئ، وهي تسمية غريبة جدًّا، وهذا يدلُّنا على قيمة هذه المُؤسَّسات.

إسقاط الخلافة:

وقد كانت هناك رابطة تربط بين المسلمين، رابطة دينيَّة، سياسيَّة، روحيَّة، ماديَّة، زمنيَّة، شرعيَّة، اسمها الخلافة، وهي نيابة عن الرسول ﷺ في إقامة الدِّين، وسياسة الدنيا به، كما عرَّفها العلماء. ظلَّت هذه الرابطة تقودُ المسلمين وتحكمهم قرونًا طويلةً، إلى أنْ جاء كمال أتاتورك سنة (١٩٢٤م)، وألغى ـ للأسف ـ هذه الرابطة المقدَّسة، هدم

QaradawiBooks.com

هذه القلعة التاريخيَّة، وهتك هذه المظلَّة الوارفة، وذهبت هذه الرابطة، كما قال شوقي:

عَادَتْ أغاني العُـرْسِ رجْعَ نُواحِ ونُعيـتِ بيـنَ مَعَالِمِ الأَفْـرَاحِ[1]

هُدِمتْ هذه الخلافة الإسلاميَّة، ولم يقم عنها بديل حتى الآن؛ لأننا نحن المسلمين ليست عندنا سـلطة دينيَّة، النصارى ليس عندهم سلطة مثل الخلافة، ولكن عندهم سلطة دينيَّة، سلطة باباويَّة، عندهم بابا يقول لهم: افعلوا كذا، واتركوا كذا. ويستطيع في الأزمات أنْ يوجِّه إليهم نداءً، أو يُرسـل رسـالة، أو يبعث مندوبين؛ ولكن نحن ليس عندنا باباويَّة، ولا كهنوتيَّة، ماذا نفعل ـ كما قلت للإخوة في الجزائر ـ إذا لم يكن عندنا بابا، ولا ماما؟

تمزيق الأُمَّة:

ماذا نفعل وقد ذهبت الخلافَة، مُزِّقت الأُمَّة شـرَّ مُمَزَّق؟ وأعداؤنا يحاولـون أنْ يزيدونا تمزيقًـا، أدخلوا الأفـكار القوميَّـة، والأفكار العنصريَّة، والمذاهب المسـتوردة، حتى ينقسـم النـاس إلى يمينيِّين ويسـاريِّين، وثوريِّين ورجعيِّين، ومُوالين للشـرق، ومُوالين للغرب، لتتعدد الوجهات، وتتعدد القِبلات، وتتعدد الولاءات، وبهذا لا تلتقي الأُمَّـة على كلمةٍ سـواء، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، تفرَّقت سُـبُل الأُمَّة، وهذا ما يريد هؤلاء أنْ يغرسوه فينا، ويزرعوه فينا، وإذا كان فينا زادوه نَماءً، وغذَّوه حتى تبسق فروعه.

(١) انظر: الشوقيات صـ١٧٠، نشر دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

وإذا نظرتم إلى قضيَّة أفغانستان مثلًا، تجدون أنَّهم يحاولون بكلِّ وسيلة أنْ يبذروا الخلاف، وأنْ يُنمُّوه، فَقَسَّموا الأفغان من الناحية العِرقيَّة إلى بشتو، وطاجيك، وأوزبك، وتركمان، وأصناف معيَّنة، ثم قسَّموهم من الناحية الدينيَّة إلى سُنَّة وشِيعَة، والسُّنَّة إلى أصوليِّين وغير أصوليِّين، والأصوليِّين إلى راديكاليِّين ومعتدلين، وهكذا، فنحن أمام مكايد لا تهدأ، تعصف بوحدة الأُمَّة.

وحدة الأُمَّة ضرورة:

ولكن أقول دائمًا: إنَّ المسؤوليَّة تقع علينا، ويجب أن نَتنبَّه لمكايد هؤلاء، فهم لا يريدون أنْ تتَّحد كلمتنا، لأننا إذا اتَّحدنا صِرنا قوَّة هائلة، ونحن لا نستطيع أن نفعل شيئًا إذا كنَّا مختلفين، لا في الناحية العسكريَّة، ولا في الناحية التِّقنيَّة، فنحن لا نستطيع أن ندخلَ عالم التكنولوجيا المتطوِّرة إذا كنَّا متفرِّقين، لأنَّ البقعةَ الصغيرة، أو المنطقة الصغيرة، أو الدولة الصغيرة لا تستطيع وحدها أنْ تفعل شيئًا، ونجد الآن أوربا تحاول أنْ تَتَوحَّد، تَوحَّدت تِجاريًّا واقتصاديًّا، وتحاول أنْ تَتَوحَّد سياسيًّا، وقد وصلت إلى ما وصلت إليه، ونحن في الوقت نفسه نحاول أن نَتمزَّق، ونحن بذلك ضد تيَّار التاريخ، فلسنا مع منطق الدين، ولا مع منطق العقل، ولا مع منطق التاريخ، وهذا التَّفرُّق لا يجوز، هذه الأمَّة ينبغي أنْ تَتَوَحَّد.

ثالثًا: تخلُّف المسلمين:

نحن مستضعفون، ومستضعفون لأننا متفرقون، ولأننا كذلك مُتخلِّفون للأسف، نحن متخلِّفون اقتصاديًّا، وعسكريًّا، وصناعيًّا، وحضاريًّا، نحن بلاد زراعيَّة، ومعظمُ بلاد المسلمين تستورد أقواتَها، نحن أُمَّة سورة

QaradawiBooks.com

الحديد، ولم نتعلَّم صناعة الحديد، ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. لم نتعلَّم الصناعة العسكريَّة التي أشار إليها القرآن بقوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. ولا الصناعة المدنيَّة التي أشار إليها بقوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

العالَم الثالث:

يقولون عنا: العالَمُ الثالث. كما قال أحد الظرفاء: لقد كنَّا العالَم الثالث لأنَّه لا يوجد عالَم رابع. وآخر سألوه: لماذا تركب الدرجة الثالثة في القطار؟ قال: لأنَّه لا يوجد درجة رابعة.

وهناك بعض البلاد الإسلاميَّة لا تبلغ أنْ تكون عالمًا ثالثًا، كأنَّما تعيش في قرون بعيدة، فما يحدث في الصومال للأسف هو تَخلُّف، تَخلُّفٌ دينيٌّ، وتَخلُّفٌ عقليٌّ، وتَخلُّفٌ حضاريٌّ، وتَخلُّفٌ أخلاقيٌّ، ناس يقتلون أنفسَهُم بأنفسهم، ويُخْرِبون بيوتَهم بأيديهم، ويحيون العصبيَّة القَبَليَّة الجاهليَّة، إنَّها مشكلة كبرى، فلا زلنا في عالم التَّخلُّف.

العالَم النامي:

ويسمُّوننا البلاد النَّامية، حتى قال بعض الظرفاء أيضًا: نحن لسنا بلادًا ناميةً، بل نحن بلادٌ نائمة. هم يوهموننا أننا ننمو، ونحن لا ننمو، أين النمو ونحن لم نصنع مُحرِّكًا (مُوتورًا) في أيِّ بلد إلى اليوم، ولا موتور موتوسيكل؟ غاية ما نستطيع عمله صناعات تجميعيّة، أمَّا الصناعات المهمَّة، فلم نقم بها إلى اليوم، لماذا؟!

لقد كنَّا العالم الأول، وكنَّا أصحاب الحضارة، وكنَّا المخترعين والمبتكرين، ولسنا أقل من غيرنا ذكاءً، فينا عقول مهاجرة في أوربا

QaradawiBooks.com

وأمريكا أخذت مكانها، ونالت شهرتَها في عالم العلم، في الجيولوجيا، والفلك، والهندسة، والطب، وغيرها.

كنت في أمريكا، في شيكاغو، من عدَّة سنوات، وكانت أعلى عمارة في شيكاغو في وقت من الأوقات هي أعلى عمارة في أمريكا، قالوا: الَّذي صمَّم هذه العمارة مهندس باكستاني.

وكنت في واشنطن وسألت عن طبيب في الكُلَى، والمسالك البَوْليَّة، فقالوا: أشهر طبيب هنا هو طبيب مصري الأصل. وعرفت أنَّ والده كان شيخًا لنا في كليَّة أصول الدين، ومن هؤلاء الدكتور فاروق الباز الَّذي جاء هنا إلى قطر، وزارنا أكثر من مرة، وهكذا في كل ناحية، لماذا يُفلح هؤلاء إذا كانوا في الخارج، ولا يفلحون إذا كانوا في داخل بلادنا الإسلاميَّة؟ لسنا أقلَّ ذكاءً من غيرنا.

لماذا تقدَّمت اليابان وتأخَّرنا نحن؟ لقد بدأت مصر نهضتَها في عهد محمد عليّ مع اليابان، دعونا من اليابان، لماذا تقدَّمت كوريا، وأصبحت الآن تغزو أسواق العالم بمُنتجاتها؟ تجد منتجات كوريا في أمريكا، وفي أوربا، وفي أستراليا، وهي لم تبدأ إلا بعد الحرب العالميَّة الثانية.

ما الَّذي جرى لهذه الأمَّة؟ هناك من يحرسُ تخلُّفَنا، أنْ نبقى في دائرة التَّخلُّف، يأخذون من ديارنا المواد الخام بأرخص الأسعار، ويردونها إلينا مُصنَّعةً بأغلى الأسعار، فالأُمَّة في حاجة إلى أنْ تعود إلى رشدها.

تخلُّف اجتماعي:

ونحن متخلفون اجتماعيًّا، وأقول لكم بصراحة: في سفرتي إلى فرنسا هذه زرت أحد المراكز الإسلاميَّة، وأخذ الإخوة يطلعونني على

QaradawiBooks.com

هذا الصَّرح المشيد، كان في المسجد مستويان، مسجد أصلي وملحقٌ به، وكان الملحق ينزل عن المسجد بنحو ربع متر، فقال المشرفون على لجان التَّنظيم والبناء: لا يجوز أنْ يوجد هذا التفاوت بين المسجد وملحقه؛ لأنَّ هناك أصحاب الاحتياجات الخاصَّة يأتون على كراسيَ مُتحركة، فلا بدَّ أنْ يكون الطريق مفتوحًا لهؤلاء. قالوا: لقد أخذنا هذا في الاعتبار، وعملنا لهم ممرَّات إلى المسجد الأصلي. فقالوا: هبْ أنَّ أحدًا من هؤلاء جاء مرة، ووجد المسجد الأصلي مُمتلئًا، سيضْطر إلى أنْ يذهبَ إلى الملحق، وهو منخفض عن المسجد؛ فلا بدَّ أنْ يكون الاثنان في مستوًى واحدٍ. انظروا؛ للإنسان قيمة تؤخذ في الاعتبار.

وفي هذا المركز حجرات، قالوا: أي حجرة تسعُ عشرة أفراد ـ أو أكثر ـ لا بدَّ أنْ يكون لها بابان، فقد يحدث حريق ويزدحم الناس على الباب، ويدوس بعضهم على بعض، ويتعرضون للهلاك.

وفي القاعة الكبيرة المُخصَّصة للمحاضرات لا يكتفون بأنْ تتعدَّد أبوابها، بل لا بدَّ أنْ تكون الأبواب واسعة أيضًا، وتُفتَح على الخارج مباشرةً، حتى إذا نشبَ حريق انساب الناس انسيابًا، وتدفَّقوا تدفقًا، دون أنْ يُهلِكَ بعضهم بعضًا، وقد يأكل الحريق الأخضر واليابس، ومع ذلك ينجو الإنسان.

وجدت هناك أمثلة شتى، تدور كلها حول حفظ حياة الإنسان، وهذا جانب إيجابيٌّ للحضارة الغربيَّة يجب أن نعترف به، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨].

وأكثر الَّذين ماتوا في الأيَّام الماضية، في حوادث الزلزال في مصر، لم يموتوا من الزلزال نفسه، إنَّما ماتوا من التزاحم على الخروج من أماكنهم،

QaradawiBooks.com

لم يُحسَب حساب هذه الأمور، ومعظم الأشياء التي نقرؤها الآن عن آثار هذا الزلزال ترجع إلى أن هناك أناسًا لا ضمير لهم ولا أخلاق، بنوا بنايات لم تستوفِ الشروط القانونيَّة، وقوبل ذلك بالتساهل معهم.

أمَّا في تلك البلاد فهذه الأمور تكون في غاية الدقَّة والانضباط، لأنَّ للإنسان قيمةً كبيرة عندهم، أمَّا نحن فالإنسانُ أرخصُ ما يكون عندنا، غاية ما نفعله إذا مات إنسان عندنا في مثل هذه الحوادث، أنْ يُعطَى تعويضًا عنه ألفٌ أو ألفان.

مسؤوليَّة المسلمين:

نحن في الحقيقة مُتخلِّفون، وتخلُّفنا لا يُسْأل عنه الإسلام، إنَّما نُسأل عنه نحن، فمن نظر إلى الإسلام طوال تاريخه وجد هناك حقيقة لا يختلف فيها منصفان إطلاقًا، هي أنَّ القوَّة والضعف، والازدهار والذبول، والنصر والهزيمة، والامتداد والانكماش، والتقدُّم والتأخر، كلها مرتبطة بمدى القرب من الإسلام، أو البُعد عنه، بمدى الفهم الصحيح للإسلام، أو سوء الفهم له، بحسن تطبيقه، أو سوء تطبيقه، فبقدر ما يُحسن الناس فهم الإسلام، وبقدر ما يحسنون العمل به، بقدر ما تزدهر حياتهم وتزهو، ويعزُّون بعد ذُلٍّ، ويقوون بعد ضعف، وينتصرون بعد هزيمة، ويديل الله لهم من أعدائهم، هكذا حدَّثنا التاريخ الإسلامي كلُّه.

المسلمون ـ أيُّها الإخوة ـ في عالم اليوم مستضعفون، وممزَّقون، ومتخلِّفون، وأعداؤهم بهم يتربصون، ولا نجاة لهم مما هم فيه؛ إلا بالعودة إلى الإسلام، هذه العودة ستثير عليهم أعداءهم، ليكن، فليستعدُّوا لكلِّ معركةٍ مع كلِّ عدوٍّ للإسلام، عليهم أنْ يوضحوا موقفهم، وأنْ يبيِّنوا الإسلام الصحيح، وأنَّهم لا يريدون بأحدٍ شرًّا، إنَّما يريدون أنْ يعيشوا

QaradawiBooks.com

بإسلامهم ولإسلامهم، ماذا يضير هؤلاء أن نعيش مسلمين، ونموت مسلمين، نرضي ربنا، ونعمل بسنَّة نبيِّنا، ونعيش كما يعيش غيرنا؟ لماذا يريدون أن نتخلَّى عن عقيدتنا، وأن ننسلخَ من ذواتنا؟ هذا ليس بإنصاف.

الإسلام ليس خطرًا:

والإسلام ليس خطرًا ولا ضررًا، الإسلام رحمة الله للعالمين، وحيثما حَلَّ يحمل هذه الرحمة، وهذا النُّور، وهذه الهداية للبشر، وكما قال جوستاف لوبون: ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب[1]. يعني المسلمين، فهم يحملون العدل والرحمة، ويحملون الهداية الربَّانيَّة للناس حيثما حَلُّوا، فلم يكن فتح المسلمين فتحَ استعمار، إنَّما كان فتح هداية، وفتح عدالة، وفتح بناءٍ ماديٍّ ومعنويٍّ، كان مع الشعوب ضد الحُكَّام الظُلَّام، ومع العلم ضد الجهل، ومع النُّور ضد الظلَام، ومع العدل ضد الظلم والطغيان، هذا هو الإسلام.

يجب على المسلمين أنْ يوضِّحوا موقفَهُم، وأنْ يثبتوا عليه، وأنْ يصبروا، ويُصابروا، ويُرابطوا، والله معهم، ولن يَتِرَهم أعمالَهم.

أسال الله تبارك وتعالى أنْ يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأنْ يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأنْ يُحسن عاقبة أمتنا في الأمور كلها، وأنْ يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم آمين.

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة ـ وأستغفر الله لي ولكم، وصلَّى الله على محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) حضارة العرب لجوستاف لوبون صـ٦٠٥، ترجمة عادل زعيتر، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦م. ونصُّ عبارة جوستاف لوبون: «فالحقُّ أنَّ الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم».

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢٣

المسلمون أُمَّة منصورة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مَنْ بعثه رحمة للعالمين، ونعمة على المؤمنين، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ورضي الله عن آله وأصحابه، الذين آمنوا به وعـزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خيـر ما أحيِّيكم به أيها الإخـوة والأخوات تحية الإسـلام، وتحية الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

دعوة قديمة لزيارة جنوب أفريقيا:

في الحقيقة كانت أول دعوة وُجهت إليَّ لزيـارة هذا البلد منذ أكثر

(١) ألقيت هذه المحاضرة بمدينة «كيب تـاون» ضمن زيارته إلى جنـوب أفريقيا، بدعوة من مجلس القضاء الإسلامي هناك، في أبريل ٢٠١٠م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من خمسين سنة، من شابٍّ تخرَّج معي في الأزهر الشريف في الخمسينيات، وقال: ليتك تزورنا في جنوب أفريقيا! بلدنا بلد جميل، وفيه رأس الرجاء الصالح، وفيه كذا وكذا. فقلت له: لعل الله يكتب لنا هذا. وكان في ظني أنْ أزور هذا البلد بعد خمس سنوات أو عشر، ولكن قدَّر الله ألا تتم الزيارة إلا بعد أكثر من نصف قرن.

هذا الأخ تفارقنا ولم أره ولم أسمع عنه من تلك المدة، إلا أنَّنا التقينا في سنة (١٩٦٢م). في موسم الحج، والآن أسأل عنه وأقول لكم اسمه، هو الشيخ عبد الحميد الخبيري، قالوا: كان سفيرًا، وكان كذا وكذا. فقلت: أين هو الآن يا جماعة؟ قالوا: هو في أستراليا، ولعله يأتي يوم الخميس القادم. فإذا جاء فهي فرصة أن أجدد صلتي معه، وإذا لم يُقدَّر لي أن أراه في هذه الفرصة؛ فأرجو أن تبلغوه تحياتي ودعواتي.

أُمَّة بخير لا تموت:

هذه الأيام والليالي ـ أيها الإخوة والأخوات ـ ليالي أُسَمِّيها أعراسًا إسلامية، نحن في كل ليلة في عُرْسٍ للإسلام، ولدعوة الإسلام ولأمة الإسلام؛ فالإسلام بخير، وأمة الإسلام لن تموت، يُمكن أن تنام أمة الإسلام أو تُنَوَّم، ولكنها لا تموت أبدًا؛ لأن هذه الأُمَّة هي خاتمة الأمم، وهي مسؤولة عن حراسة خاتمة الرسالات، ليس بعد القرآن كتاب، ولا بعد محمد ﷺ رسول، ولا بعد الإسلام شريعة، فالأمة المسلمة هي التي تحافظ علي مواريث الأنبياء جميعًا، كُتِبَ علينا نحن المسلمين أن نكون الحَفَظة والأمناء والحُرَّاس الأيقاظ على كل تركات النبوات، حمَّل الله ﷻ هذه الأُمَّة هذه المسؤولية، ولذلك ضمن لها أن تبقى ماديًّا، وتبقى معنويًّا.

QaradawiBooks.com

ضمن الله بقاء هذه الأُمَّة ماديًّا؛ فلا يمكن أن يسلط عليها أُمَّة أخرى بحيث تستأصل شأفتها، وتبيدها إبادة، أو تصفيها تصفية مادية جسدية، ولذلك تعرضت هذه الأُمَّة لحروب الرِّدة، وتعرضت لحرب التتار، وتعرضت لحروب الصليبيين، وتعرضت للاستعمار في عهوده الحديثة، ولكنها انتصرت على هؤلاء جميعًا؛ لأنَّ الله تعالى ضمن لهذه الأُمَّة أن تبقى من الناحية المادية.

كما ضمن الله بقاء هذه الأُمَّة من الناحية المعنوية؛ بأن تظل فيها طائفة تدعو إلى الإسلام، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تُحقّ الحق وتبطل الباطل، وتقف في وجه الطغاة والفراعنة والهوامين والقوارين، هذه الطائفة يسميها علماؤنا «الطائفة المنصورة»، أخذًا من عدد من الأحاديث، عن عدد من الصحابة ـ كلها صِحاح ـ تقول: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[1]. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والحمد لله أن قد وجدنا «كيب تاون» كما بشرنا بها الأخ الصديق الشيخ عبد الحميد الخبيري؛ من حيث الجمال والروعة، والمناظر التي تسرُّ الأعين، وتشرح الصدور، فكانت كما قال الشاعر العربي قديمًا:

كانَتْ مُحَادَثَةُ الرُّكبانِ تُخْبِرُنَا عَنْ جَعْفَر بنِ رَبَاحٍ أَطْيَبَ الخَبَر
حَتَّى التَقَيْنَا، فَلا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ أُذنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي[2]

ولهذا يقولون: صدَّق الخُبْرُ الخبرَ، أو صدَّقت العينُ الأذنَ، أو ما سُمِعَ بالأذن. فهكذا في الحقيقة وجدنا هذا البلد الجميل، خاصة أننا

(١) سبق تخريجه صـ ٤٧٣.

(٢) البيتان لأبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي، كما في وَفَيَات الأعيان لابن خلكان (٣٦١/١، ٣٦٢).

QaradawiBooks.com

اليوم ذهبنا إلى رأس الرجاء الصالح، ورأينا هذا المنظر الجميل الذي يتحقق فيه قول الله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢١]. وسألني بعض الإخوة: هل هذا في البحر الملح، والبحر الفرات؟

قلتُ: في القرآن الكريم آية تقول هذا، هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]. فهذا يحدث بين البحور المالحة والبحور العذبة، وعندنا في مصر مظهر له عند دمياط وعند رشيد؛ حينما يلتقي النيل العذب، بالبحر الأبيض المتوسط.

ولكن في سورة الرحمن نجد قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾. لم يقل: عذب فرات، ولا ملح أجاج. وهذا دليل على أن كلمة بحر إذا ذُكرت يُراد بها البحر المِلْح، فبين هذين البحرين برزخ فعلا، لا يبغي أحدهما على الآخر، وهما ملتقيان!

انظر المحيط الهندي يلتقي بالمحيط الأطلسي، ولكن هذا الماء غير هذا الماء، البرودة ودرجة الحرارة هنا غير البرودة ودرجة الحرارة هنا، الكثافة في هذا المحيط غير الكثافة في هذا المحيط، الأسماك والأحياء المائية تجد هنا نوعًا من الأسماك لا يوجد في الآخر، فمن الذي علَّم الماء هنا ألا يعتدي على الماء هنا، ومن الذي صنع هذا الفاصل أو هذا البرزخ؟ إنَّه الله ﷻ، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، بأي آلاء الله وآياته تكذبان أيها الإنس والجان؟!

فالحمد لله أننا وجدنا في هذا البلد الطيب من الناحية المادية ما يسر، ووجدنا من الناحية المعنوية ما يسرنا أكثر إن شاء الله، من إقبال

QaradawiBooks.com

المسلمين على الإسلام، وتمسكهم بالإسلام، واعتزازهم بالإسلام، هذا ما يطمئننا أكثر.

غير مرخصة للطباعة

مشاركة المرأة:

ومن الأمور التي أحب أن أنوه بها أيضًا: أنني وجدت هنا أخوات في الشرفة، وتعرفون إخوانكم في جوهانسبرج لا يجيزون هذا، وأنا تكلمت معهم بصراحة: أنَّه لا يجوز حرمان المرأة وهي نصف المجتمع من المساجد، من المشاركة في الأنشطة الدينية، الناس مجمعون على أنَّ المرأة نصف المجتمع، وأنا أقول: هذا صحيح من ناحية العدد، أمَّا من ناحية التأثير فهي أكثر من النصف؛ لأنَّها تؤثر في زوجها، وتؤثر في أبنائها الذكور، فأصبح تأثيرها أكبر من النصف؛ فكيف نحرم نصف المجتمع ونحكم عليه بالإعدام؛ بحيث لا يأتي إلى المساجد؟

ومع أنَّ أبا حنيفة هو الذي أجاز للمرأة أن تزوج نفسها بغير وليها، وهذا ظاهر القرآن ﴿تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، ﴿يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. وهو الذي أجاز للمرأة أن تكون قاضية في غير الجنايات، في الأحوال الشخصية، وفي الأمور المدنية والإدارية، وفي مثل هذه الأمور تكون المرأة قاضية، هذا أبو حنيفة، ثم يأتي أبو حنيفة بعد ذلك فيمنع المرأة من الذهاب إلى المسجد؛ بناء على كلمة من السيدة عائشة رضي الله عنها، أنكرت بها على بعض النساء التي كانت تخرج إلى المسجد متعطرة، وقالت: «لو يعلم الرسول ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن من الخروج»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٦٩)، ومسلم في الصلاة (٤٤٥).

QaradawiBooks.com

وحتى لو جاز هذا في الأزمنة الماضية فلا يجوز أن نمنعها في عصرنا، في وقت من الأوقات قال بعض الفقهاء: تمنع المرأة الشابة ويُسمح للمرأة المُسِنَّة والكبيرة. فجاء بعض العلماء وقالوا: لا، كل فولة ولها كيَّال، للمرأة العجوز ما يناسبها من الرجال الشوَّاب!

لكلِّ ساقطةٍ في الحيِّ لاقطةٌ وكلُّ كاسدةٍ يومًا لها سوقُ[1]

فقالوا: لا يجوز هذا لشابة أو عجوز. وأغلقوا الباب على المرأة!

وكان من نتيجة هذا ـ أيها الإخوة ـ أننا وجدنا في بلادنا في العصور الماضية بعض النساء يعشن ويمتن ولا يصلين ركعة واحدة! لا لقلة الدين؛ ولكنَّه من الجهل، بدليل أنَّها يأتيها رمضان فتصوم رمضان، لكن الصلاة وغيرها من العبادات تحتاج إلى تعلُّم، الفقهاء الذين منعوا قالوا: على الأب أن يعلم ابنته، وعلى الزوج أن يُفَقِّه زوجته. ولكن لم يتم ذلك، وكيف يتم والزوج نفسه في حاجة إلى من يُفَقِّهُه، والأب في حاجة إلى من يُعَلِّمه؟

أعمى يقودُ بصيرًا لا أبا لكمُ قد ضلَّ من كانت العِميانُ تهديهِ[2]

وإذا كانت المرأة الآن قد ذهبت إلى كلِّ مكان، ذهبت إلى السوق، وذهبت إلى المدرسة، وذهبت إلى الجامعة، وسافرت بالطائرة إلى كل مكان؛ فلماذا تُمنع من هذا الشيء الوحيد وهو المسجد؟! هذا غير معقول.

ولماذا نتعلم ونتفقه في ديننا إذا لم نكن قادرين على النظر في بعض المسائل الموروثة؟! هذا أمر عجيب! تنشأ المدارس والكليات والجامعات وتُخرِّج الآلاف كل سنة، وهذه المجموعات كلها غير قادرة

(١) انظر: تبيين الحقائق لعثمان الزيلعي (١٣٩/١)، نشر المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ط١، ١٣١٣هـ.

(٢) البيت لبشار بن برد، انظر: الدر الفريد (٤٥٥/٣).

QaradawiBooks.com

على أن تنظر في مسألة فقهية وتقول: هذه المسألة ضعيفة من ناحية السند، والفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، والعُرف والحال. لم نجد شيئًا من هذا.

ولذلك سرَّني أنَّ الإخوة هنا قالوا: لا يوجد عندنا مانع من أن تأتي المرأة هذه الأشياء، وتذهب إلى المساجد. وإن كنت أحب أن يكون العدد كبيرًا، ولكن لعلَّ وقت المحاضرة جاء متأخرًا؛ فلم يناسب المرأة بأن تحضر بالعدد الكافي.

تصوير المحاضرات:

الأمر الآخر الذي سرَّني هو أن هذه المحاضرة وهذا اللقاء بيني وبين الإخوة مسجل بالفيديو، فكل المحاضرات التي ألقيتُها هناك كانت مسجلة بالكاسيت، يا جماعة نحن في عصر الفيديو والتليفزيون والإنترنت!

وأنا في الحقيقة ناقشتُ كبار العلماء في هذا الأمر، ناقشتُ الشيخ ابن باز، وناقشتُ الشيخ الألباني، وقلتُ لهما: إنَّ هذا التصوير ليس هو التصوير الذي جاءت به الأحاديث، فقام بعض الإخوة وقرأ الحديث الذي في الصحيحين: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون**»[1]. وكان مع الأخ وليد كاميرا؛ فقلت له مضاحكًا: خُذ حذرك ستكون أول المعذبين مع فرعون وآله، ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. ليس هذا هو المقصود بالأحاديث.

ولذلك قلتُ لهم: نحن في قطر نسمي هذه الصور الفوتوغرافية «عكس»، القطريون وبلاد الخليج ورثوا هذه الكلمة يقولون عن التصوير:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩)، كلاهما في اللباس، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

عكس. وإذا أراد الإنسان أن يذهب إلى المصور يقول: أنا ذاهب إلى العكَّاس، وإذا أراد أن يتصوَّر يقول له: اعكسني. وإذا صوَّره يقول: متى آخذ العكوس؟

وقديمًا ألَّف الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي مصر في زمنه وعلامة زمانه رسالة سمَّاها «القول الكافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي»، وقال: إنَّ التصوير عبارة عن انعكاس الصورة، كما تنعكس صورة الإنسان في المرآة: تنعكس على الورق بواسطة هذا الورق الحساس، وهذه الوسائط التي هدى الله إليها الناس؛ فاستطاعوا تثبيت هذه الأشياء، ولذلك يسمونها «عكس»[1]. فهذا التصوير ليس مضاهاةً لخلق الله، بل هو من خلق الله نفسه.

ومن هنا سرَّني أن تُسجل هذه اللقاءات بهذا الجهاز، ويستطيع الإنسان بعد مدة من الزمن أن يرى هؤلاء الإخوة مجتمعين، يراهم بعينه، ويسمعهم بأذنه، فهناك فرق بين أن تسمع الشخص، وأن تسمعه وتراه! وكم كنا نود لو أنَّنا سجلنا لشيوخنا الأقدمين بهذا التسجيل، كان ما سُجِّل للشيخ حسن البنا رَحِمَهُ اللَّهُ من ذلك قليل جدًّا، لم يكن ظهر في عصره إلا التسجيل الصوتي، فسجلت له أربعة دروس وكانت مسجلة في الإذاعة المصرية، ثمَّ محوها ولم يبقوا لها أثرًا، فقد كنا نود أن يكون في هذا الوقت مسجلات؛ فنسجل له محاضراته وخطبه ودروسه، فأنا أشكر الإخوة هنا على هذا الاهتمام؛ بحيث يمكن لهذه اللقاءات أن تُسمع وتُرى، والحمد لله رب العالمين.

(١) رسالة الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي صـ٢٢، ٢٣، نشر المطبعة الخيرية، ط١.

QaradawiBooks.com

نعمة الإسلام:

أيها الإخوة والأخوات: أكرمنا الله ﷻ بأن هدانا إلى الإسلام، وهذه هي أعظم النعم كما قال الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]. ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ [الحجرات: ٧، ٨]. فأعظم نعمة أنعم الله علينا بها هي نعمة الإسلام.

نعمة الأُمَّة:

وهناك نعمة الانتساب إلى أُمَّة الإسلام، فنحن جزء من الأُمَّة التي قال الله فيها: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. أي أن تمييز الله لهذه الأُمَّة ليس تمييزًا عنصريًّا، لم يقل الله: يا أُمَّة العرب، أو يا بني قحطان، أو غير ذلك. لا، وإنَّما فضَّل الله هذه الأُمَّة لأوصاف معينة، أنَّها تحمل رسالة الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبل ذلك كله رسالة الإيمان بالله، فهي مفضلة لمعانٍ، ليس كما يقول اليهود: بنو إسرائيل هم شعب الله المختار!

لا شيء من هذا عندنا، الله ﷻ يفضل الناس بإيمانهم وأعمالهم وأخلاقهم، ولذلك يقول القرآن: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣]. مسلم غير مسلم، عربي غير عربي، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٤، ١٢٥]. يُفضَّل الناس عند الله بالإيمان وبالعمل.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

انتصار الأُمَّة:

وهذه الأُمَّة التي قال الله فيها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. الأُمَّة التي تعتبر وسط الأمم في كل شيء؛ لأنَّها تمسك بالميزان من الوسط، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩]. لا طُغيان في الميزان ولا إخسار في الميزان، وهذه الوسطية أيضًا بمعنى الخيار، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، هذه الأُمَّة منصورة إن شاء الله.

وقد قلنا: إن هناك الطائفة المنصورة؛ فالأُمَّة أيضًا منصورة بهذه الطائفة وبغيرها، يهيئ الله لهذه الأُمَّة أسباب النصر، في بعض الأحيان نقول: لم يعد هناك أمل، كل شيء ضائع. وبعد ذلك يهيئ الله أناسًا ينفخون في روح الأُمَّة، ويجددون إيمانها، ويجددون شبابها، كما رأينا في عهد الصليبيين عماد الدين زنكي، وهو لم يكن عربيًّا حتى نقول: أراد أن ينقذ بلاد العرب. وإنَّما كان تركيًّا، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وهو لم يكن شهيدًا، في التاريخ سموه بالشهيد؛ لأنَّه عاش طول عمره تواقًا للشهادة، ومع ذلك لم ينلها، فسموه محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي كان كرديًّا!

عماد الدين ونور الدين تركيان، وصلاح الدين الأيوبي كردي، هؤلاء نصر الله على أيديهم الأُمَّة، وهزم الصَّليبيين الذين جاؤوا من أوروبا في تسع حملات، حملة وراء حملة، وراء حملة، وراءها ملوك أوروبا، ورهبان وقُسس أوروبا، جاؤوا في غفلة من الأُمَّة، وتفرق من أمرهم، كما هي العادة دائمًا، فاستطاعوا أن يهزموا المسلمين، ومكثوا في بلادنا

QaradawiBooks.com

مائتي سنة في سواحل فلسطين وبلاد الشام، وأقاموا ممالك، وعملوا تحالفات مع بعض الخونة وضعاف الإيمان والمنافقين، من حكام العرب في ذلك الوقت.

ولكن سرعان ما تغير اتجاه الريح وبدأت الانتصارات، انتصر الإسلام بقيادة صلاح الدين في معركة «حطين»، وانتصر أيضًا في معركة «فتح بيت المقدس»، وانتصر خلفاؤه في تكميل النصر، وانتصر الإسلام بقيادة الرجل المملوكي الصالح المظفر سيف الدين قطز في معركة «عين جالوت» التي وقعت في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ). اذكروا هذا التاريخ، وكان التتار قد دخلوا بغداد سنة (٦٥٦هـ). ودمَّروا كل شيء فيها، أخذوا الكتب ورموها في نهر دجلة حتى اسود النهر من كثرة ما سال فيه من حِبْر، فهذا الصنف من الأمم لم يعرفوا ثقافة ولم يعرفوا علمًا ولم يعرفوا حضارة، كل ما يعرفونه هو قبضة السيف، وذبحوا ألف ألف، أو ألفي ألف، معظم الروايات تقول: ألفي ألف، أي اثنين مليونًا. وذبحوهم بالسيوف والسكاكين، فكم مكثوا في فعل هذا؟ كان هذا في سنة (٦٥٦هـ).

ثم بعد سنتين انتصر المسلمون على التتار في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ). في معركة عين جالوت، خرج الجيش المصري قبل رمضان ووصل إلى هذه المنطقة، وفي اليوم الخامس والعشرين من رمضان وكان يوم جمعة، أراد بعض القادة من رجال قطز أن يبدؤوا المعركة بعد الصلاة فقال لهم: لا، نحن ننتظر حتى تفيء الظلال، ويصلي المسلمون الجمع في بلدانهم المختلفة، ويدعو لنا الخطباء على منابرهم، ويؤمن الناس على دعائهم، يقولون: اللهم انصر

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

عساكر المسلمين، وانصر جند المؤمنين، وانصر حزب الموحدين، وانصرنا على القوم الكافرين. لعله يوجد في الناس من هو مستجاب الدعاء؛ فينصرنا الله بدعوته، فانتظروا حتى ينتهي الناس من صلاتهم ودعائهم. وفعلًا بدأت المعركة بعد صلاة الجمعة مع التتار.

وكان سائدًا بين الناس هذا المثل: إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا. فلا تصدق. نفس الأسطورة التي نسمعها الآن عن إسرائيل: القوة التي لا تُهزم، والشوكة التي لا تُكسر. فأول ما بدأ جيش التتار أُخذ المسلمون من الرهبة، وبدؤوا يتردَّدون ويفرون أمام العدو، لكن المظفر سيف الدين قطز، وكان رجلًا شجاعًا وصالحًا من الصالحين، وكان يلبس خوذة نحاسية فوق رأسه، فأخذ بالخوذة ورمى بها وصاح صيحته التاريخية وقال: وا إسلاماه، وا إسلاماه، وا إسلاماه. ما قال هذه الكلمة حتى تغيَّر الموقف، فتشجَّع الجبان، وأقبل المتردِّد، وتقوَّى الخائف، وعاد المسلمون كالأسود على أعدائهم، فنصر الله هذا القائد المملوكي المظفر سيف الدين قطز على أعدائه التتار الذين قيل عنهم: إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا. فلا تصدق.

هذه الأُمَّة ـ أيها الإخوة ـ لا تنهزم، تنهزم في معركة أو معركتين، ولكن لا تنهزم أبدًا باستمرار، إنَّها تنام ولكن لا تموت، ولذلك يجب علينا أن نثق في أمتنا، أن هذه الأُمَّة منصورة، جربنا ذلك على مدار التاريخ والحمد لله رب العالمين.

لماذا أذكر لكم هذه الوقائع أيها الإخوة والأخوات؟ لأني أريد أن أثبت في قلوبكم، وفي قلوبنا جميعًا، أنَّ الإسلام سترتفع رايته، وستعلو كلمته، وستنتصر أمته بإذن الله.

QaradawiBooks.com

القوة العددية:

وكل مقومات النصر والقوة كلها مركوزة في أمتنا، أمتنا عندها القوة العددية: القوة البشرية، كنا منذ عهد قريب نقول: إن عدد الأمة بلغ مليارًا وثلث مليار. وفي آخر إحصاء قام به الغربيون أنفسهم ونُشر من قريب: أنَّ الأمة الإسلامية بلغت مليارًا وخمسمائة وثمانين مليونًا من البشر.

وهذه الإحصائيات ليست تامة، يوجد فيها تزوير، وأنا أضرب لكم مثلًا: هم قالوا عن عدد المسلمين في الصين: حوالي عشرين مليون. لكن الأمير شكيب أرسلان في تعليقه على كتاب معروف اسمه «حاضر العالم الإسلامي»، ألَّفه عالم مستشرق، قال أرسلان: إنَّ المسلمين في الصين حوالي خمسين مليونًا. وكان هذا الكلام من حوالي ثمانين سنة أو أكثر، والخمسون مليون في ذلك الوقت كم تبلغ الآن؟ نحن في ذلك الوقت كنا نقول: مصر عشرة ملايين أو اثنا عشر مليونًا. والآن مصر ثمانون مليونًا.

وأيضا كتب رجل اسمه «هانوتو» مقالة ردَّ عليها الشيخ الإمام محمد عبده، وتكلم في هذه المقالة عن خطر المسلمين في الصين فقال: هو خطر كامن يوشك أن تظهر آثاره. وهكذا، فليست هذه هي الحقيقة، ولو سلمنا أنَّ عدد المسلمين في العالم مليار وخمسمائة وثمانون مليونًا، فهذا يعني أنَّ عددهم يقارب ربع سكان العالم، فالقوة البشرية ليست هينة أيها الإخوة، الشاعر العربي يقول:

ولستَ بالأكثرِ منهُم حصًى وإنَّما العزةُ للكاثرِ[1]

(١) البيت للأعشى، انظر: صبح الأعشى (٤٤٤/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال عمرو بن كلثوم في قصيدته التي يفخر بها:

ملأنا البرَّ حتى ضاقَ عنَّا ونحنُ البحرَ نملؤه سفينا[1]

ملأنا البحر بالسفن والمعدات، والله تعالى يقول: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. فامتنَّ على الناس بكثرة العدد، فالقوة البشرية والقوة العددية موجودة عند الأُمَّة الإسلامية.

القوة الاقتصادية:

وأيضًا عند الأمة الإسلامية القوة الاقتصادية، عندها قوة زراعية، وقوة صناعية، وقوة استراتيجية، نحن الذين نملك وسط العالم، ملتقى القارات، كل شيء، ومعظم بترول العالم موجود في بلادنا، أخونا وصديقنا أنور إبراهيم في ماليزيا، وكثير منكم يتابع شؤون ماليزيا، قال له وزير خارجية تايلاند: يا أخي هل البترول هذا محصور على المسلمين! لماذا يظهر البترول في ماليزيا وإندونيسيا ولا يظهر في تايلاند؟! هكذا جعل الله تبارك وتعالى مصادر القوة هذه في بلاد المسلمين، فالقوة الاقتصادية من زراعة وصناعة ومعادن وإمكانيات، هذه أيضًا مصدر من مصادر القوة لدى الأُمَّة.

القوة الحضارية:

وعند الأُمَّة أيضًا القوة الحضارية التاريخية، تعلمون أنَّ هناك أممًا لا يُوجد لها بُعد حضاري، ولا امتداد في التاريخ، أنا عندما كنت في الولايات المتحدة قالوا لي: تعال معنا لتزور بعض المتاحف. فقلت لهم: هل عندكم متاحف؟ قالوا: نعم، سوف تشاهد فيها الأسلحة التي كنا

(١) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١.

QaradawiBooks.com

نحارب بها من خمسين سنة. الأمة الأمريكية عمرها مائتا سنة، أمَّا نحن في بلاد الإسلام؛ فقد ورثنا الحضارات العالمية: الحضارة الفينيقية التي علمت الناس الكتابة، والحضارة الفرعونية، حيث الأهرامات، والحضارة الآشورية والبابلية والكلدانية، والحضارة الفارسية الإيرانية، والحضارة الهندية، والحضارة الصينية، كل هذه الحضارات ورثناها في منطقتنا.

وفي أرضنا نزلت الرسالات السماوية، والكتب المقدسة: نزلت التوراة، ونزل الإنجيل، ونزل القرآن، وظهر في بلادنا موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، هم يقولون: نحن مسيحيون. من أين جاءكم المسيح عليه السلام؟ جاءكم من منطقتنا نحن، ليس من أرضكم ظهر المسيح، ولا من منطقتكم ظهر موسى ومحمد، هؤلاء ظهروا في بلادنا، ومن بلادنا انطلقوا إليكم، فنحن من ناحية القوة الإستراتيجية التاريخية الحضارية نسبق كلَّ الأمم، بعض الناس قد يقول: وماذا تفيد الحضارة البائدة؟ لا، هذه قوة، هذه مواريث ثقافية، مواريث فكرية، مواريث نفسية، مواريث أخلاقية، هذه قوة أيضا لأُمَّة الإسلام، لا توجد عند غيرها من الأمم.

القوة الروحية:

هناك أيضًا قوة أخرى وهي القوة الروحية، نحن وحدنا الذين نملك القوة الرُّوحية التي لا يملكها أحد في العالم، نحن وحدنا الذين نملك الوثيقة الإلٰهية السماوية التي ائتمن الله عباده عليها، وضمن ألا يمسها تغيير ولا تبديل: القرآن الكريم، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، هل هناك أحد حفظ كتابه، كما حفظ المسلمون كتابهم؟!

نحن نقرأ القرآن كما كان يُقرأ في عهد النبي ﷺ، بغَنِّه ومَدِّه وحركاته، ونقرؤه كما كُتب في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، البعض يقول: نريد أن

QaradawiBooks.com

نكتب القرآن بطريقة جديدة؛ لأنَّه يوجد فيه ألفاظ تخالف القواعد الإملائية، مثل الربا فإنها واو ألف ومثل الصلاة فإنها لام واو، ولكنْ بحمد الله لا يجرؤ أحد أن يغير في هذا القرآن لفظًا أو خطًّا؛ فهو كتاب محفوظ من كل جوانبه.

أنا قلتُ لإخوانكم هناك: ائتوني بأكبر قسيس أو كاردينال في المسيحية، أو حتى البابا الذي أساء للإسلام وإلى النبي محمد ﷺ، هل يوجد فيهم من يحفظ الكتاب المقدس؟ أو نصفه، أو ربعه، أو حتى عُشره؟! ولكن اذهب إلى صبيان المسلمين في أي مكان في العالم، تجد مئات الآلاف يحفظون القرآن عن ظهر قلب، لا يخرمون منه حرفًا واحدًا!

أنا كنت في ليبيا منذ شهرين تقريبًا، قالوا لي: إنَّ عندنا في ليبيا يوجد مليون حافظ لكتاب الله، فقلت لهم: هذه من المبالغات. فقالوا: كل حافظ عندنا مسجل، وله بطاقة فيها جميع بياناته، اسمه وعمره وعنوانه، وليس تهويلًا ولا مبالغة. مليون حافظ لكتاب الله في ليبيا! فكم يكون في مصر؟ وكم يكون في غيرها من بلاد العالم الإسلامي أيضًا؟

وأنا أقول لكم في هذا المجال أيضًا: في أوائل ما ذهبت إلى قطر في سنة (١٩٦١م). كانت قطر تقوم بمسابقات للطلاب والطالبات، والتلاميذ والتلميذات، في جزء من القرآن أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، وكانت أيضًا تقوم بمسابقة عامة لمن يحفظ القرآن كاملًا، وكان غالب من يتقدمون إلى هذه المسابقة غير القطريين من أبناء الهند، أو باكستان، أو بنجلاديش، أو بورما، أو إندونيسيا، أو ماليزيا، وكنتُ رئيس لجنة الاختبار فأسأل الطالب: اقرأ وأكمل: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الروم: ٣١]. فيقرأ ويواصل القراءة بدون تلعثم أو توقف كأنه «ريكوردر»، لا يخرم حرفًا ولا يسقط كلمة!

QaradawiBooks.com

ثم في النهاية أسأله: ما اسمك؟ فلا ينطق، لا يدري معنى: ما اسمك؟! فهو يحفظ ما لا يفهم، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، أن يحفظ الإنسان كلامًا لا يفهمه، شيء عجيب والله، وقد رأيتُ من يحفظ القرآن وعمره سبع سنوات، ومن يحفظه وعمره ست سنوات، ومن يحفظه ويحفظ معه غريب القرآن، فأنا أقول أيها الإخوة: نحن عندنا هذه القوة الروحية المتمثلة في كتاب الله، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، نحن الأُمَّة الحارسة لأعظم كُتب الله، وخاتم كتب الله ﷻ، عندنا من القوة الروحية ما ليس عند أحد، نحن الأمة المؤمنة بحق في الأرض.

شهادة منصفة:

أحد الكُتَّاب المعروفين اسمه «توماس كارليل»، له كتاب اسمه «الأبطال وعبادة البطولة»، ذكر فيه البطل في صورة نبي، فكان البطل هو محمد ﷺ، وكان مما قال: يا جماعة، ماذا تريدون ممن يدعي أنَّه بنَّاء ويجيد صنعة البناء أكثر من أن يبني قصرًا من السعة بحيث يسع آلاف الناس، ومن المتانة بحيث يعيش ألف سنة، ولا يتخلخل ولا يضطرب! يقول: وماذا تريد ممن يدعي لك أنَّه نبي أكثر من أن يتبعه مئات الملايين من الناس، وهم أشد الناس تمسكًا بدينهم من أي أمة بدينها في الأرض، ألا فليعلم الناس أنَّ مَثَل الباطل كمثل ورق البنكنوت الزائف، العملة الورقية الزائفة، فهذه يمكن أن تمر من يد إلى يد، إلى يدين، إلى ثلاثة؛ ثمَّ لا تلبث أن تُضبط، ويُعرف أنَّ هذا النقد نقدٌ زائف، أمَّا الإسلام فقد ثبت أحقيته، وثبت تمسك أمته به؛ بما لم يتمسك بدينه أحد في الأرض[1]. فهذا ما يطمئننا أيها الإخوة أننا نملك هذه القوة الروحية، التي لا يملكها أحد غيرنا.

(١) الأبطال لتوماس كارليل صـ٥٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بهذه القوى: القوة العددية البشرية، والقوة المادية الاقتصادية، والقوة التاريخية الحضارية، والقوة الروحية الإيمانية الأخلاقية، ستنتصر هذه الأُمَّة، بهذا سنقف أمام الطواغيت، الذين يريدون أن يهدروا حقوقنا، وأن يهدروا كرامتنا، وأن يغتصبوا أقصانا، وأن يفعلوا ما يريدون، لن يتمكنوا إن شاء الله، ما دامت هذه الأُمَّة موجودة، ما دام فيها أبناء صلاح الدين، وأحفاد نور الدين محمود، وعماد الدين زنكي، وأحفاد الأبطال الفاتحين، ما دامت هذه الأُمَّة تُؤمن بربها، وتُؤمن بقرآنها، وتؤمن بمحمدها، ما دامت هذه الأُمَّة موجودة سيكون النصر لنا إن شاء الله.

نحن علينا أيها الإخوة أن نتمسك بالعُروة الوثقَى لا انفصام لها، رجالًا ونساءً، شيوخًا وشبابًا، متعلمين وأميين، عربًا وعجمًا، كلنا نقف على قلب رجل واحد، للدفاع عن أقصانا، وللدفاع عن أرضنا، وللدفاع عن عرضنا، وللدفاع عن مقدساتنا، وسينصرنا الله ﷻ، لأنَّه وعد بالنصر، ولن يخلف الله وعده، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦، ٧].

قضية القدس:

أعتقد أنَّ كل ما قلتُه ـ أيها الإخوة ـ يصب في قضية القدس، كل المعاني التي قلتها في هذه الليلة أعني بها تعبئة الأنفس والأرواح، وشد العزائم حتى تستعد للدفاع عن القدس، لا يمكن أن ندافع عن القدس ونحن ضعاف الهمم، ضعاف العزائم، خامدو الأرواح، إنَّما نستطيع الدفاع عن القدس إذا قويت عزائمنا واشتدت وصلبت، وأصبحت مستعدة أن تناطح الجبال، هذا ما أردتُه أيها الإخوة.

QaradawiBooks.com

ليس المهم الحديث المباشر عن القدس، فقد أصبح كثيرًا جدًّا، وأظن أنَّ أحدًا فينا لم يعد يجهل قضية القدس، وأنَّ القدس والمسجد الأقصى في خطر شديد، أنا أقول: قد ننام في ليلة من الليالي ونصبح فنجد خبرًا يُذاع على التلفازات أنَّ المسجد الأقصى قد هُدم. نسأل الله ألا يكون ذلك ونحن أحياء، لا نستبعد ذلك؛ لأنَّ القوم يخططون له، ويمكرون مكرًا كبَّارًا، ويكيدون كيدًا عظيمًا، ونحن نقول: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]. كيد الله أعظم من كيدهم، ومكر الله أقوى من مكرهم، ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢].

نحن أيها الإخوة نواجه خطرًا حقيقيًّا، ليس مجرد الدعاية، لا، القوم يُبَيِّتون أمرًا، وللأسف أُمَّة العرب وأمة الإسلام ليست على القدر الكافي من الاستعداد، لا تأخذ الأمر بجدية، من قريب اجتمعت القمة العربية في ليبيا، وماذا صنعت القمة العربية؟ هل غيرت من الأمر شيئًا؟ هل غيرت من مواقفها؟ لا زالوا يعتمدون على أوباما وعلى أمريكا، وأمريكا مع إسرائيل في كل شيء، حاولت أن تُوقف الاستيطان ليبدؤوا ما سمَّوها «مفاوضات غير مباشرة»، وهذه كلها من علامات الاستسلام والضعف والاسترخاء، ولكن رضوا بهذا، فإذا بإسرائيل ترفض إيقاف الاستيطان حتى في قلب القدس، تقول: من حقنا أن نبني مستوطناتنا في قلب القدس؛ مثلما من حقنا أن نبنيها في تل أبيب.

هؤلاء القوم يتكلمون بقوة، ويخططون وينفذون، ونحن للأسف لا نخطط ولا ننفذ، أُمَّة بلا قيادة، على الأقل تكون فينا قيادة فكرية، قيادة دينية، قيادة تمسك هذه الأُمَّة أن تزول، تحافظ على روح هذه الأُمَّة

QaradawiBooks.com

أن تضعف، هذا هو الذي نحرص عليه في هذه اللقاءات، نحفظ الجذوة حتى لا تخبو، ونحافظ على هذه القوة حتى لا تضعف، وعلى هذه اليقظة حتى لا تُخدَّر، هذا ما نريده أيها الإخوة.

ونريد كل واحد منكم أن يكون مستعدًّا للدفاع عن القدس بنفسه، وبماله، وبما يقدر عليه، أقل شيء بالدعاء، يقول: يا رب انصر القدس، يا رب أعد لنا القدس، يا رب خُذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر. وهذه الدعوات لن تضيع عند الله أبدًا.

أتهزأُ بالدُّعاء وتزدريهِ ... وما يدريك ما صنعَ الدعاءُ
سهامُ الليل لا تُخطي ولكنْ ... لها أمدٌ وللأمد انقضاءُ
فيُمْسِكُها إذا ما شاء ربي ... ويرسلُها إذا نفذَ القضاءُ[1]

اللهم انصرنا على القوم الكافرين، اللهم انصرنا على اليهود الظالمين، اللهم انصرنا على الطغاة المستكبرين، اللهم انصرنا عليهم ومن مالأهم من الطغاة والظالمين، اللهم يا مُنزل الكتاب، ويا مُجري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، وانصر إخوتنا في غزة، وانصر إخوتنا في القدس، اللهم أيدهم بروح من عندك، اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يُضام، وانصرهم فإنك خير الناصرين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

---

(١) المستطرف صـ١١٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢٤

هموم المسلمين(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبدُ الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أمَّا بعد)

فإني أحمد الله تبارك وتعالى أنْ هيَّأ لي هذه الفرصة للقاء بالإخوة الأحبة الذين أسعد بلقائهم في هذه الدار المباركة، في هذه الجمعية الميمونة، في هذه القاعة التي تحمل اسم أخ عزيز علينا، حبيب إلينا، من رواد العمل الإسلامي في البحرين، وفي منطقة الخليج

(١) ألقيت في جمعية الإصلاح بدولة البحرين في بداية التسعينات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بصفة عامة: الأخ عبد الرحمن الجودر رحمه الله رحمة واسعة، وتقبله في الصالحين.

وفي هذه الأيام خاصة في الأشهر الحرم وفي أشهر الحج، ونحن على أبواب عشر ذي الحجة، الأيام العشرة والليالي العشر، يطيب لي ويسعدني أن ألتقي ـ كما يطيب لي ويسعدني دائمًا ـ أن ألتقي بالإخوة الأحبة في هذه الجمعية، وأسأل الله ﷻ أن يكون لقاؤنا هذا خالصًا لوجهه، وأن يكون طاعة من الطاعات، وقربة من القربات، وأن يجعله الله تعالى في ميزاننا يوم القيامة حسنات ودرجات عنده، فنحن في رحاب هذه الدار نلتمس علمًا نافعًا عسى الله أن يسهل لنا به طريقًا إلى الجنة، نعيش في رحاب كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فعسى الله ﷻ أن يغشانا برحمته، ويحفنا بملائكته، وأن يذكرنا في ملأ عنده، وأن يُنزل علينا السكينة من فضله ورحمته.

مآسي المسلمين لا تنتهي:

أيها الإخوة، في هذه الأيام يعيش كل مسلم بقلب مجروح، بكبد تتقطع، يفريها الأسى، ويكويها الحزن على مصاير المسلمين في كل مكان!

قال لي بعض الإخوة: كدت ألا أسمع نشرة في إذاعة، ولا أشاهدها في تلفاز؛ لأن كل نشرة من النشرات تأتي لنا ببلية من البلايا تصيب المسلمين في بلد من البلدان، وقطر من الأقطار، كأن النشرات أصبحت مقصورة على هموم المسلمين ومآسيهم في كل مكان.

أمة الغُثاء:

مآسٍ نقرأ عنها ونسمعها ونشاهدها، ولا نملك للأسف أن نصنع شيئًا، أمة من مليار وربع مليار الآن في العالم؛ كما تتحدث عنهم الأرقام

QaradawiBooks.com

والإحصاءات، ولكن هذه المئات من الملايين لا تصنع شيئًا؛ لأنَّها كما صوَّرها الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان رضي الله عنه: «**كثرة كغثاء السيل**»[1]. ليست العبرة بالكم، العبرة بالكيف، يوم كان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا وقفوا أمام الكفر، وصنع الله بهم يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، يوم بدر، الآن المسلمون ألف مليون أو ألف ومائتا مليون، ولكن تنهال عليهم الضربات من كل مكان، وهي ضربات وحشية متلاحقة، وللأسف لا يصنعون شيئًا.

شكر الله للإخوة هنا؛ وقد أقاموا أسبوعًا لمناصرة البوسنة والهرسك، وجزى الله إخوة آخرين في كل مكان يفعلون مثل هذا، يحاولون أنْ يحركوا الهمود في هذه الأُمَّة، وأن يوجدوا بدائل لعجز الأنظمة الحاكمة، وعجز المؤسسات في بلادنا العربية والإسلامية!

عجز العالم الإسلامي عن نصرة أهل البوسنة:

لم تستطع منظمة المؤتمر الإسلامي ولا المنظمات الإسلامية الأخرى في بلادنا أن تفعل شيئًا، اجتمع وزراء خارجية الدول الإسلامية في شهر ديسمبر؛ من أجل قضية البوسنة والهرسك، وتداولوا في الأمر، وبحثوه من جميع وجوهه، ثم تمخض الجمل فولد فأرًا كما يقولون، أعطوا مهلة للصرب إلى الخامس عشر من يناير، ولا أدري لماذا المهلة والأمر عاجل؟ وما معناها ودلالتها؟ انتظرنا حتى جاء الخامس عشر من يناير، والخامس عشر من فبراير، والخامس عشر من مارس، والخامس عشر من إبريل، وفات الشهر وراء الشهر، وما صنعت هذه المؤسسات شيئًا، واجتمع هؤلاء الوزراء مرة أخرى في كراتشي في باكستان،

(١) سبق تخريجه صـ٨٩.

QaradawiBooks.com

وما نراهم صنعوا شيئًا، بالعكس كان أكثر ما تحدثوا عنه وما شُغلوا به هو محاربة التطرف في البلاد الإسلامية، هذا ما يحدث للأسف.

ومن أجل هذا تتقطع قلوبنا أسفًا وأسًى وحسرة على ما يحدث في ديار الإسلام، ولا نجد من يصرخ من أجل هؤلاء الناس، ليس هناك معتصم ولا معتضد حتى نقول: وا معتصماه، وا خليفتاه. لو وجدنا خليفة ـ ولو ضعيفًا، كما كان آخر خلفاء بني عثمان ـ يتكلم باسم المسلمين لناديناه، ولكنا للأسف: لا نجد إلا أناسًا مشغولين بأوضاعهم الخاصة، وبمراكزهم، وبأحوالهم، وبكراسيِّهم؛ فلا يستمعون، ولو استمعوا ما استجابوا لكم: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]. والشاعر العربي المعروف عمر أبو ريشة له قصيدة مشهورة يقول فيها:

أُمَّتي هَلْ لَكِ بينَ الأمم ... منْبَرٌ للسَّيفِ أو للقَلَمِ

إلى آخر القصيدة التي يقول فيها:

أُمَّتي كَم صنم مجَّدْتِه ... لَمْ يكُنْ يَحْملُ طهرَ الصَّنمِ
رُبَّ وَامعتصِماهُ انطلَقَتْ ... مِلْءَ أَفْواهِ الصَّبايا اليُتَّمِ
لامَسَتْ أَسْماعَهم لكنَّها ... لَمْ تُلامِسْ نخْوَةَ المُعْتصمِ[1]

ولهذا أصبحنا نجد هذه المصائب في كل يوم، في البوسنة والهرسك نرى الدماء تُسفك، والأعراض تُهتك، والمساجد تُدمَّر، والمستشفيات تُهدَّم على من فيها، والأرض تُحرَّق، يتحدّون المسلمين، وليس هناك من يغيث هؤلاء الإخوة.

(١) ديوان عمر أبو ريشة (١/٧ ـ ١١)، قصيدة: بعد النكبة، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عجزنا أمام قضية فلسطين:

كما نرى قضية العرب والمسلمين الأولى، والتي صار لها سنوات وسنوات، لا تزال كما هي؛ محلك سر!

ركضوا وراء مؤتمرات السلام، وكان هذا السلام سرابًا بقيعة ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]. مؤتمرات هنا وهناك، انتهت الجولة التاسعة، ماذا فعلت الجولة الأولى والثانية والثالثة حتى التاسعة؟ لا شيء، ولو كانت ثلاثين جولة ما انتهت إلى شيء، أصبح رب الدار يركض وراء السارق أو الغاصب، والغاصب لا يقبل، ليس هناك إلا منطق واحد: ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لَهَمْدَانَ ظَالِمُ؟
مَتَى تَحْمِلِ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ الْمَظَالِمُ[1]!

ثورة المساجد:

أن يكون لك قلب ذكي، وأنفي حمي، وسيف صارم تستطيع أن ترد عنك المظالم والمراغم! إنَّما الصراخ وحده لا يجدي شيئًا، وهذا ما عقله إخواننا في حركة المقاومة الإسلامية (حماس)؛ رفضوا هذه المفاوضات، ورفضوا هذا كله، وانطلقوا من المساجد في هذه الثورة التي كانت تسمى في أول أمرها «ثورة المساجد»، ثورة منطلقاتها المساجد، ورياتها المصاحف، وشعاراتها: لا إلٰه إلا الله، والله أكبر. ونشيد أشبالها: خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود. هذا هو المنطق الوحيد الذي يفلح هنا.

(١) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء صـ٨١.

QaradawiBooks.com

التهجير والتشريد والإبعاد:

أمَّا إسرائيل فما تزال تعربد وتقتل وتسجن وتبعد وتشرد، لكننا رأينا من إخواننا المبعدين هؤلاء الذين أخرجوا مـــن ديارهم وأموالهم، أبلغ ما يمكن أن يعبر عن هذا هو ما سماه القرآن «الإخراج من الديار»، جعل القرآن هذا بمثابة قتل النفس: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦]، إخراجك الإنسان من داره كأنك تقتله، يخرجونهم من ديارهم بغير حق، الله تعالى قال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

هؤلاء الإخوة المبعدون المخرَجون من ديارهم ضربوا لنا المثل في التضامن، والتكاتف، ورفض هذا الظلم، وأقاموا حياة إسلامية في وجه إسرائيل، ولا يزال العمل مســتمرًّا، والكفاح والجهاد مستمرين والحمد لله، كانوا يظنون أنَّه بمجرد إبعادهم ســتنطفئ الشعلة، ستخمد الجذوة، ســتضعف القوة، ولكن ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]. ستستمر الشعلة؛ لأنَّها بدأت باسم الله، وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

إســرائيل ـ أيها الإخوة ـ خلا لها الجو الآن فأصبحت تعمل في الســاحة وتتحكم فيها، إسرائيل هي التي توســوس الآن للشياطين، الذَّين تولى كثير منهم المســؤولية في بلادنا، بأنَّ الخطر الأكبر الآن هو خطر الأصولية الإســلامية، هذا هو الخطر الــذي ينبغي أن تقفوا

QaradawiBooks.com

جميعًا ضده، ونحن نقف وراءكم، فإسرائيل الآن هي التي تقود هذه الحملة ضد هذا الخطر الذي يسمونه في الغرب الآن «الخطر الأخضر»، كان هناك الخطر الأحمر متمثلًا في الشيوعيين، دولة الشر الاتحاد السوفييتي، الآن بعد أن تخلصوا من الاتحاد السوفييتي يبحثون عن عدو جديد وخطر جديد، ليس هو الخطر الأحمر الذي يتمثل في الاتحاد السوفييتي، ولا الخطر الأصفر الذي يتمثل في الصين، الخطر الآن الذي يتحدثون عنه هو الخطر الأخضر، يقصدون الخطر الإسلامي، وإسرائيل هي التي تحمل عبء هذا التحذير من هذا الخطر، وتتولى كبره.

قضية كشمير الجريحة:

بالأمس فقط كنت أفتح التلفاز فوجدت شمعون بيريز وزير خارجية الدولة الصهيونية هناك في الهند يقول لهم: نحن معكم في قضية كشمير، ونحن نشد أزركم في مواجهة الأصولية الإسلامية المتشددة.

المسلمون لكي يطالبوا بكشمير، وهي أرض إسلامية، وأغلبية إسلامية، وكل منطق يفرض أن أهلها هم الذين لهم الحق في تقرير مصيرها، وكان المفروض من أول الأمر أن تُضم كشمير إلى باكستان؛ حسب الواقع الذي كان موجودًا، أن كل أرض أغلبيتها مسلمون تنضم إلى باكستان، وكل أرض أغلبيتها غير مسلمين تنضم إلى الهند، ولا عبرة بالحكام كما حدث في حيدر آباد؛ كان حاكمها مسلمًا؛ لكنهم قالوا: الأغلبية غير مسلمة. مع أنَّها كانت أغلبية قليلة جدًّا، والبعض يقول: النصف والنصف. وأخذوا حيدر آباد، ولها تاريخ إسلامي؛ حتى من ناحية نشر العلم، ودار المعارف العثمانية هناك، ونعيش حتى الآن على

QaradawiBooks.com

ما نشرته المؤسسات العلمية في حيدر آباد، إسرائيل الآن تقول للهند: نحن معكم. وهكذا اجتمع الذين هادوا والذين أشركوا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

عم نتحدث أيها الإخوة؟

أنتحدث عن فلسطين أرض النبوات، والعدو الصهيوني، وأشبال الحجارة، عما يجري هناك؟

فتوى مؤلمة من البوسنة:

أم نتحدث عن البوسنة والهرسك واغتصاب النساء، والأخوات اللائي يسألن: ماذا نفعل؟

كنت في زغرب في أكتوبر الماضي، وفعلًا جاءني السؤال: ماذا نفعل في هذه الأجنة في أحشائنا؟ أجنة من الصرب، والصرب كانوا يقصدون إلى هذا، لا يقصدون فقط أن يعتدوا على مسلمة، بل يريدون مع هذا أن تحمل، ويحرسون الجنين حتى تلده، لا يسمحون لها أن تجهضه! ماذا تفعل المسلمة حينما تضع هذا المولود من عدوها؟ صحيح أنَّه من أحشائها، ولكنها تكره من اغتصبها، مصائب تنزل بالمسلمات هناك!

هموم متعددة:

ماذا نصنع أيها الإخوة أمام هذا كله؟ المسلمون في جامو وكشمير، المسلمون المشردون في بورما، المسلمون في بورما، المسلمون في إريتريا وقد أوشك جهاد المسلمين عشرات السنين أن يضيع، وأن يقطف الثمرة النصارى والعلمانيون واليساريون، ودائمًا الإسلاميون يزرعون،

QaradawiBooks.com

والعلمانيون واللادينيون يحصدون، هذا ما يحدث الآن، تقوم دولة في إريتريا، وستتولى هي عملية التنصير في أفريقيا!

المشكلة في عالمنا الإسلامي مشكلة كبيرة.

الحصار على السودان:

والسودان لأنَّه أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية، ويحاول أن يقيم مجتمعًا مسلمًا حاربوه! والله قابلني بعض الإخوة الثقات، الدكتور عصام البشير وهو رجل داعية معروف، على فقه وبصيرة، وليس من الجبهة الإسلامية، ولكنَّه يقول: في الحقيقة الجماعة يقومون ببناء مجتمع إسلامي. لا مجرد تغيير القوانين، لا، بل يقول: يقومون ببناء مجتمع إسلامي. وضربوا المثل: فالحاكم يأخذ ببطاقة التموين كما يأخذ غيره من الناس، ويمشي في الشارع كما يمشي غيره، ويُفرض عليه حظر التجول كما يُفرض على غيره، ويعيش كما يعيش المواطنون، والمجتمع هناك يعمل ويزرع، ومعروف أنَّ السودان مخزن غلال العالم العربي كله، يمكن أن يكفيه!

لما بدأ الناس يزرعون وينتجون وتفيض مخزوناتهم بالملايين لم يجدوا من يصدرون له! حصار مضروب على هؤلاء بحيث لا يجدون من يشتري ليفشل هذا الأمر، وتخفق التجربة الإسلامية، ونجد من بلاد العرب والمسلمين من يساعد جون جارنج؛ هذا الصليبي الذي تدعمه الكنيسة الغربية بصراحة، سبحان الله العظيم! مع أن أمر الإسلام أكبر من أي حكومة، وأكبر من أي نظام، وأكبر من أي حزب، وأكبر من أي جبهة! لكننا الآن في عصر فتنة أيها الإخوة، والآن تُهيَّأ فرص لتدخل دولي في السودان.

QaradawiBooks.com

الآلام تطغى على الآمال:

عن أي شـــيء أحدثكم الآن؟ وقد كنا في الفترة الماضية نتحدث عن آثار الصحوة الإسلامية وثمارها في كل مكان، وأنَّ الصحوة تمتد، والبشائر قادمة، والفجر قادم، ولا زلنا نقول إن شاء الله، لكننا الآن أصبحنا نتحدث عن الآلام أكثر مما نتحدث عن الآمال، أصبحنا نتحدث عن الكوارث التي تحدث؛ لأن هذه الصحوة نفســها أقلقت القوى المعادية للإسلام، حركت ســكونهم، أزعجتهم، فإذا هذه القوى تثور فيها غرائز الشــر، وعادت من جديد تكيد لنا كيدًا، وتمكر بنا مكرًا! كل القــوى اجتمعت، الذين هادوا والذين أشركوا، اليهود والنصارى والشــيوعيون والعلمانيون واللادينيون والظلمــة والمتحللون، كلهم اجتمعــوا علينا: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾ [الجاثية: ١٩].

كيف يمكن أن يتبجح الناس بمحاربة الزي الإسلامي؟ كيف يصبح الزي الإسلامي جريمة؟ هذا ما صار للأســف، والجزائر المسلمة، والله كنت أصلي في المسجد صلاة الجمعة، يمتلئ بطوابقه الثلاثة، وتمتلئ الساحات حول المســجد، والميادين القريبة من المســجد، والطرقات الموصلة إلى المسجد، وتتوقف المواصلات، مائة ألف، مائة وخمسون ألف، مائتا ألف، رجال ونساء، وشــبان وشابات، كل هذا يضيع هكذا؟ ماذا يجري؟ دائمًا أتمثل بقول الشاعر:

وَلِي كَبِــدٌ مقروحَةٌ مَــنْ يَبيعُني ... بِها كَبِدًا لَيسَــتْ بِــذاتِ قُروحِ؟
أَباها عَلــيَّ النَّاسُ لا يَشْــترونَها ... وَمَنْ يَشْــتري ذا عِلَّةٍ بِصحيحِ[1]؟

(١) عزاها بلفــظ مقارب ياقوت الحموي لابــن الدمينة كما في معجم البلــدان (وادي المياه) (٣٤٦/٥). وهي في ديوان ابن الدمينة صنعة ثعلب صـ٢٧، تحقيق أحمد راتب النفاخ، نشر مكتبة دار العروبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

تمزيق الأُمَّة الإسلامية:

نحن نعيش في هذه الفترة، فترة الآلام والمآسي التي تنزل بالأُمَّة الإسلامية في كل مكان، وقد استطاع أعداء الأُمَّة أن يوقعوا بعضها ببعض، أن يفرقوا بينها ويمزقوها شر ممزق، تصوروا ضربة مثل ضربة الخليج، غزو الكويت، من هذا الشيطان الماكر، من هذا الإبليس الذي رتب هذا الأمر بضربة واحدة؛ فمزق الأُمَّة كلها؟

أوحوا إلى شيطان من الناس أن يتقدم خطوة حمقاء مغرورة جاهلة فيترتب عليها أن تتمزق الأُمَّة، وليس تمزقًا بين الحكام فقط، المصيبة أنَّه أصبح تمزقًا بين الشعوب، أصبح بعضها يخاف من بعض، ويحقد على بعض، إلى آخره، هذا بضربة واحدة، ولا نزال نعاني من هذا العداء والتمزق بين الأنظمة الحاكمة وبين الجماعات الإسلامية المختلفة، وبين هذه الجماعات بعضها وبعض، هناك من يكيد لهذه الأُمَّة حتى يضرب بعضها ببعض.

وقد كانت هذه الأُمَّة في حاجة إلى أن يعي بعضها بعضًا، ويفهم بعضها بعضًا، ويتفقوا على أمر جلل أمر واحد، هو تحرير هذه الأُمَّة من كل ما يسيطر عليها: تحرير ذات هذه الأُمَّة، وإرادة هذه الأُمَّة، وفكر هذه الأُمَّة، بحيث تصبح أمة سيدة نفسها حقيقة، هي التي تشرِّع لنفسها، وهي التي تفكر لنفسها، وهي التي تثقف نفسها.

سيطرة أعداء الصحوة على أجهزة الإعلام والتعليم:

تصوروا: هناك الآن حملة على الإعلام الحالي، طبعًا المتدينون وجمهور المسلمين لا يرضون عن أجهزة الإعلام في البلاد العربية والإسلامية، ولكن الحملة الآن عن هذا الإعلام: أنَّه إعلام موال للدين؛

QaradawiBooks.com

يبدأ بالقرآن وينتهي بالقرآن، وبه أحاديث دينية، وفيه كذا وكذا، مع أنَّهم يعطون هــذه الأحاديث الدينية الأوقــات الميتة، ومع هــذا يريدون أن يفرغوا الإعلام من كل معنًى ديني.

والتعليم الآن في البلاد العربية والإســلامية يُــراد أن يغيَّر تمامًا، هناك سياسة يقولون عنها: «سياســة تجفيف المنابع». كتب عنها أحد مديــري الإعلام في ســفارة تونس فــي القاهرة في مقــال طويل في الأهرام، وكان ينصح المصريين ألا يكتفوا بالحرب الأمنية، وأنَّه لا بدَّ من حرب فكرية إعلامية تربوية، تبدأ بفلسفة تجفيف المنابع، وتنطلق من التعليم والإعلام.

وهذا بالفعل عملوه في تونــس؛ كانوا قد غيروا مناهج التعليم كلها، ولكنهم تركوا التربية الإســلامية للمشــايخ يؤلفون فيها كتبًا وكذا، ثم قالوا: لا، حتى هذه يجب أن تتغير. فبدؤوا يحذفون من التربية الإسلامية الجهاد، الأمر بالمعروف والنهي عــن المنكر، «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[1]، «**ســيد الشــهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»[2]. والنصوص التي ضــد اليهود وضد النصارى، كل هذا حذفوه، يريدون فقط النصوص التي فيها تســامح، أمَّا قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقــرة: ١٢٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]. هذا يُحذف

(١) رواه أحمد (١٨٨٢٨)، وقال مخرِّجوه: إســناده صحيح. والنســائي فــي البيعة (٤٢٠٩)، عن طارق بن شهاب.

(٢) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٩٥/٣)، وصحح إســناده، وقــال الذهبي: الصفار ـ أحد الرواة ـ لا يُــدرَى من هو. والخطيــب في تاريخ بغــداد (٥٣/٦)، وصحَّحــه الألباني في الصحيحة (٣٧٤)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ولا يوضع في برنامج تربية إسلامية، وأنَّ الرجال قوامون على النساء ينبغي أن يُحذف؛ لأنَّ هذا كان قديمًا، أمَّا الآن فالمرأة أصبح لها وظيفة، وتتعلم كما يتعلم الرجل، هذه سياسة تجفيف المنابع.

وهم نسبية الحقائق:

ومن ضمن ما قال: علموهم نسبية الحقائق، أنَّه لا توجد حقيقة مطلقة، يعني نحن نقول بالتوحيد، صحيح التوحيد حقيقة بالنسبة إلينا، لكنْ هناك آخرون يقولون بالتثليث، وآخرون يقولون بالوثنية، أنَّ الإلٰه يمكن أن يتجلى في الصنم، ويتجلى في البقرة، وفي كذا وفي كذا، هناك وجهة نظر أخرى، فهي حقائق نسبية! نحن نقول: إن هناك آخرة. لكن هناك آخرون يقولون بتناسخ الأرواح، وأنَّ الإنسان بعد أن يموت يمكن أن تنتقل روحه في كلب أو حمار! ونحن نقول: إنَّ محمدًا رسول الله. وهناك آخرون لا يؤمنون بهذا، فلا بدَّ أن نعود أطفالنا من الصغر أنَّ الحقائق نسبية، وأن ما نراه نحن حقًّا قد يراه غيرنا باطلًا، فيجب أن نعلمهم السماحة والمرونة من أول الأمر، هذا ما قاله! وهذا الذي يجري الآن في بلاد كثيرة: تُغيَّر الأنظمة التعليمية، والمناهج التعليمية، والكتب التعليمية، حتى الكتب الدينية، بل وكتب التاريخ.

لا أدري هل تتابعون ما يكتبه الآن أخونا الأستاذ فهمي هويدي؟ يتابع هذا الأمر وما يجري في بعض البلاد، ومقاله يجب أن يُقرأ الحقيقة، هو يقف وحده في المعركة في أمور كثيرة، وقف ضد العلمانيين، والذين يرفضون تطبيق الشريعة، ولم يناصره الأزهر، ولا الأوقاف، ولا أي مؤسسة دينية، فهو يتحدث في هذا الذي يجري في التعليم ومناهجه وكتبه.

QaradawiBooks.com

تفريغ الأمة من أسباب وجودها:

هناك محرقة حقيقية ـ أيها الإخوة والأخوات ـ تُعد للإسلام، وللصحوة الإسلامية، وللدعوة الإسلامية، وللحركة الإسلامية، وللأمة الإسلامية! يُراد تفريغ هذه الأُمَّة من أساس وجودها، والإسلام هو أساس وجودها، ما مبرر وجودها لتعيش وتبقى إلا الإسلام؟ إذا تخلت عن الإسلام تضيع وتفنى، هل إذا انتصرت الاشتراكية أو الرأسمالية تكون أمتنا قد انتصرت؟ لا.

لا تنتصر أُمَّتنا إلا بالإسلام:

متى تنتصر أمتنا؟ إذا انتصرنا بالإسلام، إذا حقَّقنا الإسلام في حياتنا، إذا أقمنا مجتمعًا مسلمًا حقيقيًّا يتكامل فيه الإسلام!

نرى بعض الناس يقولون: أنتم تريدون تطبيق الشريعة الإسلامية. ونحن بالفعل نريد هذا، ولكن أنا لا أحب هذه الكلمة وحدها، أنا أقول: نحن نريد أن نحيا حياة إسلامية متكاملة، حياة توجهها العقيدة الإسلامية، وتسودها المفاهيم الإسلامية، وتضبطها التقاليد الإسلامية، وتسيطر عليها الأخلاق والقيم الإسلامية، وأيضًا تهيمن عليها الآداب والتقاليد الإسلامية، وتحكمها أخيرًا القوانين الإسلامية. فالقانون آخر شيء! هو السياج، لكن ليس مجرد تغيير القانون هو الذي نريده، نريد أن نحيا بالإسلام، ونحيا للإسلام، هذا ما نريده، وهذا ما يخشاه أعداؤنا، وما يقفون دونه.

عودة الصليبية والصهيونية:

نحن الآن بالفعل أمامنا محرقة: عادت الصليبية الآن من جديد، في البوسنة يقول الصرب: نحن فرسان الصليب، نحن ندفع عن أوروبا خطر

QaradawiBooks.com

الإسلام، نحن نقوم بمهمة لخدمة أوروبا وخدمة الغرب كله. إنهم يريدون أن يخرجوا الإسلام من البلقان، والإسلام من أوروبا، هكذا يقولون، فالصليبية عادت من جديد، ليس الأمر كما قال اللنبي القائد الإنجليزي حينما دخل القدس سنة (١٩١٧م): اليوم انتهت الحروب الصليبية. لا، الحروب الصليبية لم تنتهِ، هي مستمرة، وكل يوم تتجدد بشكل وآخر.

واليهودية الصهيونية تعمل الآن، تريد أن تهودنا، تريد أن تهود عقولنا، وتهود حياتنا، ويُراد منا الآن أن نتأقلم وننسجم ونتفاهم مع إسرائيل، ولذلك فالأشياء التي تريدها إسرائيل ـ وكنا نظنها أحلامًا ـ بدأت تطبق فعلًا لتهويد عقولنا، لتصبح إسرائيل شيئًا مقبولًا، في وقت من الأوقات كان يُراد أن تصبح هذه المنطقة جزءًا من أوروبا، كما قال بعضهم عن مصر وبلاد الشام: إننا جزء من حضارة البحر الأبيض المتوسط، لسنا تابعين للشرق والجزيرة العربية.

إسلام واحد لا إسلامات متعددة:

وكتب بعض الصحفيين في جريدة الشرق أن بعضهم يقول: نريد أن نحافظ على الإسلام المصري، وأنَّ الإسلام الصحراوي الذي يأتي من الصحراء مخالف للإسلام المصري. فأصبح هناك إسلام مصري، وإسلام سعودي، وإسلام خليجي، وإسلام عربي، وإسلام عجمي، وهذا ما يريده المستشرقون والمنصرون، أن يجعلوا بدل الإسلام الواحد إسلامات متعددة: إسلام يختلف باختلاف الأقاليم، وإسلام يختلف باختلاف التيارات المختلفة، وإسلام قديم وإسلام جديد، وإسلام مستنير وإسلام غير مستنير، وإسلام تقدمي وإسلام رجعي، وهكذا.

QaradawiBooks.com

ونحن لا نعرف إلا إسلامًا واحدًا، ولكن هؤلاء يريدون فعلًا أن يمزقوا الأُمَّة، الإسلام الذي يأتي من الصحراء لا ينفع مصر، فمصر بلد حضاري ومتقدم، وهذا شيء دخيل ما كنا نعرفه، بعضهم يقول: لم نكن نعرف هذا الكلام، من أين جاءنا هذا الكلام؟ فلما بدأت الناس تفيق، وترجع إلى الإسلام الحق، وتلتزم به رجالًا ونساءً قالوا: لا، هذا شيء دخيل علينا، الشيء الذي كان أيام الاستعمار اعتبروه الأصل، وحينما حدثت الإفاقة والصحوة والتجديد والإحياء والرجوع إلى الأصل استنكروا هذا، وعلماؤنا قالوا: ما جاء على الأصل لا يُسأل عنه. المخالف للأصل هو الذي نسأل عنه: لماذا حصل؟ فنحن عدنا إلى الأصل، لكنهم يقولون: لا، ما كان الإسلام عندنا هكذا، ولا التدين عندنا هكذا.

الشاهد مما أقول: أنَّه يُراد أن نطبع العلاقات مع إسرائيل فكريًّا ونفسيًّا، ولا يوجد حاجز نفسي، ولا حاجز فكري، ولا حاجز ديني، ولا حاجز خلقي بيننا وبينهم، وتُهيَّأ الأجهزة الإعلامية والتعليمية والتثقيفية والتربوية والترفيهية لمثل هذا الأمر، حتى اسم المنطقة يريدون أن يغيروه، بعد أن كان اسمها العالم العربي والعالم الإسلامي، والوطن العربي والوطن الإسلامي أصبح اسمها «الشرق الأوسط»، كلنا شرق أوسطيون! مؤامرة كبرى على هذه الأُمَّة.

أهمية معركة الوعي:

ولذلك فليس أمامنا إلا أن نعي هذه الحقائق، حتى وإن كنا لا نستطيع أن نفعل شيئًا؛ لكن أقل ما يجب أن نعرف ما يدور حولنا، أن نعي حقيقة أنفسنا، أن نعرف ماذا يصنع أعداؤنا، أن نعرف هذا الأمر

QaradawiBooks.com

ونتشبث به، ونوعي أبناءنا وبناتنا، ونربي أجيالنا على هذا! إذا لم يستطع جيلنا أن يفعل شيئًا فالجيل القادم، الجيل المدبر مثلي قد لا يستطيع أن يفعل شيئًا؛ مع أننا كنا ندعو الله ألا يميتنا حتى يقر أعيننا بانتصار الإسلام، وقيام دولة الإسلام، وخلافة الإسلام، ولا زلنا ندعو بهذا؛ لأننا لا نيأس أبدًا إن شاء الله، لكن أنا أقول: إذا لم نستطع فعلى جيلكم أنتم أن يكمل المهمة، لأنَّ للإسلام دورًا لا بدَّ أن يُؤدَّى، وللإسلام راية لا بدَّ أن تُرفع، وللإسلام كلمة لا بدَّ أن تعلو.

الإسلام هو طوق النجاة:

نحن لا ينقذنا إلا الإسلام، جربنا كل الحلول المستوردة فلم تغننا شيئًا، ولا نزال للأسف في ذيل القافلة، والبشرية كلها من حولنا تعاني القلق والحيرة والعذاب، وليس هناك إلا منهج الله، ليس هناك إلا هذه الرسالة الربانية الإنسانية الأخلاقية العالمية الوسطية، رسالة الإسلام، ونحن وحدنا أمة الإسلام الذين نملك هذه الرسالة، نحن وحدنا الذين نملك طوق النجاة الذي ينقذ البشرية من الغرق، بشرط أن نحسن الفهم عن الله ورسوله، نحسن فهم هذه الرسالة، كما نحسن العمل بها؛ بحيث نصبح مسلمين حقًّا، نقدم أمثلة للناس، ثم نحسن الدعوة إليها بعد ذلك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

أيها الإخوة، كنت أريد أن أتحدث دقائق قليلة، ولكن الحديث ذو شجون، وهي خواطر أرسلتها دون إعداد ولا ترتيب، حسبي أنِّي بثثتكم ما في نفسي، ولا أستطيع أن أحمل الهم وحدي، لا بدَّ أن نحمل الهم جميعًا، وكلنا يحمل هم هذه الأُمَّة، وهم هذا الدين.

QaradawiBooks.com

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يوم المسلمين خيرًا من أمسهم، وأن يجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأن يهيئ لهم من أمرهم رشدًا، وأن يقر أعيننا بانتصار الإسلام، وارتفاع راية القرآن على ربوع العالمين، وإنا لهذا اليوم لمنتظرون: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾	٦	٣٤٢
سورة البقرة		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾	٨ ـ ١٢	٢٣٣
﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾	٣٥	٥١٦
﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾	٤٤	٤٢٩
﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٤٧، ١٢٢	٢٠
﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةً ﴾	٧٤	٢٢
﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ ﴾	٨٧	٣٦٩
﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	١١١	٣١٥، ٤٢٩
﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ ﴾	١٢٠	٢٤٠، ٦٦٧
﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ ﴾	١٣٤، ١٤١	٥٩٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	١١٣، ١٨٢، ١٧٤، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٦٢، ٣١٠، ٣٢٥، ٣٦١، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤١٦، ٤٤١، ٥١٨، ٥٤١، ٦١١، ٦٤٥، ٦٦١
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾	٢٠١	٤٠٨
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾	٢١٤	٤٥٦، ٤٦٤، ٤٩٣
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾	٢١٦	١٦٤
﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾	٢١٧	١٤٩، ٤٦٤، ٥٢٢
﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾	٢١٩	٢٣٣
﴿ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾	٢٣٠	٦٤٠
﴿ يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾	٢٣٢	٦٤٠
﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾	٢٣٩	٥٠٦
﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾	٢٤٠	٦٤٠
﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾	٢٤٦	٦٦١
﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	٢٤٩	٩٤، ١٧٧، ٤٦٤، ٥٠٦
﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾	٢٥٠	٩٩، ٥٠٦
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ ﴾	٢٥٦	٣٥٢
﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾	٢٥٧	٤٦٣
﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾	٢٨٢	١٤٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾	٧	٢٣٩
﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾	٧٥	٣٦٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	١٠٢ ـ ١٠٤	٦
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	١١٠	١١٣، ١٨٢، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٦١، ٣٢٥، ٣٦١، ٣٩٩، ٥٤١، ٦٤٤، ٦٤٥
﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾	١١١	٤٧٤
﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	١٣٧	٢٨٦
﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾	١٤٠	١٩٧، ٢٨٠، ٤٧٢، ٤٨٦، ٥٠٨، ٥٥٢
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ ﴾	١٤٦	١٢٨
﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾	١٤٧	١٢٨، ١٢٩، ١٦٦، ١٧٧، ١٧٩
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾	١٥٢	٢٩١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾	١٥٥	٢٩١
﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم ﴾	١٦٠	٩٩، ١٦٤، ١٧٨
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	٦٣٦
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ ﴾	١٦٥	٢١٨، ٢٩١، ٣٧٤، ٥٠٥
﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾	١٨١	١٢، ٣٦٩، ٥١٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾	١٨٧	١٤٤
﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾	١٩٥	٣٩٦، ٣٩٧
سورة النساء		
﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	٣١	٣٣٠
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾	٣٥	١١٦، ٤٢٠
﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم﴾	٦٦	٦٦١
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾	٧٦	١٥٨
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾	٨٧	٤٦٣
﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾	١٠٢	٥٠٦
﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾	١٠٤	٨٣
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾	١٠٥	٦٠١
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾	١٢٢	٤٦٣
﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾	١٢٣	٦٤٤
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٢٤	٦٤٤
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	١٢٥	٦٤٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	٢٨٧
﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	١٤١	٤٦٣
سورة المائدة		
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾	٣	٥٠٥
﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾	٥	١٤١، ١٤٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾	٨	٢٨٧، ٣٢٧، ٦٣٣
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾	١٣	٢٢
﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾	٢١	١٦، ٩٤
﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا ﴾	٢٢	١٦
﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾	٢٤	١٦
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾	٢٥	١٦
﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۚ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٦	١٦
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٤٤	٣٤٣
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٤٥	٣٤٣
﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ﴾	٤٩	٦٠١
﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٥٠	٦٠١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	٥١	٦٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾	٥٤	١٤٧، ٤٤٢
﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾	٦٠	٢١
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	٦٤	١٢، ٣٦٩، ٥١٤
﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ ﴾	٧٠	١٢، ٣٦٩
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	٧٣	٦٦٥
﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾	٨٢	١٦٩، ٢١٦، ٣٦٧، ٦٦٣
﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾	٩٠	٣٣٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾	٤٢ ـ ٤٥	١٢١
﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾	٥٠	٤٢٩
﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾	٨٠	٤٢٩
﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	١٧٦، ٢٣٦، ٥٠٤، ٦١٤
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾	١١٢	٣٥٨
﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾	١٢٧	٤٢٣
﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١٤٣	٤٢٩
﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾	١٤٨	٤٢٩
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	٣٤٢، ٦٢٩
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	٣٨٢
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٣	٣٨٢
سورة الأعراف		
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	١٢٦، ١٢٧، ٣٧٤
﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾	٧٢	٤٦٤
﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾	٨٦	١٧٣، ٢٠٢، ٣٩٤، ٤٣١، ٤٨٥، ٥٤٩، ٥٧١، ٦٤٩
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٢٨٤
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾	١٦٧	٢١، ٨٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾	١٦٨	١٢، ٨٠
﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾	١٨١	١٧٦، ٢٣٦، ٤٧٣، ٥٠٤، ٦١٤
﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾	١٨٣	٤٩٣
﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾	١٨٨	٤٦٦
سورة الأنفال		
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾	٩	٤٧٨
﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	١٠	١٧٨
﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ ﴾	١٢	٢٨١، ٤٧٨، ٤٨٨، ٥١١
﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾	١٧	١٧٧
﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٩	٤٦٣
﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٦	٤١٧
﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾	٣٠	١٧٧، ٥٥٤، ٦٥٤
﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾	٤١	٤١٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	٤٥	٥٠٦
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾	٤٦	٥٠٦، ٥٠٧
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ ﴾	٥٣	١٢٧، ٥٨٢
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٥٥	٢٣
﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾	٥٦	٢٣
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾	٦٠	٩٩، ١٧٨، ٥٠٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾	٦١	٩٤، ٤٢٣
﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾	٦٢	٢٨٢، ٣٧٧، ٤٥١، ٤٨٧، ٤٩٢، ٥٥٤
﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾	٦٣	٢٨٢، ٥٥٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٦٤ ـ ٦٦	٤١٣
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٧٣	١٢٣، ٢٥٠، ٣٧٢، ٤٤٤، ٤٤٥
سورة التوبة		
﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ﴾	١٠	٥١٤
﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾	١٤	١٧٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾	٢٨	٢٣٤
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾	٣٢	١٤٩، ٢٢١، ٤٦٢، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥١١، ٥٢١، ٥٢٢
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾	٣٣	٢٢١، ٢٢٢، ٢٧٨، ٤٦٢، ٤٩٢، ٥٢٢، ٥٤٦
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	٤٠	٤٧٦، ٤٧٧
﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾	٤١	٥٨٨
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	٧١	٦
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾	١٠٣	٤٣٣
﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾	١٠٥	١٦٨
﴿ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾	١٢٣	٣٦٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يونس		
﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرٗا﴾	٢١	٦٥٤
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾	٢٢	١٢٠
﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾	٢٣	١٢٠
﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾	٣٢	٢٨٦
سورة هود		
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٞ﴾	١٠٢	٤٩٤
﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	١١٣	٣٤٤
سورة يوسف		
﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾	٤٦	٥٦٢
﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	٤٧ ـ ٤٩	٥٦٢، ٥٦٣
﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾	٥٦	٣٥٧
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	١٤٦، ٢٣٦، ٣٧٧، ٤٢٨، ٤٦١
﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾	١٠٠	١٥
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾	١١٠	٤٩٣
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	١١	١٢٧، ٢٨٠، ٤٨٧، ٥٨٢، ٥٨٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾	٣١	٤٦٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة إبراهيم		
﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	١٥	٤٩٣
﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ ﴾	٢٢	٦٢٧
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾	٢٤	٢٣٧
﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾	٢٥	٢٣٧
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٤٢٩، ٥٥٠، ٦٥٠، ٦٥٢
﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾	٤٩، ٥٠	٥٢٠
﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾	٥٦	١٤٦، ٢٣٦، ٣٧٧، ٤٢٨، ٤٦١
﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾	٩٩	١٤٦
سورة النحل		
﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾	٢١	٣٧٦
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	٣٦	٣٣٠
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٤	٢٠٦
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾	١١٢	١٢٧، ٤٠٩
سورة الإسراء		
﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾	٨	٢١
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾	٣٢	٣٣٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾	٥١	٤٥٦، ٤٧٢
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	٤٩٣
سورة الكهف		
﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾	٥	٦٦١
﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾	٣٠	٣٩٧
﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾	٩٨	٤٦٣
سورة طه		
﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾	٧٠، ٧١	١٥٤
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	١١٤	٦٠٣
سورة الأنبياء		
﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾	٧١	٥١٣
﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾	٩٢	١١٣، ١٨٢، ٢٠٠، ٣٦١، ٣٩٩
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٢٨٤
سورة الحج		
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾	٣٠	٣٣٠
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	٣٨	٤٦٣
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾	٣٩	٦٦١
﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾	٤٠	١٦٤، ٣٥٨، ٤٩٢، ٦٦١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤١	١٦٤، ٢٢٧
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾	٤٦	٢٨٦
﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾	٤٧	٤٦٣
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾	٦٢	٢٨٦
سورة المؤمنون		
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾	٥٢	١٨٢، ٢٠٠، ٣٦١
﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾	٥٣	١٣٥
سورة النور		
﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٣١	١٢٩، ٣٢٩، ٣٣٠
﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾	٣٩	٦٦٠
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٥٥	٤٥٦، ٤٦٣، ٥٢٤
سورة الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	٢٨٤
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	٤٣	٣٥٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾	٥٣	٦٣٩
سورة الشعراء		
﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾	٦١، ٦٢	٣١٣
﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	٦٣	٣١٣
سورة النمل		
﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٤٤	١٥٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ﴾	٤١	٢٣٢
سورة العنكبوت		
﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾	٤٠	٤٩٤
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾	٤٦	٦٢٥
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾	١ ـ ٥	١٩٧، ٤١٨، ٥٥٨
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾	٤ ـ ٦	٧٣، ١٠١، ٢٤٨، ٦٧٣
﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٦	٦٥٣
﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾	٧	٦٥٣
﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٣١	٦٥١
﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾	٤١	٢١٨، ٣٥٩، ٥٦٣
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٩٤، ٤٦٣، ٤٩٠
سورة لقمان		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾	٣٤	١٩٦
سورة الأحزاب		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	٩	٤٧٨، ٥١١
﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	١٠	٤٧٨
﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	١١	٤٧٨
﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾	٤٤	٢٥٦، ٤٢٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة سبأ		
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾	٣٩	١٦٦
سورة فاطر		
﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾	١٤	٦٥٩
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾	٢٧	١٣٧
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾	٢٨	١٣٧
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾	٣٢	٢٧٥
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	٢٩٢، ٤٨٦، ٥٠٥
سورة الزمر		
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾	٨	١٢٠
﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾	١٧	٣٣٠
سورة غافر		
﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾	٤٦	٥٢٠، ٦٤٢
سورة فصلت		
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	١٥٤، ٤٥٩، ٥٤٠، ٦٧٢
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٢٠٥، ٢٨٦، ٤٢٩، ٥٥٠
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾	٥٣	٤٦٥، ٤٩٢، ٥١١، ٥٤٦، ٥٥٩
سورة الشورى		
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾	٣٠	٢٩٢، ٣٥٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾	٣٧	٣٣٠
﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾	٤٨	١٤٤
سورة الجاثية		
﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	١٩	٦٦٥
سورة محمد		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧ ـ ١١	١٦٤، ١٧٨، ٤٥٦، ٤٦٣، ٤٩٢
﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾	٣٠	٥١٠
﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾	٣٥	٤٢٥
سورة الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾	١	٢٢٣، ٥٢٩
﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾	١٠	١٧٧
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾	٢٨	٤٦٢، ٤٦٣، ٤٩٢، ٥٢٢، ٥٢٣
سورة الحجرات		
﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾	٦	٣٤٤
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾	٧	٦٤٤
﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾	٨	٦٤٤
﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾	٩	١١٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾	١٣	١٧٢
﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ﴾	١٧	٦٤٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الذاريات		
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٣١٥
سورة النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٣، ٤	٢٤٧، ٤٦٦
﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾	٣٢	٣٣٠
سورة القمر		
﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾	٤٥	١٩٧، ١٩٨، ٤١٧، ٥٥٩
﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾	٤٦	٤١٧، ٥٥٩
سورة الرحمن		
﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾	٧ ـ ٩	٥١٨، ٦٤٥
﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	١٩ ـ ٢١	٦٣٩
سورة الواقعة		
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾	٧٥ ـ ٨٠	٢٨٥
سورة الحديد		
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾	٢٥	٢١١، ٣٠٨، ٣٨٥، ٥٧٧، ٦٣١
سورة الحشر		
﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾	٢	١٧٧، ٤٦٤، ٥٠٦، ٦٥٤
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾	٤	١٩٤
﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾	٢٣	٤٢٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الممتحنة		
﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٧	٣٢٧
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾	٨	٧٨، ١٤٣، ٣٥٢
﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٩	٣٥٢
سورة الصف		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	١٤٥، ١٦٥، ٢٥٠، ٢٧٨، ٣٧٨، ٤٤٤، ٥٩٦
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨	٤٦٢
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	٩	٤٣٩
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨	٤٦٣
سورة التغابن		
﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	١٤٦، ١٧٨
سورة الطلاق		
﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾	٢	١٤٠
سورة نوح		
﴿رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾	٥، ٦	١٤٦
سورة الجن		
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾	٢٦، ٢٧	٤٦٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المزمل		
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾	٢٠	١٩٨، ٤١٧، ٥٥٩
سورة المدثر		
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	٥١١
سورة البروج		
﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۞ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾	٤ ـ ٩	١٥٤، ٣٥٨
سورة الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾	١٥ ـ ١٧	١٧٧، ٥٥٤، ٦٥٤
سورة الأعلى		
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾	١	٣٣٥
سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾	٤	٣٥٧
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	١	٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦
سورة قريش		
﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾	٤	٤٠٩
سورة النصر		
﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾	١ ـ ٣	١٣٠، ٥٢٢

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أَحْصُوا لي ـ وفي رواية: اكتبوا لي ـ عددَ مَنْ يلفظ بالإسلام	٢٠٠، ٥٦٢
إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	١٤٦
إذا جاء أحدكم المسجد فلينظر، فإن كان في نعليه قذر أو أذًى فليمسحه	٣٢٠
إذا قامت الساعةُ وفي يَدِ أَحَدِكم فسيلةٌ، فإن استطاع ألَّا تقوم حتَّى يَغْرِسَها فلْيَغْرِسْها	٤٢٧، ٤٦٥، ٥٢٥
اذهب فانظُر إليها؛ فإنَّه أجدر أنْ يؤْدَم بينكما	٣٣١
أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون	٦٤٢
أفتَّان أنت يا معاذ، أفتَّان أنت يا معاذ، أفتَّان أنت يا معاذ	٣٣٥
أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر	٦٦٧
أَكلّ أولادك نحلتهم مثل هذا؟ قال: لا. قال: أَشْهد على ذلك غيري	١٨
اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك	٣٥٥
اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي	٤٠٨
اللهمَّ أَنْجِزْ لي ما وعدتَني، اللهمَّ آتِ ما وعدتَني	٤٧٧
اللهمَّ يا منزل الكتاب، ويا مُجْرِيَ السحاب، ويا سريعَ الحساب	٦٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أُمِرْتُ أن أقاتلَ النَّاس حتَّى يقولوا: لا إلٰه إلا الله. فمن قال: لا إلٰه إلَّا الله	٤٩٨
إنَّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها	٤٩٥، ٥٤٨، ٤٦٧
إنَّ الله كتب الإحسان (أي الإتقان) على كل شيء	٣٩١
إنَّ الله ليملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يفلته	٤٩٣، ٤٩٤
إنَّ الله يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ مَنْ يُجَدِّد لها دينها	٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٧
إنَّ الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه	٣٩١
إنَّ الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه	١٨٣
إنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى	٢١٩، ٤٢٢
إنَّ منكم مُنَفِّرين، من أمَّ بالنَّاس فلْيَتجوَّز، فإنَّ فيهم المريض، والكبير	٣٣٥
إنَّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا	٧
انظر إليها؛ فإنَّ في أعين الأنصار شيئًا	٣٣١
إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ	٢٣٤
إنَّه ليُغانُ على قلبي؛ فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة	١٢٩
إيَّاكم والغلوَّ، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ	٣٣٤
أيُّما أهلَ عَرْصَةٍ بات فيهم امرؤ جائع، فقد بَرِئَتْ منهم ذِمَّةُ الله	٥٦٥
ب	
بدأ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ غريبًا كما بدأ، فطُوبى للغُرَباء	٤٢٧، ٤٦٥، ٥٢٥
بشروا ولا تنفِّروا	٥١٩
ت	
ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد	٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
تقوم الساعة والروم أكثر الناس	٢٨٨
تكون النبوَّة فيكم ما شاء الله أنْ تكون، ثم يرفعها إذا شاء أنْ يرفعها	٤٥٧، ٤٧٠، ٤٧١
ح	
حبُّ الدنيا وكراهية الموت	٩٠
حتى تجمع إليه ثلاثمائة وأربعة عشر، فيهم النسوة	٣٤٧
خ	
خُذُوا عنِّي مناسكَكُم	٣١٩
ز	
زُويت لي الأرض؛ فأُريت مشارقها ومغاربها	٥٢٦
س	
سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله	٦٦٧
ش	
شاهَت الوجوه	٤١٧
ص	
صبرًا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنة، صبرًا آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة	٥١٧
صلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي	٣١٩
صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس	٣٣٩
ع	
عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن	١٢٩
عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد	١٨٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ف	
فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم، فإنَّ لجسدك عليك حقًّا	٣٣٤
ك	
كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ في شهر رمضان من كل عام فيدارسه القرآن	٣٥٦
كان النبي ﷺ يتوضأ بمُدٍّ، ويغتسل بصاع	٣٣٦
كثرة كغثاء السيل	٦٥٨
كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته	١٤٣، ٤٤٩
ل	
لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ	١٧٦، ٣٦٢، ٤٧٣، ٦١٤
لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، ولعدوهم قاهرين	٣٣، ٢٣٦، ٤٤٠، ٤٧٣، ٦٣٨
لا تشد الرحال ـ يعني لا تعزم على السفر لتتعبد إلى الله	٦٥
لا تقوم الساعةُ حتَّى تعودَ أرضُ العرب مروجًا وأنهارًا	٤٧٢، ٤٩٥
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي	٤٥٧، ٤٩٥
لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون	٩٨، ٤٧١، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٤٦
لا هلك المُتنطِّعون	٣٣٤
لا يأتي عليكم زمانٌ إلَّا الَّذي بعدَهُ شَرٌّ منه	٤٢٧، ٤٦٥، ٥٢٥
لا يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، ولَا يَطُوفُ بالبَيْتِ عُرْيَانٌ	٢٣٤

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لَتَتَّبِعُنَّ سَنَن من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع	٢٣٥، ٣٣٩
لتُفْتَحَنَّ القسطنطينيَّة، فلَنِعْمَ الأميرُ أميرُها، ولنِعْمَ الجيش ذلك الجيش	٢٤٦، ٤٤١، ٤٦٨، ٥٢٨
لعن اللهُ الخمر، ولعن شاربَها، وساقيها، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها	٣٣١
لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يُذنبون فيستغفرونه فيغفر له	١٢٦
لو يُعطَى الناس بدعواهم؛ لادَّعى ناس دماء رجال وأموالهم	٣٠٣
ليأتينَّ على النَّاس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب	٤٩٥
ليَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر	١٨٣، ٢٤٥، ٢٧٨، ٤٤٠، ٤٦٦، ٤٩٤، ٥٢٥، ٥٤٧
م	
ما آمَنَ بي مَنْ باتَ شبعانَ وجارُه جائعٌ إلى جنبه وهُوَ يَعْلَمُ بِهِ	٥٦٥
ما حملكم على إلقائكم نِعَالَكم؟ قالوا: رأيناك ألقيتَ نعليك فألقينا نعالنا	٣٢٠
مثل أمتي كمثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره	٣٦٢
مدينةُ هرقلَ تُفْتَحُ أوَّلًا	٢٢٢، ٢٤٦، ٤٤٠، ٤٦٨، ٥٢٧
من أحدث في أمرنا هذا	١٣٨
من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه	٣٧٨
من زاد على ذلك فقد أساء وتعدَّى وظلم	٣٣٦
مَنْ سأل اللهَ الشهادةَ بصدق، بلَّغه الله منازلَ الشهداء، وإنْ ماتَ على فراشه	٥٨٧
منْ قُتِلَ دُونَ ماله فهو شَهيدٌ، ومنْ قُتلَ دُونَ دمه فهُو شهيدٌ	١٥٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمس ناصحًا لله	٧، ٤٠٢
من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية	١١٠
من مشى مع ظالمٍ ليُعِينَه وهو يعلمُ أنَّه ظالم فقد خرج من الإسلام	٣٤٤
المؤمنُ القويُّ خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف	٥٩٦
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا	١٤٥، ٣٧٨، ٥٧٨
ن	
نعم؛ دُعَاةٌ على أبواب جهنَّم، مَنْ أجابَهُم إليها قذَفُوه فيها	٢٣٢
نعم، هو فتح	٢٢٣، ٥٢٩
نعم، وإن كنتَ على نهرٍ جار	٣٣٦
نهاهم عن الوصال	٣١٩
و	
والله ما يخزيك الله أبدًا	٢٥١
وتجيء فتنة فيرقِّق بعضها بعضًا	٣٦٧
ي	
يا أبا بكر لا تحزن إنَّ الله معنا	١٩٩
يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٥٧، ١٩٩، ٤٧٦
يا أيها الناس، توبوا إلى الله؛ فإني أتوب إليه مائة مرة	١٢٩
يا أيُّها الناس، خُذوا من الأعمال ما تُطيقون، فإنَّ الله لا يمل حتَّى تملُّوا	٣٣٣
يا حنظلة، لو دمتم على الحال التي تكونون فيها عندي لصافحتكم الملائكة	٤٠٧
يا غلام، إنِّي أعلمك كلمات: احفظ الله تجده تجاهك	١٢٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة تقطيعية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يا مسلمُ يا عبدَ الله	٤٧٢
يحملُ هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين	٥٥١
يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا، ولا تختلفا	٣٣٥، ٤٦١، ٤٩١
يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا، ولا تُنَفِّروا	٤٦١، ٤٩١، ٥١٨
يقول الحجر والشجر: يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورائي تعالَ فاقتله	٣٢
يكونُ في آخر أُمَّتي خليفةٌ يَحْثِي المال حَثْيًا، ولا يَعُدُّه عدًّا	٣٤٦
يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجَوْرًا	٣٤٦
يوشك أن تتداعى فيه الأمم عليهم كما تتداعى الأكلة على قصعتها	٨٩، ٢٠٩

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

• **قضايا إسلامية** ٥

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ٦

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٧

❖ **١ ـ قضية فلسطين** ٩

نحتاج للعمل والبذل لا الكلام ١٠

قضية كل مسلم ١٠

اغتصاب فلسطين ١١

ليس لليهود وجود في فلسطين ١٢

تشريد اليهود ١٢

إيواء المسلمين لليهود ١٣

دحض مزاعم اليهود في فلسطين ١٤

إبراهيم عليه السلام ١٤

يعقوب ويوسف عليهما السلام ١٥

موسى عليه السلام ١٦

يوشع بن نون ١٦

المسلمون وَرَثَة النبوَّات ١٧

العرب القدامى ١٧

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

السيدة سارة ١٨
تأثير اليهود في النصارى ١٨
البعد الديني في القضية ١٩
اليهود وبنو إسرائيل ٢٠
عناية القرآن بشأن اليهود ٢١
طبائع اليهود ٢٢
(١) القسوة والعنف ٢٢
(٢) الغدر ونقض العهود ٢٣
(٣) التطاول والوقاحة ٢٣
(٤) الكذب والافتراء ٢٤
سلام السراب ٢٥
من النيل إلى الفرات ٢٥
هؤلاء لم يجنحوا للسلام ٢٦
هدفهم واحد وإن اختلفت الوسائل ٢٧
لماذا انتصر اليهود علينا؟ ٢٨
متى تنتصر أمتنا؟ ٢٨
لابد من اجتماع الكلمة ٣٠
يهود اليوم ليسوا بني إسرائيل ٣١
فلسطين أرض إسلامية ٣١
فلسطين قضية الأُمَّة الإسلامية ٣٢
المبشرات بانتصار الإسلام ٣٣

❖ ٢ ـ القدس قضيَّة أُمَّة ٣٥

دور تاريخي ٤١

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

معنى الأُمَّة ٤٤
دور الدين ٤٨
❖ ٣ ـ من أجل الأقصى ٥٥
بين اليأس والأمل ٥٦
الأُمَّة بخير ٥٩
عناصر الخير ٥٩
مقاومة الغزاة ٥٩
أُمَّة حيَّة ٦١
شعب باسل ٦١
الأقصى في خطر ٦٢
خطر التقسيم ٦٤
خطر الهدم ٦٤
من أجل الأقصى ٦٥
التسلُّح بالدعاء ٦٦
خطباء المساجد ٦٧
مسيرات سلميَّة ٦٨
نرفض التواكل ٦٩
المجتمع المدني ٦٩
شرفاء العالم ٧٠
كلمة ختام ٧٠
❖ ٤ ـ الطريق إلى تحرير القدس ٧٢
الشباب أمل الأُمَّة ٧٣
علاقتي وارتباطي بقضية فلسطين ٧٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إحياء الإمام البنا لقضية فلسطين ٧٤
التنازل في قضية فلسطين ٧٥
التخطيط لإقامة دولة إسرائيل ٧٦
قضية فلسطين ليست منفصلة عن قضايا المسلمين ٧٦
الاستسلام للأمر الواقع ٧٧
مطامع إسرائيل في بلاد المسلمين ٧٧
الأُمَّة الإسلامية تؤوي اليهود في دارها ٧٨
انقلاب اليهود على المسلمين ٨٠
ظهور جيل الحجارة الجديد ٨١
الأُمَّة الإسلامية لا يقودها إلا الإسلام ٨٢
كثرة المحن في حياة الأُمَّة الإسلامية ٨٤
محنة الحروب الصليبية ٨٤
لا انتصار على أعدائنا إلا بالإسلام ٨٧
محنة بغداد ٨٨
مرحلة الغثاء والوهن ٨٩
أهمية القائد المؤمن ٩٠
قوة الإسلام الذاتية ٩٢
ما حدث من القديم يمكن أن يحدث من جديد ٩٢
لا ننتصر إلا بالإسلام ٩٤
خطأ بعض دعاة القومية ٩٦
قضية المقدسات الإسلامية ٩٧
الطريق إلى القدس ٩٩
السؤال الأول ١٠٢
السؤال الثاني ١٠٤

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

❖ ٥ ـ أزمة الخليج ١٠٨
محن عديدة يعيشها المسلمون ١٠٩
المحنة لم تنشأ من عدم ١٠٩
الخلافة الإسلامية ١٠٩
كمال أتاتورك وإلغاء الخلافة ١١١
محاربة كل ما هو إسلامي ١١١
دول وتجمعات وكيانات صغيرة ١١٢
نتيجة غياب نظام الخلافة ١١٣
عدم وجود بديل عن نظام الخلافة ١١٤
الخلافة سلطة دينية سياسية ١١٥
أزمة الخليج من نتائج غياب النظام الإسلامي ١١٧
يجب أن نستفيد من هذه المحنة ١١٧
المسلمون وحدهم الذين يتفرقون ١١٨
موقف علماء المسلمين ١١٨
الناس ثلاثة أصناف ١١٩
يجب أن ينتبه المسلمون وقت المحن ١٢١
حروب الردة ١٢١
محنة الصليبيين ١٢٢
نكبة التتار ١٢٣
الإسلام وقت الشدائد يصنع العجائب ١٢٥
محاسبة النفس والعودة إلى الله ١٢٦
حاجتنا لتوبة جماعية ١٢٧
عند المصائب لا بدَّ أن نفتش عن أنفسنا ١٢٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

الدروس والعبر من هذه المحنة ١٢٩
العودة إلى الله ١٢٩
تعدُّد الآراء سُنَّة الله في خلقه ١٣٦
نتعاون فيما اتفقنا عليه ١٣٨
معنى البدعة ١٣٨
❖ ٦ ـ محنة السودان الشقيق ١٤٨
محنة السودان ١٤٩
الغزو الإثيوبي ١٥٠
تآمر أفورقي ١٥١
تهديد الأمن القومي العربي ١٥١
ثوابت السودان ١٥٢
(١) وحدة السودان ١٥٣
(٢) استقلال السودان ١٥٣
(٣) هُويَّة السودان ١٥٤
التهم الموجَّهة إلى السودان ١٥٥
(١) صناديق الانتخاب ١٥٥
(٢) حقوق الإنسان ١٥٦
(٣) إيواء الإرهابيِّين ١٥٧
(٤) الجهاد في سبيل الله ١٥٧
(٥) التسبُّب في الحصار ١٥٨
رسائل مُوَجِّهة ١٥٩
(١) إلى دولة قطر ١٦٠
(٢) إلى شعوبنا وقادتنا ١٦٠

غير مصرح بها للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

(٣) إلى منظماتنا الإقليميَّة ١٦١
(٤) إلى المعارضة السودانيَّة ١٦٢
(٥) إلى الشعب السوداني ١٦٣
(٦) إلى أمريكا ١٦٥
مساندة السودان ١٦٥
أول الحرب كلام ١٦٧
❖ ٧ ـ الأُمَّة الإسلاميَّة وقضيَّة كشمير ١٦٧
كشمير شقيقة فلسطين ١٦٩
قضيَّة عادلة ١٦٩
قضيَّة قديمة ١٧٠
قضايا واحدة لأُمَّة واحدة ١٧١
قوة الأُمَّة ١٧٢
القدرة البشرية ١٧٣
القدرة الاقتصادية ١٧٣
الطاقة الحضاريَّة ١٧٤
الرسالة الروحيَّة ١٧٤
ضعف القادة ١٧٥
التعويل على الأُمَّة ١٧٦
الله ولي المؤمنين ١٧٧
• الأُمَّـة الإسـلاميـة ١٨١
❖ من الدستور الإلهي للبشرية ١٨٢
❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ١٨٣

نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

❖ ٨ ـ واجب العلماء نحو وحدة الأُمَّة ١٨٥
مكانة الأزهر ودوره ١٨٦
مشكلة التعصُّب والغلو ١٨٧
جمهور الأُمَّة ١٨٧
أدب العلم ١٨٩
بين السلفيَّة والصوفيَّة ١٩٠
ضرورة الوحدة ١٩١
عصر التكتُّل ١٩٢
مقوِّمات الوحدة ١٩٣
مسؤوليَّة العلماء ١٩٣
❖ ٩ ـ رؤية مستقبليَّة للأُمَّة الإسلاميَّة ١٩٥
النظرة المستقبليَّة في الإسلام ١٩٦
المستقبل في ضوء القرآن ١٩٧
المستقبل في ضوء السيرة ١٩٨
وجود الأُمَّة الإسلاميَّة ووحدتها ٢٠٠
مقوِّمات الأُمَّة الإسلاميَّة ٢٠٢
(١) القوة البشريَّة ٢٠٢
(١) القوة الاقتصاديَّة ٢٠٢
(٣) العمق الحضاري ٢٠٣
(٤) الرسالة الروحيَّة ٢٠٥
إهمال الأُمَّة لمقوماتها ٢٠٨
كثرة كغثاء السيل ٢٠٨
التخلف الاقتصادي ٢١٠

غير مصرح للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

استهلاك ما ينتجه الغير ٢١٠
موقعنا من ثورات العصر الكبرى ٢١١
تفرُّق الكيانات المادِّيَّة ٢١٢
حضارة سائدة صارت بائدة ٢١٣
نكوص الأُمَّة عن أداء رسالتها ٢١٣
عقبات تقف في مستقبل الأُمَّة ٢١٥
القوى المعادية للإسلام ٢١٥
تشويه الإسلام ٢١٥
الإسلام رحمة للعالمين ٢١٦
القوى الداخلية ٢١٦
التركيز على الإصلاح الداخلي ٢١٧
تغلب الصحوة على مشكلاتها ٢١٨
المبشرات رغم العوائق والعقبات ٢٢٠

❖ ١٠ ـ الأُمَّة الإسلاميَّة بين الأمجاد والأخطار ٢٢٤

أولًا: من أمجاد الماضي ٢٢٥
انتشار الإسلام واتساع دولته ٢٢٥
دعوى انتشار الإسلام بالسيف ٢٢٦
ثانيًا: من أخطار الحاضر ٢٢٨
(١) الخطر الخارجي ٢٢٩
أ ـ خطر التنصير ٢٢٩
أسباب الادِّعاء بإخفاق التنصير ٢٣٠
ب ـ خطر الصهيونيَّة ٢٣١
ج ـ خطر الشيوعيَّة ٢٣٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(٢) الخطر الداخلي ٢٣٢
ثالثًا: مواجهة الأخطار ٢٣٦
الصحوة المعاصرة أمل الأُمَّة ٢٣٧
العداء للصحوة ٢٣٨
العمل للإسلام ٢٤١
المستقبل للإسلام ٢٤٥
مقاومة الأخطار ٢٤٩
دور المرأة ٢٥٠
التضييق على المرأة ٢٥٢
مستقبل الصحوة في المغرب ٢٥٣
❖ ١١ ـ الأُمَّة الواحدة بين الأمس واليوم والغد ٢٥٥
منطقة الأمازيغ ٢٥٦
رجال أشاوس ٢٥٦
أثر البيئة ٢٥٧
التصوُّف والجهاد ٢٥٧
الصوفيَّة الملتزمة ٢٥٨
وحدة الأُمَّة الإسلاميَّة ٢٥٩
العربية اللسان ٢٦٠
الأُمَّة الواحدة بين الأمس واليوم والغد ٢٦١
أوَّلًا: مفاخر الأُمَّة الإسلاميَّة وأمجادها ٢٦٢
(١) في المجال السياسي العسكري ٢٦٢
أربعة جيوش ٢٦٣
وا معتصماه ٢٦٣

QaradawiBooks.com

(٢) في المجال الاقتصادي ٢٦٤
(٣) في المجال الحضاري ٢٦٥
ثانيًا: تراجع الأُمَّة الإسلاميَّة ٢٦٦
(١) الحملات الصليبيَّة ٢٦٧
عماد الدين ونور الدين ٢٦٧
صلاح الدين ٢٦٨
(٢) الغزو التتاري ٢٦٨
هزيمة التتار ٢٦٩
إسلام التتار ٢٧١
(٣) الاستعمار الحديث ٢٧١
آثار الاستعمار ٢٧٣
(١) في المجال التشريعي ٢٧٣
(٢) في المجال الفكري ٢٧٤
(٣) في المجال الاجتماعي ٢٧٥
(٤) في المجال اللغوي ٢٧٥
ثالثًا: على طريق النهوض ٢٧٦
من بشائر الأمل ٢٧٧
(١) بشائر من القرآن والحديث ٢٧٨
(٢) بشائر من التاريخ ٢٧٨
(٣) بشائر من الواقع ٢٧٩
الصحوة الإسلاميَّة ٢٧٩
(٤) بشائر من السنن ٢٨٠
ضرورة العمل ٢٨١

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

❖ ١٢ ـ قراءة في واقع الأُمَّة في الفترة الأخيرة ٢٨٣
الأُمَّة التي نتحدَّث عنها ٢٨٤
ماذا تعني القراءة في واقع الأُمَّة؟ ٢٨٥
١ ـ قراءة مستبصرة للقرآن والكون ٢٨٥
٢ ـ قراءة التاريخ ٢٨٦
٣ ـ قراءة الواقع ٢٨٦
شرط القراءة أنْ تكون «باسم الله» ٢٨٦
كيفيَّة قراءة الواقع ٢٨٧
١ ـ قراءة شاملة مستوعِبة ٢٨٧
٢ ـ قراءة بعيدة عن التهويل والتهوين ٢٨٩
قراءة الأحداث ينبغي أن تكون وفق سنن الله ٢٩٢
التفسير الأحادي للتاريخ مرفوض ٢٩٣
عشر سنين غير كافية لدراسة واقع الأُمَّة ٢٩٤
أحداث نحتاج الوقوف عندها ومحاضرة واحدة لا تكفي ٢٩٤
الصحوة الإسلاميَّة ٢٩٦
شمول الصحوة لكل الميادين ٢٩٨
صحوة في الجانب الاقتصادي ٢٩٨
صحوة في الجانب الجهادي ٢٩٨
وعلى الصحوة مآخذ ٢٩٩
أحداث ١١ سبتمبر ٣٠٠
الفرق بين العمليات الاستشهادية و١١ سبتمبر ٣٠١
المقاومة فطرة بيولوجيَّة ٣٠١
تجريم الحركات الجهادية باسم محاربة الإرهاب ٣٠٤

QaradawiBooks.com

محاربة العمل الخيري باسم محاربة الإرهاب ٣٠٥
لا بدَّ من محاربة أسباب التطرف ٣٠٦
مساعدة إسرائيل على جرائمها من أكبر أسباب التطرف ٣٠٦
ما ذنب البرآء؟ ٣٠٧
لا بدَّ من محاربة الفكر بالفكر لا بالإرهاب ٣٠٧
تحقيق العدل كفيل بمنع الإرهاب ٣٠٨

❖ **١٣ ـ واقع المسلمين بين الإفراط والتفريط ٣٠٩**

أسباب اختيار الموضوع ٣١٠
مجالات الإفراط والتفريط في واقع المسلمين ٣١٢
أولًا: في مجال العقيدة ٣١٢
المبالغة في الكرامات ٣١٣
إنكار الغيبيات ٣١٤
الموقف الوسط في مجال العقيدة ٣١٥
ثانيًا: في مجال الأصول ٣١٥
الموقف الوسط في مجال الأصول ٣١٦
ثالثًا: في مجال الفكر ٣١٧
الثبات والتطور ٣١٨
رد الفقه ٣١٩
ردُّ السُّنَّة ٣١٩
ردُّ القرآن ٣٢٠
الموقف الوسط في مجال الفكر ٣٢١
رابعًا: في النظر إلى الحضارة الغربية ٣٢١
الموقف السليم من الحضارة الغربيَّة ٣٢٢

QaradawiBooks.com

خامسًا: في مجال التاريخ ٣٢٤
الموقف السليم في مجال التاريخ ٣٢٥
سادسًا: في النظر إلى الأعداء ٣٢٦
الموقف السليم في النظرة إلى الأعداء ٣٢٦
سابعًا: في مجال العواطف ٣٢٧
ثامنًا: في مجال السلوك ٣٢٨
اتجاه التشدُّد ٣٢٨
اتجاه التحلُّل ٣٣٠
تاسعًا: في مجال الأسرة ٣٣١
عاشرًا: في مجال الآداب ٣٣٢
آفات الإفراط ٣٣٣
(١) قصير العمر ٣٣٣
(٢) الجور على الحقوق الأخرى ٣٣٤
(٣) التنفير من الإسلام ٣٣٥
(٤) التخويف من الإسلام ٣٣٥
(٥) الإصابة بالوسوسة ٣٣٦
أسباب الإفراط ٣٣٧
(١) قلة الفقه وعدم الرسوخ في العلم ٣٣٧
(٢) الإعجاب بالرأي والتعصب له ٣٣٧
(٣) شيوع التحلُّل من الدين ٣٣٧
أسباب التفريط ٣٣٨
علاج الإفراط والتفريط ٣٣٩
(١) إشاعة العلم الراسخ ٣٣٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

(٢) مقاومة تيَّارات التحلل والإباحية ٣٤٠
التطرف لا يعالج بالتطرف ٣٤٠
إشاعة الفكر المعتدل ٣٤١
تمكين المعتدلين في المجتمع ٣٤٢
الدين والسياسة ٣٤٣
التثبت من الأخبار ٣٤٤
ممالأة الظالمين ٣٤٤
علماء السلطان ٣٤٥
المهدي المنتظر ٣٤٥
المبالغة في الكرامات ٣٥٠
حرية الأديان ٣٥٢

❖ ١٤ ـ محنة الأمة الإسلامية بين ضعف الداخل وهجوم الخارج ٣٥٤

رمضان موسم المتقين ومتجر الصالحين ٣٥٥
تدارس العلم نوع من قيام الليل ٣٥٥
بعض الأجيال تعيش المحن ٣٥٧
المؤمن أشدُّ ابتلاء ٣٥٨
الأُمَّة الإسلامية مصطلح قرآني ٣٦٠
لا تعارض بين العروبة والإسلام ٣٦١
أمة بمنطق الدين ٣٦١
أُمَّة بمنطق التاريخ والجغرافيا ٣٦٢
أمة بمنطق المصلحة ٣٦٣
أمة بمنطق الواقع ٣٦٤
أمة بمنطق خصومنا ٣٦٥

غير مصرح للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

أمتنا تعاني محنًا شتَّى ٣٦٧
مجزرة الصهاينة في مسجد الخليل ٣٦٨
سراب السلام العاجز ٣٦٩
الصليبية تحاربنا في البوسنة والهرسك ٣٧٠
عودة أهل البوسنة إلى التمسُّك بالإسلام ٣٧١
الكفر كله ملة واحدة ٣٧١
مسؤولية المسلمين أمام هذه المحن ٣٧٢
لا ينبغي أن نقبل دور الضحية دائمًا ٣٧٣
لا نعفي أنفسنا من المسؤولية ٣٧٣
الخطوة الأولى تحمل المسؤولية ٣٧٤
كلنا مسؤولون أمام هذه المحن ٣٧٥
من يهن يسهل الهوان عليه ٣٧٦
اليأس ليس من صفات المؤمنين ٣٧٧
الحقُّ ينتصر بأهله ٣٧٧
المؤمنون على خير وإلى خير ٣٧٩

❖ ١٥ ـ كيف تُستنهض الأُمَّة ٣٨١

طلب العلم عبادة ٣٨٢
محاولات النهوض بالأُمَّة ٣٨٣
واقع الأُمَّة الإسلامية اليوم ٣٨٣
الاعتراف بالواقع أول شروط الاستنهاض ٣٨٤
لماذا لم تنجح محاولات النهوض؟ ٣٨٥
نشأة الحضارة الإسلامية وازدهارها ٣٨٦

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عدم إدراك الأمة حقيقتها ٣٨٧
ضعف المحاولات القائمة على التغريب ٣٨٧
حاجة الأمة لمشروع يقوم على عقيدتها وشريعتها ٣٨٩
إلامَ تستنهض الأمة؟ ٣٩٠
أسس نهضة الأمة ٣٩١
أمتنا عندها طاقات هائلة ٣٩٢
القوة البشرية ٣٩٣
القوة الروحية ٣٩٤
الطاقات العقلية ٣٩٤
تجنيد كل الطاقات ٣٩٥
دور المرأة ٣٩٥
إقامة العدالة الاجتماعية ٣٩٧
الإسلام يغير المعادلة ٣٩٩
نهضة أمة لا نهضة إقليم ٣٩٩
دول العالم تتكتل رغم الاختلافات الكثيرة بينهم ٤٠٠
لا بدَّ أن نتجاوز خلافاتنا ٤٠١
الإنتاج العظيم وليد الكيانات الكبيرة ٤٠١
حمل هموم المسلمين ٤٠٢
عمل متواصل من أجل وحدة الأُمَّة ٤٠٣
الأُمَّة الإسلامية حقيقة لا وهم ٤٠٤
تعديل النظام التعليمي ٤٠٥
حاجتنا إلى نظام إعلامي جاد ٤٠٦
دور المسجد في نهضة الأُمَّة ٤٠٧

QaradawiBooks.com

إشاعة جو الحرية والأمان ٤٠٩
ارتباط النهضة بالقيم الإيمانية ٤١١
الإيمان يقوي طاقة الأمة الإنتاجية ٤١٣

❖ ١٦ ـ مستقبل الأُمَّة بين عوامل اليأس وبواعث الأمل ٤١٥

المقصود بالأُمَّة ٤١٦
الاهتمام بالمستقبل ٤١٦
من عناية القرآن بالمستقبل ٤١٦
مستقبل الأُمَّة بين عوامل اليأس، وبواعث الأمل ٤١٨
أولًا: عوامل اليأس ٤١٨
(١) نكبة الخليج وأثرها ٤١٩
التآمر على الأُمَّة ٤١٩
سقوط الخلافة وغياب الوحدة ٤٢٠
التفرُّق والنزاع ٤٢١
(٢) محاربة الصحوة الإسلاميَّة ٤٢١
(٣) انتفاش الصهيونيَّة ٤٢٣
الإكراه على الاستسلام ٤٢٤
(٤) نشاط التنصير ٤٢٥
(٥) أحاديث الفتن والملاحم ٤٢٧
ثانيًا: من بواعث الأمل ٤٢٨
(١) قوة الإسلام الذاتيَّة ٤٢٨
أ ـ الرسالة الخالدة ٤٢٩
ب ـ دين الفطرة ٤٢٩

QaradawiBooks.com

(٢) مقومات القوة لدى الأُمَّة ٤٣٠
أ ـ القوَّة البشريَّة ٤٣٠
ب ـ القوة الاقتصاديَّة ٤٣١
ج ـ القوة الروحيَّة ٤٣٢
(٣) شواهد من التاريخ ٤٣٢
أ ـ الانتصار على المرتدين ٤٣٢
ب ـ الانتصار على الصليبيِّين ٤٣٤
ج ـ الانتصار على التتار ٤٣٥
د ـ معارك التحرير المعاصرة ٤٣٦
(٤) شواهد من الواقع ٤٣٧
أ ـ إفلاس الآخرين ٤٣٧
ب ـ الصحوة المعاصرة ٤٣٨
ج ـ الجهاد الأفغاني ٤٣٩
د ـ الجهاد الفلسطيني ٤٣٩
(٥) نصوص مُبشِّرات ٤٣٩
خاتمة ٤٤٢
التغلُّب على الشقاق ٤٤٣
تجاوز المحنة ٤٤٥
غياب الوحدة السياسيَّة ٤٤٦
دور العلماء ٤٤٨
العمل الواعي المستمر ٤٤٩
تكثيف العمل ٤٥١

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **المبشرات بانتصار الإسلام** **٤٥٥**

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** **٤٥٦**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٤٥٧**

❖ **١٧ ـ المُبَشِّرات بانتصار الإسلام (١)** **٤٥٩**

الشعور باليأس والإحباط ٤٦٠

إشاعة الأمل والرجاء ٤٦٠

التزام منهج التبشير ٤٦١

المبشرات بانتصار الإسلام ٤٦٢

(١) مبشرات من القرآن الكريم ٤٦٢

(٢) مبشرات من الحديث النبويِّ ٤٦٥

انتشار الدعوة ٤٦٦

اتساع الدولة ٤٦٧

فتح روميَّة ٤٦٧

عودة الإسلام إلى أوربا ٤٦٩

فتح الفكر والدعوة ٤٧٠

الحكم الراشد ٤٧٠

الانتصار على اليهود ٤٧١

عموم الرخاء ٤٧٢

بقاء الطائفة المنصورة ٤٧٣

تعاقب المُجَدِّدين ٤٧٤

التجديد الجماعي ٤٧٥

(٣) مُبَشِّرات من التاريخ الإسلامي ٤٧٦

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

النصر مع انقطاع الأسباب ٤٧٦
في الهجرة النبويَّة ٤٧٦
في غزوة بدر ٤٧٧
في غزوة الأحزاب ٤٧٨
قوَّة الأمَّة عند الشدائد ٤٧٨
في مواجهة المُرْتَدِّين ٤٧٩
في مواجهة الصليبيِّين ٤٨٠
في مواجهة التتار ٤٨١
في مواجهة الاستعمار ٤٨٣
(٤) مُبَشِّرات من الواقع ٤٨٤
مقوِّمات الأُمَّة ٤٨٤
(٥) مُبَشِّرات من السنن ٤٨٦

❖ ١٨ ـ المُبَشِّرات بانتصار الإسلام (٢) ٤٨٩

❖ ١٩ ـ التبشير والمبشرات ٥١٢
قضية القدس وفلسطين ٥١٣
الاستعمار الاستيطاني ٥١٤
الاستعمار الإحلالي ٥١٤
مكانة المرأة ودورها ٥١٦
أول صوت ارتفع بتأييد الإسلام ٥١٦
أول دم أُريق من أجل الإسلام ٥١٧
على المرأة المسلمة أن تحمل الراية ٥١٧
منهج الوسطية ٥١٨

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(١) التيسير في الفتوى ٥١٨
(٢) التبشير في الدعوة ٥١٩
كثرة المُحبطات ٥٢٠
مبشرات بانتصار الإسلام ٥٢١
(١) مبشرات من القرآن ٥٢١
(٢) مبشرات من السُّنَّة ٥٢٥
القراءة الصحيحة للسُّنَّة النبويَّة ٥٢٥
(٣) مبشرات من التاريخ ٥٣٠
حروب الردة ٥٣٠
الحروب الصليبية ٥٣٢
هجمات التتار على العالم الإسلامي ٥٣٥

❖ ٢٠ ـ المستقبل للإسلام ٥٣٧

حملات مضادَّة ٥٣٨
الداعية الرشيد ٥٣٩
تقارب لا ذوبان ٥٣٩
الانتساب إلى الإسلام ٥٤٠
الاعتزاز بالإسلام ٥٤١
أُمَّتنا غنيَّة عن الاستيراد ٥٤١
نماء الاقتصاد الإسلامي ٥٤٢
قيام البنوك الإسلاميَّة ٥٤٣
قيام مُؤَسَّسات الزكاة ٥٤٤
دعوة للالتحاق بالركب ٥٤٥
من مبشرات الإسلام ٥٤٦

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(١) بشائر من القرآن ٥٤٦
(٢) بشائر من السُّنَّة ٥٤٦
انتشار الدعوة ٥٤٧
اتِّساع الدولة ٥٤٨
(٣) بشائر من التاريخ ٥٤٨
(٤) بشائر من الواقع ٥٤٨
أ ـ القوَّة البشريَّة ٥٤٩
ب ـ القوَّة المادِّيَّة ٥٤٩
ج ـ القوَّة الحضاريَّة ٥٥٠
د ـ القوَّة الروحيَّة ٥٥٠
(٥) بشائر من السنن ٥٥٢
إحسان الفهم والتطبيق ٥٥٣
الحاجة إلى الرجال ٥٥٣

❖ ٢١ ـ مستقبل العالم العربي في ضوء الواقع ٥٥٥

إحسان عبد القدُّوس ٥٥٦
نجيب محفوظ ٥٥٦
موضوع المحاضرة ٥٥٧
نظرة الإسلام إلى المستقبل ٥٥٧
القرآن والمستقبل ٥٥٨
السُّنَّة والمستقبل ٥٥٩
التعلُّق بالماضي وحده ٥٦٠
التعلُّل بالقدر والتوكل ٥٦١
العناية بالإحصاء ٥٦١

QaradawiBooks.com

العناية بالتخطيط ٥٦٢
مشكلات العالم العربي ٥٦٣
(١) التخلف ٥٦٤
(٢) الاستبداد ٥٦٤
(٣) الظلم الاجتماعي ٥٦٤
(٤) التبعيَّة ٥٦٥
(٥) الفساد ٥٦٧
(٦) التَّمزُّق ٥٦٨
(٧) المشروع الصهيونيِّ ٥٦٨
مقومات العالَم العربيِّ ٥٧٠
(١) الموارد البشريَّة ٥٧١
(٢) الموارد الاقتصاديَّة ٥٧٢
(٣) العُمْق الحضاري ٥٧٢
(٤) الرسالة الخاتمة ٥٧٣
واقع العالم العربي بالنسبة إلى مقوماته ٥٧٣
(١) مجال الموارد البشريَّة ٥٧٣
(١) هجرة النوابغ ٥٧٤
(٢) المجال الاقتصادي ٥٧٥
(٣) حضارة الأُمَّة ورسالتها ٥٧٩
دور الإيمان ٥٧٩
ضرورة الإصلاح والتغيير ٥٨٠
الحرية قبل الشريعة ٥٨٠
كلمة الختام ٥٨٢

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بشائر الأمل ٥٨٣
في قضيَّة الجهاد المعاصر ٥٨٤
جهاد الطلب ٥٨٤
جهاد الدفع ٥٨٥
وجوب الجهاد في فلسطين ٥٨٥
وقوف الأنظمة ضد الجهاد ٥٨٦
اصطحاب نيَّة الجهاد ٥٨٦
المقاومة الفكريَّة ٥٨٧
المقاومة الاقتصاديَّة ٥٨٧
مقاطعة العدو ٥٨٧
المقاومة بالمال ٥٨٨
المقاومة بالدعاء ٥٨٩
صمت الأنظمة عن جرائم العدو الصهيوني ٥٩٠
التصدُّق بثمن العقيقة ٥٩٠
السُّنَّة والشيعة بين التقارب والاختراق ٥٩١
حسن نصر الله ٥٩٥
توحُّد الأُمَّة ضد عدوها ٥٩٦
الأزمة الطائفيَّة في العراق ٥٩٧
دور العلماء في دارفور ٥٩٨
مستقبل الصحوة ٥٩٩
مشروعية المظاهرات ٦٠٠
حُسْن تطبيق الشريعة ٦٠٠
البيع بالتقسيط ٦٠٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دور الشباب في النهضة ٦٠٣

❖ ٢٢ ـ المسلمون في عالم اليوم ٦٠٥

واقع المسلمين ٦٠٥

طَوْر القيادة والريادة ٦٠٦

أُمَّة الحضارة ٦٠٧

المنهج التجريبي ٦٠٨

نقد وإبداع ٦٠٨

اتصال الدين بالعلم ٦٠٩

المراجع العالميَّة ٦١٠

لغة العلم ٦١٠

من مظاهر حضارتنا ٦١٠

طور الاستعمار والتحرير ٦١١

الإسلام يزرع وغيره يحصد ٦١٢

مصطفى كمال أتاتورك ٦١٢

طور الإحياء والتجديد ٦١٣

الصحوة الإسلاميَّة ٦١٤

مجالات الصحوة ٦١٤

آثار الصحوة ٦١٥

التربُّص بالصحوة ٦١٦

الخوف من الصحوة ٦١٧

التخويف من الصحوة ٦١٨

استمرار الروح الصليبيَّة ٦١٩

البوسنة والهرسك ٦٢٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المسلمون في عالم اليوم ٦٢١
أوَّلًا: ضعف المسلمين ٦٢١
مأساة نساء البوسنة ٦٢٢
محاربة الوجود الإسلامي في أوربا ٦٢٣
منع الحجاب في فرنسا ٦٢٣
الكُليَّة الأوربيَّة الإسلاميَّة ٦٢٤
ثانيًا: تفرُّق المسلمين ٦٢٦
الوجود الشعبي للأُمَّة ٦٢٧
الوجود الرسمي للأُمَّة ٦٢٨
إسقاط الخلافة ٦٢٨
تمزيق الأُمَّة ٦٢٩
وحدة الأُمَّة ضرورة ٦٣٠
ثالثًا: تخلُّف المسلمين ٦٣٠
العالَم الثالث ٦٣١
العالَم النامي ٦٣١
تخلُّف اجتماعي ٦٣٢
مسؤوليَّة المسلمين ٦٣٤
الإسلام ليس خطرًا ٦٣٥

❖ ٢٣ ـ المسلمون أُمَّة منصورة ٦٣٦

دعوة قديمة لزيارة جنوب أفريقيا ٦٣٦
أُمَّة بخير لا تموت ٦٣٧
مشاركة المرأة ٦٤٠
تصوير المحاضرات ٦٤٢

غير مصرح للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

نعمة الإسلام ٦٤٤
نعمة الأُمَّة ٦٤٤
انتصار الأُمَّة ٦٤٥
القوة العددية ٦٤٨
القوة الاقتصادية ٦٤٩
القوة الحضارية ٦٤٩
القوة الروحية ٦٥٠
شهادة منصفة ٦٥٢
قضية القدس ٦٥٣

❖ ٢٤ ـ هموم المسلمين ٦٥٦

مآسي المسلمين لا تنتهي ٦٥٧
أمة الغُثاء ٦٥٧
عجز العالم الإسلامي عن نصرة أهل البوسنة ٦٥٨
عجزنا أمام قضية فلسطين ٦٦٠
ثورة المساجد ٦٦٠
التهجير والتشريد والإبعاد ٦٦١
قضية كشمير الجريحة ٦٦٢
فتوى مؤلمة من البوسنة ٦٦٣
هموم متعددة ٦٦٣
الحصار على السودان ٦٦٤
الآلام تطغى على الآمال ٦٦٥
تمزيق الأُمَّة الإسلامية ٦٦٦
سيطرة أعداء الصحوة على أجهزة الإعلام والتعليم ٦٦٦

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهم نسبية الحقائق ٦٦٨
تفريغ الأمة من أسباب وجودها ٦٦٩
لا تنتصر أُمَّتنا إلا بالإسلام ٦٦٩
عودة الصليبية والصهيونية ٦٦٩
إسلام واحد لا إسلامات متعددة ٦٧٠
أهمية معركة الوعي ٦٧١
الإسلام هو طوق النجاة ٦٧٢

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٦٧٧**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٦٩٥**
- **فهرس الموضوعات ٧٠٣**

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية